اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

- دراسة في نهج البلاغة-

أطروحة تقدمت بها الطالبة

انتصار عدنان عبد الواحد العواد

الى مجلس كلية الآداب – جامعة البصرة

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

جواد كاظم منشد النصر الله

1434 هـ 2013 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

صدق الله العلي العظيم

الرعد43



شكر وتقدير

الحمد لله الذي لم يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصي نعمائه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، اللهم لك الحمد على ما اوليتني من جميل صنعك وجليل نعمتك عليَّ بولاية محمد وال محمد والتوفيق لخدمتهم .

بدءا اني لانحني امام الاسم ين العظيمين " المصطفى محمد ﷺ والمرتضى علي عليه السلام " الذين زينا عنوان وصفحات بحثي من اولها الى آخرها راجية قبولا مشفوعا بالعفو عن كل تقصير بدر مني، ولكن لا طاقة لقلمي اكثر مما قدمته كي يطوف في عوالمهم النورانية الشاسعة ، إلا أنها امنيتي اتخطى بها مخاوفي لأدنو منهم إذ سكن ودهم وولائهم في عقلي ووجداني ، ونيتي تحدو بي على شرف لإنال شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

واجد لزاما علي أن أنسب الفضل لذويه لعلي اؤدي حق المتفضلين علي بعد الله سبحانه واهل البيت الكرام عليهم السلام ، يقول الامام زين العابدين عليه السلام : " **واما حق ذي المعروف عليك ، فان تشكره ، وتذكر معروفه وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له في الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية**".

وإن عبارات الشكر لتضيق ذرعا بما اضمره من شكر وامتنان واجلال لاستاذي المشرف – مثال الورع وحسن الخلق – الذي خصني بوافر رعايته الحانية ، مواكبا مسيرتي البحثية خطوة بخطوة ، واني لأكبر فيه كل يوم خلقه السامي ومواقفه النبيلة وصبره الجميل وآراءه العلمية القيمة ، فكان اثره طيبا وبيّنا في التفضل باخراج هذا العمل الى حيز الوجود بعد ان كان حلما يراود الخيال.

والى استاذنا المبجل ، المفكر الالمعي عيلم العراق الاستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي اقف وقفة اجلال وامتنان لما غمرني به من رعاية ابوية منذ لقائي الاول به ، واثمن باعتزاز ترأسه لجنة المناقشة واني لاحسب ذلك لطفا الهيا ودعما لمجهودي ولا املك قبالة تفضله علي الا دوام الشكر والدعاء بان يمد الله في عمره ولا يحرمنا ظله انه سميع مجيب.

ومن باب الاقرار بالفضل ، ان اذكر باعتزاز كبير المواقف الطيبة (على المستوى الانساني والعلمي) لاستاذتي الفاضلة الدكتورة سلمى عبد الحميد الهاشمي التي كانت وما زالت تغذيني بحنانها السمح ولطفها الغمر، وترعاني برعاية خاصة ملئت نفسي ودا وعرفانا واحتراما لشخصها الكريم.

ومن الوفاء ألا أنسى استاذي الكبير في علمه وخلقه الأستاذ الدكتور محمد جواد الموسوي الذي ما زال باسطا لي وجهه الكريم وقلبه الطيب وفكره النير، فما التقيته يوما الا وشعرت برعايته الابوية والعلمية حفظه الله ذخرا وملاذا .

وبفائق الامتنان اتقدم الى جناب الاخ الدكتور هادي التميمي وأحيّي فيه الروح الانسانية الطيبة ، شاكرة له ما نالني منه من اهتمام ورعاية ووقفات نبيلة جزاه الله خير الجزاء .

واغتنم هذه المناسبة لاتقدم بالشكر لكل من تتلمذت على يديه من معلمين ومدرسين ، والاساتذة الذين اسهموا في بلورة اهتمامي بالبحث العلمي في مرحلة البكلوريوس والتحضيرية للماجستير والدكتوراة واخص منهم الاستاذة الدكتورة سلمى الهاشمي والاستاذ الدكتور شاكر مجيد كاظم الذي افادني بملاحظاته العلمية حول المادة المختصة بتاريخ العرب قبل الاسلام والاستاذ الدكتور جواد كاظم النصر الله والاستاذ المساعد الدكتور هشام الربيعي والاستاذ المساعد الدكتور مجيد الزامل والدكتور نزار عبيد الذي تفضل مشكورا بترجمة ملخص الاطروحة الى اللغة الانكليزية . جزاهم الله جميعا خير جزاء المحسنين.

شكري وتقديري للدكتور سعد وحيد الذي تفضل بتقويم الاطروحة لغويا ، والشكر موصول للمقوم العلمي. واسجل باعتزاز الموقف النبيل للاخ الدكتور عباس عبد الحسين لما ابداه من ملاحظات قيمة شاكرة له هذا الفضل ، داعية له بالتوفيق والسداد . واثمن جهود كل من مد لي يد العون ووقف الى جانبي بدءا بمن اعارني من كتبه المفيدة كالاخ الدكتور عمار جاسم والشيخ ميثم طالب وفقهم الله جميعا .

وخالص شكري وامتناني لكل من وجدت لديه شيئا من الأنُس حين ناءت النفس ب أحمالها ، وفي طليعتهم عائلتي الكريمة و شكري وتقديري لكل اولئك المخلصين للمعرفة الخادمين بصمت ، في مختلف المكتبات على ما وجدناه لديهم من مساعدة وما ادوه من تفهم وسعة صدر امام حاجة للكتاب لا تكاد تنتهي.

الأهداء

سيد ي يا صاحب الزمان ..

يا املي الذي اودعته حنايا الروح ابد الدهر ..

يا هيبةً من جدك المصطفى تمتد أفُقا يتلظى ..

فأنت للصبر صبرٌ فأتى صبري يجتدي منك صبرا ..

فقد أربك الموج سفين ة روحي .. وارى في ضفافك المستقرا ..

لم نزل عاشقيك سيدي نخضّر وجداً واشتياقاً للقياك حرّى ..

" فمتى ترانا ونراك "

والى ليث الطفوف وراعي الجود ..

وحامي الهودج القُدسي ..

سيدي أبا الفضل ...

يا من تألق الجود في راحتيه فـ أضحى للكرم مثلا ..

يا حاملا دمعة من طف روحك للآنيّن إن ظمئوا ..

ها قد اتاك قلبي المتيم فأ روه سيدي من فيض جودك فقد ذاب عطشا

ليورق الأملا ..

سادتي منكم واليكم

الباحثة

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
شكر وتقدير	
المحتويات	
المقدمة	أ - ع
الفصل الاول:علاقة الامام امير المؤمنين عليه السلام بالنبي الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم	74 - 1
المبحث الاول : ابعاد العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام امير المؤمنين عليه السلام	45 - 1
- القرابة القريبة	21 -2
- المنزلة الخصيصة	45 - 22
المبحث الثاني : مستويات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام امير المؤمنين عليه السلام	74 - 46
اولا : المستوى الروحي والاخلاقي	64 – 46
ثانيا : المستوى العقائدي	73 – 64
ثالثا : المستوى الفكري والعلمي	73
الفصل الثاني : بيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم	214 - 75
تمهيد	81 - 75
المبحث الاول : الجانب الجغرافي والاقتصادي	111 - 82
- الجانب الجغرافي	109 – 82
- الجانب الاقتصادي	111 – 110
المبحث الثاني : الجانب السياسي الاجتماعي	176 - 112
- الجانب السياسي	114 – 112
- الجانب الاجتماعي :	176 – 115
• طبيعة المجتمع قبل الاسلام	130 -115
• دور النبي في اصلاح مجتمعه	135-130
• المكون المجتمعي	176 - 135
المبحث الثالث : الجانب الديني	214 - 177

الفصل الثالث : النبوة في نهج البلاغة الوظائف – العلامات – السمات	319-215
تمهيد : مفهوم النبوة وضرورتها	221 - 215
المبحث الاول : وظائف النبوة	230-222
المبحث الثاني : علامات النبوة :	279 – 231
• شرف النسب وطهارة المولد	259-231
• الميثاق	263 - 259
• الاختصاص بالوحي	273- 263
• المعجزة	279 - 274
المبحث الثالث : سمات النبي الاعظم ﷺ وسجاياه الخلقية :	319-280
اولا : السمات الخاصة :	287 - 280
• مقام الشهادة	281 - 280
• مقام الخاتمية	283 - 281
• النبي الامي	287 - 283
ثانيا : السجايا الخلقية :	319 - 287
• تمهيد (صفات الكمال)	293 - 287
• الرحمة	296 - 293
• العدل	299 - 296
• البلاغة	302-300
• التواضع	307-302
• الشجاعة	310 – 307
• الزهد	319 - 310
الفصل الرابع : مقدمات البعثة النبوية واحداثها	378-320
المبحث الاول : تعبد النبي ﷺ في غار حراء	331 - 320
المبحث الثاني : البعثة النبوية	351 - 332
• مقدمات نبوته ﷺ	340-334
• لقائه بالوحي	351 - 340
المبحث الثالث : الدعوة المحمدية	378 – 352
- مراحل الدعوة والتبليغ وبناء الدولة :	374 – 352
• مرحلة اعداد القاعدة الايمانية الاولى	355-352
• مرحلة الاعلان العام للدعوة وبداية المواجهة مع المشركين	364-356

• مرحلة الهجرة وبناء الدولة	374 - 364
- اساليب النبي ﷺ في دعوته	378 - 375
الفصل الخامس : السنة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام	436 - 379
المبحث الاول : مفهوم السنة النبوية ومكانتها	387 - 379
• معنى السنة لغة واصطلاحا	380 - 379
• مكانة السنة :	387 - 380
1 -في القران الكريم	385 - 381
2 -في الحديث النبوي	387 - 385
المبحث الثاني : السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام	410 - 388
• السنة النبوية ومكانتها في نهج البلاغة	398 -393
• واقع السنة بعد النبي ﷺ في ضوء نهج البلاغة	410 - 398
المبحث الثالث دور أمير المؤمنين عليه السلام في احياء السنة النبوية	436 -411
اولا : مؤهلاته العلمية	416 -411
ثانيا : منهجه في احياء السنة النبوية	436 - 416
الخاتمة	440 - 437
فهرس المصادر	483 - 441
الملخص باللغة الانكليزية	A - C

المقدمة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره ، وسببا للمزيد من فضله ، ودليلا على آلائه وعظمته ، والصلاة على الهادي الأمين الذي ارسله الله بالضياء ، وقدمه في الاصطفاء ، فرتق به المفاتق ، وساور به المغالب ، وذلل به الصعوبة ، وسهل به الحزونة ، حتى سرح الضلال عن يمين وشمال ، وعلى أهل بيته الميامين، موضع سره ، ولجأ أمره وعيبة علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه، بهم اقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائصه وسلم تسليما كثيرا.

لما كان النبي ﷺ يعد المصدر الثاني بعد القرآن، فهو المترجم العملي لما طرحه القرآن ودعا إليه، لذا وجب الإطلاع على كنه هذه الشخصية لغرض الاقتداء بهديها، والتأسي بها، كما أمر بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]. وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : " **فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ فِيه أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّه الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّه، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِه...**"[2]. وفي موضع آخر يقول : " **فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُه، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُه، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُه، سِيرَتُه الْقَصْدُ، وسُنَّتُه الرُّشْدُ، وكَلَامُه الْفَصْلُ، وحُكْمُه الْعَدْلُ**"[3].

إنها دعوة صريحة من (الثقلين) القرآن الكريم وأمير المؤمنين عليه السلام بوجوب الاقتداء والتأسي بسيرة النبي الاعظم ﷺ والاهتداء بهديه " **فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْه مِنْ صِفَتِه، فَائْتَمَّ بِه، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِه**"[4].

إن هذا الاقتداء والاهتداء يستلزم الوقوف على حقيقة شخصيته، علما بان الغاية من دراسة سيرته لا تقف عند مجرد الاطلاع على تلك الوقائع والأحداث التي حفل بها تاريخ حياته بل " أن يرى المسلم المفاهيم الاسلامية في مجموعها متجسدة في حياته ﷺ بعد ان فهمها كمبادئ وقواعد وأحكام مجردة في

١- سورة الأحزاب الآية 21.
٢- الشريف الرضي : نهج البلاغة : ص 298 -299.
٣- نهج البلاغة : ص 176.
٤- نهج البلاغة : ص 149 -150.

الذهن ، أي ان دراسة السيرة النبوية [1] ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه الاطلاع على تجسيد المفاهيم والقيم والأخلاق الاسلامية كاملة في مثلها الاعلى محمد ﷺ للتأسي بها ".[2]

ولكن أنى لنا الاقتداء بالنبي ﷺ ونحن أمام رؤى عدة تحكي لنا طبيعة شخصية النبي ﷺ ، فلقد كان لتباين الروايات التاريخية واختلاف توجهات رواتها أن تباينت الرؤى لشخصية النبي محمد ﷺ، وقد نأت بعض من هذه الرؤى بعيدا عن حقيقة هذه الشخصية العظيمة [3]. فإن تلك الرؤى التي تناولت شخصية النبي ﷺ رواية أو تدوينا ، قد رويت أو كتبت بأقلام مؤلفيها ذوي المشارب والأهواء المختلفة ، وكانت رؤاهم طوع ادراكهم ، ومدى فهمهم للحقيقة المحمدية واستيعابها ، منذ الجيل الاول للصحابة الذين هم أول من اهتم بنقل تفاصيل تلك السيرة العطرة ، ولكن رؤاهم تباينت حسب مستوى فهمهم لأبعاد هذه الشخصية العملاقة ، ومدى قربهم ومواكبتهم للسيرة النبوية طوال ثلاث وعشرين سنة .

ان بعض الروايات لم تصل إلينا سليمة ولا قويمة ، بل تعرضت للتحريف والتزييف ، سواء أكان ذلك عمداً أو غير عمداً ، إذ لم يقتصر الرواة على نقل خصوص ما يتقنو نه من الاحداث والشؤون ، بل أضافوا الكثير من المظنونات والحدسيات ، بل و المختلقات التي صنعتها الاهواء ، والعصبيات ، والمصالح الخاصة ، والسياسات التي رأت إن من مصلحتها نسبة ذلك الى الرسول الاكرم ﷺ ، لتكتسب شرعية وقداسة ، تبعده م عن الريب ، وتجعله م يحظون بالرضا والقبول من مختلف الفئات والطبقات. [4]

١- لقد اجتذبت شخصية النبي الاعظم ﷺ اهتمام الدارسين والعلماء والمفكرين ، وصارت محورا لعمل المحققين ، وميدانا لمجهود متواصل عبر القرون ، إذ يمكن القول أن ليس ثمة عظيم استقطب اهتمام هؤلاء العلماء مثل النبي الخاتم ﷺ عند الأمم جميعها . إلا أنه يمكن القول ان شخصية النبي الاعظم ﷺ لا يمكن ان تحتويها عقول المؤلفين ومداركهم وأقلامهم مهما بلغت في العلم ، ومهما انتجت الدراسات حولها ، فكل باحث عن حياته الشريفة إنما يكيلها بكيل نفسه ، ويغترف منها بقدر كفه ، ولن يوفي أحد حقه ﷺ كيف وهو صنيعة الله و" **الَمُجْتَبَىَ مِنْ خَلَائِقِه ، والْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِه ، والْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِه**...". نهج البلاغة ص342.

٢- عدنان فرحان: دروس في السيرة النبوية : ص21.

٣- من هذه الرؤى رؤية عروة بن الزبير، والبخاري والرصافي وغيرهم. ينظر: محمد خضير الفارس: عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية (الصفحات جميعها). عدنان مالح ساجت الحسيناوي: صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري ص 52 – 313. الرصافي : الشخصية المحمدية (الصفحات جميعها). حميد سراج جابر: الانغلاق الفكري عند مدعي التجديد وصورة الاستقراء النصي الاجتزائي في التعامل مع شخصية الرسول ﷺ (الصفحات جميعها).

٤- العاملي: منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية ص 13. ولمزيد من التفاصيل ينظر : النصر الله: هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ص89 – 117.

إذ يقول ابن خلدون[1] حول المؤلفات الاسلامية في التاريخ : " لم يؤمن فيها من العثور ومزّلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمؤلفين والمفسرين و أيمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بـأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ؛ فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ".

وحيال ذلك أنى لنا أن نطلع على الشخصية المحمدية الواقعية ؟ لا جرم أن مصداق ذلك نجده في القرآن الكريم ، إذ روي عنه ﷺ أنه قال : يا علي! لا يعرفني إلا الله وأنت. فالقرآن الكريم كلام الله وهو الصادق المصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولما كان للعلاقة الوثقى بين أمير المؤمنين عليه السلام والقرآن الكريم كونه الأعرف بالحقيقة القرآنية [2]، فهما الثقلان اللذان تركهما النبي ﷺ من بعده ، إذ أنهما متلازمان " علي مع القرآن ، والقرآن مع علي " [3]، فضلا عن تلك الملازمة ، كان للإمام شرف ملازمة النبي ﷺ طيلة ثلاث وثلاثين عاما لذا كان الأبصر بالحقيقة المحمدية ، من هنا لا مناص من الرجوع لأمير المؤمنين عليه السلام في تعريفنا بالشخصية المحمدية المقدسة.

وهنا تبرز ا لاهمية من هذه الدراسة ، اذ ان الامام امير المؤمنين عليه السلام وبما توافق القريب والبعيد على سماته وخصوصياته التي تجعله الاولى بالحديث عن النبي ﷺ ، وتجعل لكل قول صدر منه بحق النبي ذات تميز واثر وأهمية لا يمكن ان يضاهيه فيه غيره وذلك من حيث :

1 -انه الاقرب للنبي ﷺ والأشد التصاقا به ، والأقدر على فهمه ، وتقديم الرؤية الواضحة عنه ﷺ ومن اختصاصه به منذ نعومة أظفاره وتربيته في كنفه ، فلم يفارقه قط ، فهو فضلا عن اختصاصه بالنبي ﷺ " ذكاءه وفطنته وطهارة طينته واشراق نفسه وضوئها ، واذا كان المحل قابلا متهيئا ، كان الفاعل المؤثر موجودا ، والموانع مرتفعة حصل الاثر على اتم ما يمكن" [4]. وان ملازمته للنبي ﷺ تجعله شاهدا على جميع الاحداث التي عاصرها ﷺ.

١- تاريخ ابن خلدون : 9/1.

٢- عن هذه العلاقة ينظر : نعمة هادي الساعدي : الإمام علي عليه السلام القرآن الناطق: (الصفحات جميعها).

3- ينظر عن هذا الحديث : الطبراني : المعجم الصغير 1 / 255 ، الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين : 3 / 124 ، الهيثمي : مجمع الزوائد : 9 / 134 ، المتقي الهندي : كنز العمال: 11 / 603.

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 /48.

2 -إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو الاقدر على تقديم رؤية واضحة ودقيقة وصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال له صلى الله عليه وآله وسلم : " يا علي لا يعرفني الا الله وانت " ، وهنا تميز الامام عن باقي الصحابة الذين تفاوتت رؤاهم حول شخصية النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم[1].

3 -وأمام ما ذكر اعلاه من إن مؤلفات السيرة لا تخلو من الزلل والخلط والكذب تبعا لأهواء مؤلفيها وناقليها، نجد ان الامام امير المؤمنين عليه السلام يشير الى خطورة ذلك إذ يقول في معرض حديثه عن شيوع الكذب على رسول الله ومنذ عهده صلى الله عليه وآله وسلم " **وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**" [2].

بينما ميز نفسه الشريفة عن ذلك بقوله بأنه " **لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه وَلَا عَلَى رَسُولِه، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه، وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله** "[3] وهو الناصح للأمة بقوله : " **اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوه عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاته قليل**" [4]. ونفى عليه السلام عن نفسه الكذب مرارا منها قوله : " **ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ**"[5].

وهنا تبرز مزية اخرى لهذه الدراسة التي هدفها تسليط الضوء على رؤية الامام امير المؤمنين عليه السلام لشخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المعروف أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام متناثر على صفحات شتى من مصادر التراث الإسلامي ، ولكننا انتخبنا كتاب نهج البلاغة كمصدر لدراسة رؤية الإمام علي عليه السلام للشخصية المحمدية.

وهنا يأتي سؤال جدير بالطرح : لماذا انتخبت الدراسة كتاب نهج البلاغة مصدرا لهذه الرؤية العلوية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون سواه من المصادر التي تناولت كلام امير المؤمنين عليه السلام ؟[6] .

١- قال ابن أبي الحديد: لم يكن أحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ، اذ كانوا اقساما ، فمنهم من يهاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يسأله وهم الذين يحبون ان يأتي الاعرابي او الطارئ فيسأله وهم يسمعون ، ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في البحث والنظر ، ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم ، ومنهم المعاني أما بعبادة أو دنيا ، ومنهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال ، ومنهم المبغض الشانئ الذي ليس للدين عنده من الموقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه. شرح نهج البلاغة: 11/ 48 .

٢- نهج البلاغة :ص441.

2- نهج البلاغة: ص442-443.

3- نهج البلاغة ص671 .

٥- نهج البلاغة ص406 .

٦- من هذه المصادر كتاب ((ألف كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام)) للجاحظ ت 252 هـ. وكتاب ((دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)) لابن سلامة القضاعي ت 454 هـ. وكتاب ((غرر الحكم ودرر الكلم)) لعبد الواحد الآمدي (

يمثل كتاب " نهج البلاغة " رافداً ثراً للعربية ، فهو كتاب في غاية الاتقان ، يتلو السنة والفرقان ، لأنه ضم الكلم ونوادر البلاغة ممن نزل عليه القر آن ﷺ، فلذلك لا يسع أحد وصف ما فيه من فنون الفصاحة ووجوه البلاغة، لأنه ركب منها أعلى ذروة السنام .[1] ثم أن مؤلفه يعد من اقطاب الفكر الاسلامي ألا وهو الشريف الرضي الذي برز في الادب العربي ، مركزا على دراسة كلام الله ورسوله وأمير المؤمنين عليه السلام ، ففي ما يخص كلام الله ناقش مسألة التأويل في كتاب سماه " حقائق التأويل في متشابه التنزيل" الذي قيل فيه: " صنف الرضي كتابا في معاني القرآن يتعذر وجود مثله "[2].

اما عن كلام رسول الله ﷺ فناقش مسألة المجاز في كلام النبي ﷺ في كتاب سماه (المجازات النبوية) ، وهو مطبوع ، في حين كانت البلاغة نصب عينيه فيما يخص كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام فوضع كتابه الذي سماه (نهج البلاغة) الذي خصصه لما أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام من خطب ورسائل وقصار الكلمات ، وهكذا جاء الكتاب في فصول ثلاث[3].

وجدير بالذكر إن نهج البلاغة لم يحتو على جميع ما صدر عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لان هدف مؤلفه لم يكن جمع المتناثر من كلامه عليه السلام بل كان ينتقي ما يراه في قمة الفصاحة والبلاغة .

فكان يلتقط كلام امير المؤمنين عليه السلام إلتقاطا، ولا يقفو مع الكلام المتوالي لان غرضه ذكر فصاحته عليه السلام لا غير ، ولو اتى بخطبه كلها على وجهها لكانت اضعاف كتابه الذي جمعه[4] . ومع ذلك جاء هذا الكتاب فريدا من نوعه ، وأصيلا في بابه ، لذا تلاقفته عقول المفكرين وأقلامهم قديما وحديثا تحقيقا و شرحا وتعليقا ودراسة ، حتى تجاوز ما كتب عنه المئات من الدراسات في مختلف صنوف المعرفة ، وكان كل من غاص في خضم بحره وجده اعظم مما ظن وأعمق مما تصور لذا جاءت عبارات الذهول والإعجاب والعجز تترى على ألسنة المبحرين في عوالمه، كيف لا وكلامه عليه السلام " قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي"[5]. فكان بحق " دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق "[6].

القرن الخامس الهجري) . وكتاب ((عيون الحكم والمواعظ)) لليثي الواسطي (القرن السادس الهجري) . وكتاب ((مصباح البلاغة)) للميرجهاني المعاصر.

١- عبد الكريم السعداوي : غريب نهج البلاغة : ص 17 – 18.
٢- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 243/2.
٣- ينظر : نهج البلاغة ص7 .
٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة: 3 / 153
٥- النويري : بلوغ الارب : 181/3
٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 24/1.

وأمام هذا " الكلام العلوي " يقف الباحث متهيبا متخضعا لجلالة النص وعظم ته ، لذا كانت خطواتنا مع هذا الموضوع بطيئة جدا وهادئة وحذرة لما يحمله من صعوبات تكمن في عظمة هذا الكلام وصعوبة سبر اغواره بأدواتنا المعرفية المتواضعة ، ومن الطبيعي ان لا تشوب الاعمال العجلة في بدايتها حتى اتسقت لنا الأمور فأخذنا نحث السير قدما وننهض سريعا، رغم يقيننا ان كل ما نقدمه يبقى قاصرا ومقصرا في اكماله على الوجه الأتم لكن (ما لم يدرك كله لا يترك جله). وقد جاء في ثنايا الكتاب اشارات كثيرة تخص السيرة النبوية مما تعطي رؤية دقيقة عن شخصية النبي الاعظم ﷺ وعدة تفاصيل هامة عن حياته الشريفة.

ومما يجدر ذكره من ملاحظات حول هذه المادة :

1 -ان ما قدمه الامام امير المؤمنين عليه السلام من رؤية عن الشخصية المحمدية جاءت متوافقة ومطابقة – تماما– للرؤية القرآنية ، ونجدها – أحيانا كثيرة – تتقاطع الى حد كبير مع ما قدمت من روئ عن هذه الشخصية في المصادر التي اهتمت بهذا الجانب . وتجلى لنا – من خلال رحلة البحث في نهج البلاغة – التأثر العميق بالقرآن الكريم فـ" نهج البلاغة هو الصدى الحقيقي للقران الكريم على صعيد الشكل والمضمون"[1]

2 –ان اختيار الموضوعات في هذه الدراسة جاء تبعا للإشارات التي وردت في كلام امير المؤمنين عليه السلام لذا يلحظ القارئ الكريم ان ترتيب الموضوعات لم يتخذ شكله التقليدي المعتاد في مثل هكذا بحوث تخص شخصية النبي الاعظم ﷺ ، فانّ ان وجدنا ثمة معلومات تخص جانبا من حياته الشريفة ﷺ فتفاصيل كثيرة تغيب ولا نجد لها ذكرا في كلامه عليه السلام وذلك يعود الى امرين:

أ –ان نهج البلاغة لم يكن حاويا لكل ما أثر عن الامام امير المؤمنين عليه السلام من كلام يخص النبي ﷺ بل انه – كما اشرنا فيما تقدم – كان رهنا بانتقاء الشريف الرضي لما كان من تتبعه للبليغ من كلامه عليه السلام .

ب –ان الامام امير المؤمنين عليه السلام وان وردت في م ضان كلماته وخطبه اشارات تاريخية هامة ، وكان يوجه عناية فائقة للتاريخ حتى اصبح التاريخ عنصرا بارزا في مختلف الموضوعات التي اثارت اهتمامه وعنايته عليه السلام ، ولكنها ليست كعناية القاص او السياسي الباحث عن الحيل السياسية وأساليب التمويه ليعالج بها من تذمر الشعب ، وإنما هي عناية رجل الرسالة والعقيدة والقائد الحضاري والمفكر المستقبلي، فهو يبحث ليجد في التاريخ جذور المشكل الإنساني وينفض جهود الانسانية على التكامل الروحي والمادي ، ويعزز قدرته في تأمين قدر من السعادة مع الحفاظ على الطهارة الإنسانية ولذا فهو لم يتوقف عند جزئيات الوقائع إلا بمقدار ما تكون

١– عباس الفحام: الاثر القرآني في نهج البلاغة : ص 501 .

شواهدا ورموزا ، وإنما تناول المسألة التاريخية بنظرة كلية شمولية ؛ فالإمام عليه السلام ليس مؤرخا، لذا لا نجد عنده نظرة المؤرخ وأسلوبه في سرد الوقائع ، وتحليلها والحكم عليها ، وإنما هو رجل دولة وحاكم ، ورجل عقيدة ورسالة ، فهو يتعامل مع التاريخ باعتباره حركة تكون شخصية الانسان الحاضرة والمستقبلية ، ولذا فهي تشكل حيزا هاما، على درجة كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي[1].

وتجدر الاشارة الى ان هذه الدراسة لم تكن الاولى حول شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال نهج البلاغة بل سبقتها عدد من الدراسات والبحوث :

1 - " النبوة في نهج البلاغة (قراءة علوية للسيرة النبوية) " للدكتور احمد راسم النفيس ، وفيها خاض المؤلف في بحوث تخص السيرة المحمدية ، وانتقى من نهج البلاغة نصوصا، وافرد لها عناوين ومباحث ذات صلة بالموضوع مشحونة بافكار واستنتاجات جيدة، ويظهر أن مؤلف الدراسة – وهو طبيب مصري – لم يكتبها برؤية تاريخية ، ولم يستقصِ جميع نصوص نهج البلاغة في النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لذلك غابت عدة موضوعات مهمة ذكرها الامام امير المؤمنين عليه السلام تخص شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتطرق لها المؤلف.
2 - " سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة " للسيد هاشم الميلاني ، التي جاءت ضمن سلسلة " في رحاب نهج البلاغة " التي اشرفت على اخراجها العتبة العلوية المقدسة ، وهي دراسة موجزة اقتصرت في مجالها الاوسع على جمع اكثر النصوص الخاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من نهج البلاغة ، مع بعض التعليقات للمؤلف. ويقع الكتاب في 80 صفحة.
3 - " صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نهج البلاغة " للدكتور عباس الفحام ، وهو فصل ضمن كتاب " بلاغة النهج في نهج البلاغة " ، وبالرغم من ان البحث مختص في اللغة العربية الا ان الباحث قد استند في مضان بحثه الى المرويات التاريخية فاقترب في هذا المجال من دراستنا ، وقد اعتمدنا على ما جاء فيه من اراء قيمة ، ولكن هذا البحث اقتصر في تركيزه الموجز على صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيئته الاجتماعية وعلاقته بمحيطه وصور من كمالاته صلى الله عليه وآله وسلم .
4 - " سيرة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم للامام علي المرتضى عليه السلام من خلال نهج البلاغة " للدكتور احمد عبد المجيد حمود ، وهو بحث لا يتجاوز (23 صفحة) اقتصر فيه الباحث على انتحاب عدد من نصوص نهج البلاغة الخاصة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اكتفى بترتيبها تحت عنوانات دون تحليلها او التعليق عليها .

١- محمد مهدي شمس الدين : حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام: ص 29- 30.

5 - " فلسفة النبوة وابعاد حياة الانبياء الاجتماعية في نهج البلاغة " بحث للدكتور حميد سراج يقع في (22 صفحة) اقتصر على مسألة جزئية وهي دراسة ما جاء من نصوص بخصوص الانبياء بشكل عام .

6 - " صورة النبي الاكرم ﷺ في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية " ، وهي اطروحة دكتوراه ، وكما هو واضح من عنوانها فانها قد اختصت بدراسة اسلوب الامام عليه السلام في بيان صورة النبي ﷺ في نهج البلاغة وفق معطيات اللغة .

ومع ذلك تعد هذه الدراسات رائدة في هذا الموضوع .

وبعد هذه الاضاءات السريعة حول طبيعة المادة الواردة في نهج البلاغة عن شخصية النبي الاعظم ﷺ ، ناتي لبيان الخطة التي سار عليها البحث في هذه الاطروحة ، اذ قسمت الدراسة على خمسة فصول متفاوتة في عدد صفحاتها لضرورات تطلبها البحث وطبيعة الموضوع الذي اختص به كل فصل من الفصول.

اما الفصل الاول فيعد فصلا تمهيديا، اذ سلط الضوء على طبيعة العلاقة التي تربط الامام امير المؤمنين عليه السلام بالنبي الاعظم ﷺ هذه العلاقة التي مكنته عليه السلام من ان يكون الاقدر على تقديم الصورة الاكثر وضوحا وواقعية للشخصية المحمدية ، تلك الصورة جاءت متطابقة مع الصورة التي قدمها القران الكريم ، إذ نجد أمير المؤمنين عليه السلام رافق النبي ﷺ منذ نعومة أضفاره ، فبعد ولادته في بيت الله انتقل الى بيت رسول ﷺ ، لينال شرف التربية النبوية ، ويكون قرب مصدر الوحي ، فكان يسمع ما يسمع رسول الله ، ويرى ما يراه ، حتى أنه كان معه في غار حراء إذ كان النبي ﷺ يعيش أولى ارهاصات النبوة ، وما أن يخطو النبي خطوته الآولى إلا وأمير المؤمنين إلى جانبه إذ جمع بن ي هاشم ودعاهم لمؤازرته فلم يجبه إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، فمنذ اللحظات الأولى لحركة النبوة تتحرك الإمامة (هذا أخي ووصيي و خليفتي عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا)[1]، وطوال ثلاثة عشر عاما في مكة كان عليه السلام الملاصق للنبي ﷺ في حله وترحاله ، حتى كانت ليلة الهجرة فكان على أمير المؤمنين عليه السلام أن يفدي رسول الله ﷺ بنفسه ، ثم يرد ودائع النبوة ، ويحمل الفواطم إلى دار الهجرة ليبدأ صفحة جديدة وهي صفحة الجهاد ونشر الإسلام ، فكان صاحب المواقف المشهودة في نيف وثمانين من السرايا والمعارك، إذ ما فارق النبي ﷺ إلا في تبوك ؛ ليكون منه بمنزلة هارون من موسى عليه السلام .

١- الطبري: تاريخ: 63/2، ابن الأثير: الكامل في التاريخ : 63/2، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر 1/ 117، لكن الطبري في تفسيره تلاعب ببعض الألفاظ . ينظر: جامع البيان 149/19، وتابعه على ذلك : ابن كثير: البداية والنهاية 53/3 ، تفسير القرآن العظيم 364/3.

فضلا عن ذلك فإن أمير المؤمنين عليه السلام هو من لازم نزول النص القرآني ثلاثة وعشرين عاما، فكان له شرف كتابة الوحي ، وكان يقول " سلوني عن كتاب الله، والله ما من اية الا انا اعلم انها بليل نزلت ام بنهار ام بسهل نزلت ام بجبل " [1]. وما أن غادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحياة إلا وهو في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ، هذه العلاقة المثلى هي التي جعلت من أمير المؤمنين عليه السلام الأقدر على تقديم صورة حقيقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فيما جاء الفصل الثاني ليقسم على ثلاثة مباحث تمحورت حول البيئة الحاضنة للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ نستشف مما جاء في كلام امير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم شيئا عن واقع تلك البيئة التي عاش في كنفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيان مدى تأثره وأثره صلى الله عليه وآله وسلم الفعال فيها. فكان المبحث الأول تناول الجانب الجغرافي والاقتصادي ، في حين تناولنا في المبحث الثاني الجانب السياسي و الاجتماعي ، أما المبحث الثالث فقد خصص للجانب الديني.

وعن معنى النبوة لغة واصطلاحا ، والهدف من ارسال الانبياء ، وكون النبوة ضرورة ولطفاً الهياً ، ليساعد عباده في سلوك طريق الخير وتجنب طريق الشر، كان الفصل الثالث قد خصص لبيان ذلك ، فيا ترى ما هي وظائف الانبياء؟ وما المشتركات التي اشتركوا بها ، من طهارة المولد ، وشرف النسب ، واختصاصهم بالوحي الإلهي ، ومددهم الإلهي بالمعجزات لإثبات صدق إدعائهم ، فضلا عن السمات والسجايا الخاصة به صلى الله عليه وآله وسلم من زهد وتواضع وشجاعة ومنطق وغير ذلك.

وثمة ملاحظة نجد من الضرورة الاشارة اليها حول مادة هذا الفصل ، اذ قد يتبادر سؤال الى ذهن القارئ ما الداعي الى ذكر بعض التفصيلات الخاصة بالنبوات بشكل عام، فيما ان الدراسة تختص بالنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بشكل اخص؟

وللجواب نقول: ان الاشارات التي اوردها الامام امير المؤمنين عليه السلام قد تحدث في قسم منها بشكل عام عن النبوات وهذا مما يمكن انطباقه على خصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان كان لم يختص بذكره وذلك من حيث وحدة المهام والوظائف والمزايا التي جعلها الله جل وعلا في جميع انبياءه .

فيما تكفل الفصل الرابع بالوقوف عند نصوص نهج البلاغة التي تضمنت الاشارة الى مقدمات بعثته الشريفة والاحداث التي انطوت عليها كتعبده في غار حراء ؟ ومن كان برفقته ؟ وماهي علاقته بوحي السماء ومتى بدأت هذه العلاقة ؟ ومن ثم مقارنة ما أدلى به الامام عليه السلام – من حقائق هامة حول هذا

١- ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى: 338/2. الازرقي : اخبار مكة : 50/1. البلاذري: انساب الأشراف: 99/2. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة اسماء الاصحاب 1107/3. جامع بيان العلم وفضله: 114/1. الخوارزمي: المناقب ص49. البلوي: الف باء: 222/1. محب الدين: الرياض النضرة: 262/2. ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة 509/2. تهذيب التهذيب: 338/7. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص185. الهيتمي: الصواعق المحرقة :ص126.

الموضوع – بما جاءت به الروايات التأريخية ، بعد تعريضها للنقد والتحليل . بالاضافة الى دور النبي ﷺ في مواجهة المشركين وما تعرض له واصحابه من اضطهاد ، ومن ثم اضطراره للهجرة للمدينة ، ومراحل بناء دولته المباركة.

وفي ختام الفصول كانت لنا وقفة مع سنة النبي ﷺ التي تعرضت لفهم خاطئ او للتحريف والتزييف بعد وفاته ﷺ ولاسباب شتى ، فكان قد وقع على الامام امير المؤمنين عليه السلام العبء الاكبر في ايضاح ذلك، وبيان حقيقة السنة النبوية ، والدفاع عنها واحيا ؤها والارشاد الى المنابع الصحيحة التي نستشف منها هذه السنة الشريفة .

لابد من الاشارة ان بعض النصوص استلزم تكرارها لتوظيفها في اكثر من موضع ومناسبة ، لان كلام الامام عليه السلام حمال ذو وجوه.

مصادر الدراسة:

تنوعت مصادر الدراسة تبعا لمحاورها وعنواناتها التي تناولتها ، وقد جاء في مقدمتها كتاب نهج البلاغة فهو المحور الذي دارت حوله الدراسة ، ومن المعلوم ان هذا الكتاب ليس مصدرا تاريخيا، ولم يؤلفه الامام عليه السلام بنفسه ولم يشمل كل كلماته ومآثره عن النبي ﷺ ولذا من الصعب بمكان ان يقف الباحث على منهج محدد في ايراد المادة المتعلقة ب شخصية النبي ﷺ ، نظرا لتعدد جوانبها تبعا لمقتضيات الظرف الذي كان يحيط بتلك النصوص حال صدورها منه عليه السلام فجاءت المادة عن شخصيته ﷺ موزعة على مقامات عديدة مبثوثة في خطبه عليه السلام شكلت عند جمعها رؤية واضحة لشخصيته العظيمة ﷺ ، وهذا كله متعلق بالهدف من خطب الامام عليه السلام وجمعها من الشريف الرضي ، فلم يقصد الاثنان السرد التاريخي لحياته ﷺ في خطب النهج الشريف وانما جاءت موزعة بحسب مقامها التي تحتاج اليه .

يمكن من خلال متابعة تلك النصوص التي خص بها الامام امير المؤمنين عليه السلام النبي ﷺ انها تحمل طابع التقديس والاجلال لشخص النبي ﷺ حتى اثار ذلك تعجب ابن ابي الحديد الذي توجه بالسؤال نحو شيخه قائلا : قد وقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم ار فيهم من يعظم رسول الله ﷺ تعظيم هذا الرجل ، ولا يدعو كدعائه ، فانا قد وقفنا من نهج البلاغة ومن غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل ، تدل على جلال عظيم ، وتبجل شديد فيه لرسول الله ﷺ .

فاجاب ابو جعفر: ان عليا عليه السلام كان قوي الايمان برسول الله ﷺ والتصديق له ، ثابت اليقين ، قاطعا بالامر ، متحققا له ، وكان مع ذلك يحب رسول الله ﷺ لنسبته منه ، وتربيته له ، واختصاصه به من دون اصحابه ، وبعد فشرف له لانهما نفس واحدة في جسمين : الاب واحد ، والدار واحد ،

والاخلاق متشابهة ، فاذا عظمه فقد عظم نفسه ، واذا دعا اليه فقد دعا الى نفسه ، ولقد كان يود ان تطبق دعوة الاسلام مشارق الارض ومغاربها ، لان جمال ذلك لاحق به ، وعائد عليه ، فكيف لا يعظمه ويبجله ويجتهد في اعلاء كلمته[1].

ومن المعلوم ان كتاب نهج البلاغة قد طبع وحقق مرارا فكانت نسخه متعددة ، وقد تم اختيار النسخة التي قام بتحقيقها الدكتور صبحي الصالح ، لاحتوائه نص النهج كاملا بعد مقارنته بعدة شروح.

ومما اعان الباحث في فهم مرامي كلمات الامام امير المؤمنين عليه السلام اللجوء الى شروحات نهج البلاغة [2]، وكانت محل اعتماد كبير في هذه الاطروحة ، يتقدمها شرح ابن ميثم البحراني و هو من الشروح الكبيرة ، والمهمة التي اعتمدنا عليها في مواضع كثيرة كما هو بيّن للمطالع ، يعد مؤلفه من فلاسفة الامامية ومتكلميهم في القرن السابع الهجري ، ومن هنا نجد ان شرحه مشحون بموضوعات كلامية وفلسفية ، لكنه الاكثر افادة لنا في محل توارد النصوص التي تطلبت توضيحا وبيانا ، علما انه كان قد اعتمد في عدة مواضع على شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي ، فنراه متوافقا معه في جوانب ، ومختلفا معه في جوانب اخرى تبعا لطبيعة المواضيع المطروحة .

ولابن ميثم البحراني شرح متوسط تحت عنوان (اختيار مصباح السالكين) وكذلك (شرح مائة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام ، وقد افاد منهما البحث في عدة موارد.

ومن الشروحات المهمة التي اعتمدها البحث شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي الذي يقع في عشرين مجلدا ، شحنها المؤلف بموضوعات تاريخية ونكات ادبية ، وقرآنية ، ذات فائدة جمة لكل من يقف عليه . ومما تجدر الإشارة إليه ان جميع الشروحات التي جاءت بعده اعتمدت عليه بشكل كبير لافت للنظر، وان كانت بعض ارائه محورا للنقد والتحليل ، إذ كان شرحه تفصيليا ومتنوع الأغراض.

اما محل الافادة منه في هذا البحث فقد تباين حسب طبيعة النص الوارد بخصوص النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فهو تارة يطيل شرح نص معين ، ويتحفه بمعلومات مهمة تاريخية وادبية وتارة اخرى يتخطى النص مكتفيا بالتعليق اللغوي ، فيما نجد ان بضعة نصوص يتخطاها دون ادنى وقفة وقد يكون ذلك لوضوح معناها.

أما شرح البيهقي المعنون (معارج نهج البلاغة) فمع صغر حجمه إلا أنه وردت فيه نكات جمة أغنت البحث سيما وإن مؤلفه زيدي المذهب وذكر في مقدمة كتابه انه اول شارح لنهج البلاغة .

---

١ – ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 7/ 174 – 175.

٢– لقد ألف حسين جمعة العاملي كتابا حول شروح نهج البلاغة عام 1983م أحصى منها 210 شرحا ، ولا ندري على وجه الدقة كم بلغت شروحاته اليوم.

ويعد شرح حبيب الله الخوئي ت 1324 هـ والموسوم بـ " منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة "، من أهم شروحات نهج البلاغة الذي يتلخص اسلوبه في هذا الشرح بنقل النص اولا مع اعرابه ، ويتبعه بشرح يعرض فيه اراء من سبقه من الشراح لاسيما ابن ابي الحديد وابن ميثم البحراني ، فتارة نجده يوافقهما في الرأي و اخرى يختلف مع الاول ويوافق الثاني ، تبعا للرؤية العقائدية التي يتفق بها مع ابن ميثم كونه اماميا ، وفي بضعة مواضع نجده مختلفا مع كليهما ، موضحا وجهة نظره ، وسبب الاختلاف في الرؤية تجاه تأويل هذا النص او ذاك.

وجدير بالذكر ان المؤلف لم يكمل شرحه هذا ، فقد وصل فيه الى الخطبة 218، كما اشار الى ذلك صاحب مقدمة [1] الكتاب لكنه لم يشر الى من قام باكماله حتى تم شرحا وافيا في واحد وعشرين مجلد ، ولكن في اشارة لاحد الباحثين يقول: " وقد اضاف اليه العلامة حسن زاده الآملي ستة اجزاء اخرى، ومحمد باقر الكمرئي جزءا واحدا ، فتم الكتاب في (21) جزء ، واصبح شرحا كاملا لنهج البلاغة"[2].

والغريب انه على الرغم من الاسهام في التأليف والاضافة للكتاب من هذين المؤلفين ، الا انه لم تتم الاشارة اليهما لا في عنوان الكتاب ولا في المقدمة؟!! لذا يضطر الباحث الذي استخدم هذا الكتاب نسبته بأجمعه الى حبيب الله الخوئي فقط .

ومن بين الشروح المهمة التي اعتمدها البحث الشرح الموسوم بـ " الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي – شرح نهج البلاغة – لابي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني ت 749 هـ وهو من ائمة الزيدية ، وقد حرص على ذكر منهجه الذي اتبعه في شرح النهج في مقدمة كتابه ، ومما تميز به انه لا يقسم كلام الامام الى فصول بحيث يشمل كل فصل قطعه كبيرة ثم يردفه بالشرح ، ولم يقتصر على شرح بعض الالفاظ ويترك بعضها ، بل انه شرح وفسر مفردات كل خطبه وكتاب وكلمة من اولها الى آخرها، وذلك من خلال تقسيم كلمات الامام امير المؤمنين الى فقرات او عبارات قصيرة ثم يشرح كل جزء منها، معتمدا في شرحها على اضافات عقلية ونقلية ، ويلاحظ ان اراءه في بعض الموارد مثلت وجهه نظر الزيدية.

ولكن في موضع اعتمادنا عليه لم نلحظ اختلافه عن الشروح الاخرى الا ما ندر، واضاف في نهاية كتابه زيادة لم ترد في نهج البلاغة مشيرا الى ذلك وقد تضمنت نقوش وخواتيم امير المؤمنين عليه السلام.

ومن الشروح التي كان لها اثر ملحوظ في مطاوي البحث شرح نهج البلاغة الشرح الموسوم بـ " نفحات الولاية " لناصر مكارم الشيرازي ، الذي تميز بمنهج جديد مواكب لحاجات العصر الحديث ؛ اذ لم

١- انظر ص 9 ، مقدمة علي اصغر بن مجتبى بن صادق الحسيني الخوئي .

٢- مهدي المهريزي : دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة : ص 176.

يكتف الشارح بايراد معاني العبارات الواردة في كلام الامام وفق المنهج المتعارف بل تجاوزها ليقف على مضامين أخرى تلائم واقعنا المعاصر في محاولة منه لإيجاد حلول شافية مجملة عن المشاكل الفكرية والاجتماعية والسياسية التي يعاني منها المجتمع منذ زمن اطلاق الخطب والكلمات منه عليه السلام وحتى العصر الحالي.

ولكن مما يؤسف له ان النسخة التي اعتمدناها قد توقف المؤلف فيها عند الخطبة 150 فكانت أجزاء الكتاب لا تتعدى الخمسة ، ولم نعثر على تتمته التي نجدها مفيدة في شرح باقي الخطب والرسائل والحكم القصار .

وقريب منه نجد (في ظلال نهج البلاغة) لمحمد جواد مغنية ، الذي حاول ربط الماضي بالحاضر ولعله أراد من شرحه مطابقة كلام الإمام عليه السلام على واقعنا المعاصر.

وهناك شروح صغيرة اكتفت بإيراد شروح لغوية لمفردات النهج ، مما ساعدت الباحث على فهم مضامين كلام الإمام عليه السلام . كشرح محمد عبده ، ومحمد الشيرازي المسمى (توضيح نهج البلاغة).

وقد كان لمصادر التاريخ حضور ملحوظ لا غنى عنه في هذه الدراسة. تأتي في مقدمتها، كتب السيرة النبوية كالسير والمغازي لابن اسحاق ت151هـ ، والسيرة النبوية لابن هشام ت 218 هـ، وعيون الاثر لابن سيد الناس ت 734 هـ ، والسيرة النبوية لابن كثير ت 774هـ ، والسيرة الحلبية للحلبي ت1044 هـ، التي تمثلت الفائدة منها في الحاجة لبعض المرويات التي لم نجدها عند السابقين، وايضا في مقارنة ما ورد عند الامام عليه السلام من اشارات تتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء في طيات هذه المصادر من روايات ، وتم التحقق من بعضها على وفق منهج تحليلي ميزّ لنا الغث من السمين.

هذا فضلا عن مصادر التاريخ العام ومنها تاريخ اليعقوبي (حيا في 292هـ) وتاريخ الطبري ت310 هـ ، ومروج الذهب للمسعودي ت346 هـ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ت630 هـ ، وتاريخ ابن خلدون ت808 هـ وغيرها.

تعد كتب اللغة مصدرا مهما للدراسة ففضلا عن بيانها بعض المعاني اللغوية للكلمات ، فقد وردت فيها الإشارة الى خطب أمير المؤمنين عليه السلام فغدت مصادر توثيقية تاريخية ومنها كتاب العين للفراهيدي ت 175 هـ، والصحاح للجوهري ت 393 هـ، ولسان العرب لابن منظور ت 711 هـ، ومختار الصحاح لأبي بكر الرازي ت 721 هـ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ت 817 هـ ، ومجمع البحرين للطريحي ت1085 هـ، وتاج العروس للزبيدي ت 1205 هـ.

ومن كتب اللغة من اهتم بغريب الحديث النبوي ، فأشارت هذه الكتب الى بعض الكلمات الغريبة التي وردت في حديث أمير المؤمنين عليه السلام ومنها ما يخص السيرة النبوية ، كتاب غريب الحديث لابن

سلام ت224 هـ ، وغريب الحديث لابن قتيبة ت 276 هـ ، وغريب الحديث للحربي ت 285 هـ ، والفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري ت 538 هـ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الموصلي ت 637 هـ.

ولما كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) [1] ، فقد ازدانت كتب الأدب بتحليتها بنصوص من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فغدت مصدرا للدراسة ، ومنها كتاب المحاسن للبرقي ت274 هـ ، وخزانة الأدب للبغدادي ت 1093هـ ، والدرر النجفية للبحراني ت 1186 هـ ، وقد افاد البحث من كتب الامالي كأمالي المفيد ت 413 هـ ، وأمالي الشريف المرتضى ت 436 هـ ، وأمالي الطوسي ت 460 هـ.

ولم تكن كتب الفقه والحديث بمنأى عن هذه الدراسة ، فقد كان (كتاب الأم) للإمام الشافعي ت 204 هـ مصدرا مهما في دراسة بعض المسائل الفقهية ، وكذا الحال اعتمدت الدراسة على كتب فقهية أخرى منها كتابل(الخلاف) و(النهاية في مجرد الفتاوي والفقه) للطوسي .

ولكتب التفسير حضور مهم في بحثنا ؛ انطلاقا من الحاجة الماسة لتأويل عدد من الآيات القرآنية الواردة في البحث ؛ اذ ان ما جاء في نهج البلاغة كان منصهرا في الشواهد القرآنية ، فقد " كان الامام علي عليه السلام شديد التأثر بالقران الكريم قولا وفعلا وعمل على ترسيخ الثقافة القرانية في اذهان الناس بلغت انظارهم الى وجوب احلال هذه الثقافة في النفوس وامكانية استبدال البناء اللغوي الجاهلي بآخر معجز في بنائه ومعانيه من خلال قدرتها على استيعاب الحياة "[2]. هذا من جانب ومن جانب آخر وكما مر بنا فان الامام امير المؤمنين عليه السلام كانت نظرته للنبي صلى الله عليه وآله نظرة قرانية ولذا استلزم الامر في كثير من الاحيان عرض مقطوعات من كلامه الشريف على القران لتأكيد هذا التوافق بينهما . ومن ابرز كتب التفسير التي تم الرجوع اليها جامع البيان للطبري 310 هـ والتبيان للطوسي 460 هـ وتفسير السمعاني 489هـ وشواهد التنزيل للحسكاني ق 5 هـ ، والكشاف للزمخشري ت 538 هـ ، وزاد المسير لابن الجوزي ت 597هـ والجامع لاحكام القران للقرطبي ت 671 فضلا عن بضعة تفاسير حديثة (مراجع تفسيرية) كروح المعاني للالوسي ت1270 هـ والميزان للطباطبائي، وتفسير الأمثل لناصر مكارم الشيرازي وكان الاخير محل اعتماد ملحوظ في البحث.

اما كتب الحديث فقد افادت الدراسة منها في تخريج بعض الاحاديث النبوية فضلا عن الاشارات الى احاديث امير المؤمنين عليه السلام في هذا الجانب وكانت لنا وقفات نقدية لبعض الاحاديث التي نسبت للنبي صلى الله عليه وآله ولم تصح ، ولاسيما بعد عرضها على الرؤية القرآنية المتوافقة مع رؤية امير المؤمنين عليه السلام

1- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 24 .
٢- الفحام : الاثر القرآني : ص 30 .

ومن ثم فما جاء عن الامام عليه السلام يكون ميزانا لتصحيح بعض الاحاديث النبوية او ابعادها، ومن ابرز كتب الحديث التي اعتمدتها الدراسة مسند احمد بن حنبل ت 241 هـ ، والصحيح للبخاري ت 256 هـ ، وصحيح مسلم ت261 هـ ، ومسند ابن أبي يعلى ت 307 هـ ، والكافي للكليني ت 329 هـ ، والمعجم الكبير للطبراني ت 360 هـ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ت 405 هـ ، والسنن الكبرى للبيهقي ت 458 هـ وغيرها .

واستقت الدراسة بعض من مادتها من كتب البلدان التي أفادت الدراسة في تحديد بعض المواقع الجغرافية التي وردت في م ضمن الدراسة أو ورد بعضها في خطب وكلام أمير المؤمنين لاسيما فصل بيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها كتاب معجم ما استعجم للبكري ت 487 هـ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ت 626 هـ ، والروض المعطار في خبر الأقطار للحميري ت 727 هـ .

وكان لكتب النسب حضورها في البحث ؛ لبيان نسب بعض الشخصيات او معرفة قبيلته او مدينته فشكلت مصدرا عن المواقع أيضا ومنها ؛ أنساب الأشراف للبلاذري ت 279 هـ، والأنساب للسمعاني ت562 هـ ، وقد لخص ابن الأثير الموصلي ت 630 هـ كتاب السمعاني في كتاب سمّاه اللباب في تهذيب الأنساب ، وقام السيوطي ت 911 هـ بتلخيص اللباب في كتاب سمّاه لب اللباب في تهذيب الأنساب .

إن ورود اسم أحد الأعلام في البحث استلزم بيان شيء – وان كان يسيرا – عن سيرته ؛ لذا تطلب الرجوع لكتب التراجم المتنوعة ، فعن تراجم الصحابة رجعت الدراسة الى كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر القرطبي المالكي ت 463 هـ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الموصلي ت 630 هـ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني الشافعي ت 852 هـ . ومن كتب التراجم العامة كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد البصري ت 230 هـ الذي شمل تراجم الصحابة والتابعين ، وصفة الصفوة لابن الجوزي الحنفي ت 597 هـ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ت 681 هـ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي الشافعي ت 748 هـ ، والوافي بالوفيات للصفدي ت 764 هـ ، أما عن تراجم الرواة فاستلزم الرجوع الى كتب الجرح والتعديل ؛ ومنها ؛ التاريخ الكبير للبخاري ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ت 327 هـ ، والثقات والمجروحين لابن حبان ت 356 هـ ، وكتابي اختيار معرفة الرجال ورجال الطوسي للطوسي 460 هـ ، والتعديل والت جريح للباجي ت 474 هـ ، وميزان الاعتدال للذهبي ت 748 هـ ، وكتب تقريب التهذيب وتهذيب التهذيب ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ت 852 هـ . ومعجم رجال الحديث لأبي القاسم الخوئي ت 1413 هـ . وغيرها

فضلا عن ذلك اعتمدت الدراسة على عدد من الكتب الحديثة والمعاصرة للافادة مما ورد عند أصحابها من آراء في ما يخص موضوع الدراسة والتي أشرنا اليها في مضانها من الدراسة ، ومن ابرزها

كتاب " علي كما وصف نفسه " للسيد طاهر عيسى الدرويش ، وكتاب " نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا " للدكتور عبد الجبار ناجي ، وكذلك " الصحيح من سيرة النبي الاعظم " للسيد جعفر مرتضى العاملي ، وكتاب حجية السنة لحيدر حب الله الذي أفاد الدراسة كثيرا في فصلها الخامس ، وغيرها .

ولا يفوتنا ان نشير الى المراجع المختصة بدراسات حول نهج البلاغة التي افدنا منها في بعض الاراء لاصحابها من امثلة كتاب " حركة التاريخ عند الامام علي عليه السلام وكتاب " دراسات حول نهج البلاغة " لمهدي شمس الدين ، وكتاب " بلاغة النهج في نهج البلاغة " للدكتور عباس الفحام ، وكتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الامام علي عليه السلام للدكتور جواد النصر الله فضلا عن سلسلة في رحاب نهج البلاغة التي ضمت مجموعة كتيبات في مو ضوعات مختلفة تدور حول نهج البلاغة.

ولا بد من القول ان المنهج الذي اعتمدناه في الاشارة الى المصادر في هوامش البحث قد اقتصر على ذكر اسم المؤلف واسم كتابه مختصرا او بما اشتهر به مع ذكر الجزء ان وجد والصفحة ؛ حرصا على عدم الاطالة ، كما اننا ذكرنا المعلومات وافيه في فهرست المصادر .

وختاما فإن هذه الدراسة لا تتعدى كونها محاولة لتقديم رؤية جديدة لشخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال اعتماد اقوال الامام امير المؤمنين عليه السلام وكلماته ، ولذا تبقى قاصرة في الاحاطة بالموضوع احاطة تامة ولاسيما وأنها قد تعاملت مع كلام الامام امير المؤمنين الذي وصف بالعصمة والحكمة فكل من سمعه راقه ، ولهذا قال عليه السلام : " **وإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُه، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه**[1] " وفي موضع آخر نجده يقول: " **إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ، امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ ، ولَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ** "[2].

انتصار عدنان عبد الواحد

البصرة

17 ربيع الاول 1435 هـ

١ – نهج البلاغة ص 484.

٢ – نهج البلاغة ص 375.

الفصل الاول

علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

بالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الاول / ابعاد العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الثاني / مسنوبات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

الفصل الاول

علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الاول

ابعاد العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

كانت تربية الامام علي عليه السلام في بيت الرسالة بداية تفتّح ذهنّيته في ا لولوج إلى حقائق الكون وأسراره الكبرى ، فضلا عن ذلك كان عليه السلام مخصوصاً بخلوات يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يطلع أحداً من الناس على ما يدور بينهما ، وكان عليه السلام كثيرا ما يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن معاني القرآن ، ومعاني كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتعليم والتثقيف [1]، وروي أنّه عليه السلام قال : " كنت اذا سألت رسول الله أعطاني وإذا سكت ابتدأني " [2]. حتى كان عليه السلام آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3]، من هنا شكلت علاقته عليه السلام بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم علاقة مثلى يندر أن يوجد لها نظير، لذا كان عليه السلام هو الاجدر بوصف النبي وسيرته المشرفة صلى الله عليه وآله وسلم على حقيقتها إذ لم يعرف حقيقة كنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد آخر سواه [4].

١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 48/11.

٢- ابن أبي شيبة: المصنف : 7/ 495. الترمذي: سنن الترمذي 301/5. الحاكم: المستدرك : 125/3. ابن طلحة : مطالب السؤول : ص 106 . السيوطي : تاريخ الخلفاء : ص170.

٣- نهج البلاغة : ص434 .

٤- اشارة الى حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا الامام عليه السلام : " ... لا يعرفني الا الله وانت " ، الآملي: المحيط الأعظم 150/1، المجلسي الاول: روضة المتقين : 13/ 273 .

هذه الحقيقة نجدها ماثلة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حين يصف لنا أبعاد هذه العلاقة منذ بواكير صباه، فيقول عليه السلام :

" وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِه ، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه ، ويُمِسُّنِي جَسَدَه ، ويُشِمُّنِي عَرْفَه ، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ... "[1]

يشير النص الى استيعاب أمير المؤمنين عليه السلام كل الوشائج والاواصر التي تشدّه الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتفاصيل الطريقة التي اتّبعها النبي صلى الله عليه وآله في تربيته واعداده ليتحمل مسؤولية الرسالة من بعده [2]. وعدد احواله التي هي وجوه ذلك الاستعداد واسبابه :

أولا: القرابة القريبة :

كان لهذه القرابة القريبة عدة مصاديق منها : أنّه عليه السلام أشار بها الى نسبه القريب من رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ إنهما من أرومة واحدة في أطيب مغرس وأنمى منبت ، يقول النبي صلى الله عليه وآله : " الناس من أشجار شتّى ، وأنا وأنت يا علي من شجرة واحدة "[3]، وفي حديث آخر: " خلقت يا عليُّ من شجرة خُلْقِتُ منها "[4]. وهذه الشجرة هي (شجرة الانبياء) ؛ إذ يقول عليه السلام في النبي صلى الله عليه وآله : " **اخْتَارَه مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ ، ومِشْكَاةِ[5] الضِّيَاءِ ، وذُؤَابَةِ[6] الْعَلْيَاءِ** "[7] .

١- نهج البلاغة : ص 405 – 406 .

٢- طاهر عيسى درويش : علي كما وصف نفسه : ص 31 .

٣- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 1 / 68 ، وينظر له : الخصال : ص 21 . وينظر ايضا : الكوفي : مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : 1/ 460 . الخزاز: كفاية الاثر: ص 158. ابن مردويه : مناقب علي بن أبي طالب : ص265 . الطوسي : الامالي: ص 610. الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل 376/1 . السيوطي : الدر المنثور: 44/4.

٤- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 1 / 65.

٥- المشكاة : كل كوة غير نافذة ، ومن العادة أن يوضع فيها المصباح. الجوهري : الصحاح :6 /2395 .

٦- الذؤابة : الناصية أو منبتها من الرأس. الجوهري : الصحاح : 1 / 126. ابن منظور : لسان العرب : 1 / 379.

٧- نهج البلاغة : ص 200 – 201 .

في كلام الامام عليه السلام إمعان في التركيز على طهارة الآباء وشرفهم ، و أنه من سلالة الانبياء وذريتهم ، تصديقا لقوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. وقد وصف الامام عليه السلام سلالة النبي صلى الله عليه وآله واصوله بالشجرة الكثيرة الاغصان ، وإنما شبّهها بذلك بجامع الاصل الواحد ، فالشجرة تقابل الاب الواحد في سلالة النبي صلى الله عليه وآله التي تتفرّع عن اغصان كثيرة ، أي ابناء كثر ، وفي كلمة الامام عليه السلام : " اختاره " ايحاء بالاصطفاء والعناية الالهية للنبي محمد صلى الله عليه وآله ، إذ إنّ الخلق اشجار شتّى ، ولكنَّ الله انتقاه من الشجرة الخاصَّة بالانبياء ، اشارة الى أنّ الرسالة الالهية واحدة الابتداء ، وإن فصلت ما بينها القرون ، وفي ذلك كله تعظيم للنبوة والانبياء ، وتعزيز لموقف النبي محمد صلى الله عليه وآله في كونه من السلالة نفسها التي تنجب الانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين على مرّ تاريخ الانسانية الى ختام الوحي بمحمد صلى الله عليه وآله[2].

وَيعدُّ أمير المؤمنين عليه السلام – في عبارة واضحة – أهل البيت عليهم السلام من سنخ تلك الشجرة ، ومن معدن النبوة [3]. وفي موضع آخر جمع عليه السلام بين النبوة والامامة في الاصطفاء من تلك الشجرة التي صدع منها انبياءه، في قوله عليه السلام : " **حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّه سُبْحَانَه وتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ، فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً ، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه ، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه ، عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وبَسَقَتْ[4] فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ ، وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**" [5] . فهنا جمع الامام للنبي صلى الله عليه وآله في هذا الكلام اولا فضل النبوة ، وأصل الارومة ، أي الشجرة ، مشيرا بقوله في أول كلامه الى ختام عهد النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله . وهذا الافضاء كأنّه سبب الى أن يكون خلاصة في كل فضيلة ، لا في النبوة وحدها، فهو – فعلا – خلاصة في العقل والكمال والصبر والطهارة والتقوى والقرب من الله تعالى ، ومن ثم فقد جمع بين النبوة والامامة في الاصطفاء ، فهو حين عمّ في قوله : " **مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً ، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً** " – أي نسلا ساميا – عمد الى التخصيص ، فقال: " **مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه ،**

١– سورة آل عمران الآية 34 .

٢– الفحام : بلاغة النهج في نهج البلاغة: ص 22 .

٣– إذ يقول عليه السلام : " **نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، ومُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ** " نهج البلاغة : ص 210 .

٤– بسقت : بسق : طال وعلى وارتفع . الجوهري : الصحاح : 4 / 1450. ابن منظور : لسان العرب : 10 /20.

٥– نهج البلاغة : ص 176.

وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه " ، وهي شجرة النبي إبراهيم عليه السلام . واتبعه بالتصريح متدرجا بالاخص فالاخص ، فبدأ باهل البيت عليهم السلام وهم العترة الطاهرة ، قائلاً : " **عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ** " ، يعني بعترته اهل بيته وهم : الإمام علي والسيدة فاطمة وابناهما الإمام ان الحسن والحسين عليهما السلام ، واولاد الإمام الحسين من الائمة المعصومين عليهم السلام[1] .

إنَّ العترة لفظ نبويٌّ محفوظ في اذهان المسلمين لكثرة تردده فيهم على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2]، كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " ان الله اشتد غضبه على من أراق دمي ، وآذاني في عترتي "[3]، وقوله : " ألا إنّ ابرار عترتي واطايب ارومتي احلم الناس صغارا ، واعلم الناس كبارا "[4]، وقوله : " إني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الاخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي اهل بيتي ، وانهما لن

١- الفحام : بلاغة النهج : ص 23- 24 .

٢- لمزيد من التفاصيل عن مصطلح العترة ينظر: النصرالله : شرح نهج البلاغة : ص192- 198.

٣- المتقي الهندي : كنز العمال: 1 / 435 . وينظر: العياشي: تفسير العياشي : 2 / 86 . الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن : 8 / 312. وقد ورد بالفاظ مختلفة ، ينظر: الصدوق : الامالي : ص552 ، عيون اخبار الرضا عليه السلام : 1 / 30. الطوسي : الامالي : ص 142. الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل : 3 / 467. ابن البطريق : العمدة ص53. العلامة الحلي : الرسالة السعدية : ص 22 . ابن طاووس : سعد السعود : ص 141. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : 16 / 22 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 100. الزيعلي: تخريج الاحاديث والاثار: 3 / 273.

٤- الكوفي : المناقب عليه السلام : 2 / 107. الطبرسي : الاحتجاج : 2 / 224. وقد نسبت مصادر اخرى هذا الحديث لامير المؤمنين عليه السلام ، ولا إشكال أن يذكره أمير المؤمنين عليه السلام فكلامه مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ينظر: القاضي المغربي : شرح الاخبار: 562/3. الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة : ص 254. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 276/1. ابن طاووس : الطرائف في معرفة الطوائف : ص 417. المتقي الهندي: كنز العمال: 130/13.

يفترقا حتى يردا علي الحوض " [1]. وقوله : " المهدي من عترتي من ولد فاطمة " [2] ، ويبدو أن الامام عليه السلام تعمد اعادة ذكر اللفظ ذاته ، لأنه بات مصطلَحا عليهم وحدهم ، وليذكر المسلمين مجددا بعد عهود من تغييبهم [3] .

إن النبي صلى الله عليه وآله والامام أمير المؤمنين عليه السلام من اصل واحد يتصل جذره بالنبي ابراهيم عليه السلام ، فـ " آباؤه آباء رسول الله ، وأُمهاته أُمّهات رسول الله ، وهو منوط لحمه ودمه ، لم يفارقه منذ خلق الله آدم ، الى أنّ مات عبد المطلب [افترقا] بين الاخوين عبد الله وابي طالب، وامهما واحدة ، فكان منهما سيدا الناس ، هذا الاول وهذا التالي ، وهذا المنذر، وهذا الهادي"[4] .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفتخر بلُبّهم – أي اهل البيت – الاقرب الى النبي صلى الله عليه وآله والاشد التصاقا به ؛ اذ يقول: " **ونَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً والأَشَدُّونَ بِرسُولِ الله صلى الله عليه وآله نَوْطاً** [5] " [6] . بل كان النبي صلى الله عليه وآله يؤكد أنّ عترته الاطايب ، هم من طينته ، وأنهم يشاركونه خصائصه التكوينية ، اذ كان صلى الله عليه وآله يقول: " ان لكل بني أب عصبة ينتمون إليه ، الا ولد فاطمة ، فلُنا وليهم ، وانا عصبتهم ، وهم عترتي ،

١- ابن حنبل : المسند: 14/3، 182/5، 189–190. وينظر: ابن ابي شبية: المصنف: 7/ 418. الترمذي: السنن: 329/5. ابن مخلد القرطبي : ما روي في الحوض والكوثر: ص 137. ابن ابي عاصم : كتاب السنة : ص 337. ابو يعلى: المسند : 303/2. الكليني: الكافي: 294/1. ابن بابويه : الامامة والتبصرة : ص135. الطبراني: المعجم الاوسط : 374/3. الصدوق : عيون اخبار الرضا عليه السلام: 68/1، معاني الاخبار: ص 90. الحاكم: المستدرك : 110/3. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص 273. الشامي : الدر النظيم : ص 755. الهيثمي: مجمع الزوائد: 162/9–163. المتقي الهندي: كنز العمال: 172/1–173. نجم الدين العسكري : حديث الثقلين : ص5 – 127.

٢- ابو داود: السنن: 310/2. القاضي المغربي: شرح الاخبار: 395/3. الطوسي: الامالي: ص 180. ابن البطريق: العمدة: ص433، 436. ابن طاووس: الطرائف: ص 175–176. الذهبي: ميزان الاعتدال: 87/2. البياضي: الصراط المستقيم: 224/2. السيوطي: الجامع الصغير: 672/2، الدر المنثور: 58/6. المتقي الهندي: كنز العمال: 264/14. القندوزي: ينابيع المودة لذوي القربى : 103/2.

٣- الفحام : بلاغة النهج: ص23 –24.

٤- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 30/1.

٥- النوط – بالفتح– : التعلق والالتصاق. الفراهيدي : العين : 7 / 455 . ابن منظور : لسان العرب : 7 / 418 .

٦- نهج البلاغة : ص 304 .

خلقوا من طينتي ، ويل للمكذبين بفضلهم "[1]. وفي حديث آخر: " من سرّه أن يحيى حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بالائمة من بعدي ، فإنّهم عترتي ، وخلقوا من طينتي ، ورزقوا فهما وعلما "[2] .

ولإدراك معنى هذا التسانخ بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبين اهل بيته عليهم السلام ، ولا سيما أمير المؤمنين عليه السلام نصغي الى الآية الكريمة التي أنزلته عليه السلام في مقام نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ يقول الحق تعالى: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾[3] التي اجمع المفسرون أن المراد بنفس النبي هنا هو أمير المؤمنين عليه السلام [4] . بل إنّه صلى الله عليه وآله وسلم صرّح عدة مرات مرات أنّه عليه السلام كنفسه ، كما في قوله بعد فتح مكة : " لينتهين بنو وليعة[5] أو لابعثن اليهم رجلا كنفسي ينفذ فيهم امري "[6] . وفي حادثة أخرى لما حاصر مدينة الطائف ، فقال: " والذي نفسي بيده ، ليقيمن الصلاة

١- ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق : 313/36. المتقي الهندي: كنز العمال : 12/ 98.

٢- ابن عساكر: تاريخ دمشق: 240/42. وورد بالفاظ اخرى. ينظر: يحيى بن الحسين: التحفة العسجدية : ص 137. الكليني: الكافي: 208/1. ابن شهر اشوب: مناقب آل ابي طالب: 251/1. ابن البطريق: خصائص الوحي المبين: ص30.

٣- سورة آل عمران الآية 61 .

٤- ابو حمزة الثمالي : تفسير أبو حمزة : ص134. الطبري: جامع البيان: 407/3. ابن ابي حاتم: تفسير القرآن العظيم: 667/2. السمرقندي: تفسير السمرقندي: 245/1. ابن ابي زمنين: تفسير ابن أبي زمنين: 292/1. الشريف الرضي: حقائق التاويل: ص109–110. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 84/3–85. الواحدي: اسباب نزول الايات: ص68 . السمعاني: تفسير السمعاني: 327/1 . الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 159/1–164، 182. البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن: 310/1. النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 157/1–158. ابن العربي: احكام القران: 360/1. ابن الجوزي: زاد المسير: 1/ 338–339. الفخر الرازي : مفاتح الغيب : 85/8–86 . القرطبي: الجامع : 104/4. البيضاوي: تفسير البيضاوي : 2 / 47 . ابن حيان الاندلسي: البحر المحيط: 503/2. الالوسي: روح المعاني: 188/3.

٥- بطن من كندة نسبة إلى وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب: 1253/3.

٦- النسائي: السنن الكبرى: 5 / 127 . وينظر: ابن ابي شيبة: المصنف: 7 / 506. الكوفي: المناقب : 1 / 461. الصدوق: الامالي: ص 618 ، الخصال: ص555. ابن شعبة الحراني: تحف العقول: ص 429. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 167/9. الهيثمي : مجمع الزوائد : 110/7. المتقي الهندي : كنز العمال: 163/9. السيوطي: الدر المنثور:213/3.

، وليؤتن الزكاة ، او لابعثن اليهم رجلا مني او كنفسي ... ثم اخذ بيد علي فقال: هذا " [1].

وقد عَّبر الامام الرضا عليه السلام عن هذه المنزلة لامير المؤمنين عليه السلام بقوله : " فهذه خصوصية لا يتقدمه فيها احد ، وفضل لا يلحقه فيه بشر، وشرف لا يسبقه اليه خلق أنّ جعل نفس علي كنفسه " [2] . وفي صورة اخرى لهذا الاتحاد فيما بينهما (صلوات الله عليهما) ، نقرأ في حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: " يا علي ، انت مني وانا منك" [3] .

ويأتي تصريح آخر من النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لبيان عمق العلاقة بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك في حديث المنزلة الشهير : " يا علي! انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبّي بعدي " [4].

إنّ وقفة موجزة مع دلالات هذا الحديث تقودنا الى تلمّس شيء من حقيقة هذه " القرابة القريبة " التي ارادها الله تبارك وتعالى ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام فقد ربط النبي صلى الله عليه وآله وسلم علاقته بعلي عليه السلام بما كان بين موسى وهارون . وهنا لابد من إيضاح منزلة هارون من موسى عليه السلام وهي ما تكفلها القرآن الكريم ببعض مواطنه التي تناول فيها موسى وهارون . ومن ثم نتعرف على ماهيَّة منزلة أمير المؤمنين عليه السلام من النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم . وقد كان لاحد الباحثين [5] وقفة واستقصاء موجز لايات القرآن

١- الهيثمي: مجمع الزوائد : 163/9. المرعشي : شرح إحقاق الحق : 450/6.

٢- الصدوق: الامالي: ص618.

٣- الصدوق: الامالي: ص 442 ، الخصال: ص 573. الخزاز: كفاية الاثر: ص 158. المفيد: الامالي: ص 213. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: 53/42 ، 63. ابن طاووس : اليقين : ص390 .

٤- ابن داود: المسند: ص 29. وينظر : ابن ابي شيبة: المصنف: 496/7. ابو جعفر الاسكافي : المعيار والموازنة : ص219-220. ابن حنبل: المسند: 179/1، 132/3، 369/6، 438 . الدروقي: مسند سعد بن ابي وقاص : ص176-177. مسلم : صحيح مسلم : 120/7. ابن ماجة : السنن: 45/1 . ابن قتيبة : تأويل مختلف الاحاديث : ص13. الترمذي: السنن : 304/5. ابن ابي عاصم: كتاب السنة : ص 551. النسائي: فضائل الصحابة: ص13-14. الكليني: الكافي: 107/8. المحاملي: الامالي: ص209. الطبراني: المعجم الاوسط: 139/3، 287/5، 77/6، المعجم الصغير: 22/2، المعجم الكبير: 146/1-148، 247، 17/4، 61/11. الصدوق: علل الشرائع: 222/1، 474/2. الشريف المرتضى: رسائل: 76/4. الطوسي: الاقتصاد في الاعتقاد: ص 222. ابن عبد البر: الاستيعاب: 3 / 1097. المتقي الهندي: كنز العمال: 5/ 724.

٥- الميلاني: حديث المنزلة: ص18-31.

الدالة على منازل هارون عليه السلام ، ونحن نجده موضع إفادة في محلِّ البحث هنا ، إذ استعرض تلك المنازل بدلالة الايات ، وهي كالآتي :

المنزلة الاولى : <u>النبوة</u> : قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾[1].

المنزلة الثانية: <u>الوزارة</u>: قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ [3]. وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾[4].

المنزلة الثالثة: <u>الخلافة</u>: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[5].

المنزلة الرابعة: <u>القرابة القريبة</u> : قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾[6].

نلاحظ أنّ النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم اثبت في حديث المنزلة أن هذه المنازل القرآنية لهارون عليه السلام ، هي ثابتة لامير المؤمنين عليه السلام عدا منزلة النبوة ، فكلامه صلى الله عليه وآله وسلم شامل لكل المقامات عدا النبوة التي استثناها للحكمة الالهية التي قضت على أنّه لا نبيَّ بعده صلى الله عليه وآله وسلم فهو خاتم الأنبياء والمرسلين كما في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [7] .

واننا لنجد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه الشريفة بعض الايحاءات الجانبية التي تقارب هذه المقامات التي اختص بها عليه السلام . فالامام عليه السلام وإن لم يكن نبّيا ، الا أنه كان ذا مقام يصعب على

١- سورة مريم الآية 53 .

٢- سورة طه الآيتان 29 – 30 .

٣- سورة الفرقان الآية 35 .

٤- سورة القصص الآية 34.

٥- سورة الأعراف الآية 142 .

٦- سورة طه الآيات 29 – 35 .

٧ – سورة الاحزاب الاية 40 .

العقول ادراك كنهه ، إذ من دلالات هذا المقام ما أشار إليه عليه السلام بقوله:" **أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه صلى الله عليه وآله ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**"[1].

بهذه الكلمات الموجزة التي قصرت الفاظها ، واتسعت معانيها بقيم تعبيرية عالية ، دلّنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ابعاد مهمة ونادرة في شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام .

وأمّا مقام الوزارة الذي أشار اليه الامام علي عليه السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " ولكنك لوزير" ، فلأنّه صلى الله عليه وآله وسلم لما نفى عنه مقام النبوة جبّره بمقام الوزارة ، إشارة الى أنّه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم ومعادهم من ورائه صلى الله عليه وآله وسلم المعين له على ذلك [2].

والاحاديث الشاهدة على وزارته عليه السلام للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة جدا لا يتسع المجال للتعرض لها ، ونقتصر على ذكر عدد منها إيجازا ، وقد تكون المناسبة الاولى التي اطلق فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم احاديثه بهذا الخصوص في " يوم الانذار " ، لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[3] ، إذ جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اقرباءه من عشيرته على وليمة أعدّها لهم بمعونة أمير المؤمنين عليه السلام ثم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليهم أمر دعوته وطالبهم بنصرته ، قائلا : " يا بني عبد المطلب ! إنّي والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به ، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه ، فايكم يؤازرني على هذا الامر على أن يكون أخي ، ووصيِّي ، وخليفتي فيكم " ، فلم يجبه أحد إلاّ أمير

١- نهج البلاغة: ص 406.

٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 372 .

٣- سورة الشعراء الآية 214 .

المؤمنين عليه السلام ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " هذا أخي ، ووصيِّي ، وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له واطيعوا " [1]. وفي رواية الحلبي[2] : " اجلس ، فلَنْتَ أخِي ، ووزيري ، وَوَصيِّي ، وَوَارِثِي ، وخَلْيفَتِي مِنْ بَعْدِي ".

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم : " اللهم إنِّي اقول كما قال أخِي موسى : اللهم اجعل لي وزيرا من اهلي ، عليا اخي ، اشدد به ازري ، واشركه في امري ، كي نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا ، إنك كنت بنا بصيرا " [3] . وروي أنّه صلى الله عليه وآله وسلم مِدَّ يده الى السماء داعيا ، فقال: " اللهم إنْ نبيك موسى بن عمران عليه السلام سألك فقال : " قال ربي اشرح لي صدري ، ويسر لي امري" [4]. وانا محمد نبيك اسألك : ربي اشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيرا من اهلي ، عليا اخي ، اشدد به ازري ، واشركه في امري " [5].

وفي حديث أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: " اللهم اجعل لي وزيرا من اهل السماء ، ووزيرا من اهل الارض " فاوحى الله اليه ، اني قد جعلت وزيرك من اهل السماء جبرائيل ، ووزيرك من اهل الارض علي بن ابي طالب "[6].

إن مقامي الوزارة والخلافة اللذين هما من منازل هارون عليه السلام ، من أول الادلة واظهرها على أحقّية أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ان منزلة " القرابة القريبة " التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد وردت الإشارة إليها في قصة موسى وهارون عليه السلام في قول موسى عليه السلام : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي ﴾[7]. ، وذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث المنزلة في قصة المؤاخاة بينه وبين الإمام علي عليه السلام ، مضافا الى قوله تعالى : ﴿ وَأُولُو

١- ينظر : الطبري: تاريخ : 228/2- 229، جامع البيان : 149/19 . ابن مردويه: المناقب : ص 290. ابن الاثير: الكامل : 62/2 – 63. ابو الفداء: المختصر: 1/ 117. ابن كثير: البداية والنهاية : 53/3 ، تفسير: 364/3، السيرة النبوية :1/ 459. المتقي الهندي : كنز العمال: 114/13.

٢- السيرة الحلبية: 461/1.

٣- ابن البطريق : العمدة : ص 272 . ابن طاووس : الطرائف : ص 133 . القندوزي : ينابيع المودة : 1 / 258 .

٤- سورة طه الآيتان 25 – 26 .

٥- ابن مردويه : المناقب : ص 277 .

٦- القمي : مائة منقبة : ص 145 . البحراني : غاية المرام : 6 / 155.

٧- سورة طه الآيات 29 . 30 .

الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ [1] فامير المؤمنين عليه السلام هو اقرب الارحام الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن فان " الاخوة " وآية " اولو الارحام " من مصاديق هذه " القرابة القريبة " بين النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم و امير المؤمنين عليه السلام ، فلَمِا " الاخوة " ، فإنها من اوشج صلات القرب بينه عليه السلام وبين النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان اخوه في الدنيا والآخرة ، ولكن هذه " الاخوة " لاتقاس بغيرها من مظاهر الاخوة النسبية او السببية مما تعارف بين الخلق ، بل هي تتجاوز هذه المراتب لتكون في اعلاها مقاما واوثقها عرى ؛ فللامام عليه السلام قد حاز جميع ابعادها فيما بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان عليه السلام يفتخر فيقول : " انا عبد الله واخو رسوله ، وانا الصديق الاكبر ، لا يقولها بعدي [2] الا كذّاب مفتري " [3] . وفي رواية : " انا عبد الله ، واخو رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، لم يقلها احد قبلي ، ولا يقولها احد بعدي الا كذّاب مفترٍ " [4] . وكذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لامير المؤمنين عليه السلام : " أنت أخي في الدنيا والآخرة " [5] ، إنما يريد به أنه مناظره ، ومشابهه ، ومشاكله في جميع المنازل الا النبوة ، و العرب تقول للشيء (انه اخو الشيء) اذا شابهه وماثله و قارنه و وافق معناه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [6] ، وقيل هما جبرئيل

١- سورة الاحزاب الآية 6.

٢- وردت في مصادر اخرى بعبارة " غيري " ينظر: ابو جعفر الاسكافي : نقض العثمانية : ص 290 . الكوفي: المناقب : 314/1 . الطبري الصغير : المسترشد في الامامة : ص 264، 374. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 228/13. ابن الدمشقي : جواهر المطالب : 70/1 . البحراني : غاية المرام : 5 / 115.

٣- ابن ابي شيبة : المصنف : 7 / 498. ابن ابي عاصم : كتاب السنة : ص 584. النسائي : السنن الكبرى : 5 / 107 ، 126 . الصدوق : الخصال : ص 402 . الشريف المرتضى : الفصول المختارة : ص 139 .ابو نعيم الاصبهاني : مسند ابي حنيفة : ص 211 . ابن عبد البر : الدرر: ص 91 . المتقي الهندي : كنز العمال : 11 / 608 ، 13 / 122.

٤- ابن ابي شيبة : المصنف : 7 / 497.

٥- الترمذي : السنن : 5 / 300. الكوفي : المناقب : 1 / 383 . القاضي المغربي : شرح الاخبار : 1 / 191 ، 2 / 593 . الصدوق : الخصال : ص 429. الحاكم : المستدرك : 3 / 14 . المفيد : الامالي : ص 174 . الطوسي : الامالي : ص 194. ابن عبد البر : الاستيعاب: 1099/3. منتجب الدين بن بابويه : الاربعون حديثا : ص 72 . ابن البطريق : العمدة : ص 170-171 . ابن طاووس : التحصين : ص 617 .المتقي الهندي : كنز العمال : 11/ 598 .

٦- سورة ص الآية 23 .

وميكائيل عليه السلام ، وقوله تعالى﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[1]، ومعلوم أن الاخوة في النسب فقط قد لا توجب فضلا ، لأنّ الكافر قد يكون اخا للمؤمن ، لكن أخوة في المماثلة والمشابهة هي الموجبة للفضل . ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام حصلت له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاخوة [2] .

١- سورة مريم الآية 28 .

٢- ابن جبر: نهج الايمان : ص 429 . وقد ذكر ابن جبر مراتب كثيرة للاخوة ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عليه السلام منها:

- انه مماثله في النفس بنص القرآن ، كما في آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية 61 .
- انه مضاهيه في الولاية بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ، سورة المائدة الآية 55.
- انه مناظره في العصمة ، بدليل قوله تعالى﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ، سورة الاحزاب الآية 33.
- انه مشاركه ومشابهه في الاداء والتبليغ ، بدليل الوحي من الله سبحانه وتعالى الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم اعطى سورة براءة لغيره، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: لا يؤديها الا انت او رجل منك ، واستعادها من ابي بكر ودفعها اليه عليه السلام
- انه نظيره في النسب الطاهر الكريم .
- انه نظيره في الموالاة ، لقوله عليه السلام : " من كنت مولاه فعلي مولاه " وهو الحديث المعروف بحديث الغدير او الولاية .
- إنه فتح بابه في المسجد ، مثلما فتح بابه هو عليه السلام ، وجواره في المسجد كجواره .
- انه نظيره في النور قبل خلق آدم ، وإن التسبيح والتقديس يصدر منهما معا لله عز وجل .
- انه نظيره في استحقاق الامامة ، لانه يستحقها عن طريق استحقاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة سواء ، بدليل قوله تعالى لابراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.
- انه كان أخوه بسببين آخرين ، وهو ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسمي فاطمة بنت اسد عليها السلام امي ، والعم يسمى ابا بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ ، وقال الزجاج: اجمع النسابون ان اسم ابي ابراهيم تارخ ، وبقوله تعالى حكاية عن يعقوب ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ ، واسماعيل كان عمه . ينظر ابن جبر : نهج الايمان : ص 429-431 .

ويروى أنّ المؤاخاة بين المسلمين وقعت مرتين : الاولى كانت في مكة قبل الهجرة إذ آخى الرسو ل صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين خاصة ، والثانية كانت في المدينة بعد الهجرة بخمسة اشهر ، فقد آخى النبي بين المهاجرين والانصار، وفي كلتا المرتين يصطفي لنفسه منهم الإمام عليا عليه السلام فيتخذه من دونهم أخاً له ، تفضيلا له على من سواه [1].

إن أدل دليل على عظم منزلة الإمام علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنيعه في المؤاخاة ، فإنّه عليه السلام جعل يضم الشكل الى الشكل يؤلف بينهما ، الى أن آخى بين ابي بكر وعمر ، وادّخر عليا لنفسه ، وخصّه بذلك ، فيا لها من مفخرة وفضيلة[2].

ومن غريب ما يطالعنا في قضية المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي عليه السلام ، أن مناوئيه قد كبر عليهم نيله هذه المرتبة العظيمة ؛ لما لها من الفضل الخاص به دون سواه ، كيف لا وهو نظير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فماج الحقد والحسد والبغض في صدورهم الضيقة ، فراح كلٌّ منهم يعمل بجد وحسب طاقته ووسعه ، لاجل ردها او نفيها ، او اشراك غيره فيها ، او سلبها منه عليه السلام ، وهذا هو ديدنهم مع فضائله عليه السلام [3]، متخذين عدة أساليب :

الأسلوب الأول: الإنكار الصريح بنفي أخّوته عليه السلام .

١- ابن عبد البر: الاستيعاب : 511/2، 1098/3. ابن حجر: فتح الباري: 82/4. العيني: عمدة القاري: 80/11. في حين نجد ان ابن سعد يقول: " لما قدم رسول صلى الله عليه وآله وسلم المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض وآخى بين المهاجرين والانصار..." . الطبقات : 1/ 238.

٢- الاميني: الغدير: 3/ 164.

٣- ينظر : النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام المنسوبة لغيره الحلقة الاولى (الولادة في الكعبة): ص 123 – 144.

كان الردّ الاول لهذه الفضيلة بعد رحيل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعلى لسان اصحاب السقيفة ، عندما هُدد أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل عندما امتنع عن البيعة ، قال عليه السلام " اذاً تقتلون عبد الله و أخا رسوله " فقالوا " اما عبد الله فنعم ، واما اخو رسول الله فلا " [1].

الأسلوب الثاني: الدسّ والتزوير: ترك بعضهم بصمة التحريف واضحة في مرويات هذه الحادثة ، وقد انتهجوا في ذلك منهجين :

الاول: وضع احاديث نسبت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقِّ عدد من الصحابة ، في قبال هذه الفضيلة لامير المؤمنين عليه السلام ؛ بغية إشراك غيره فيها ، فلا يكون له عليه السلام أيُّ فضل او تقدم على غيره ، و منها : ما نسبوه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر، ولكن اخي وصاحبي " [2] ، قال ابن ابي الحديد [3] " فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء ".

الثاني: ما دسّ في مرويات حادثة الاخاء من سموم الوضع والتحريف كمن دسّ سّما في عسل ، فغدت ظاهرها مدحاً لامير المؤمنين عليه السلام وباطنها لا يخلو من ذم او اساءة لمقامه الشريف.

ليس الغاية الخوض في تفاصيل تلك الروايات ، لكن نقف في المحال التي قد أُضيفت عمدا بقصد الاساءة ، فمن ذلك ما اشارت به عدة روايات الى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين امره الله تعالى بـأن يؤاخي بين اصحابه " جاءه علي تدمع عيناه ، فقال: يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بيني وبين احد " ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : " انت اخي في الدنيا و الاخرة " [4] . بل ذهبت عدة من الروايات بعيدا في ادعائها أنّه عليه السلام عاتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وخاف على نفسه الوقوع في محذور اسخطه صلى الله عليه وآله وسلم عليه ، فقال له : " لقد ذهبت روحي ، وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت باصحابك ما فعلت بغيري ، فان كان من سخطة علي فلك

١- ابن قتيبة: الامامة والسياسة (منسوب): 1 / 20 . الطبري الصغير: المسترشد: ص 380 . الطبرسي: الاحتجاج: 109/1. ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة: 2 / 60. ابن سليمان الحلي : المحتضر : ص 110.

٢- ينظر: ابن حنبل: المسند : 1/ 412 . البخاري : الصحيح : 4/ 191 . مسلم: الصحيح : 108/7. ابن حزم : المحلى 35/1.

٣- شرح نهج البلاغة: 11 / 49.

٤- الترمذي : السنن : 5 / 300. الكوفي : المناقب : 1 / 357. ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 51 . منتجب الدين بن بابويه : الاربعون حديثا : ص 72 . ابن شهر اشوب : المناقب : 2 / 33. ابن كثير : البداية والنهاية : 7 / 371 . ابن الدمشقي : جواهر المطالب : 1 / 69 . الحلبي : السيرة الحلبية : 2 / 293 – 294 .

العتبى والكرامة " [1]، وفي رواية " انقطع ظهري ، وساء ظني" [2] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثني بالحق ما اخرتك الا لنفسي ، وانت مني بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبي من بعدي وانت اخي ووارثي ..."[3] .

فلينظر كل لبيب الى هذه الاساءة لمقام أمير المؤمنين عليه السلام ، بل ذهبت روايات اخرى الى ابعد من ذلك ، فاظهرته عليه السلام جاهلا بمقامه واظهرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم متجاهلا له عليه السلام – حاشاهما – فادعت قائلة : " إنّه لما كان النبي يؤاخي ، فحانت منه التفاتة ، فنظر الى علي بن ابي طالب جالسا ناحية ، وهو يرفع نفسه مرة ويتقاصر مرة ، والدموع تنحدر على خديه ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممَّ بكاؤك يا أبا الحسن ؟ لا ابكى الله عينيك ؟ فقال عليه السلام : بكائي على نفسي . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ولم ذاك يا ابا الحسن ؟ فقال: لانك يا رسول الله كلما اقمت رجلا من المؤمنين قلت: إنّك ستقيمني إليه وتؤاخي بيني وبينه ، فتعدل عني الى غيري ، فقلت في نفسي: لا اصلح لمؤاخاة رجل من المؤمنين " [4].

هذا هو المقطع الاول من الرواية والاساءة واضحة فيه للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ولامير المؤمنين عليه السلام ، بل إنّ الراوي بالغ في تصوير الحادثة بهكذا مشهد تجنى فيه على مقام النبي والامام عليه السلام . ثم يأتي المقطع الآخر الذي ظاهره المدح لمقام الامام عليه السلام اذ يقول: " فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما عدلت عنك ، ولكن وجدت الله يعدل بي عنك ، فهذا جبرائيل قائم في الهواء كلما اقمت رجلا من المؤمنين واردت أن اقيمك يقول جبريل: اقعد عليا ، وأَخِّره في هذا المقام ولا تقدمه ، فغمني ذلك ، واقلقني وساءني واحزنني ، فهبط

١- ابن ابي عاصم: الآحاد والمثاني: 5 / 172. ابن مخلد القرطبي : ما روي في الحوض والكوثر : ص 126 – 127.الطبراني : المعجم الكبير : 5 / 221 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 21 / 415 . ابن البطريق : العمدة : ص 167 . الخوارزمي : المناقب : ص 152 . الزرندي : نظمم درر السمطين : ص 94 – 95 . الاربلي : كشف الغمة : 1 / 333– 334 . المتقي الهندي : كنز العمال : 9 / 167

٢- الكوفي : المناقب : 1 / 316

٣- ابن ابي عاصم : الآحاد والمثاني : 5 / 172. ابن مخلد القرطبي : ما روي في الحوض والكوثر : ص 126 – 127. الطبراني : المعجم الكبير : 5 / 221 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 21 / 415 . ابن البطريق : العمدة : ص 167 الخوارزمي : المناقب : ص 152 . الزرندي : نظمم درر السمطين : ص 94 – 95 . الاربلي : كشف الغمة : 1 / 333– 334 . المتقي الهندي : كنز العمال : 9 / 167 .

٤- ابن جبر : نهج الايمان : ص 414

علي جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ، العلي الاعلى يقرئك السلام ويقول لك قد علمت عزل علي ، فلا يغمك ذلك فانما خبأته لك ، وقرنته بك ، وآخيت بينك وبينه في السماء والارض "[1].

بل نأتي رواية ثالثة يرويها الصحابي أنس بن مالك ت 92 هـ ، تظهر أنّ الامام عليه السلام قد ساءه فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فذهب منعزلا شاكيا للسيدة فاطمة عليها السلام : " لما كان يوم الاخاء ، فآخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والانصار، وعلي واقف يراه ويعرف مكانه ، ولم يؤاخ بينه وبين احد ، فانصرف علي باكي العين ، افتقده النبي: ما فعل ابو الحسن؟ فقالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله . قال: يا بلال اذهب فأتني به . فمضى بلال الى علي عليه السلام ، وقد دخل منزله باكي العين ، فقالت فاطمة : مايبكيك لا ابكى الله لك عينا ، قال : يا فاطمة ! آخى النبي بين المهاجرين والانصار وانا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين احد ، قالت فاطمة عليها السلام: لا يحزنك الله ، لعله انما ادخرك لنفسه . فقال بلال: يا علي اجب النبي : فأتى علي الى النبي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك يا ابا الحسن؟ قال: واخيت بين المهاجرين والانصار يا رسول الله وانا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين احد ، قال: انما ادخرتك لنفسي. أما يسرّك أن تكون اخا نبيك؟ قال: بلى يا رسول الله، أنى لي بذلك . واخذه بيده و ارقاه المنبر، فقال: اللهم ان هذا اخي مني وانا منه ، الا انه بمنزلة هارون من موسى ، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، قال: فأنصرف عليٌّ قرير العين ، فاتبعه عمر، فقال: بخ بخ يا ابا الحسن اصبحت مولاي ومولى كل مسلم "[2].

ومن خلال تأمل ما جاء في هذه الروايات يمكن القول :

1 أظهرت روايات التآخي بين النبي والامام (صلوات الله عليهما) اقتصارها على حادثة " المؤاخاة " بين الصحابة ، في حين قد دلت المصادر على سبق هذا الإخاء في حادثة الانذار [3]، وفي حادثة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين فداه بنفسه الشريفة [4] ، بل تكرر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد على أنّ الامام " اخاه " في عدة مواضع كان من ضمنها " المؤاخاة " بين اصحابه[1].

١- ابن جبر : نهج الايمان : ص 414- 415.

٢- ابن جبر : نهج الايمان : ص 426 - 427

٣- ينظر : الطبري : تاريخ : 2 /228 -229، جامع البيان 149/19 . ابن كثير: البداية والنهاية : 3 /53 ، تفسير : 364/3 ، السيرة النبوية : 459/1.

٤- ابن شاذان: الروضة : ص25.

2 - يبدو مما تدّعيه احدى الروايات في أعلاه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجاهل الامام عليه السلام ، فيما تدعي ثانية أنّه اراد أن يؤاخيه باي فرد من المسلمين ، ولكن جبريل كان يمنعه ، ولم يدرك الامام عليه السلام سر ذلك حتى ظن بنفسه ونبيه الظنون! بل إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يبدو لم يدرك سر هذا المنع ، لذا فانه قد حزن واغتم لاجل ذلك !!

ولكن أليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما سبق طلب من الله تعالى أن يجعل له من اهله عليا اخاه ووزيره يشدد به ازره ويعضده في امره [٢] . ثم ألم يدرك النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم منزلة أمير المؤمنين عليه السلام ومقامه حتى تلك اللحظة ؟! فظل متحيرا وحزينا لما حدث . والادهى من ذلك أنّ الامام نفسه ظنَّ بعدم اهليته لمؤاخاة أيِّ احد من المسلمين ؟! حتى أنّه لم يطق ذرعا ؛ فغادر المكان وذهب حزينا باكيا شاكيا الى زوجته السيدة فاطمة عليها السلام من فعل أبيها ، ولكنّها طمأنته ونبهته لما خفي عنه، ولم يخطر بباله بأنّه ربما يكون قد اخره صلى الله عليه وآله وسلم مدخرا اياه لنفسه ! وأنَّ هذا لشيء عجاب ! ففي الوقت الذي يسيء الراوي للامام عليه السلام يقابل ذلك بمدح للسيدة فاطمة عليها السلام ، ولم يكن هذا حبا واجلالا للسيدة فاطمة عليها السلام وانما محاولة للتغطية على مقصد الاساءة ، ولكي تكون روايته مقبولة جعل هذا المدح صك شفاعة لقبولها عند قراءها ، ولذا نرى امثال هذه الروايات مقبولة في المصادر كافة ومتداولة دون التنبّه لهذا المدح المشوب بالذم .

3 - أنّ ما ذكرته هذه الروايات حول ردة فعل أمير المؤمنين عليه السلام وبكائه ، وما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الارسال في طلبه وترضيته بأن آخاه بنفسه ، هي التي جرّأت بعضهم للقول : " إن قضية المؤاخاة توحي بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ احدا لحاجة منه اليه لكثرة اصحابه وخدامه من المهاجرين والانصار، وانما شرف المرتضى بالاخوة لحزنه وبكائه " [٣].

4 - ان اوضح دليل على بطلان ما جاء في هذه الروايات من مزاعم أنّنا لو رجعنا الى المصادر الاقدم لوجدناها خالية من هكذا اضافات موضوعة : فابن اسحاق يروي : " وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من المهاجرين والانصار، فقال فيما بلغنا ، نعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقل : تآخوا

١- ابن هشام : السيرة النبوية : 2 / 351 – 352 .

٢- الكوفي : المناقب : 1 / 303.

٣- الدهلوي : قرة العينين في تفضيل الشيخين : ص 163 ، نقلا عن : حامد النقوي : خلاصة عقبات الانوار : 4 / 226.

في الله اخوين اخوين ، ثم أخذ بيد علي بن ابي طالب ، فقال: هذا اخي ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وامام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ، ولا نظير من العباد ، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوين ، وإليه اوصى حمزة يوم احد حين حضره القتال ان حدث به حدث الموت ، وجعفر بن ابي طالب [1] ذو الجناحين الطيار في الجنة ، ومعاذ بن جبل ، اخو بني سلمة ، اخوين ... "[2].

ولم تكن هذه هي الرواية الوحيدة ، بل هناك روايات على شاكل تها خالية من التحريف ، ناطقة بفضيلة الاخوّة لامير المؤمنين عليه السلام [3].

الأسلوب الثالث: هناك إتّجاه آخر تعامل مع فضيلة المؤاخاة لامير المؤمنين عليه السلام بطريقة أخرى ، إذ قابل القضية – مع كونها مجمع عليها في المصادر – بالإنكار، كما فعل ابن حزم الأندلسي[4] بقوله : " قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ، ولكن اخي وصاحبي . وهذا الذي لا يصح غيره ، وأمّا أُخّوة علي فلا تصح الا مع سهل بن حنيف ". ولقد كفانا الشيخ الأميني مؤونة الرد بابلغ رد ، و جاء في رده : " انا لا اروم الكلام حول حديث رآه صحيحا ، ولا اناقش في صدوره ، ولا أُزيفه بما زيف عمر بن الخطاب حديث الكتف والدواة ، اذ هذه لدة [5] ذاك صدرا في مرض وفاته صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيحين ، و لا اقول بما قال ابن ابي الحديد في شرحه من إنه موضوع وضعته البكرية في مقابلة حديث الاخاء . وانا لا ابسط القول في مفاده بما يستفاد من كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث من أنّ الاخوة هناك منزلة بالاخوة الاسلامية العامة الثابتة بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾

١- لم يكن جعفر موجودا وقتها بالمدينة لأنه كان في الحبشة ولم يقدم إلا في فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة. ينظر : ابن سعد: الطبقات : 34/4 . ابن عبد البر: الاستيعاب : 242/1.

٢- ابن هشام : السيرة النبوية : 2 / 351 – 352 .

٣- ينظر مثلا :الكوفي : المناقب : 301/1- 303 ،319 . الصدوق : الخصال : ص429-430 .الحاكم : المستدرك : 14/3 . ابن عبد البر: الدرر: ص90 –91 . ابن المغازلي : مناقب علي بن ابي طالب : ص53-55 .

٤- الفصل في الملل والنحل : 4 / 147 .

٥- لدة: الترب المتساوون في السن. وتعني المماثلة والمشابهة. ينظر: ابن سيدة: المخصص 156/3/3، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث 246/4، الزبيدي: تاج العروس 18/ 443.

[1] نظير ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لعمر: يا اخي، ولزيد: انت اخونا ، ولاسامة: يا اخي. وإنَّما يفسر تلك الاخوة لفظ البخاري ومسلم ، والترمذي : " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ، ولكن اخوة الاسلام ومودته" . كما أنَّ الخَّلة المنتفية فيه هي الخلة بالمعنى الخاص، لا الخلة العامة الثابتة بقوله تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[2]. بل اقول عجبا للصلافة التي تحدد الانسان لان يقول: لا يصح غير حديث حسبه صحيحا، ويجهل مفاده او يعلم ويحب أن يغري الامة بالجهل ، ثم يعطف على حديث اعترفت به الامة جمعاء ، وجاء مثبتا في الصحاح والمسانيد ويراه باطلا . اهكذا حب الشيء يعمي ويصم ؟ اهكذا خلق الانسان ظلوما جهولا ؟ هذه الاخوة بالمعنى الخاص الثابتة لامير المؤمنين مما يختص به عليه السلام ولا يدعيها بعده الا كذاب، على ما ورد في الصحيح...، وكانت مطردة بين الصحابة كلقب يعرف به ، تداولته الاندية، وحوته المحاورات ، ووقع الحجاج به ، وتضمنه الشعر السائر ، ولو ذهبنا الى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتاب ضخم ، غير إنا نختار منه نبذا..." [3] . ثم اورد الحديث بمصادره الكثيرة والفاظه المختلفة المتعددة ومناسباته مما يدل على تواتره [4].

وجاء من بعد ابن حزم من يشاكله ويسير على نهجه وهو ابن تيمية ، ولبئس الخلف خلفا يتبع سلفا ، اذ حكم على قضية المؤاخاة كلها بالبطلان والوضع ، قائلا: " اما حديث المؤاخاة فباطل موضوع ، فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤاخ احدا ، ولا اخى بين المهاجرين بعضهم من بعض ، ولا بين الانصار بعضهم من بعض ، ولكن آخى بين المهاجرين والانصار" [5]. وقال أيضا: " إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم لم يؤاخ عليّاً ولا غيره ، بل كلّ ما روي في هذا فهو كذب " [6].

١- سورة الحجرات الآية 10 .

٢- سورة الزخرف الآية 67 .

٣- الغدير : 3 / 161 – 163.

٤- ينظر الغدير : 3 / 164 – 481.

٥- منهاج السنة : 119/2، 4/ 75.

٦- منهاج السنة: 32/4 .

وقد تكفل احد الباحثين برد ادعائه وبيان زيف رأيه ، إذ استقصى موارد الاخاء بين الصحابة عامة ، وبين النبي والامام خاصة بتفصيل دقيق مما لا يتسع المجال لذكره هنا.[1]

اما آية ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ [2]، فقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بدلالتها على أنّه الاولى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنّه الاشد قربا منه صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ يقول عليه السلام : " **وكِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوَ قَوْلُه سُبْحَانَه وتَعَالَى ﴿ وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ الله ﴾ ، وقَوْلُه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوه وهذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا والله وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ، ولَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَلَجُوا [4] عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِه فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِه فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ** "[5].

لقد اشارت مجموعة من المصادر الى اختصاص أهل البيت عليهم السلام بهذه الاية ، وأنّ فيها دلالة على اولويتهم بالامامة والامرة بعد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم[6] فقد روي أنّ الامام الحسين عليه السلام سأل جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير هذه الاية ، فقال: " والله ما عنى بها غيركم ، وانتم اولوا الارحام فاذا مت ، فابوك علي

١- محمد الرضي الرضوي: من اقطاب الكذابين احمد بن تيمية الحراني: ص 49- 235 . وكذلك ينظر: الميلاني: ابن تيمية والامام علي عليه السلام : ص 27 – 31.

٢- سورة الاحزاب 6 .

٣- سورة آل عمران الآية 68 .

٤- فلجوا عليهم : اي ظفروا بهم. الجوهري : الصحاح : 1 / 335 .

٥- نهج البلاغة: 529 .

٦- الكليني: الكافي 1 / 288. ابن بابويه: الامامة والتبصرة: ص 48. الصدوق: علل الشرائع: 1 / 207. ابن مردويه : المناقب : ص250، 298. المحسن بن كرامة: تنبيه الغافلين: ص 133 –134. ابن شهر اشوب: المناقب : 17/2 – 31. ابن جبر: نهج الايمان : ص 375 –382. البياضي: الصراط المستقيم: 65/1 –67. الاربلي: كشف الغمة : 329/1. العلوي: المجدي في انساب الطالبيين: ص 392 –393. الحسيني: تأويل الايات: 447/2 –449. التستري: الصوارم: ص171–172. النمازي: مستدرك السفينة: 469/10 – 470 .

اولى بي وبمكاني..." [1]، وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم : " أنا اولى بالمؤمنين منهم بانفسهم ثم انت يا علي اولى بالمؤمنين ... " حتى عد الائمة تباعا [2].

إن الملاحظ على هذه الاية أنّ الاوصاف الثلاثة – (الايمان والهجرة وكونه ذا رحم) – لا تنطبق الا على أمير المؤمنين عليه السلام ويظهر أن القرابة القريبة هي جزء من مقّومات الخلافة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [3] .

١– الخزاز : كفاية الاثر : ص 175 . البياضي : الصراط المستقيم : 2 / 155 – 156 . المجلسي : بحار الانوار : 36 / 344 . البحراني : غاية المرام : 1 / 195.

٢– الخزاز : كفاية الاثر : ص 177 . المجلسي : البحار : 36 / 345 . ميرزا محمد تقي الاصفهاني : مكيال المكارم : 1 / 44 . النمازي : المستدرك : 10 / 470 .

٣– الميلاني : حديث المنزلة : ص 35 ، و ذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الاية استدلال محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى المعروف بذي النفس الزكية بالاية في مكاتبة له مع المنصور العباسي ، فقد استدل بها على ثبوت الولاية لامير المؤمنين عليه السلام في خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاجابه المنصور بان العباس اولى بالنبي من الامام عليه السلام ؛ لانه عمه ، والامام ابن عمه ، والغريب ان الفخر الرازي وافق على ذلك ينظر:تفسير : 15/213–214، ويمكن ان يلاحظ على هذا الرأي جملة امور هي:

أ – ما يخص قربهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فيمكن الفصل فيه بالقول: ان الله سبحانه لم يذكر الاقرب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون ان علقه بوصف ، فقال تعالى: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) الاحزاب الاية 6 ، فشرط إن الاولى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون من أهل الايمان والهجرة . فاما عن ايمان امير المؤمنين عليه السلام وهجرته، فلا شك ولا اختلاف في تقدم الامام عليه السلام في هذا المقام بالشكل الذي يعجز غيره ان ينافسه فيه ، وهو القائل " وسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ والْهِجْرَةِ " وغيرها من ادلة سبقه كما سيتضح في صفحات البحث القادمة. واما العباس بن عبد المطلب فقد اختلف في موقفه من الدعوة الاسلامية، فقد حضر يوم الانذار ولم يبد رأيا .ينظر:اليعقوبي :تاريخ :27/2 .الطبري :تاريخ :62/2–63، وشمله حصار الشعب مع بني هاشم،ينظر :اليعقوبي :تاريخ :31/2، ولما اراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة الى المدينة، قيل ان العباس اخذ العهود والمواثيق على الانصار لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ،ابن سعد :الطبقات : 7/4.ولكنه شارك الى جانب المشركين في معركة بدر، ووقع اسيرا بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واطلقه بعد دفع الفداء ،ابن عبد البر:الاستيعاب : 811/2–812. اما هجرته فقد اختلفت المصادر في ذلك، فجمع منها يشير الى انه لم يهاجر حتى فتح مكة ،ينظر : الصدوق: عيون أخبار الرضا : 80/2، الطبرسي: الاحتجاج 163/2، ابن شهر آشوب: المناقب 35/2. وجمع آخر علل تأخر هجرته، انه كان ممن كتم ايمانه لمصلحة الاسلام ، فلم يهاجر ليكون عينا للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ابلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغزو المشركين في احد والخندق للمدينة، ابن عبد البر:الاستيعاب : 812/2 . ثم انه

ثانيا: المنزلة الخصيصة :

يمكن القول بان من مصاديق هذه المنزلة التي اختص بها الامام عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم امور عدة منها :

1 - **تربيته نبوية** . 2- **المصاهرة** . 3- **خلافته للنبي** صلى الله عليه وآله وسلم (**الامامة**) .

1 - **تربيته نبوية** :

ان مكونات شخصية كل فرد تتأثر بعاملي الوراثة والبيئة معاً ، ولكن بدرجات متفاوتة [1] . ويكون اثر الوراثة اكثر وضوحاً في النواحي الجسمية والعقلية ، اما أثر البيئة فيظهر بوضوح اكثر في التكوين

هاجر قبيل فتح مكة، فكان آخر من هاجر وختمت به الهجرة ،ابن الاثير:اسد الغابة : 110/3. ثم لنقف عند الاية الكريمة التي كانت الفيصل في التفاضل ما بين هاتين الشخصيتين: امير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب: قال تعالى:(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)التوبة الاية19–20 .اذ كان سبب نزول هذه الاية ان العباس بن عبد المطلب ذكر فضل ما في يده وما يظهر من عمله من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وذكر امير المؤمنين عليه السلام قديم اسلامه وهجرته واجتهاده في جهاد اعداء ربه وبذله مهجته لله ورسوله، فقضى الرحمن بينهما، وبين الفصل بين فضيلتهما بما ذكر وقال في كتابه،ينظر: يحيى بن الحسين: الاحكام 450/2 – 451. وينظر: مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل: 40/2. الصنعاني: تفسير القرآن : 268/2 – 269. ابن ابي شيبة: المصنف: 504/7. الكوفي: المناقب: 1/ 135، 193. الطبري: جامع البيان: 10/ 123 – 124 . العياشي: تفسير : 2 / 83 . الكليني: الكافي: 8 / 203 – 204 . القمي: تفسير القمي: 1 / 283 – 284 . النحاس : معاني القران : 192/3. **ب**– ان امير المؤمنين عليه السلام كان اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله واولى بمقامه ان ثبت ان المقام موروث، وذلك ان امير المؤمنين عليه السلام كان ابن عم النبي صلى الله عليه وآله لابيه وامه، والعباس عمه لابيه خاصة ، ومن تقرب بسببين كان اقرب ممن تقرب بسبب واحد، كما ذكر في فقه الفرائض، ولهذا حكم ابو بكر في الدرع والسيف والبغلة وغيرها من ميراث النبي صلى الله عليه وآله للامام امير المؤمنين عليه السلام دون العباس وقد روي عن الامام عليه السلام انه قال مفتخرا: **جدي وجد رسول الله منفرد وفاطم زوجتي لا قول ذي فند**

وقيل لقثم بن العباس: باي شيء ورث علي بن ابي طالب النبي دون العباس؟ قال: لانه كان اشدنا به لصوقا واسرعنا به لحوقا، ابن شهرآشوب :المناقب :35/2 .

١ – مصطفى محمد الطحان : التربية ودورها في تشكيل السلوك : ص 118 – 126 .

الخلقي والصفات النفسية والدوافع التي يكتسبها الفرد بالتعلم والخبرة ، وكذلك ما يتكون عنده من اتجاهات وآراء ومثل عليا ، وما يحصله من ضروب المعرفة والمهارات العملية وانواع الثقافة [١].

اذاً تتبلور شخصية الفرد نتيجة تفاعل مكوناته الجسمية والعقلية مع البيئة التي يعيش فيها [٢] . بمعنى آخر فان العوامل الوراثية والبيئية تشترك معاً في رسم مسار النمو من حيث ان الوراثة تعطي الاستعداد ، وتحدد السقف الاقصى للنمو ، والبيئة تعمل على انجاز هذا الاستعداد ليصير واقعاً [٣] . وإن كان بعضهم قد جعل العامل البيئي هو الاشد اثراً في تكوين شخصية الانسان [٤] .

ولم يكن أمير المؤمنين عليه السلام – بوصفه بشراً – ، بمستثنى من هذه القاعدة ، فقد اثرت هذه العوامل في جوانب من شخصيته الروحية والنفسية والاخلاقية ، كما سيتضح لنا :

العامل الوراثي :

يقصد بالوراثة انتقال بعض الصفات الى الفرد من ابويه عن طريق الجينات . سواء كانت هذه الصفات فطرية عامة في الجنس ام كانت من التغييرات التي استجدت في الاباء [٥] . ولكن لا يمكن الوقوف عند أثر هذا العامل في حد الاكتساب على الابوين ، بل ان عملية الاكتساب الوراثي للصفات والسمات قد تتجاوز الى ما هو ابعد من ذلك إلى الاباء والاجداد ، حتى يمكن ان تتصل باصل الخلقة . اذ قدر علماء الوراثة ان للانسان جزءا نوعيا خاصا لا يموت صاحبه ، بل يمتد ويستأنف حياته في نسله ، وقسموا الوراثة حسب المشابهة الى ثلاثة اقسام :

1 -الوراثة بالتحيز: ومعناها أن يشابه الفرع احد اصليه في كل الصفات او معظمها ، كأن يكون الولد مثل ابيه في كثير من صفاته الجسمية والعقلية.
2 -الوراثة بالائتلاف : وهو مخالفة الفرع لصفات اصلية ، كأن يخالف الابن ابويه في مظاهرهما الشكلية .

---

١ – جنان سعيد الرحو : اساسيات في علم النفس : ص293 .
٢ – محمد خليفة بركات : علم النفس التعليمي : 43/1 .
٣ – صالح محمد ابو جادو : علم النفس التربوي : ص 57 .
٤ – الطحان : التربية : ص 122 – 125 . و ينظر : أنس شكشك :علم النفس العام :ص142– 143 .
٥ – ابو جادو : علم النفس : ص 57 .

3 -الوراثة بالاقتران : وهي أن يكون الفرع مشابها لاحد اصليه في صفات ، ويشابه للثاني في صفات اخرى ، واكد ذلك (مندل)[1] فقال : إنّ كثيرا من الصفات الوراثية تنتقل وبدون تجزئة او تغير من احد الاصلين او منهما الى الفرع .

4 -وقد يرث الانسان صفات اجداده السابقين ومميزاتهم الشكلية[2].

ويقول الدكتور (الكسيس كاريل) [3] : " يمتد الزمن مثلما يمتد في الفراغ الى ما وراء حدود جسمه، وحدوده الزمنية ليست اكثر دقة ولا ثباتا من حدوده الاتساعية فهو مرتبط بالماضي والمستقبل على الرغم من أن ذاته لا تمتد خارج الحاضر. وتاتي فريدتنا كما نعلم الى الوجود حينما يدخل الحويمن في البويضة ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في انسجة ابوينا واجدادنا واسلافنا البعيدين جدا لانا مصنوعون من مواد آبائنا وامهاتنا الخلوية ، وتتوقف في الماضي على حالة عضوية لا تتحلل ... وتحمل في انفسنا قطعا ضئيلة لاعداد من اجسام اسلافنا وما صفاتنا ونقائصنا الا امتداد لنقائصهم وصفاتهم ..."[4] .

هذا المعنى أشار إليه النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ، اذ يروى : أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: " يا رسول الله! ولد لي غلام اسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فأنى كان ذلك؟ قال: ما ادري . قال: فهل لك من ابل ؟

١- هو الكيميائي الأمريكي (Mendel Lafayette Benedict) ولد في 1872م، درس في بيل وبريسلاووفرابيرغ، وترقى إلى أستاذ الكيمياء الوظيفية (الفيزيولوجية) في بيل، اكتشف فيتامين (A) ووظيفة فيتامين (C) توفي 1935م. ينظر: صفاء كامل الجبوري: موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين ص399.

٢- الصائغ : علي عليه السلام بين امه وابيه : ص 45 – 46

٣- هو عالم الاحياء والجراح الفرنسي (Alexis Carrel) ولد في 1873 وتعلم في ليون ، وقام بدراسات طبية في جامعتي ليون وشيكاغو ، منح جائزة نوبل للطب سنة 1912م، توفي سنة 1944م. ينظر: الجبوري: موسوعة العلماء ص314.

٤- الصائغ : علي عليه السلام بين امه وابيه : ص 46 – 47.

قال: نعم . قال: فما الوانها؟ قال: حمر. قال: فهل بينها جمل اورق؟ [1] قال: فيها ابل اورق. قال: فانى ذلك؟ قال: ما ادري يا رسول الله، إلا أن يكون نزعه عرق. قال: هذا لعله نزعه عرق" [2].

فالحديث هنا صريح في أن الابناء والاحفاد يرثون اغلب صفات آبائهم واجدادهم النفسية والجسمية، وأنها تنتقل اليهم بلا ارادة واختيار. فما الذي ورثه أمير المؤمنين عليه السلام من اسلافه ؟ في البدء يمكن القول: لو تأملّنا قليلا في حديث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ يقول : " ان الله تبارك وتعالى خلق عليا من نوري ، وخلقني من نوره ، وكلانا نور واحد ..." [3] . وفي حديث اخر: " كنت انا وعلي بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم ..." [4] . فلقد كانا صلوات الله عليهما في ارادة الله الازلية ، نورين متعانقين بساق عرشه ، فلسنا مبالغين إن قلنا : إن لعلي بن ابي طالب عليه السلام وجودا في الارادة الازلية الربانية [5].

ثم يقول صلى الله عليه وآله وسلم : " فلما خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه ، فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب الى صلب حتى اقره في صلب عبد المطلب ، فقسمه قسمين: قسما في صلب عبد الله، وقسما في صلب ابي طالب ، فعلي مني وانا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي" [6]، وفي حديث: " إنّ الله عز وجل نقلنا نقلنا من صلب آدم عليه السلام في اصلاب طاهرة الى ارحام زكية ، فما نقلت من صلب الا ونقل علي معي، فلم يزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة ، واستودع عليا خير رحم وهي فاطمة بنت اسد..." [7] . بمعنى: ان الله قد قدر في سابق علمه لهذا النور أن ينزل الى الاصلاب الطاهرة من آدم عليه السلام ، " **كُلَّمَا نَسَخَ اللَّه الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَه فِي خَيْرِهِمَا**" [8]، " **مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ**

١- الاورق : جمل ابيض يخالط بياضه سواد . ينظر : الشربيني : مغني المحتاج : 3 : 374

٢- النسائي : السنن الكبرى : 6 / 179 . وينظر : الشافعي : كتاب الام : 7 / 32 ، كتاب المسند : ص 270 . ابن حنبل : المسند : 2 / 234. ابن قدامة : المغني : 9 / 43-44.

٣- الكنجي الشافعي: كفاية الطالب: ص406. المرعشي : شرح احقاق الحق . 7 / 488.

٤- ابن مردويه: المناقب : ص 286 . الخوارزمي: المناقب: ص 145 – 146 . الاربلي: كشف الغمة: 1 / 301. الزرندي : معارج الوصول : ص 33 ، نظم درر السمطين: ص 79 . البحراني: غاية المرام: 1 / 28 .

٥- الاسدي: الامام علي بين طهر الميلاد ومجد الاستشهاد: ص 11.

٦- ابن مردويه: المناقب : ص 286 . الخوارزمي : المناقب : ص 145 – 146 . الاربلي : كشف الغمة : 1 / 301. الزرندي : معارج الوصول : ص 33 ، نظم درر السمطين : ص 79 . البحراني : غاية المرام : 1 / 28 .

٧- الكنجي الشافعي: كفاية الطالب : ص406. المرعشي : شرح احقاق الحق : 7 / 488.

٨- نهج البلاغة : ص 447 – 448 .

الْكَرَامَةِ ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ"[1] ، حتى انتهى الى صلب عبد المطلب ، فاجتزأ النور الى جزأين ، فجزأ في عبد الله والاخر في ابي طالب عليهما السلام ثم نتج المولودان المباركان : النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام .

فمن جانب ازهما من اصل نوراني واحد ، ومن جانب آخر، فإنَّ اصل اورمتهما نبوية خالصة ، إذ كما قال صلى الله عليه وآله في معنى الاية : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[2] ، أي من " نبي الى نبي "[3]، وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام ما يعضد هذا التأويل ؛ إذ يقول في معرض حديثه عن اصل النبي صلى الله عليه وآله : " **فَأَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه** "[4]. وهي شجرة النبي ابراهيم عليه السلام[5].

وبهذا يكون الامام أمير المؤمنين عليه السلام قد ورث صفات جسدية وعقلية ونفسية من تلك الاصلاب النبوية والارحام النورانية ، التي لم يخامرها رجس ولاشرك .

ويدلّنا على ذلك بوضوح قوله صلى الله عليه وآله في حديث الاشباه[6] وهو من الاحاديث المعروفة : " من أحبَّ ان ينظر الى آدم في خلقه ، وانا في خلقي ، والى ابراهيم في خلّته ، والى موسى في مناجاته ، والى يحيى

١- نهج البلاغة : ص 178 .

٢- سورة الشعراء الآية 219 .

٣- ابن سعد: الطبقات: 25/1. ابن ابي حاتم : تفسير: 9 / 2828. الطبراني: المعجم الكبير: 287/11. الثعلبي : الكشف والبيان : 7 / 184 . الطوسي: التبيان: 8 / 68. البغوي: معالم التنزيل: 3 / 402 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3 / 401 . ابن كثير: البداية والنهاية: 2 / 314 ، السيرة النبوية: 1 / 191 . السيوطي : الدر المنثور: 5 / 98 . الشوكاني : فتح القدير : 4 / 120 .

٤- نهج البلاغة : ص 176 .

٥- محمد عبده : نهج البلاغة (شرح) : ص 141.

٦- ورد هذا الحديث بالفاظ مختلفة وطرق متعددة ، ينظر: يحيى بن الحسين: التحفة العسجدية: ص 131. الصدوق: كمال الدين: ص 25- 26. ابن مردويه: المناقب : ص 147. المفيد: الامالي: ص 14. الطوسي: الامالي: ص 417. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 1 / 103، 137. الخوارزمي: المناقب: ص 83. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 313/42. ابن شهر اشوب: المناقب : 57/3. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص128. ابن جبر: نهج الايمان: ص664 -665. ابن البطريق: العمدة: ص 369. العلامة الحلي: كشف اليقين: ص 52 – 54، نهج الحق وكشف الصدق: ص236 – 237. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص 129. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 7/ 220. ابن

في زهده ، والى عيسى في سنته، فلينظر الى علي بن ابي طالب اذا خطر بين الصفين ، فكأنما يتقلع من صخر أو يتحدر من دهر" [1].

وفي لفظ آخر لهذا الحديث: " من اراد أن ينظر الى آدم في علمه ، والى نوح في فهمه ، والى ابراهيم في خلته ، والى موسى في مناجاته ، والى عيسى في سنته ، والى محمد صلى الله عليه وآله في تمامه وكماله ، فلينظر الى علي بن ابي طالب عليه السلام كانما ينقلع من صبب ، وينحط من جبل" [2]. وفي رواية : " من اراد ان ينظر الى يوسف في جماله ، والى ابراهيم في سخائه، والى سليمان في بهجته ، والى داود في قوته ، فلينظر الى هذا "[3].

تجدر الاشارة الى ان الشواهد المارة الذكر – في احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلمات الامام عليه السلام – وان كانت تدلل على أثر للجانب الوراثي الرسالي بالدرجة الاساس الا انها لا تخلو من دلالة على اكتساب بعض الموروثات العقلية والجسمانية .

وأمّا ما ورثه واكتسبه من أبويه خاصة ، فغير خاف على كلٍّ متأمِّل في سيرة هذين الابوين الموحدين الطاهرين وما تميزا به من خصال الشرف والنبل والكرم والشجاعة وغيرها من سمات كانت قد تركت اثراً كبيراً في شخصّية أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في هذا الجانب ، ونقتصر على اشارة ابن ابي الحديد حيث عد ابوة ابو طالب من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام اذ يقول : " وما اقول في رجل ابوه ابو طالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة " [4] وقال ايضا : " ان عليا عليه السلام كان يدعي التقدم على الكل ، والشرف على الكل ، والنعمة على الكل ، بابن عمه صلى الله عليه وآله ،

شاذان: الروضة: ص34، الفضائل: ص 98. الشامي: الدر النظيم: ص 270. ابن ميثم: النجاة في القيامة في تحقيق امر الامامة: ص161. الاربلي: كشف الغمة: 111/1. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص 93 – 94. الذهبي: ميزان الاعتدال : 99/4. الايجي: المواقف:626/3. ابن كثير: البداية والنهاية: 392/7. القاضي الجرجاني: شرح المواقف: 8 / 369. ابن حجر: لسان الميزان: 24/6. ابن الصباغ: الفصول المهمة : 571/1. القندوزي: ينابيع المودة: 363/1 .

١- ابن عساكر: تاريخ دمشق : 42 / 288.

٢- الطبري الصغير : المسترشد : ص 287 .

٣- ابن شهراشوب : المناقب : 3 / 57 .

٤- شرح نهج البلاغة : 29/1.

وبنفسه ، وبأبيه ابي طالب ، فأنه من قرأ علوم السير عرف ان الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئا مذكورا" [1].

اما امه فتعد من شواخص نساء التاريخ ، وهي الزوجة الوحيدة لابي طالب عليه السلام ، اسلمت بعد عشرة من المسلمين فكانت الحادية عشرة ، وهي اول امرأة بايعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النساء وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكرمها ويدعوها (امي) ، وقد هاجرت الى المدينة ، ولما حضرتها الوفاة اوصت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقبل وصيتها ، وصلى عليها ونزل في لحدها [2] .

العامل البيئي :

البيئة : مفهوم له معنى خاص من وجهة نظر علم النفس ؛ اذ يقصد بها جميع المؤثرات التي يتلقاها الفرد من المحيط الذي يكتنفه[3] .

أنّ المتتبع لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام الشريفة ، يلاحظ بدقة تدخُّل العناية الالهية في كل شأن يرتبط بوجوده عليه السلام ، منذ ولادته حتى استشهاده ؛ مما يدل على أنّ هذا الوجود رشحة من ألطاف الله عز وجل ، واطلالة من نوره على هذه الخليقة .

إن هذه الرشحة المقدسة فرضتها حاجة الانسانية الى هذا اللطف الرباني [4]، واوضح مصداق على ذلك ولادته في بيت الله الحرام ، فقد جرت مقادير السماء أن تكون " الكعبة " [5] التي هي قبلة الموحدين

١- شرح نهج البلاغة : 1/ 142 .

٢- ولمزيد من التفاصيل عن ترجمتها ينظر : ابن سعد : الطبقات : 8 / 222 . ابن عبد البر : الاستيعاب : 4 / 1891 . ابن الاثير : اسد الغابة : 5 / 517. ابن حجر : الاصابة : 4 / 380 .

٣ - ابو جادو : علم النفس : ص 57 .

٤- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد : ص13.

٥- الكعبة: (لغة): كعبت الشيء اي ربعته، والكعبة البيت المربع، وسمي البيت الحرام بالكعبة لتكعيبه اي تربيعه، والعرب تسمي المكان المرتفع كعبة. ابن منظور : لسان العرب : 1 / 718 .

، موضعا لولادة علي بن ابي طالب عليه السلام، فكانت هذه الفضيلة مما انفرد بها عليه السلام[1]، حتى عرف باسم وليد الكعبة [2]. وكأنما كان ميلاده إيذانا بعهد جديد للكعبة ، والعبادة فيها [3].

ان هذا التخطيط الالهي من اوضح الاشارات الى طهر هذه الذات المصطفاة وقداستها ، هذه الذات التي من أجلها استثنيت اعتبارات والتزامات شرعية هامة ، الزم الله – عز وجل – بها سائر الناس تجاه بيته الحرام ، كحرمة دخول النفساء والجنب ، وقد استمر هذا الاستثناء من المادة الشرعية لخصوص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامام عليه السلام ليشمل كافة فصول حياتهما ، مما يشير الى وحدة الاصل بينهما، فقد ورد في الحديث الشريف: " يا علي ! لا يحل لاحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك" [4]. ومن دلالات الولادة في بيت الله ، أنّ الله أعدّ هذه الشخصيّة المطهرة لعملية تغييرية مهمة في بيته الحرام ، وهي تطهيره من رجس الوثنية الجاهلية . فلعطاه الله عز وجل ذا الاختصاص بالولادة في بيته ، وفاءً مقدَّما منه تعالى الى الوجود المطهر الوفي المعطاء ، الذي علم الله عز وجل أنّه الرجل الذي لا يتغير جوهره ، ولا تنحرف حركته عن خط الرسالة الاسلامية المرتقبة ، تحت أيِّ ظرف من الظروف والاحوال ، وكما كرمه الله عز وجل مع ذلك الشرف والقدر، ان جعل محطّ قدمه منكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اذ لم يتسن لعلي عليه السلام الصعود الى سطح الكعبة الا على كتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم[5].

وكما قدرت عناية السماء لهذا الامام أن يولد في بيت الله الحرام ، فقد جرت قدرتها في أن ينتقل منه الى بيت الرسالة ، ليحظى برعاية النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن " غرس الله عز وجل فيه ادبه وغامض علمه

١– اشارت الرويات لولادة حكيم بن حزام في الكعبة ، وقد قام احد الباحثين بتحقيق الروايات واثبت بطلانها وانفراد أمير المؤمنين عليه السلام بهذه المنقبة. ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام :(الصفحات جميعها) .

٢– النصر الله : شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الامام علي عليه السلام : ص 120 – 121.

٣– العقاد : عبقرية الامام : ص43.

٤– الترمذي: السنن: 303/5. ابو يعلى: المسند: 311/2. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 140/42. الزيعلي: تخريج الحديث والاثار: 326/1 – 327. الهيثمي: مجمع الزوائد: 115/9. المتقي الهندي: كنز العمال: 599/11. وفي حديث ان هذا الاستثناء شمل جميع اهل بيته عليهم السلام، إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم " لا يحل لاحد أن يجنب في هذا المسجد الا انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ومن كان من اهلي فانهم مني ". الصدوق: الامالي: ص413، من لا يحضره الفقيه: 557/3 – 558. الطوسي: تهذيب الاحكام: 15/6.

٥– الاسدي: الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص 14.

استعداداً للتلقي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " [1] . فكانت اوضح ما تزخر به سيرته الشريفة هذه الفضيلة التي اختص بها دون سواه من الخلق ، بان يكون في كنف النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والافت للنظر أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد تعاهده منذ صغره ، بل منذ أن كان وليدا .

ومن كان في طفولته واجدا لأثمن الذخائر الروحية والمادية من الوجهة الوراثية ، ومن ناحية التربية قد تلقى المثل في اطهر اسرة ، وكان مربيه الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا فهو جدير بـأن يكون في الكبر قائد السعادة البشرية وامير جيش الايمان والتقوى[2].

وعندما نقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تبنّى تربيته واعداده عليه السلام ، لا نعني أن تربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للامام عليه السلام كانت على نحو التأسيس لشيء كان يفتقده عليه السلام ، او تعليمه لعلم كان يجهل اسسه وقواعده ، بل كان ذلك لعدة اغراض:

1 -اثارة المواهب الكامنة في ذاته وتنمي تها ، بالاسلوب الطبيعي الذي يخرج المسألة عن الاعجاز المحض.
2 -الكشف عن هذا الاستعداد الذي تلقّاه الامام علي عليه السلام في المعهد الرباني الاول.
3 -تأكيد الشعور في نفسه ، بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه.
4 -إلفات نظر الامة الى جوهر الصلة الرابطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

والامر الجدير بالطرح هنا حول هذه العلاقة الخاصة الخالصة ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام عليه السلام، هل يمكن ان تقف عند حد علاقة رحم فيما بينهما ؟ او انها تلتزم جانبا خاصا محدودا على مستوى توفير سكن ومأكل وملبس؟ كما تحاول بضعة روايات بائسة ان تحجم ابعاد تلك العلاقة الفريدة ، لتعللها تعليلا يقف بهذه الاصرة عند حد ازمة اقتصادية عصفت بمكة فاضطرت والد أمير المؤمنين عليه السلام الى تفريق اولاده بين اقربائه ، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام من حصة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا تكون هذه الازمة الاقتصادية من نعم الله على الامام عليه السلام إذ قادته اتفاقا الى احضان بيت الرسالة لينشأ في كنف النبي

١- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص 27
٢- محمد تقي فلسفي: الطفل بين الوراثة والتربية : 1 / 217 .
٣- الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد: ص 27 .

صلى الله عليه وآله وسلم ، وبهذا يكون سبق اسلامه أمراً طبيعياً ما دام قد عاش في ظل تلك البيئة الرسالية التي تلقت وحي السماء ، فلذعن افرادها للتكليف الالهي ، وكانوا سباقين لاعتناق الدين الاسلامي.

وهذا ما يتضح من الرواية التي تقول في مطلعها ، عن ابن اسحاق : وحدثني عبد الله بن ابي نجيح ، عن مجاهد بن جبر ابي الحجاج ، قال: " كان من نعمة الله على علي بن ابي طالب او مما صنع الله له ، واراده به من الخير، ان قريشا اصابتها ازمة شديدة ... " ثم ساق الراوي تفاصيل ما جرى وكيف كانت هذه الازمة ذات مردود طيب على الامام أمير المؤمنين عليه السلام حصراً " فرب ضارة نافعة "، ولكنها تركت اثارها السلبية على غيره بما فيهم ابو طالب الذين اضطرا الى التنازل عن ابنائهم ومفارقتهم حسب زعم الرواية كما سيتضح لنا: " .. وكان ابو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم للعباس عمه ، وكان من ايسر بني هاشم: يا عباس ، ان اخاك ابا طالب كثير العيال ، وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الازمة ، فانطلق بنا اليه ، فلنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ انت رجلا، فنكفلهما عنه ، فقال العباس: نعم ، فانطلقا حتى آتيا ابا طالب ، فقالا له: انا نريد ان نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما ابو طالب : اذا تركتما عقيلا فاصنعا ما شئتما – قال ابن هشام : ويقال عقيلا وطالبا، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه، واخذ العباس جعفرا فضمه اليه ، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ، حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا ، فاتبعه علي رضي الله عنه ، وآمن به وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى اسلم واستغنى عنه " [1].

١– ابن هشام: السيرة النبوية: 162/1. الطبري: تاريخ : 57/2 – 58. ابو الفرج: مقاتل الطالبيين: ص 15. الصدوق: علل الشرائع: 169/1. الحاكم: المستدرك: 576/3. الثعلبي : الكشف والبيان: 84/5. الكراكجي: كنز الفوائد : ص117. ابن عبد البر: الاستيعاب: 1/ 38– 39. المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص 58. الاربلي: كشف الغمة: 77/1 – 78. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص86. الطبرسي: إعلام الورى: 105/1 – 106. الخوارزمي: المناقب : ص 51. ابن شهر آشوب: المناقب : 27/2. ابن البطريق: العمدة: ص 63. ابن جبر: نهج الايمان: ص 167. ابن الاثير: الكامل: 58/2. البري: الجوهرة في نسب الامام علي وآله: ص 10. ابن طلحة الشافعي: مطالب السؤول: ص 58 – 59 . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 198/13 – 199. ابن طاووس: الطرائف : ص 17 – 18 . ابن سيد الناس: عيون الاثر: 124/1 – 125. الذهبي: تاريخ الاسلام : 136/1. ابن كثير: البداية والنهاية : 34/3. ابن عنبة : عمدة الطالب: ص59. ابن الصباغ : الفصول المهمة : 181/1 – 182. ابن الدمشقي : جواهر المطالب: 41/1. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد : 301/2. الحلبي: السيرة الحلبية: 432/1.

ونحن نتفق مع ما جاء لدى باحثين [1] تناولا هذه الرواية بالنقد والتحليل ، وخلصا الى نتيجة متوافقة ، وكان مما سجلا على ما ورد فيها من ملاحظات:

1 -إنّ السبب لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمه العباس او العباس وحمزة عليه السلام معا [2]، هو بسبب الازمة الاقتصادية التي حلت بقريش ، ولكن ما بال هذه الازمة شدت رحالها صوب بيت ابي طالب ، على حين لم نسمع باي اثر لهذه الازمة على باقي البيوت القرشية.؟![3]

ثم ان المصادر لم تحدد لنا تاريخ هذه الازمةْ [4] التي اصابت قريشاً ومدى اثرها ، وكم دامت ؟ ويرجح – كما يبدو من الرواية – أنّها وقعت بعد زواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من السيدة خديجة ، لأَن الرواية واضحة في الاشارة الى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان خارج بيت ابي طالب وانه متزوج وفي وضع مادي مقتدر يمكنه تخفيف الاعباء عن عمه[5] .

2 -تشير الروايات إلى أن طالبا هو اكبر اولاد ابي طالب ، فهو اكبر من عقيل بعشر سنوات ، وعقيل اكبر من جعفر بعشر سنوات ، وجعفر اكبر من علي بعشر سنوات ! فاذا كان عليٌّ ابن ست سنوات ، فلا مانع من أن يأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويربيه ، ولكن هذا لا يصح بالنسبة الى جعفر الذي هو ابن ست عشرة سنة ، ولا بالنسبة لعقيل الذي له من العمر ست وعشرون سنة ، والامر يبدو مستحيلا بالنسبة لطالب الذي له من العمر ست وثلاثون سنة ، مع ان عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحمزة وقتذاك ست وثلاثون سنة ايضا[6].

١- ينظر: النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : 209 – 210. المحمداوي : ابو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الاسلامية : ص 77 – 85.

٢- ورد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا عميه العباس والحمزة معا، ينظر: ابن شهر اشوب: المناقب: 2 / 27 .

٣- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص210 . الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة ص19 –20.

٤- حدد احد الباحثين تاريخا لهذه الازمة بقوله " نص بعض المؤرخين انه بعد بناء البيت بسنة ، وقبل البعثة بالنبوة باربع سنين كانت سنة اصابة قريش بقحط شديد كان من اثاره ان تكفل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمعيشة علي عليه السلام عنده في داره مع اولاده ". اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي: 351/1، ولكنه لم يدلنا على المؤرخين الذين نصوا على ذلك؟ الا ان يكون قد استوحى ذلك مما جاء عند ابن أبي الحديد بقوله: " وأخذ رسول الله عليا وهو ابن ست سنين". شرح نهج البلاغة: 15/1. وينظر: ابن شهر اشوب : المناقب: 2 / 27.

٥- المحمداوي : ابو طالب : ص 77- 78 .

٦- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص210.

3 -ما السبب في ايثار ابي طالب لولده الاوسط عقيل؟! وكان الاجدر إيثار الإمام علي عليه السلام لكونه الاصغر وبحاجة لرعاية والديه ؟! فهل يريد الرواة الربط ما بين المعتقد المستقبلي لاولاد ابو طالب ومعتقد من رباهم؟! فعقيل بقي مشركا لان اباه بزعمهم كان مشركا! اما طالب فسلك مسلك مربيه العباس فلم يؤمن ثم خرج في بدر لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل العباس! اما جعفر فاعتنق الاسلام لان الحمزة قد اسلم [1] ، وكذا الحال بالنسبة للإمام علي عليه السلام فلم يعبد الاصنام لتربيته في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.[2]

4 -وضعت هذه الرواية لتدلل على عدم ايمان ابي طالب ، فهناك تأكيد على أن إسلام عقيل كان بعد وفاة أبيه لأنّه بقي في بيته ، فلذا فسّروا تأخر اسلام ولده بتأثير منه ، ومن ثم فإن إشارة الرواية بإنّه كان الاقرب الى قلب ابيه حتى قال : " اذا تركتما لي عقيلا فاصنعوا ما شئتم"، فلماذا يفضله على باقي أولاده ؟ وهل كان ابو طالب يفاضل بين أولاده ؟ ثم أليس الاصغر سنا في الغالب هو الاشد تعلقا بوالديه؟ أليس الاولى أن يبقى جعفر او الامام علي عليه السلام في كنفه لأنّهما اصغر منه ؟ أم أنّ زعم الرواية لكونه الاشد قربا لقلب ابيه دعا الاخير لتفضيله على اخوته رغم كونهم اصغر منه سنا [3] .

5 -وردت ثمة اختلافات في التفاصيل بين هذه الرواية وباقي الروايات ، فمثلا الرواية اعلاه صرحت بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قصد عمه العباس . على حين ذكرت رواية أخرى انه قصد العباس والحمزة معا [4]، وكما هو واضح من اشارة الرواية الى إن ابا طالب قد طلب منهم ان يتركوا له عقيلا ، فقط في حين يعقب ابن هشام بأنّه يقال عقيلا وطالبا [5] .

١- وفق اشارة الرواية القائلة بان العباس قد اختار طالبا والحمزة قد اختار جعفرا . ينظر: أبو الفرج: مقاتل الطالبيين ص 15. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 15/1.

٢- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 .

٣- المحمداوي : ابو طالب : ص 82 . وجدير بالذكر ان الباحث يشكك في صحة الحديث المنسوب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: (إني أحبك حبين حبا لقرابتك مني، وحبا لما كنت أعلم من حب عمي إياك). ابن سعد: الطبقات : 44/4. الطبراني: المعجم الكبير: 191/17، الحاكم: المستدرك: 576/3، ولمزيد من التفاصيل عن سبب التشكيك من الباحث أعلاه ينظر كتابه: عقيل بن ابي طالب بين الحقيقة والشبهة : ص22- 26.

٤- ابن شهراشوب : المناقب : 2 / 27 .

٥- ابن طلحة الشافعي : مطالب السؤول : ص 59 .

وفي هذه الرواية وقع اختيار العباس على جعفر عليه السلام ، فيما تشير رواية أخرى الى أنّه ضم اليه طالبا الذي اهملت ذكره الرواية السابقة وانه بقي معه الى يوم بدر ثم فقد ولم يعرف له خبر، وان الحمزة قد انتخب جعفرا وظل ملازما له حتى مقتله في احد [1] ، وتأتي رواية ابن معد [2] لتعيد جعفرا مرة اخرى الى احضان العباس بن عبد المطلب ، وتنقل طالبا الى حمزة عليه السلام ، وعلى الرغم من ان مصدر الرواية الاول ماخوذ عن ابن اسحاق ، عن رواية مجاهد بن جبر، وان باقي المصادر قد نقلت عنه وصرحت بهذا النقل ، الا أنّنا نلاحظ هذه الاختلافات والتناقضات في تفاصيل الرواية الواحدة !! وفي الوقت الذي اطنبت رواية ابن اسحاق اعلاه في بيان اقتسام اولاد ابي طالب ما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعمامه، اوجز البلاذري[3] قائلا : " وكان ابو طالب قد اقل واقتر فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم".

6 في إشارة لافتة للنظر يقف باحث مستغربا عند رواية الطبري قائلا : " واكثر ما يدعو الى الاستغراب ، رواية الطبري التي اكدت وقوع الازمة قبل البعثة ، وان جعفرا بقي عند العباس الى ما بعد البعثة ، أذ أشار الى ذلك بقوله : " فلَمّا الاسلام قد جاء والعباس يموّن ابا طالب وعياله للأزمة التي أصابته ولولا أنّ العباس اخرج الى بدر مكرها لمات طالب وعقيل جوعا " [4].

ولتفنيد هذه الرواية يقول المحمداوي[5] : " هل يجوز أن يستمر العباس في كفالته لجعفر حتى بعد زواجه واسلامه ؟ واذا كان جعفر قد اسلم قديما ، وقد اثبتنا أنّه من اوائل المسلمين ، إذ قيل : إنّه كان ثالث من اسلم بعد الامام علي عليه السلام وزيد بن حارثة ، وهناك من يرى انه اسلم بعد خمسة وعشرين رجلا ، ومهما يكن من شيء فانه اسلم مبكرا وهو في بيت العباس ، فلماذا لم يسلم العباس ، وبقي الى فتح مكة كما يدعي من يؤكد تأخّر اسلامه ؟ فضلا عن ذلك عرف جعفر بسعة جوده وعطائه ، فاذا كان فقيرا ، فمن اين يعطي الفقراء حتى نعت بأبي المساكين ، لانه كان يأتي بهم الى بيته ، فاذا لم يجد لهم شيئا اخرج لهم آنية فيها عسل فيلعقون منها ، فاذا كان في بيت عمه هل يجوز له أن يعطي الفقراء من اموال عمه وكيف يجوز له ذلك وهو عالة على غيره " ؟

١- ابن شهراشوب : المناقب : 2 / 27 .

٢- الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب : ص 180 .

٣- انساب الاشراف : 90/2 .

٤- المحمداوي : ابو طالب : ص 46 ، وينظر النص عند الطبري : تاريخ : 6 / 199 .

٥- ابو طالب : ص 80 – 81 .

ثم يستطرد معترضا على الرواية بمزيد من الملاحظات قائلا : " يمكن رد رواية الطبري ، بالعودة الى مقدار اعمار اولاد ابي طالب ، فإنّ اصغرهم الامام علي عليه السلام اسلم وعمره حوالي احدى عشرة سنة ، واذا اضفنا الى عمره سنوات البعثة وهي عشر سنوات حتى هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة ، يصبح عمره حوالي احدى وعشرين سنة مضافا اليها سنتان على اعتبار ان معركة بدر الوارد ذكرها، كانت سنة 2 هـ وبهذا يكون مجموع عمره الشريف ثلاث وعشرين سنة ، فاذا كان عمر اصغرهم هكذا ، فجعفر يعلوه بعشر سنوات ، فيكون عمره طبعا ثلاث وثلاثين سنة ، والحال نفسها مع عقيل الذي يكون عمره طبقا لما اوردناه ثلاثا واربعين سنة، وطالب على فرض وجوده يكون عمره ثلاثا وخمسين سنة ، اذن كيف يكون العباس يمّون عيال ابي طالب وهم في مثل هذه الاعمار؟ أليسوا هم باعمار تسمح لهم بالعمل والزواج ؟ وكيف لا وعقيل له عدة زوجات ؟! " [1].

7 - يلاحظ على شخصية طالب انه شخصية لا اساس لها من الصحة ؛ إذ إن كتب التاريخ لم تقدم لنا أيَّ معلومات عن شخصيته الا في هذه الرواية ، والاشارة الى خروجه في بدر مشركا ، فهل القول بوجود شخصية طالب لمقاصد ما ؟ ! أم أنَّ بعضهم تصور ان لابي طالب ولدا اسمه طالب ، فابو طالب اسم وليس كنية ، كما في اسم ابي لهب وابي جهل ، والظاهر أن ابا طالب عرف بذلك لكثرة استجابته للمطالب [2] .

8 - تقول الرواية : إنّ ابا طالب كان كثير العيال قليل المال ، والحال غير ذلك ، فليس له من الاولاد الا ثلاثة وبنت واحدة هي ام هاني [3]، أذا لاحظنا ان شخصية طالب لم تقو الادلة على اثباتها ، واذا استثنينا جعفرا وعقيلا لانهما كبيران وقت الأزمة ، فلا يبقى الا الامام علي عليه السلام وأمُّ هاني[4].

١- المحمداوي: أبو طالب ص 81 .

٢- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210.

٣- ادعت بعض الروايات وجود بنات وأبناء آخرين لابي طالب الا ان التحقيق في تلك المرويات اثبت بطلانها . ينظر: المحمداوي: ابو طالب: ص 34 – 35 .

٤- النصر الله : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 .

ثم لما كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعيش في بيت ابي طالب ، لم ترد الاشارة الى تفاقم وضعه المعاشي واولاده آنذاك كانوا ما يزالون صغار العمر ، فلم يتدخل العباس ولا غيره في التخفيف عن كاهله ؟ فكيف وقد تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وولداه عقيل وجعفر كانا في عمر ينبغي لهما العمل فيه [1] ؟ .

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد وردت شواهد تأريخية تفيد ان وضع ابي طالب المعاشي كان جيدا ؛ اذ كان يعمل تاجرا وبائعا للعطور والبز [2] وأنّه خرج الى الشام لغرض التجارة [3]. وهي من الادلة التي تثبت أنّه كان في وضع جيد ولم يكن فقيرا كما تصفه الرواية[4].

9 يبدو أنّ هذه الرواية قد وضعت للطعن في تربية الامام عليه السلام في كنف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وللقول بانها جاءت لاسباب مادية .[5] اذ ان تربيته في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي التي جعلته يسبق الجميع في اسلامه ، إذ لو قدر له وبقى في بيت ابيه لما كانت له هذه المكانة وهذا المقام الرفيع والسبق في الاسلام .

10 – اما عن سند هذه الرواية ، فعلى الرغم من انتشارها ا للافت للنظر في مصادر السيرة ، فان لها طريقين فقط ، الاول كما هو واضح في رواية ابن هشام [6] – آنفة الذكر – ينتهي الى ابن اسحاق ، وهو اقدم من ذكرها الذي ينقلها عن مجاهد بن جبر [7] ، والطريق الثاني ورد برواية اب ي الفرج الاصفهاني [8] الذي اسندها الى زيد الشهيد بن الامام زين العابدين عليه السلام [9] .

١– المحمداوي : ابو طالب : ص 79.

٢– ابن قتيبة : المعارف : ص575 .

٣– ابن اسحاق : السير والمغازي: ص 73.

٤– لمزيد من التفاصيل يراجع : المحمداوي : ابو طالب : ص 71– 85 .

٥– النصر الله: فضائل أمير المؤمنين عليه السلام : ص 210 .

٦– السيرة : 1 / 162 .

٧ – ابو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي المكي ، مولى قيس بن السائب ، احد ائمة التفسير ، ولد سنة 23هـ و توفي سنة 101هـ او 102 او 104 . ينظر : الذهبي : تذكرة الحفاظ : 1 / 92 – 93 ، سير اعلام النبلاء : 4/ 449– 457 .

٨– مقاتل الطالبيين : ص 15 .

٩ – هو ابو الحسين زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام احد سادة اهل البيت عليهم السلام علما وعملا ، كان يقال له حليف القرآن ، ومناقبه اجل من ان تحصى ، وفضله اكثر من ان يوصف ، وكان عين اخوته بعد الامام الباقر عليه السلام ، وكان ورعا فقيها سخيا شجاعا ، ظهر بالسيف مطالبا بثأر الامام الحسين عليه السلام وقد استشهد عليه السلام سنة 122هـ وصلب

والملاحظ أنّ هاتين الشخصيتين كلٍيهما من التابعين ، فبالنسبة الى مجاهد ولد في سنة 23 هـ وتوفي سنة 101هـ او 103هـ او 104هـ على اختلاف الاقوال في ذلك . اما زيد الشهيد فقد توفي سنة 122 هـ. وتفصلهما عن الحادثة مدة زمنية ، ومن ثم فإنّهما لم يسندا روايتهما الى احد الصحابة فجاءت مرسلة ، وبهذا لا يمكن الاطمئنان الى الرواية من ناحية السند .

نخلص الى القول : إن العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام عليه السلام لم تقف عند الجانب المادي المزعوم ، فأنّ ابا طالب عليه السلام كان من اشراف قريش وسادات مكة ووجهائها ، وهو من تكفّل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طفولته ورعاه في هذه الجوانب ، ونصب نفسه منصب الحماية له من غوائل الدهر ومصاعب الزمن . فلا يعجزه جانب من هذه الجوانب المادية حتى يتصدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرد الفضل الى عمه ، باشباع هذه الجوانب في حياة الامام علي عليه السلام ، بل تلقاه بيت الرسالة بطلا في صدارة ابطال الحق ، ورائدا في حركة التغيير ، وموجها للامة الى سبيل الهدى ، حاملا لها شعلة الاصلاح والفضيلة ، من مركز الفكر الناهض المشع ، من مدرسة الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي واصلت عطاءها في اعداد الامام علي عليه السلام للقيادة العامة من بعده ، وتهيئته لاستلام منصب الامامة امتدادا لوجوده صلى الله عليه وآله وسلم[1]

والسؤال الجدير بالطرح : هل كان هذا الاعداد النبوي لشخصية أمير المؤمنين عليه السلام مقتصرا على جانب واحد كالسياسي فقط او العقائدي او الاخلاقي مثلا ؟ وهل اقتصرت رعايته لشخص أمير المؤمنين عليه السلام على مرحلة الطفولة فقط ؟

في الواقع أنّ الشواهد كثيرة على انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعد الامام عليه السلام اعدادا متكاملا ، شاملا لجميع الجوانب (روحيا وفكريا وعقائديا وسياسيا) ، وهذا ظاهر ملحوظ بارقامه الكثيرة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن جانب آخر فإنّ الاستعداد في ذات أمير المؤمنين عليه السلام كان عاليا ودقيقا ، مستوعبا للمفاهيم التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يغرسها في شخصيته عليه السلام . وقد روي عن العباس بن عبد المطلب قوله : لما سئل عن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذكور ايهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له اشد حبا ؟ فقال العباس :علي بن ابي طالب

بالكناسة منكوسا اربع سنين . ينظر ابن حبان : مشاهير علماء الامصار : ص 104 – 105 . الذهبي : سير اعلام النبلاء : 5 / 389 – 391 . الامين : اعيان الشيعة : 7 / 107 – 125 .

١– الاسدي : الامام علي عليه السلام بين طهر الميلاد : ص 27 – 28 .

عليه السلام ، فقيل له : " سألتك عن بنيه ؟ فقال : انه كان احب عليه من بنيه جميعا وارأف ، ما رأيناه زايله يوما من الدهر منذ كان طفلا ... وما رأينا ابا ابر بإبن منه بعلي ، ولا ابنا اطوع لاب من علي له "[1].

ويقول الفخر الرازي : لا نزاع ان عليا عليه السلام كان في اصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم ، وكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم افضل العقلاء واعلم العلماء ، وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم ، وكان محمد صلوات الله عليه وآله في غاية الحرص في تربيۃ علي وفي ارشاده الى اكتساب الفضائل[2].

وفي اشارة لابن ميثم [3] في بيان كماله عليه السلام بحسب القوى النظرية : " قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي كما علمت استعداد النفس الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية ، ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام على اتم ما يمكن ادراكهلهذه الاشياء ادراك بحسب قوته الحدسية القدسية وادراك كثير الحكماء لها ادراك فكري محتاج الى كلفة ومشقة يستلزم اغلاطا عظيمة لا يخلو عنها الا آحاد الحكماء : فاين احدهما من الآخر ؟! ".

ان انتخاب أمير المؤمنين عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مخططا هادفا لا شك ان للسماء اثراً واضحاً فيه ، حتى قال ابن شهراشوب [4] : " ولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله ليتولى تأديبه ويتضمن حضانته وحسن تربيته الا على ضربين : اما على التفرس فيه او الوحي من الله تعالى ، فان كان بالتفرس فلا تخطئ فراسته ولا يخيب ظنه ، وان كان بالوحي فلا منزلة اعلى ولا حال ادل على الفضيلة والامامة منه . قال الشاعر :

ومن كفل النبي صبيا صغير السن عام المستنينا

وغذاه بحكمته فاضحى يفوق بها جميع الخاطبـينا " .

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 200/13 .

٢- نقلها عنه في كتابه الاربعين : ابن طاووس : الطرائف : ص 515 . الشامي : الدر النظيم : ص 260. الماحوزي : كتاب الاربعين : ص 461.

٣- شرح مئة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام : ص217.

٤- المناقب : 2 / 28 .

إن هذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم و قرابة ، بل إن الامر مرتبط بحياة هذه الامة وهذه العلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة [1].

ثانيا : المصاهرة [2]:

ومن مصاديق منزلته الخصيصة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان خصه عليه السلام بان يكون صهره ؛ اذ تزوج عليه السلام من البنت الوحيدة [3] للنبي صلى الله عليه وآله وسلم السيدة فاطمة عليها السلام وهي ذات الكمالات المعروفة والمنزلة السامية [4] . وقد تم هذا الزواج بإرادة الهية ، اذ روى عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " يا علي ان الله أمرني ان اتخذك صهراً " [5] ، وعن الإمام الرضا عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أتاني ملك ، فقال : يا محمد ! ان الله يقرأ عليك

١- لطيف القزويني : رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ : ص 95 .

٢ - ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 365 .

٣ - وقد تباينت الروايات في عدد الأبناء والبنات الذين رُزقهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السيدة خديجة ، إلى ثلاثة آراء : - الرأي الأول : يرى إن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجموعة من الأبناء والبنات ، فالأولاد هم : القاسم ، وعبد الله والطيب والطاهر على اختلاف الروايات فيهم ، والظاهر انه ولد واحد وهو القاسم ، والباقي مجرد ألقاب له ، وقد مات القاسم بعد البعثة ، وبه كان يكنى . ومن البنات له : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة عليها السلام ، وكلهن أدركن الإسلام ومُتن قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عدا السيدة فاطمة عليها السلام والتي ماتت بعده . ابن إسحاق : السير والمغازي : ص 82 . ابن سعد : الطبقات : 1 / 133 ، 16/8 . اليعقوبي : تاريخ : 2 / 14 . ابن عبد البر : الاستيعاب : 4 / 280 – 281 . ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 359 .

الرأي الثاني : يقول بأن السيدة خديجة عليها السلام ولدت للنبي: السيدة فاطمة عليها السلام والقاسم فقط ، أما باقي البنات فهن ربائب له صلى الله عليه وآله وسلم إذ كن بنات أختها هالة . العاملي : بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم ربائبه : ص 13 وما بعدها ، وله : القول الصائب في إثبات الربائب : ص16 وما بعدها ، الطائي : نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبناته : ص 65 – 70 ، 121–122 . الحلفي : نساء البيت الأموي : ص 78 – 81 .الرأي الثالث : ينفي وجود أبناء للسيدة خديجة عليها السلام غير السيدة فاطمة عليها السلام والقاسم ، ويقول بان باقي البنات إنما هنّ شخصيات مختلقة ، وانه لا اصل لوجودهن ، وبيّن فلسفة وضع الروايات القائلة بوجودهن ، داعماً أرائه بالأدلة العقلية والنقلية . النصر الله : محاضرات ألقيت في جامعة الصدر الدينية : ص 18 – 26 .

٤ - لمزيد من التفاصيل عن هذا الزواج المبارك ينظر : انتصار العواد : السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية : ص 139 – 240 .

٥- المحب الطبري : ذخائر : ص86.

السلام ويقول لك : قد زوجت فاطمة من علي ، فزوجها منه [1] ، وايضا روى عن أنس ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغشيه الوحي ، فلما سرى عنه قال : يا أنس أتدري ما جاءني به جبرائيل من عند صاحب العرش ؟ قال : ان الله أمرني ان أزوج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام [2] . وقد عدت هذه المصاهرة من ابرز فضائله عليه السلام وقد افضت الى النسل الاطهر " ائمة اهل البيت عليهم السلام " ، وقد كان الصحابة يغبطونه عليها ، من ذلك ما روي عن عمر قوله :" لقد أوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم : زوجة ابنته فولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه ، وأعطاه الراية يوم خيبر" [3].

ثالثا : خلافته عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (الامامة):

ان هذه العلاقة الفريدة التي جمعت بين النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين عليه السلام – إذ نال من لدنه صلى الله عليه وآله وسلم اهتماماً منقطع النظير، وإعداداً مميزاً لم ينله احد سواه [4] – مدعاة للتساؤل عن موقعية شخصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، التي استلزمت هذه الحظوة من لدن السماء على يد سيد المرسلين وخاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فما هو الهدف من وراء هذا الاعداد الالهي المحمدي ؟ بعد ان تخطت حدود العلاقة بينهما كل المسمّيات الثانوية ، لتقف عند مرتكز اساسي بتدخل السماء في كل خطوة خطاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق تهيئة شخصية أمير المؤمنين عليه السلام لمقام " الامامة " باعتبارها الامتداد الضروري للنبوة ؟

١- الخوارزمي : المناقب : ص 342 .ابن الفتال : روضة الواعظين : 1 / 146 . الحلي : المحتضر : ص 135 . المجلسي : البحار : 43 / 105 ، 124 .

٢- الخوارزمي : المناقب : ص 336 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 37 / 13 ، 42 / 129 . الزرندي :نظم درر السمطين : 186 .ابن حجر : لسان الميزان : 5/ 163 . المتقي الهندي : كنز العمال : 684/13

٣ – ابن ابي شيبة :المصنف :50/7 .الحاكم : المستدرك :125/3 .الهيثمي : مجمع الزوائد :120/9 .كما نسب هذا القول لابنه عبد الله بن عمر ، ينظر: ابن حنبل : 26/2 . القاضي المغربي : شرح الاخبار:181/2. وايضا ما روي عن سعد بن ابي وقاص ، ينظر : الدورقي : مسند سعد بن ابي وقاص : ص 51 . ابن ابي عاصم : السنة : ص 596 .

٤ – كما سيتضح لنا ابعاد هذه العلاقة بشكل مركز في المبحث الثاني من هذا الفصل .

وقد عجّت خطب الامام عليه السلام وكلماته الشريفة في نهج البلاغة بالاشارة لهذا المقام " الامامة " تصريحاً وتلويحاً ، وليس غايتنا الخوض في تفصيلات هذا الموضوع كونه خارج موضوع البحث، لكن يمكن اجمال ابعاد موضوع الامامة الذي طرح الامام عليه السلام في اطاره رؤيته لهذا المقام الالهي.

إن الذي يميز هذه الرؤية عن غيرها ؛ كون الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب هذا المقام فهو الاولى في بيان ماهيته وشرائطه والمهام المناطة بشخصه لاكمال الدور النبوي المنقطع برحيل خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

يمكن من خلال استقصاء سريع وموجز للاشارات الواردة عن مقام الامامة في نهج البلاغة ان نحدد الاطار العام لهذا الموضوع الهام دون تتبع التفصيلات والجزئيات، وسنستعرض ذلك وفق نقاط موجزة:

1 -اشار الامام عليه السلام الى وجوب الامامة على الله سبحانه كما في قوله عليه السلام " **لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً ، وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً ، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُه** "[1]، فالامامة من مصاديق حجج الله على عباده ، وهي واجبة في كل زمان ما دام التكليف باقياً ، والائمة اما ان يكونوا ظاهرين معروفين ، او مستترين من الخلق لعلة وضرورة اقتضتها الحكمة الالهية كما هو حال الامام الحجة المنتظر (عج).

2 -يؤكد الامام عليه السلام على اختصاص هذا المقام بنخبة مصطفاة من رهط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من ذلك قوله : " **إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ** "[2].

ثم عرّفهم بسمات خاصة بأنهم " **الأَقَلُّونَ عَدَداً والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه قَدْراً** "[3] ، " **أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ**" [4] ، وشبههم بنجوم السماء في دلالة على ضرورة استمرار الامامة فيهم : " **أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ** "[5].

---

١ – نهج البلاغة : ص686 –687.

٢ – نهج البلاغة : ص 263.

٣ – نهج البلاغة : ص687.

٤ – نهج البلاغة : ص371.

٥ – نهج البلاغة : ص186.

3 –تعرض عليه السلام الى خصائص اهل البيت عليهم السلام والتي اختصوا بها فاستحقوا هذا المقام الالهي دون غيرهم ، ومن تلك الخصائص : اصطفائهم من لدن الله سبحانه اذ خصهم بعنايته فهم كما قال عليه السلام : " **فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا**" [1]، وقد عز نظيرهم في الوجود فلا يقاس بهم احد [2]، وقد اشاد القرآن بفضلهم ونزلت آياته بمدحهم " **فيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ**"[3] . و" **لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ**" [4] ، فهم يمتلكون خصائص حق الولاية ولا يمتلك غيرهم تلك الخصائص. لذلك انحصرت فيهم الوراثة [5] .

ومن ابرز تلك الخصائص واهمها كونهم يشاركون النبي ، بل الانبياء جميعاً في خصائصهم ، فهم من طين سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم ورزقوا فهمه وعلمه[6].

ومن خصائصهم لزوم الرجوع اليهم في كل الامور " **هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، وهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ ، ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ، وانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ** "[7]. "[7]. اذ بين علة دعوة الناس الى اتباعهم عليهم السلام ، وفي نص آخر : " **فَأَيْنَ يُتَاه بِكُمْ ؟ وكَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟**

---

١ – نهج البلاغة : ص 528.

٢ – اشارة لقوله عليه السلام : " **لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِه الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْه أَبَداً**" نهج البلاغة : ص25.

٣ – نهج البلاغة : ص283.

٤ – نهج البلاغة : ص25.

٥ – يقول الدرويش: ليس مراده الوراثة بالمعنى المتعارف منها بين الملوك والسلاطين حينما يورثون ابناءهم مناصبهم بل ان كلمة الوراثة تحتمل التفسير بالاختصاص من باب الاستعارة؛ اي ان الولاية مختصة بهم، لذلك السبب الطبيعي التكويني، كما ان الارث يختص لاسباب معروفة. وقد فسر القرطبي لفظ الوراثة بهذا المعنى في الآية التي اطلقت لفظ " الوراثة " على اختصاص الصالحين بالجنة فقال: يحتمل ان يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث اختصاصهم بذلك دون غيرهم، فهو ارث بطريق الاستعارة. والتمعن في عبارة الامام يكشف عن ارادة هذا المعنى بقوة بحيث قال: " ولهم خصائص حق الولاية " ولم يقل لهم حق الولاية. ينظر: علي كما وصف نفسه: ص21.

٦ – الدرويش: علي كما وصف نفسه: ص22.

٧ – نهج البلاغة : ص 489.

وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ، وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ ، وأَعْلَامُ الدِّينِ ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ"[1].

وفي نص قال عليه السلام : " **نَحْنُ الشِّعَارُ والأَصْحَابُ والْخَزَنَةُ والأَبْوَابُ، ولَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً**" [2]، الى غيرها من الخصائص التي انفردوا بها عليهم السلام .

4 -ورد في نصوص النهج الاشارة الى اهم المؤهلات الواجب توافرها في صاحب مقام " الامامة " ، يأتي في مقدمتها : العصمة ، وهي وإن لم ترد باللفظ في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الواردة في نهج البلاغة ، لكنه ورد ما يدل عليها ، كلزوم الطاعة لهم عليهم السلام : " **انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ**" [3]، هذا المقطع متحد في معناه ودلالته مع حديث الثقلين اذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي[4]. فهو دال على العصمة من جانبين:

الاول: اقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد أشار عليه السلام لهذه الملازمة بين الكتاب والعترة في عدة نصوص منها: " **بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وبِه عَلِمُوا** "[5] ، وفي قول يدل على انهم عليه السلام مستودع كتبه : " **هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ ، ولَجَأُ أَمْرِهِ ، وعَيْبَةُ عِلْمِهِ ، ومَوْئِلُ حُكْمِهِ ، وكُهُوفُ كُتُبِهِ، وجِبَالُ دِينِهِ**" [6].

الثاني : وجوب طاعتهم طاعة مطلقة " **وخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، ومَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ**" [7].

---

١ – نهج البلاغة : ص141.

٢ – نهج البلاغة : ص283.

٣ – نهج البلاغة : ص 181.

٤ – يعد حديث الثقلين من أشهر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله الذي ورد ذكره في مختلف مصادر التراث الإسلامي. للتفصيل عنه ينظر: نجم الدين العسكري: حديث الثقلين (الصفحات جميعها)، الميلاني: حديث الثقلين (الصفحات جميعها).

٥ – نهج البلاغة : ص749 .

٦ – نهج البلاغة : ص 25.

٧ – نهج البلاغة : ص185.

إن من دلائل العصمة " الصدق " الذي يعد من الكمالات الذاتية اذ وصفهم عليهم السلام " **إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا** " [١]. وفي وصف " **أَلْسِنَةُ الصِّدْقِ**" [٢] وفي قول آخر عنى به نفسه الشريفة : " **ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ**" [٣]. وايضا قال : " **وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ ... سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ**" [٤]. ومن أدلة العصمة أيضاً ملازمتهم للحق ملازمة دائمة من ذلك قوله عليه السلام : "**هم أزمة الحق** "[٥]، " **لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه**"[٦].

الاعلمية: اكد عليه السلام على أن العلم من سمات الإمام وجاء ذلك في موارد شتى في نهج البلاغة ، منها قوله: " **إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ** " [٧]، وفي قوله : " **إِنَّ أَوْلَى أَوْلَى النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ** " [٨]، الى غيرها من النصوص الناطقة بهذا المقام لهم عليهم السلام .

.

ثم بين عليه السلام مراتب الامامة من حيث كونها مرجعية دينية كما دلت النصوص الآنفة الذكر من وجوب الرجوع اليهم عليهم السلام وملازمتهم وطاعتهم . وايضاً كقيادة سياسية واجتماعية ، كقوله: " **مِنْ نَصَبَ نَفْسَه لِلنَّاسِ إِمَاماً، فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِه قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِه ...** "[٩] .وقوله عليه السلام : " **لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاه وإِلَّا وإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الإِبِلِ – وإِنْ طَالَ السُّرَى** " [١٠]. ففي الاول المنصب للامامة من الله ، واما ما اشار له ففيه دلالة على الامامة السياسية ، وكذلك في النص الثاني اشارة الى حق الامامة كسلطة سياسية والا فان حقه في الامامة الالهية لم يسلبه احد.

---

١ – نهج البلاغة : ص 283.

٢ – نهج البلاغة : ص141.

٣ – نهج البلاغة : ص406.

٤ – نهج البلاغة : ص408.

٥ – نهج البلاغة : ص141.

٦ – نهج البلاغة : ص489.

٧ – نهج البلاغة : ص329.

٨ – نهج البلاغة : ص670.

٩ – نهج البلاغة : ص656.

١٠ – نهج البلاغة : ص654.

5 –وفي نصوص اخرى بين الامام أمير المؤمنين عليه السلام وجوب معرفة الامة للامام وان لا عذر لهم في ذلك كما أشار عليه السلام : " **عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِه**" [1]، " **ولَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وعَرَفُوه ، ولَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وأَنْكَرُوه**"[2].

هذا ملخص موجز لاهم الافكار التي وردت في نهج البلاغة التي تخص مقام " الامامة " . وبهذا يكون هذا المقام دليل آخر على المنزلة الخصيصة للامام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهو وصيه والمؤدي عنه والمكمل لمشروعه الالهي العظيم.

١ – نهج البلاغة : ص 690.

٢ – نهج البلاغة : ص 279.

المبحث الثاني

مستويات العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام

وفي محاولة لفهم مركز لعلاقة أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن خلال الوقوف على الشواهد البيانية لتلك العلاقة في نهج البلاغة او في بقية المرويات التاريخية يمكن أنّ نحدد مسارات تلك العلاقة من خلال عدة جوانب وبيان آثارها الناتجة عنها ، وذلك من خلال دراستها على عدة مستويات هي:

أولا: المستوى الروحي والاخلاقي.

ثانيا: المستوى العقائدي .

ثالثا: المستوى الفكري او العلمي .

اولا : المستوى الروحي :

إنّ المتأمل في دلالات تلك المعاملة الفريدة التي حظي بها الامام أمير المؤمنين عليه السلام من لدن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ليقف على رعاية حانية عظيمة انعدم نظيرها ، إذ نراه عليه السلام يقول : " **وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه، ويُمِسُّنِي جَسَدَه، ويُشِمُّنِي عَرْفَه** "[1] ، وهذا ما نجد صداه في بعض مرويات التاريخ ، فحين ولد أمير المؤمنين عليه السلام ، طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أُمِّه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام ، أن تجعل مهده الى جنب فراشه ، وكان يلي اكثر تربيته ، ويرعاه في نومه ويقظته ، ويحمله على صدره وكتفه ، ويحبوه بألطافه وتحفه[2] . بل إنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يطهره وقت غسله

١- نهج البلاغة : ص 406 .

٢- الكراكجي : كنز الفوائد : ص 117 . العلامة الحلي : نهج الحق : ص 233.

ويوجره اللبن عند شربه ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناغيه في يقظته[١] ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يحمله دائما ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها [٢].

وقد بلغ من شديد عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإمام علي عليه السلام انه كان " **يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه** "[٣] ، وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان : " يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين ، ويجعلها في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره " [٤] ، بل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اول وجه يراه أمير المؤمنين عليه السلام حين ولادته ، اذ " انه لما ولد علي لم يفتح عينيه ثلاثة ايام ، فجاء النبي ففتح عينيه ونظر الى النبي " فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " خصني بالنظر وخصصته بالعلم " [٥] .

ويمكن ان نستقي من هذه الروايات بضعة ايحاءات مهمة ، وهي:

1 -ان هذه الطريقة الفريدة في تعامله صلى الله عليه وآله وسلم مع الامام عليه السلام لم تكن نابعة من علاقة الرحم التي تربطه به عليه السلام ، إذ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : " ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقربني ما تعلمونه من القرب للنسب واللُحمة " [٦]، فكل فعل منه صلى الله عليه وآله وسلم إنّما كان لحكمة ولا يمكن أن يكون اعتباطيا ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يكن في تلك المدة مكلف بتبليغ الرسالة السماوية ، فانه – وبلا ادنى شك – كان مسددا من الله عز وجل [٧] ، فكل ما يصدر منه فهو لحكمة بلا شك .

2 -ما ذكره الامام أمير المؤمنين عليه السلام اعلاه ، وما يضارعه في مظان الروايات التاريخية الآنفة فيما يتعلق بتعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتربيته عليه السلام ، وتفاصيل معاملته له ، يقودنا الى ترجيح انتقاله الى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرحلة طفولته ، أي منذ أن كان وليداً ، وليس كما ذكرته بعض المصادر الاخرى بان عمره حين انتقاله الى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ست سنوات ، واشارت الروايات الى أنّه نفس عمر النبي

١- ابن شهراشوب : المناقب : 2 / 92 .

٢- العلامة الحلي : نهج الحق : ص 233 .

٣- نهج البلاغة : ص406 .

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 200/13. ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 313/4

٥- ابن شهر اشوب : المناقب : 2 / 27 .

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 299/20.

٧- هذا ما اشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : " ولقد قرن الله به – صلى الله عليه وآله وسلم – من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره " . نهج البلاغة: ص 406 .

صلى الله عليه وآله وسلم حين انتقاله الى بيت عمه ابي طالب صلى الله عليه وآله وسلم[1]. فيما انفرد ابن شهرآشوب [2] بالقول : " ان النبي حين تزوج خديجة قال لعمه ابي طالب اني احب ان تدفع اليّ بعض ولدك يعينني على امري ويكفيني واشكر لك بلاك عندي فقال ابو طالب خذ ايهم شئت فاخذ عليا عليه السلام " .

التأمل في ظاهر هذا الخبر يبعد التسليم له ؛ إ ذ كيف يمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذه إليه " حين تزوج خديجة " في حين إن عليا عليه السلام ولد بعد ثلاثين سنة من عام الفيل – على المشهور – ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم قد تزوج خديجة قبل ذلك بخمس سنين على المشهور ايضا! اللهم إلا أن يحمل الخبر على خلاف المشهور في ميلاد الامام علي او زواج خديجة عليه السلام او المسامحة في قوله " حين تزوج خديجة " باكثر من سبع سنين[3].

ولكن ثمة تساؤل هنا : هل يمكن طرح احتمال أن يكون الامام عليه السلام قد عاش سنوات طفولته في كنف والديه ، وان النبي صلى الله عليه وآله وسلم – بحكم علاقته بالبيت الذي نشأ فيه ببيت عمه ابي طالب عليه السلام – كان يرتاده ويزوره حتى بعد زواجه بالسيدة خديجة واستقلاله ببيتهما ، فيكون صلى الله عليه وآله وسلم قد تولاه عليه السلام ، بتلك الرعاية الى ان بلغ عمر الاربع سنوات او الست سنوات ثم انتقل بعدها الى بيته صلى الله عليه وآله وسلم ونشأ في كنفه ؟

إن التأمل في كلمات الامام أمير المؤمنين عليه السلام الانفة الذكر ، ومن يراقب فصول سيرته الشريفة – كما تحكيها الروايات التأريخية – سيجدها تنطق بوضوح أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكفل تربية أمير المؤمنين عليه السلام منذ صغره ، وتعد هذه القضية من المسلمات ، ومحل الخلاف فقط في السن التي انتقل فيها الى بيت الرسالة ، وان مقولة الامام عليه السلام الآنفة الذكر ، فضلا عما يعضدها من روايات ذكرناها آنفاً تدلل على انه صلى الله عليه وآله وسلم تولى امره منذ طفولته ، وان ما قام به من تفاصيل تلك المعاملة تدل على قربه منه ، والتصاقه به ، بل يبدو الامر امر مداومة وليس عملا منفردا قام به صلى الله عليه وآله وسلم لمرة واحدة ، كتعهده بحمله وتغذيته ومناغاته وغسله وقرب مهده من فراشه صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن غير المقبول القول : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له فراش في بيت عمه ينام فيه بعيدا عن زوجته السيدة خديجة عليه السلام ؟! فالذي يبدو اقرب للمعقول أنّه صلى الله عليه وآله وسلم نقله الى بيته في كنفه وكنف زوجته بعد استئذانه من ابيه ابي طالب عليه السلام الذي لم يمانع كما مر في رواية ابن شهراشوب الانفة .

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة :15/1 .

٢- المناقب : 2 / 28.

٣- اليوسفي : موسوعة التاريخ الاسلامي : 1 / 351 ، هـ 2.

ولكن هل اقتصرت معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لامير المؤمنين عليه السلام على رعاية وحرص منقطع النظير على مرحلة الطفولة والصبا فقط ؟

إن الذي تدلنا عليه الروايات ان هذه العلاقة الروحية التلازمية التي كانت بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والامام أمير المؤمنين عليه السلام دامت حتى آخر لحظات حياته ، ومن شواهد ذلك ما جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ، اذ يقول مفتخرا بتلك الرعاية التي كان يحظى بها من لدنه صلى الله عليه وآله وسلم :

" الا وانا خاصته... وخالصته ، وصنوه [1]، ووصيه ووليه ، وصاحب نجواه وسره "[2]

ان هذا القرب منه والاختصاص به انما كان بامر الله تعالى ، اذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم : " يا علي ، إنّ الله عز وجل امرني أن ادنيك ولا اقصيك ، وأن اعلمك ولا اهملك ، وأن اقربك ولا اجفوك" [3]، وهذه المنزلة الخصيصة هي التي اسهرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمى اصابت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، إذ يقول عليه السلام : " أخذتني الحمى ليلة فاسهرتني ، فسهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسهري ، فبات ليلته بيني وبين مصلاه ،

١- الصنو بالكسر : الصنو من النخل: نخلتان أو أكثر لهما أصل واحد، الاخ الشقيق. الفراهيدي: العين : 158/7. ابن سلام : غريب الحديث : 15/2 . الجوهري: الصحاح : 2404/6 . ابن فارس: معجم مقاييس اللغة : 312/3 . الفيروز آبادي: القاموس المحيط : 353/4.

٢- المفيد : الامالي : ص 6 . الطوسي : الامالي : ص 626 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 39. حسن سليمان الحلي : المحتضر : ص 63 .

٣- القضاعي: دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم من كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب: ص 87. وينظر: أبو جعفر الاسكافي: المعيار والموازنة: ص 301. الكوفي: المناقب : 21/2. الطبري: جامع البيان: 69/29. ابن ابي حاتم: تفسير القرآن: 3370/10. الصدوق: الخصال: ص 576. ابن مردويه: المناقب : ص 337. الثعلبي: الكشف والبيان: 28/10. الطوسي: التبيان: 98/10. الواحدي: اسباب النزول: ص 294. ابن المغازلي : المناقب : ص 250. المحسن بن كرامة : تنبيه الغافلين : ص 174. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 363/2 – 377. الطبرسي: مجمع البيان: 107/10 – 108. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 376/42، 217/48. الخوارزمي: المناقب: ص282. ابن شهر اشوب: متشابه القرآن ومختلفه: 42/2، المناقب : 275/2. ابن البطريق: العمدة : ص 290. ابن جبر: نهج الايمان : ص 551. العلامة الحلي : كشف اليقين : ص 390 . ابن طلحة الشافعي : مطالب السؤول: ص 121. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن : 264/18. الاربلي: كشف الغمة : 118/1 – 329. ابن كثير: تفسير : 441/4. الهيثمي: مجمع الزوائد: 131/1. السيوطي: الدر المنثور: 260/6، لباب النقول: ص201. الصالحي الشامي: سبل الهدى : 289/11. المتقي الهندي: كنز العمال: 136/13. الشوكاني: فتح القدير: 282/5.

يصلي ما قدر له ثم يأتيني يسألني وينظر اليّ ، فلم يزل ذلك دأبه حتى اصبح ، فلما صلى بأصحابه الغداة قال : اللهم اشف عليا وعافه ، فانه اسهرني الليل مما به "[1]، وفي رواية تحكي صنيعه معه صلى الله عليه وآله وسلم لما مرض مرضه ، اذ يقول" مرضت مرة مرضه ، فعادني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فدخل عليّ وانا مضطجع ، فاتى الى جنبي ، ثم سجاني بثوبه ، فلما رآني قد ضعفت قام الى المسجد يصلي ، فلما قضى صلاته ، جاء فرفع الثوب عني ثم قال: " قم يا علي ، فقد برأت ". فقمت وكأني ما اشتكيت قبل ذلك . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " ما سألت ربي شيئا الا اعطاني ، وما سألت شيئا لي الا وسألت لك مثله "[2]. ثم إن هذه الآصرة فيما بينهما متبادلة في عمق ودِّها ، فنجده عليه السلام يشير الى هذا المعنى قائلا : " وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد ان يتجه الى موضع اعلمني بذلك ، فكان اذا ابطأ في ذلك الموضع صرت اليه لاعرف خبره ، لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة " [3]. وكانت له خلوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن لاحد غيره ، وهذا مما خُصَّ به دون سواه ، اذ يحدثنا قائلا : " كان لي منه مجلس سرٍّ لا يطلع عليه غيري" [4]، وفي قول آخر: " كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدخلان : بالليل وبالنهار ، وكنت اذا دخلت عليه وهو يصلي تنحنح " [5]. و" كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة من السحر آتية فيها ، فكنت اذا آتيت استأذنت ، فان وجدته يصلي سبَّح " [6]، بل إنّه عليه السلام دخل عليه يوما وهو في بعض حجراته فاستأذن عليه فأذن له ، فلما دخل قال له صلى الله عليه وآله وسلم: " يا علي، أما علمت ان بيتي بيتك ، فما لك تستأذن عليّ! فقال عليه السلام : فقلت يا رسول الله ، احببت أن افعل ذلك " قال : " يا علي ، احببت ما احب الله ، واخذت بآداب الله "[7].

١- الطبرسي : الاحتجاج : 1 /233. ابن شهراشوب : المناقب : 61/2

٢- ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 311 .

٣- الطبرسي : الاحتجاج : 1 / 292 .

٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة: 20 / 316 .

٥- ابن حنبل : المسند : 1 / 80 . ابن ماجة : السنن : 2 / 1322 . النسائي : السنن : 3 / 12 . السرخسي : المبسوط : 1 / 200 . ابو بكر الكاشاني : بدائع الصنائع : 1 / 235 . البهوتي : كشف القناع : 1 / 486.

٦- ابو يعلى : المسند : 1 / 445 . النسائي : السنن : 5 / 141 . المتقي الهندي : كنز العمال : 4 / 132

٧- ابن عقدة : فضائل أمير المؤمنين : ص 52 . ابن شاذان: مائة منقبة: ص60. الكراكجي: كنز الفوائد: ص 208.

ومن اوضح الدلائل على أنّ تلك العلاقة فيما بينهما لا مثيل لها ، انها قد اثارت غيرة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فزجرها صلى الله عليه وآله وسلم قائلا : " لا تؤذيني في علي ، فانه اخي في الدنيا واخي في الآخرة " [1].

وكيف لا تثار الغيرة والامام عليه السلام قد كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال خاصة ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " وكنت ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم دخلة ، وكل ليلة دخلة ، فيخليني فيها ادور معه حيث دار ، وقد علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكثر ذلك في بيتي ، وكنت اذا دخلت عليه في بعض منازله اخلاني واقام عني نسائه فلا يبقى عنده غيري ، واذا اتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا احد من بني " [2]، بل إنّه عليه السلام كان يلازمه ليلا ونهارا [3] . واذا ما رآه صلى الله عليه وآله وسلم تهلل وجهه فرحا ، واذا افتقده او ابطأ عنه حزن وتألم ، كما في الحادثتين أدناه : " دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في قبا – وعند نفر من اصحابه – فلما بصر بي تهلل وجهه وتبسم ، حتى نظرت الى بياض اسنانه يبرق ، ثم قال: إلي يا علي ، إلي يا علي ، فما زال يدنيني حتى ألصق فخذي بفخذه ، ثم اقبل على اصحابه ، فقال: معاشر أصحابي ، اقبلت اليكم الرحمة باقبال علي اخي اليكم معاشر اصحابي ، ان عليا مني وانا منه، روحه من روحي ، وطينته من طينتي ، وهو اخي ووصيي ، وخليفتي على امتي ، في حياتي وبعد موتي ، من اطاعه اطاعني ، ومن وافقه وافقني ، ومن خالفه خالفني" [4].

والغريب انك تصادف في سيرته الشريفة ، أنه كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتولى تغذيته بيديه الشريفتين وهو صغير، نجده يفعل مثيل هذا في شبابه أيضا ، اذ تقول الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : " اهدي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قنو [5]موز– فجعل يقشر الموزة ويجعلها في فمي . فقال له قائل : إنك تحب عليا؟ قال: أو ما علمت أن عليا مني وأنا منه "[6]. فلو فسر بعضهم ذاك الفعل معه في صغره على أنه مجرد عناية

١– الطوسي: الامالي: ص290. عماد الدين الطبري : بشارة المصطفى : ص236. الطبرسي : اعلام الورى: 1 /368 . ابن طاووس: التحصين: ص541.

٢– الكليني : الكافي : 1 / 64 . ابن عقدة : فضائل أمير المؤمنين : ص 163 . النعماني : الغيبة : ص 82

٣– ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42/ 386 .

٤– الصدوق : الامالي : ص 88 . البحراني: غاية المرام : ص 244. المجلسي: البحار : 40 / 4.

٥– قنو: العذق ، ومنه عذق النخل، الطريحي : مجمع البحرين: 1 / 350 .

٦– الخوارزمي: المناقب: ص 64. الاربلي: كشف الغمة : 95/1 . ابن جبر: نهج الايمان : ص 480 – 481 . القندوزي : ينابيع المودة : 1 / 170 .

بطفل صغير تكفلها ذو رحم ينشد رد الفضل بها لابويه على ما فعلاه معه حال يتمه وحاجته اليهما، فماذا سيقول بهذا الصنيع منه صلى الله عليه وآله وسلم في حال شبابه عليه السلام؟!

وفي الواقع أن هذه الشواهد تقودنا الى نتيجة اساسية مفادها: أنه لايمكن تحجيم ذاك الافق الواسع لعلاقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بربيبه المرتضى عليه السلام وايقافها عند حدود علاقة القرب والرحم ورد الجميل! لأنّ ما فعله معه في صغره ما زال دائبا على مثيله او ما يقاربه من فعال في عمر الصبا والشباب وحتى آخر لحظات حياته معه صلى الله عليه وآله وسلم . وقد نسب اليه عليه السلام قوله:

ومن ضمني مذ كنت طفلا ويافعا وانعشني بالبر والعلّ والنهلّ[1]

وبعد هذا حق له أن يفتخر واصفا طبيعة علاقته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عليه السلام : " **وأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّه كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ ، والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ** " [2]، وفي قول آخر : " انا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب وكالذراع من العضد ، وكالكف من الذراع ، رباني صغيرا ، وآخاني كبيرا"[3].

وقد شبه الامام عليه السلام نفسه بالضوء الثاني ، وشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالضوء الاول ، وشبه منبع الاضواء والانوار بالشمس التي توجب الضوء الاول، ثم الضوء الاول يوجب الضوء الثاني " [4]، وشبه نفسه عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالذراع الذي اصله العضد ، كناية عن شدة الامتزاج والقرب بينهما [5].

لقد اجاد ابن ابي الحديد بقوله : إنّ الامام عليه السلام بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " شعاع من شمسه وغصن من غرسه ، وقوة من قوى نفسه ، ومنسوب اليه نسبة الغد الى يومه ، واليوم الى امسه ، فما هما الا سابق ولاحق ، وقائد وسائق ، وساكت وناطق ، ومجل ومصل ، سبقا لمحة البارق ، وانارا سدفه الغاسق..." [6] ، ومن مظاهر اختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقربه منه ، تلك المصاهرة الطيبة ، إذ زوجه

١- ابن جبر : نهج الايمان : ص 432 . المجلسي : البحار : 34 /435 .

٢- نهج البلاغة: ص 576 .

٣- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 2 / 315 .

٤- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 16 / 289- 290.

٥- صبحي الصالح : نهج البلاغة (الشرح) : ص 576 .

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 3 .

من السيدة فاطمة عليها السلام التي هي بضعة منه وروحه التي بين جنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، تلك المصاهرة التي افضت الى النسل الطاهر. وطالما افتخر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك إذ قال:

محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي[1]

فكان عليه السلام كفؤ ابنته التي لولاه لم يكن لها كفؤ على وجه الارض آدم فما دونه [2] .

ثم إنّ هذه العلاقة الروحية الوثيقة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامير المؤمنين عليه السلام نجدها تتمثل ايضا في الايام الاخيرة من عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان عليه السلام الى جواره ، فلم يرسله ضمن سرية اسامة بن زيد الى الشام ، ثم هو الذي تولى غسله صلى الله عليه وآله وسلم وكفنه ودفنه[3].

يقول عليه السلام : " **ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَه لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه [وآله] وسلم لِقَاءَه ، ورَضِيَ لَه مَا عِنْدَه وأَكْرَمَه عَنْ دَارِ الدُّنْيَا ، ورَغِبَ بِه عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى ، فَقَبَضَه إِلَيْه كَرِيماً**".[4]

وقد كان عليه السلام الاقرب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في لحظاته الاخيرة ، بل إنّه صلى الله عليه وآله وسلم فاضت روحه الزكية في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ يعبر عن ذلك قائلا : " **ولَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وإِنَّ رَأْسَه لَعَلَى صَدْرِي، ولَقَدْ سَالَتْ نَفْسُه فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي**" [5].وفي موضع ثان قال: " **وفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وصَدْرِي نَفْسُكَ**"[6]، وجعلها عليه السلام خصوصية احتج بها إذ قال: " أفيكم أحد ولي غمض رسول الله

١- البلاذري: انساب الاشراف: 5 /111. ابن عقدة : الولاية : ص 171. المفيد : اقسام المولى : ص 38، الفصول المختارة : ص280. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 54/23. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 122/4. الزرندي: نظم درر السمطين: ص97. ابن كثير: البداية والنهاية: 8 /9. المتقي الهندي: كنز العمال: 112/13.

٢- الكليني: الكافي: 461/1. الصدوق: الامالي : ص 688، الخصال: ص414. المفيد: المسائل العكبرية: ص 120. الطبري الصغير: دلائل الامامة: ص80. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص148.

٣- النصر الله: شرح نهج البلاغة: ص 133.

٤- نهج البلاغة : ص21 .

٥- نهج البلاغة : ص422.

٦- نهج البلاغة : ص434 .

الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الملائكة غيري؟ أفيكم أحد ولي غسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الملائكة يقلبونه لي كيف اشاء غيري؟ " [1]،

وقال: " أفيكم احد كان آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وضعه في حفرته غيري " [2]، وفي رواية عنه عليه السلام : " قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في مرضه ، ادعوا لي اخي ، قال: فدعي له ، فقال : ادن مني ، فدنوت منه ، فاستند إلي ، فلم يزل مستندا الي وانه ليكلمني حتى أن بعض ريق النبي صلى الله عليه [وآله] ، ليصيبني ثم نزل برسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وثقل حجري...".[3]

لكننا نجد أن هذه الخصوصية والفضيلة نسبت إلى غير أمير المؤمنين وهي زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عائشة التي انفردت بروايتها تفاصيل تماثل ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام اعلاه ومن ذلك انها قالت : – " بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على صدري ، وقد وضع رأسه على عاتقي ، اذ مال رأسه ، فظننت أنّه يريد شيئا من رأسي وخرجت من فيه نطفة باردة فوقعت على ثغرة نحري ، فاقشعر لها جلدي ، فظننت أنه قد غشي عليه فسجيته بثوب " [4]. وفي نص آخر عنها : " مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ، وفي دولتي ، لم اظلم فيه احدا ، فمن سفهي ، وحداثه سني ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ثم وضعت ر أسه على وسادة ، وقمت التدم مع النساء واضرب وجهي "[5].

وقد جاءت بعدة الفاظ :

" فمرضته فقبض ولم يشهده غيري والملائكة " [6]

" وقد قبض ورأسه في حجري " [1]

١– ابن عقدة: الولاية: ص178. القاضي المغربي: شرح الاخبار: 189/2. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 433/42.

٢– ابن عقدة: الولاية: ص 178 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 433 .

٣– ابن سعد: الطبقات : 2 / 263 . المتقي الهندي : كنز العمال : 7 / 253.

٤– ابن سعد: الطبقات : 2 / 261 . ابن راهويه : المسند : 3 / 991 . ابن حنبل : المسند : 6 / 219 . ابن كثير : السيرة النبوية : 4 / 479 .

٥– ابن هشام : السيرة النبوية : 4 / 1069 . ابن حنبل : المسند : 6 / 274

٦– ابن سعد : الطبقات : 8 / 65 . الطبراني : المعجم الكبير : 23 / 30 . ابن حجر : الاصابة : 8 / 324 . السيوطي : المحاضرات والمحاورات : ص 185

" فأني لمسندته الى صدري " [٢]

وقد حاول بعضهم التوفيق بين مارواه أمير المؤمنين عليه السلام وبين ما روته عائشة ، كما فعل ابن ابي الحديد[٣] ، إذ قال: " الله اعلم بحقيقة هذا الحال، ولا يبعد عني أن يصدق الخبران معا، بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الوفاة مستندا الى علي وعائشة جميعا ، فقد وقع الاتفاق على أنه مات وهو حاضر لموته ، وهو الذي كان يقلبه بعد موته ، وهو الذي كان يعلله ليالي مرضه ، فيجوز ان يكون مستندا الى زوجه وابن عمه ، ومثل هذا لا يبعد وقوعه في زماننا هذا ، فكيف في ذلك الزمان الذي كان النساء فيه والرجال فيه مختلطين ، لايستتر البعض عن البعض ، فأن قلت : فكيف تعمل بآية الحجاب ، وماصح من استتار ازواج الرسول صلى الله عليه واله عن الناس بعد نزولها ؟ قلت قد وقع اتفاق المحدثين كلهم على ان العباس كان ملازما للرسول صلى الله عليه واله ايام مرضه في بيت عائشة ، وهذا لاينكره احد ، فعلى القاعدة التي كان العباس ملازمه صلى الله عليه واله كان علي عليه السلام ملازمه ، وذلك يكون بأحد امرين: إمّا بأن نسائه لايستترن من العباس وعلي لكونهما اهل الرجل وجزء منه . او لعل النساء كن يختمرن بأخمرتهن ، ويخالطن الرجال فلا يرون وج وه هن ، وما كانت عائشة وحدها في البيت عند موته ، بل كان نساؤهكلهن في البيت ، وكانت ابنته فاطمة عند رأسه صلى الله عليه وآله وسلم " .

لكن هذا التوافق لا يكون مقبول بسهولة ، فالحديثان – كماهو واضح – متعارضان ، و لا سيما قوله عليه السلام : " أفيكم أحد ولي غمض رسول الله صلى الله عليه واله مع الملائكه غيري " ، بينما تقول عائشة في قباله ذلك : " قبض ولم يشهده غيري والملائكة " .

ولكن ثمة ملاحظات تساعدنا في ترجيح الاقرب للواقع والقبول تاريخيا:

إن الذي يلاحظ على الروايتين اعلاه :-

١- ابن راهويه : المسند : 2 / 22 . الذهبي : سير اعلام النبلاء : 2 / 141 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 9 / 241.

٢- ابن كثير : البداية والنهاية : 5 / 261 .

٣- شرح نهج البلاغة: 10 / 268.

1 – تعدد رواة القائلين بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات بين سحر الامام وصدره واقتصار القائلين على عائشة وعلى ابن اختها عروة بن الزبير [1] الذي اخذ عنها والمعروف بعدائه اللدود للإمام علي عليه السلام

2– إن الذي يستقرىء الروايات التي تتحدث عن الايام الأخيرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليشهد الدور الكبير للإمام والسيدة فاطمة عليهما السلام دون سواهما في هذا المجال [2].

3– إن الملاحظ أن رواية عائشه لم تأت لتوضح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات بين سحرها ونحرها ، وانما لتنفي الوصية عن الإمام عليه السلام . وكأنها وضعت لهذا الغرض .

4– فهل قام عروة بن الزبير [3] بوصفه ممن اختيروا الى اللجنه التي وضعها معاوية لاختلاق فضائل مقابل فضائل الإمام علي عليه السلام !!؟ [4]

5– إنّ المتأمل في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وعلاقته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من جانب ، وسيرة عائشة وعلاقتها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من جانب اخر ، يدرك أن الامام أمير المؤمنين عليه السلام هو الاقرب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . كما اتضح جليا من خلال البحث انفا ، وان هذا الاختصاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لايدانيه فيه احد حتى أنه أثار غيرة عائشة ، وكان احد الاسباب التي تقف وراء موقفها السلبي من أمير المؤمنين عليه السلام ، حتى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عد

١– هو ابو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الاسدي، امه اسماء بنت ابي بكر، لازم خالته عائشة وتفقه عنها، عزم على مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الجمل، لكنه رد لصغر سنه، وكان معلوم العداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى روي ان الرعدة كانت تاخذه اذا ذكر الامام علي عليه السلام وكان يعيب عليه ويسبه، وعد من المنحرفين عنه، ومتهم بايراده فضائل لخالته في امر لم تدعه هي لنفسها ، وسكن البصرة ، ثم انتقل الى مصر وعاد الى المدينة وتوفي سنة 93 هـ ينظر: ابن سعد: الطبقات : 178/5 – 182. ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 102. الذهبي : سير اعلام النبلاء : 4 / 421 – 437. محمد الفارس : عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية (الصفحات جميعها).

٢– لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام : ص681– 725 .

٣– عن موقف عروة العدائي من أمير المؤمنين عليه السلام ، ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 63/4 – 64، 69. عبد الجبار ناجي : نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا : ص 117 – 198 .

٤– لمزيد من التفاصيل عن هذه اللجنة ينظر: النصر الله: هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية : ص89 – 117.

موقفها إيذاءا للنبي نفسه إذ قال لها : " لاتؤذيني في علي " [1] ، وقد برز موقفها السلبي بشكل جلي بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغ ذروته في خروجها محاربة له عليه السلام في حرب الجمل (36 هـ) .

ومن شواهد هذا الموقف السلبي من أمير المؤمنين عليه السلام نذكر هذهالحادثه : يروى أن رجلا وقع في أمير المؤمنين عليه السلام وعمار ابن ياسر رضي الله عنه عند عائشة . فقالت: " أما علي فلست قائلة لك فيه شيئا ، وأما عمار فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يخير بين أمرين إلا اختار أشدهما " [2] . وهنا موضع التأمل فهلا التزمت أم المؤمنين بما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق عمار ، إذ إن عمار اختار موالاة أمير المؤمنين عليه السلام ووقف الى جانبه في الجمل وصفين حتى استشهد بين يديه (رحمه الله).[3]

ويلاحظ أنها كانت لا تطيب نفسا ان تذكره عليه السلام بخير، كما قال ابن عباس " ولكنها لا تقدر ان تذكره بخير " [4] . ومن المؤسف أن بلغ بها الحال ان سجدت شكرا لله لما علمت باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام [5] . ومن مصاديق موقفها السلبي منه عليه السلام انها كانت تروي احاديث تدعي لها ولابيها ما لا اصل له من الفضائل التي اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام واهل بيته عليه السلام بل انها وضعت احاديث تؤيد جانب المناوئين له عليه السلام وتدعمه[6] ، وخير شاهد على ذلك " الحديث " الذي نحن بصدد بحثه هنا اذ انها:

١- الطوسي : الامالي : ص 290 . الطبرسي : اعلام الورى : 1 / 368.

٢- ابن حنبل : المسند : 6 / 113

٣- ابن سعد : الطبقات : 3 / 246 – 264 . ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الامم والملوك : 5 / 119. ابن الاثير : اسد الغابة : 4 / 43- 47.

٤- البلاذري: انساب الأشراف: 545/1. الطبري الصغير: المسترشد: ص 126 . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13/ 28. ابن حجر: فتح الباري: 2 / 131 .

٥- وروى " لما أتى عائشة نعي علي أمير المؤمنين – عليه السلام– تمثلت :

فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم قالت: من قتله ؟ فقيل رجل من مراد، فقالت:

فان يكنائيا فلقد نعاه غلام ليس في فيه التراب .

فقالت لها زينب بنت ام سلمة : ألعلي تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكروني". أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ص 26 – 27.

٦- من ذلك حديث نسبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه تبرير المطالبة بدم عثمان وانه يقتل مظلوما ، فانتفع به معاوية اذ روت قائلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " يا عثمان ان الله عز وجل عسى ان يلبسك قميصا فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ، يا عثمان ان الله عسى ان يلبسك قميصا فان ارادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثا، فاستغرب

1 -ادعت فيه حظوتها بالقرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر لحظات حياته الشريفة ، حتى جاءت ألفاظ أحاديثها على اختلافها مماثله لما رواه أمير المؤمنين عليه السلام .

2 -إنها لما ذكروا عندها " أن عليا كان وصيا ، قالت: متى أوصي اليه ؟ فقد كنت مسندته الى صدري ، او قالت في حجري ، فدعا بالطست ، فلقد انخنث [1] في حجري وما شعرت أنّه مات ، فمتى أوصي اليه ؟ "[2].

وقد شك أبو غطفان [3] في ماادعته ، فراح يسأل ابن عباس قائلا : " أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حجر أحد ؟ قال : توفي وهو مستند الى صدر علي ، قلت : فان عروة حدثني عن عائشة انها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري ، فقال ابن عباس : أتعقل؟ والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لمستند الى صدر علي وهو الذي غسله ..." [4]. وكلمة: " أتعقل " لها دلالتها في اشارة الوعي والتنبيه على تلقي الجواب [5] . ويؤكد صحة مارواه ابن عباس أن أم المؤمنين أم سلمه قد روت : " والذي احلف به ان كان علي لأقرب الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله ، عدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و آله غداة وهو يقول : جاء علي مرارا ، فقالت فاطمة رضى الله عنها : كأنك بعثته في حاجة ، قالت : فجاء بعد ، قالت ام سلمة : فظننت أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت ، فقعدنا عند الباب وكنت من ادناهم الى الباب ، فأكب عليه رسول الله

النعمان بن بشير – ناقل الحديث عنها – قائلا: يا أم المؤمنين فاين كان هذا عنك؟ قالت نسيته والله فما ذكرته. قال النعمان فاخبرته معاوية بن ابي سفيان فلم يرض بالذي اخبرته حتى كتب الى ام المؤمنين ان اكتبي الي به، فكتبت اليه به كتابا. ابن حنبل: المسند : 6 / 86 – 87 . ابن ماجة: السنن : 1 / 41 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 39 / 279. ابن كثير: البداية والنهاية: 7 / 232.

١- انخنث: انثنى واسترخى، سعدي: أبو حبيب: القاموس الفقهي 123.

٢- ابن حنبل : المسند : 6 / 32 . البخاري : الصحيح : 3 / 186 . مسلم : الصحيح : 5 / 75 . ابن ماجة : السنن : 1 / 519 .

٣- هو أبو غطفان بن طريف المري ، من بني عصيم دهمان بن عوف بن سعد ، كان قد لازم الخليفة عثمان وكتب له، ثم كتب لمروان بن الحكم، روى عن أبي هريرة وابن عباس ، عرف بقلة الحديث، ووصف بأنه ثقة. ابن سعد: الطبقات 176/5، ابن معين: التاريخ1/ 142، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل 422/9، ابن ماكولا: إكمال الكمال: 314/7.

٤- ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٥- محمد مهدي الخرسان : المحسن السبط مولود ام سقط؟ : ص 259.

صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه و آله من يومه ذلك ، فكان علي اقرب الناس عهدا " [1].

وغير خاف على القارئ اللبيب أن كلا من أم سلمه وابن عباس اوردا الرواية مشفوعة بالقسم ، ردا على ادعاء عائشة الذي روجته في المجتمع آنذاك . ويزيد الامر تأكيدا ماجاء عن عمر بن الخطاب أنه لما سأله كعب الاحبار: ماكان آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال عمر: سل عليا [2]. فلو كان غير أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي تعاهده في لحظاته الاخيرة لما قال عمر لكعب (سل عليا). ولا سيما وأن الرجل كان من المناوئين لأمير المؤمنين عليه السلام .

3 رجّح العسكري [3] أن يكون هذا الحديث صادراً عن عائشة في حرب الجمل ، بقوله : " واغلب الظن.... انها قالت ذلك في حرب البصرة ، اي بعد زمان الخليفتين عمر وعثمان ، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الامام ويأمر بنقل ماينا قضها [4] " . والرواية التي توجه فيها كعب الاحبار الى سؤال الامام عليه السلام تثبت ذلك .

4 –الملاحظ ان رواة هذا الحديث عن عائشة هم : ابن اخيها القاسم بن محمد بن ابي بكر [5] ، وبنو اختها عروة ابن الزبير واخ وه عبد الله بن الزبير وابنه عباد [6] ومؤذنه وقاضيه ابن ابي

١– الحاكم: المستدرك: 138/3 – 139. وينظر: ابن ابي شيبة: المصنف: 494/7. ابن حنبل: المسند: 300/6. الكوفي: المناقب : 87/2. ابو نعيم الاصبهاني: ذكر اخبار اصبهان: 250/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 394/42 – 395. المحب الطبري: الرياض النضرة : 141/3 – 142. الهيثمي: مجمع الزوائد: 112/9. المتقي الهندي: كنز العمال: 146/13.

٢– ابن سعد : الطبقات : 2 / 262 – 263 . السيوطي : كفاية الطالب اللبيب : ص 274.

٣– معالم المدرستين: 1 / 236.

٤– لمزيد من التفاصيل ينظر : النصر الله : هيئة كتابة التاريخ : ص89 . 117.

٥– هو ابو محمد ويقال ابو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن ابي بكر القرشي التيمي نشأ في حجر عائشة ، فاكثر عنها، احد الفقهاء السبعة في المدينة ، ولد سنة 37 هـ ، ومن سادات التابعين ، روى عن ابيه وعن عمته عائشة وغيرهم توفي سنة 102 أو بعدها. ينظر: ابن خياط: طبقات: ص424. ابن حبان: مشاهير علماء الامصار ص105. الذهبي: تذكرة الحفاظ: 96/1 –97. اليافعي: مرآة الجنان: 180/1.

٦– عباد بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، تابعي ، له منزلة عند أبيه ، ولاه قضاء مكة أيام إدعاءه الخلافة ، وكان يستخلفه اذا حج ، روى عن ابيه وجدته اسماء وخالة ابيه عائشة وغيرهم ، قال الذهبي: لم اظفر له بوفاة. ينظر: سير اعلام : 4 / 217 . ابن حجر: تهذيب التهذيب : 5 / 85

مليكة [1]. فالرواية لا تكاد تتجاوز دائرة عائشة واقربائها ومن لف لفيفهم من متعهدي الرواية عنها. ولم يشهد بذلك فيها عداهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما فعلت ام سلمة [2] رضي الله عنها وعمر بن الخطاب[3] وجابر بن عبدالله الانصاري [4] وابن عباس[5] ومن التابعين الامام السجاد [6] [6] عليه السلام وابو غطفان [7] والشعبي [8]وغيرهم.

5 وجدير بالأشارة أن هناك حديثاً ترويه عائشة نفسها يناقض أحاديثها السابقة ، ويؤيد رواية الامام أمير المؤمنين عليه السلام اذ روي أنها سئلت : " كيف كان عليا عنده ؟ فقالت: تسألوني عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعا لم يضعها احد ، وسالت نفسه في يده ومسح بها وجهه ومات..." [9] .

وقد أرجع السيد العسكري[10] هذا التناقض في احاديثها الى تباين موقفها من الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

١- ابو بكر عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة القرشي، التيمي ، مؤذن الحرم وقاضي مكة أيام ابن الزبير، الذي ولاه الطائف، ولد في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وتوفي في عام 117 هـ . وكيع: اخبار القضاة: 261/1 – 262. ابن حبان: مشاهير علماء الامصار: ص135. الذهبي: تذكرة الحفاظ: 101/1 – 102.

٢ – الحاكم: المستدرك: 138/3 – 139.

٣ – ابن سعد : الطبقات : 2 / 262 – 263 .

٤- ابن سعد : الطبقات : 2 / 262 .

٥ – ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٦ – ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٧- ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٨ – ابن سعد : الطبقات : 2 / 263 .

٩- ابن ابي شيبة: المصنف 501/7. الكوفي: المناقب : 91/2. ابو يعلى: المسند 279/8. ابن عساكر: تاريخ دمشق 394/42. ابن كثير: البداية والنهاية: 397/7.

١٠ – معالم المدرستين : 238/1 – 243 ؛ اذ يقول ما ملخصه : ما ان توفي النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وبويع ابو بكر بالخلافة ، امتنع أمير المؤمنين عليه السلام من البيعة ، وبقي بعيدا عن الساحة حتى اخريات خلافة عثمان، اذ قادت عائشة المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما ضد عثمان ، املا منها بان يلي الامر من بعده ابن عمها طلحة بن عبيد الله التيمي، ولما قتل عثمان وبويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ، اقامت ضده حرب الجمل ، وانكسرت فيها وارجعها أمير المؤمنين عليه السلام الى المدينة وبقيت حانقة عليه حتى استشهاده ، حتى أنها لم تستطع أن تخفي سرورها لمقتله ، ثم ولي الحكم معاوية ، وجمع بينهما الموقف الواحد من الامام عليه السلام ، ثم فترت العلاقة بينهما على اثر قيام معاوية بقتل الصحابي

اما <u>المستوى الاخلاقي</u>

فالمعلوم بان التربية من ابرز العوامل المؤثرة في عملية الاعداد الخلقي والسلوكي للفرد [1] . وكان مما خص به الامام أمير المؤمنين عليه السلام انه تربى في كنف اديب السماء والذي شهد له القرآن ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقد اشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى اثر السماء في اعداد النبي بقوله " **ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه صلى الله عليه وآله وسلم – مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه – يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ – ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه – ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه – يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً – ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه** " [2]

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم اديب الله ، والامام أمير المؤمنين عليه السلام اديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم[3]

وقد كان الاثر النبوي شديد الوضوح في اعداد شخصية الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، اذ صاغ منه خُلقا يماثل خلقه العظيم صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليه السلام مثيله في الاخلاق والسلوكيات [1] .

حجر بن عدي رضي الله عنه ، ولما اراد البيعة لابنه يزيد من بعده كان شقيقها عبد الرحمن بن ابي بكر من اشد المعارضين لهذه البيعة، وجرت بينه وبين مروان مساجلات لما بدا الاخير بحملة الدعاية لبيعة يزيد في الحجاز، ولكنه لاقى موقفا متشددا من قبل عبد الرحمن، ولما قدم معاوية حاجا ارسل بمبلغ من المال الى عبد الرحمن بغية استمالته، ولكنه رفضه قائلا: " ابيع ديني بدنياي" ! ثم خرج الى مكة وتوفي فجأة ، قبل اتمام البيعة ليزيد ، فدخل في نفس عائشة ان يكون صنع به شر وعجل عليه فدفن وهو حي. فتغير موقفها من بني امية ، واقامت حربا دعائية ضدهم بدأتها بنشر احاديث النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في شأن مروان وابيه الحكم ، وقابلت سياسة معاوية بالضد ، لما عكف الاخير على اتباعه سياسة ترمي الى طمس فضائل بني هاشم عامة وبيت أمير المؤمنين خاصة ، لمقام الامامين الحسنين عليهما السلام المؤثر في المسلمين ؛ مما يشكل عائقا في طريق توريث الخلافة ليزيد من بعده ، وبلغ به الامر ان امر بلعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين ، عندئذ قابلت عائشة هذه السياسة مقابلة قوية واخذت تنشد فضائل الامام واهل بيته عليه السلام ومن جملة تلك الفضائل الحديث مدار البحث الذي يشهد باختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره .

١- لمزيد من التفاصيل ينظر : الطحان: التربية : (الصفحات جميعها) . فلسفي : الطفل بين الوراثة والتربية : 1 / 254- 255.

٢-نهج البلاغة : ص 406 .

٣- روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : " انا اديب الله ، وعلي اديبي " ، الطبرسي : مكارم الاخلاق : ص 17 . الريشهري : ميزان الحكمة :58/1 .

اذ كان للاساليب التربوية العميقة والحكيمة التي اتخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أمير المؤمنين عليه السلام قد احيت جميع مواهبه الكامنة واوصلته في مدة قصيرة الى اعلى مدارج الكمال [٢]

وبذا احتل أمير المؤمنين عليه السلام الذرى في كل ميادين الحياة ، وهو الذي عبر عن علو مرتبته وسمو مكانه بكلمة وجيزة قصرت الفاظها واتسعت معانيها لتجلي عظمته بكل ما فيها من تشعب وشمول واحاطة ، فقال عليه السلام : " **يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ** " [٣]

والمراد به انه عالي المكان بعيد المرتقى ، لان السيل لا ينحدر الا عن الاماكن العالية والمواضع المرتفعة . ثم اكد عليه السلام هذا المعنى بقوله : " **وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ** " ولأنه ليس كل مكان عال من استقرار السيل عليه و اقتضى تحدره منه ، يكون مما لا يرقى اليه الطير ، فان هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع[٤].

وهذا من مختصاته ولم يحسن هذا القول من غيره عليه السلام . ومن ابرز جوانب التفرد في شخصيته عليه السلام مكارم اخلاقه التي ضرب بها مثلا فكان اسوة كما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوة وقدوة في مكارم اخلاقه ، فعمت اخلاقه الحميدة حتى شملت اعداءه ، ومخالفيه [٥].

كان عليه السلام في الخصائص الخلقية ، والفضائل النفسانية – ابن جلاها وطلاع ثناياها [٦]– فكان عليه السلام من لطافة الاخلاق ، وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة [١]

١– للكنجي الشافعي تعليق ذا دلالة واضحة في هذا المضمار اذ قال في معرض حديثه عن مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للامام عليه السلام : تأمل صنيعه في المؤاخاة بين الصحابة ، جعل يضم الشكل الى الشكل ، والمثل الى المثل ، فيؤالف بينهم ، ... وادخر عليا عليه السلام لنفسه ، واختصه بأخوته . ينظر : كفاية الطالب : ص 194.

٢– محمد تقي فلسفي : الطفل بين الوراثة والتربية : 1 / 217 – 218 .

٣– نهج البلاغة : ص 26 ، ينظر درويش : علي كما وصف نفسه : ص 99 .

٤– الشريف المرتضى : رسائل الشريف المرتضى : 2 / 107 .

٥– درويش : علي كما وصف نفسه : ص 100 .

٦– مأخوذ من بيت شعر قاله – سحيم بن وثيل الرياحي – وهو :

انا ابن جلا وطّلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

وقد اشار عليه السلام الى بعض تلك المكارم في مناسبات شتى ، منها قوله عليه السلام : " **لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ – وصِلَةِ رَحِمٍ وعَائِدَةِ كَرَمٍ** " [٢]

وفي حديثه عن صدق لهجته وصواب منطقه يقول : " **واللَّه مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[٣] ، ولَا كَذَبْتُ كِذْبَةً** " [٤]

وقد اشار عليه السلام الى جوانب متعددة من خلقه الكريم في تعامله مع من حوله : " **ولَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ – وأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ – وأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ وحَلَقِ الضَّيْمِ – شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ – وإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَه الْبَصَرُ – وشَهِدَه الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ** " [٥]

فامير المؤمنين عليه السلام يشير هنا الى مظاهر منهجه الاخلاقي وسيرته مع الناس بأنه شكر قليل ما يصدر منهم بالبر والاحسان ، ويتغاضى عن كثير من الهفوات والاخطاء .

وهو الذي يطلق كلامه بكل ثقة واطمئنان فلا يجرأ احد على ان يطعن فيما يقوله لانه قد وافق قوله فعله وهو القائل عليه السلام : " اني لارفع نفسي ان انهى الناس عما لست انتهي عنه ، او آمرهم بما لا اسبقهم اليه بعملي ، او ارضى منهم بما لا يرضي ربي "[٦]

وقد فرضت اخلاقه عليه السلام لونا من الجود والكرم قل نظيره اذ اختلف عما تعارف عليه الناس ، فنجده يقول : " ما توسل احد اليّ بوسيلة ، اجل عندي من يد سبقت مني اليه ، لأربيها عنده ، باتباعها اختها ، فان منع الاواخر يقطع شكر الاوائل " [١]

وابن جلا : جلا أي النهار . والمقصود : الامر الواضح ، وطلاع الثنايا : كناية عن السمو الى معالي الامور . والثنايا جمع ثنية وهي الطريق في الجبل . ينظر : الميداني : مجمع الامثال : 33/1 . ابن منظور : لسان العرب :152/14 . الفيروزآبادي : القاموس المحيط : 59/3 .

١- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11/ 248. وينظر : النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 203.

٢- نهج البلاغة :ص257 .

٣- وشمة : كلمة .الجوهري :الصحاح :2052/5 .

٤- نهج البلاغة : ص41

٥- نهج البلاغة : ص294 .

٦- الواسطي : عيون الحكم والمواعظ : ص170 .

وفي مثال آخر يوضح لنا بعدا آخر من ابعاد ذلك الخلق الفريد : " ما بات لرجل عندي موعد قط ، فبات يتململ على فراشه ليغدوا بالظفر بحاجته ، اشد من تململي على فراشي حرصا على الخروج اليه من دين عدته ، وخوفا من عائق يوجب الخلف ، فان خلف الوعد ليس من اخلاق الكرام " [٢].

وما الذي يمكن عده من تلك الفضائل الخلقية في هذه العجالة فقد استفاضت المؤلفات التي تحدثت عن سجاياه ومكارم اخلاقه حتى بلغت من العظم والجلالة ، والانتشار مبلغا يسمج [٣] منه التعرض لذكرها والتصدي لتفصيلها ، فصارت كما قال ابو العيناء [٤] لعبيد الله بن يحيى بن خاقان [٥] : " رأيتني فيما اتعاطى من وصف فضلك ، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، فايقنت اني حيث انتهى بي القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ، ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك " [٦]

ثانيا المستوى العقائدي :

ان ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة وتربيته في بيت الرسالة تعني انه ولد مسلما على التحقيق اذا نظرنا الى ميلاد العقيدة والروح، لانه عليه السلام فتح عينيه على الاسلام ، ولم يعرف عبادة الاصنام [٧] . ثم إن قوله عليه السلام : " **إِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ** " [٨] مدعاة للتساؤل فان كان كل مولود يولد على الفطرة ، يقول

١- الواسطي : عيون الحكم والمواعظ : ص 483 .

٢- الواسطي : عيون الحكم والمواعظ : ص477 .

٣- سمج : قبح . الجوهري : الصحاح :322/1 .

٤- هو محمد بن القاسم الهاشمي بالولاء ، اديب مشهور بالكتابة والترسل توفي سنة 283هـ . ينظر ترجمته : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : 389/3- 396 . الذهبي : سير اعلام : 308/13 – 309 .

٥- هو وزير المتوكل والمعتمد . ينظر ترجمته : ابن عساكر : تاريخ دمشق : 38 / 143-148 .

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 16 . وينظر النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 202 .

٧- العقاد: عبقرية الامام : ص 43 .

٨- نهج البلاغة : ص94 .

صلى الله عليه وآله وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، وانما ابواه يهودانه وينصرانه " [1]، فماذا يقصد الامام بذلك ؟ هناك عدة آراء في تفسير معنى الفطرة :

اولا: ان الامام عليه السلام لم يولد في الجاهلية ، إذ كانت ولادته قبل البعثة بعشر سنوات ، وهذه السنوات العشر تعد مقدمة للاسلام وارهاصات النبوة ، إذ جاء في الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وآله وسلم مكث قبل الرسالة سنين عشرا يسمع الصوت ويرى الضوء ، ولا يخاطبه احد وكان ذلك ارهاصات لرسالته صلى الله عليه وآله وسلم ، فحكم تلك السنين العشر حكم ايام رسالته صلى الله عليه وآله وسلم فالمولود فيها اذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته ، مولود في ايام كايام النبوة ، وليس بمولود في جاهلية محضة [2]. وهذا هو وجه المقارنة بمعنى ولادته عليه السلام على الفطرة ، وولادة غيره من الصحابة ، ثم ان هذه السنة لها اثر في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك :

ان السنة التي ولد فيها الامام علي عليه السلام هي السنة التي بدء فيها برسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمع الهتاف من الاحجار والاشجار، وكشف عن بصره ، فشاهد انوارا ، واشخاصا ، ولم يخاطب فيها بشيء.

في هذه السنة ابتدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتبتل ، والانقطاع والعزلة في جبل حراء ، فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة ، ونزل عليه الوحي .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتيمن بتلك السنة ، وبولادة الامام علي عليه السلام فيها ، ويسميها سنة الخير والبركة ، وقال لاهله ليلة ولادته وقد شاهد فيها ما شاهد من الكرامات والقدرة الالهية ، ولم يكن من قبل شاهد ذلك : " لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به ابوابا كثيرة من النعمة والرحمة " . وفعلا كان كما قال صلى الله عليه وآله وسلم، فانه صلى الله عليه وآله وسلم كان ناصره والمحامي عنه ، وكاشف الغماء عن وجهه ، وبسيفه ثبت دين الاسلام ، ورست دعائمه وتمهدت قواعده [3] .

١- ابن حنبل : المسند : 2 / 233 . البخاري : الصحيح : 2 / 97 . البيهقي : السنن الكبرى : 6 / 203 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 7 / 228.

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 4/ 114.

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 4 / 114 . 115 .

ثانيا : ويراد بها الفطرة التي لم تتغير ، ولم تحل ، وذلك ان معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة " [1] ان كل مولود فان الله تعالى قد هيأه بالعقل الذي فلقه فيه ، وبصحة الحواس ، والمشاعر . لان يعلم التوحيد والعدل ، ولم يجعل فيه مانعا يمنعه من ذلك ، ولكن التربية والعقيدة في الوالدين ، والالف لاعتقادهما ، وحسن الظن فيهما ، يصده عما فطر عليه . واامير المؤمنين عليه السلام دون غيره ، ولد على الفطرة التي لم تحل ، ولم يصد عن مقتضاها مانع ، لا من جانب الابوين ، ولا من جهة غيرهما ، وغيره ولد على الفطرة ، ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها[2].

ثالثا: انه اراد بالفطرة – العصمة – وانه منذ ولد لم يواقع قبيحا ، ولا كان كافرا طرفة عين ، ولا مخطئا ولا غالطا في شيء يتعلق بالدين "[3].

يبقى الحديث عن ايمانه ويقينه عليه السلام في دائرة الوصف القاصر عن بلوغ حقيقة الموصوف ، وينسب كل كلام الى نوافل القول بعد ان افصح النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن عمق هذا الايمان ورسوخ هذا اليقين بكلمات نيرة تواتر نقلها واجمع المسلمون على اثباتها اذ روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : " لو ان السموات والارض وضعتا في كفة وايمان علي في كفة ، لرجح ايمان علي "[4] .

وحين برز عليه السلام في يوم الخندق قال صلى الله عليه وآله وسلم : " برز الايمان كله الى الشرك كله " [5] ، هكذا عبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ايمان أمير المؤمنين عليه السلام في معادلات ترجيحية تجاوزت مديات التحديد بكل ما

١- ينظر: مالك: الموطأ 1/ 241. البخاري: الصحيح : 104/2. الكليني: الكافي : 13/2. الصدوق : التوحيد : ص331. ابن رشد: بداية المجتهد : 193/1. السبكي: فتاوي السبكي : 360/2. المرتضى : شرح الأزهار : 1/ 426. السيوطي: تنوير الحوالك : ص248.

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 4 / 115 .

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 4 / 115 – 116.

٤- القاضي المغربي : شرح الاخبار : 2 / 322 . الطوسي : الامالي : ص 238 ، 575 – 576 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 / 341 . ابن البطريق : العمدة : ص 370 . الذهبي : ميزان الاعتدال : 3 / 494 . البحراني : حلية الابرار : 2 / 66 – 67 . المجلسي : البحار : 30 / 112 ، 31 / 133 ، 38/ 208 – 209 ، 40 / 119 ، 101 / 153 .

٥- الجاحظ : العثمانية : ص 324 ، 333 . الكراكجي : كنز الفوائد : ص 137 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 261 ، 285 ، 19 / 61 . ابن طاووس : الطرائف : ص 35 ، 60 . الديلمي : ارشاد القلوب : 2 / 244 . الدميري : حياة الحيوان : ص 387 . الحسيني : تأويل الآيات : 2 / 451 . المجلسي : البحار: 39 / 1- 3 .

يتعامل به البشر من وحدات القياس ومعرفة المقادير ، فما هو وزن السموات والارض يا ترى ؟ ، وما معنى الايمان كله ؟ ، كل ذلك متروك لايحاءات اللغة واساليبها في صياغة دوالها على مدلولاتها ، ولكن هذه الصياغات النبوية تكشف عن حقيقة واحدة مؤداها ان هذا الرجل المتفرد في ميادين الحياة له السبق والعمق والرسوخ ، في دائرة اليقين والايمان بالله الواحد ، حتى اندك شخصه في ايمانه كما هو الحال في صفاته الاخرى[1].

وان المتتبع لكلامه عليه السلام في نهج البلاغة ليقف على عبارات توصيفية تبرز ماهية ايمانه ويقينه وإن كانت لا تعدو بضعة اشارات قليلة في عددها ، ولكنها دقيقة في وصفها ، مكثفة في صياغتها ، حيث اوضحت لنا بعض مزايا هذا الجانب الاعتقادي النفيس في شخصية الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

والملاحظ على كلام الامام عليه السلام عن هذه المفردة (ايمانه) ، وكما هو الحال في كل احاديثه و في أي موضوع من هذا النوع ، فان كلامه عليه السلام يتخذ عدة وجوه ويعالج عدة جوانب ، ومع قلة النصوص الا انه من الممكن تصنيفها تبعا للجوانب التي تناولها الامام عليه السلام مع مراعاة الايجاز اذ لا يتسع المجال لاطالة البحث فيها :

السبق الى الايمان : إذ يشير عليه السلام الى هذه الفضيلة التي أختص بها بقوله : " **وسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ** " [2] وايضا قوله عليه السلام : " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ – وسَمِعَ وأَجَابَ – لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله وسلم – بِالصَّلَاةِ** " [3]

وكثيرا ما كان يفتخر عليه السلام بسابقته في الاسلام ومسارعته للايمان بالله ونبيه الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، اذ نجده يقول : " انا اول من اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " [4] وفي رواية ثانية عنه : " انزلت النبوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١- درويش : علي كما وصف نفسه : ص 41 – 42 .

٢- نهج البلاغة : ص94 .

٣- نهج البلاغة : ص247 .

٤- الكوفي: المناقب : 1 / 275 . وينظر ابن الجعد: مسند : ص87 . أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص302. المحاملي: امالي المحاملي: ص222. الخطيب : تاريخ بغداد : 456/4. ابن المغازلي: المناقب: ص 33. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 31/42. الخوارزمي: المناقب: ص57. الحلبي: السيرة الحلبية: 445/1.

يوم الاثنين ، واسلمت غداة يوم الثلاثاء ، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وانا اصلي عن يمينه ، وما معه احد من الرجال غيري "[1]

ولما كان التوحيد من ابرز معالم دين الله قد قرن ايمانه عليه السلام بالتوحيد الخالص فكان ايمانه **إيمان الموحدين** الذين بعُد إيمانهم عن كل مظهر من مظاهر الشرك ، ومن اقواله الدالة على ذلك :" **اللَّهُمَّ وهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ – ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِه الْمَحَامِدِ والْمَمَادِحِ غَيْرَكَ** " [2] .

وقال في موضع آخر : " **ونُؤْمِنُ بِه إِيمَانَ مَنْ رَجَاه مُوقِناً ... وأَخْلَصَ لَه مُوَحِّداً وعَظَّمَه مُمَجِّداً** "[3].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام في ايمانه العميق قد **بلغ اعلى درجات اليقين** حتى قال : " **وإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي** "[4] .

واليقين في اللغة : هو الادراك العميق ، والعلم بالحق ، مع العلم بانه لا يكون غيره ، وهو سكون النفس وثلج الصدر بما علم [5] . ويطلق في الاحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للانسان في اعلى درجات التقوى نتيجة لوضوح حقائق الوجود [6].

وفي مقولته المأثورة : " **لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً** " [7] دليل على انه تسنم درجة الوصول الى اعلى درجات الايمان .

١- الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 300/2. محمديان: حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه: 21/1.

٢- نهج البلاغة : ص171 .

٣- نهج البلاغة : ص348 .

٤- نهج البلاغة : ص50 .

٥- ابو هلال العسكري : الفروق اللغوية : ص 373 .

٦- الريشهري : القيادة في الاسلام : ص 283 .

٧ – الخوارزمي : المناقب : ص 375 . ابن شهرآشوب : المناقب : 1 / 317 . ابن عربي : الفتوحات المكية : 3 / 131 . ابن طاووس : الطرائف : ص 512 . الاربلي : كشف الغمة : 1 / 169 ، 289 . ابن جبر : نهج الايمان : ص 269 . السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : 6 / 61 . البياضي : الصراط المستقيم : 1 / 230 . القندوزي : ينابيع المودة : 1 / 203 .

ولو لم يفصح عليه السلام بهذا البيان عن يقينه لوجدنا عليه الف دليل ودليل في كل حرف نطق به وفي كل حركة او سكنه في سلوكه ، وهو من عرف الايمان بقوله : " **الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ – وإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ** " [1] ، فما نطق أمير المؤمنين عليه السلام بحرف الا وملؤه اليقين والايمان ، ولا اقدم ولا احجم الا وكان في اقدامه واحجامه ما يدلل على يقينه بربه والايمان بخالقه [2] .

ومن اوضح الدلالات على قوة ورسوخ يقينه ما كان يواجه به تلك العقبات التي لاقاها في مسيرته فكان شعاره الدائم انه على يقين من ربه ، ومن ذلك قوله واصفا مناوئيه :

" **وإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيه – والْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْه – لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي ويَقِينٍ مِنْ رَبِّي – وإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّه لَمُشْتَاقٌ – وحُسْنِ ثَوَابِه لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ** " [3] .

وهكذا كان عليه السلام يوصف ايمانه بانه **ايمان من عاين الغيوب** ، وبلغ حد اليقين ، فهو ايمان العارف الموقن ، اذ عرض في احدى مقطوعاته الرائعة التي كان يفتتح بها خطبته الى نوع ايمانه وكيفيته المستوعبة التي تطرد جميع ما يتعارض مع هذا الايمان ، او ما يتزاحم معه في نفس الانسان التي فطرت على طبيعة يمكن ان تضطم على المتناقضات ، وتتلاطم فيها المتخالفات ، اذ قال عليه السلام : " **الْحَمْدُ لِلَّه الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ...، ونَسْتَعِينُه عَلَى هَذِه النُّفُوسِ الْبِطَاءِ – عَمَّا أُمِرَتْ بِه ... ونُؤْمِنُ بِه إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ – ووَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ – إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُه الشِّرْكَ ويَقِينُه الشَّكَّ** " [4]

تنطوي الكلمات اعلاه على معاني جليلة تنبئ عن مقام خاص بامير المؤمنين عليه السلام ، وهو مقام اولياء الله واصفيائه ، الذي يكشف عن بعد معنوي تتميز به تلك الذوات العارفة ، هذا البعد ميز هذه الصفوة من الناس وجعلهم نخبة مختارة من عباد الله او كما عبر عنهم عليه السلام بقوله : " " **فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا** " [5].

١- نهج البلاغة : ص700 .

٢- درويش : علي كما وصف نفسه : ص 46 .

٣ – نهج البلاغة : ص627 .

٤ – نهج البلاغة : ص219 . وينظر : درويش : علي عليه السلام كما وصف نفسه : ص 44 – 45 .

٥- نهج البلاغة : ص 528 .

وقد كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ببيان انه كان قد تسنم درجة الوصول والذي يحق اذا غاب العارف عن نفسه فلحظ جناب الحق حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه من حيث هي لاحظة – لا من حيث هي متزينة بزينة الحق ، وقد وجد في كلامه واشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة [1].

وهكذا وصف أمير المؤمنين عليه السلام ايمانه ، انه من القوة والاستحكام التي ترقى الى ايمان المشاهدة ، وصدق تصديق من لاقى ما يوعد ، وكل ذلك مقرونا باخلاص لم يتسلل الى ساحته أي مظهر من مظاهر الشرك ، ويقين لم يمازجه أي لون من الوان الشك [2].

ومن امثلة تلك المعاينة هي قوله عليه السلام : " **أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ – ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه (ص لى الله عليه وآله) – فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ – فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه** " [3]

وذلك انه عليه السلام رأى بعين بصيرته الصور الالهية امثال الانوار البهية وفي ذلك دلالة على وصوله واتصاله بأرباب حظيرة القدس وقرب منزلته من تناول صورة الوحي وان صدق انه دون درجة النبوة [4] .

فالانسان حينما يتوفر على البصيرة العلمية ، ويرى الله في ضوء نور المعرفة ، ومن خلال ملاحظة اثارة الوجود يمكنه بيسر ان يعرف رسل الله الواقعيين على اساس نفس البصيرة العلمية وفي ضوء عين المعرفة ، ومن خلال ملاحظة آثار النبوة . غير ان الرؤية تبلغ في بعض الاحيان درجة من القوة . بحيث يشاهد الانسان نور النبوة في شخص الرسول بواسطة الرؤية القلبية كما في كلام الامام عليه السلام اعلاه ، ومثل هذه المعرفة تدعى " المعرفة القلبية والكشف والشهود الباطني " [5].

١- ابن ميثم : شرح مئة كلمة : ص 219 .

٢- درويش : علي عليه السلام كما وصف نفسه : ص 45 .

٣ – نهج البلاغة : ص 406 .

٤- ابن ميثم : شرح مئة كلمة : ص 221 .

٥- الريشهري : ميزان الحكمة : 4 / 3191.

ويرى الغزالي ان افضل طرق معرفة انبياء الله واكثرها قطعية هو المعرفة القلبية والكشف والشهود الباطني [١] ، وهو كذلك ، فالشخص الذي يرى من خلال بصيرته القلبية ، ويلاحظ نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بطريقة علوية ، فهو مضافا الى استغنائه عن أي دليل لاثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبلغ ارقى درجات المعرفة والبصيرة [٢].

وقد شهد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام بهكذا مقام يسمو فوق كل الكمالات ليبلغ درجة الوصول التام ويكون في قمة المعرفة اذ قال له : " **إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى – إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ** " [٣]

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان له اتصال بالحق تعالى والوصول التام ، وكان ذلك الاتصال حاصلا للامام أمير المؤمنين عليه السلام وان كان دون درجة النبوة .

ومن دلالات معاينته للغيوب عليه السلام ، اشارته برؤيته للملائكة كما في حادثة تغسيله لجثمان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول عليه السلام : " **ولَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَه صلى الله عليه وآله والْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي – فَضَجَّتِ الدَّارُ والأَفْنِيَةُ – مَلأٌ يَهْبِطُ ومَلأٌ يَعْرُجُ – ومَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ – يُصَلُّونَ عَلَيْه حَتَّى وَارَيْنَاه فِي ضَرِيحِه** " [٤]

هكذا كانت كلماته عليه السلام – وان كانت موجزة وقليلة كماً – الا انها غنية مضمونا، وان كنا قد تعرضنا لها بايجاز تطلبه مقام البحث ، الا انها كشفت عن عمق هذا الايمان ورسوخه ، انه ايمان من عاين الغيوب وبلغ حد اليقين فكان في قمة ايمان العارفين الموحدين الموقنين.

وما ان بزغ نور الاسلام حتى كان أمير المؤمنين عليه السلام اول من اعتنقه وآمن به ، اذ يقول عليه السلام : " **وسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ** " [٥]، وفي موضع آخر يقول عليه السلام : " **إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّه**" [١]، وكثيرا ما ما نجده يفتخر بسابقته في الاسلام ومسارعته للايمان بالله ونبيه الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

١- المنقذ من الضلال : ص110- 114.

٢- الريشهري : ميزان الحكمة : 4 / 3192 .

٣ – نهج البلاغة : ص 406 .

٤ – نهج البلاغة : ص 422.

٥- نهج البلاغة : ص 94.

وقد ولد مسلما ، لانه عليه السلام من معدن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مولدا ونشاة ، ومن ذاته خلقا وفطرة ، ثم ان الظرف الذي اعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الاسلام ، ومن حقيقته لم يكن شيئا من ظروف الآخرين ، ولم يرتبط بموجبات العمر ، لان اسلام الامام علي عليه السلام كان اعمق من ضرورة الارتباط بالظروف ، اذ كان جاريا من روحه كما تجري الاشياء من معادنها والمياه من ينابيعها [٢] . ومع ان الروايات لم تتفق على سنه يوم اسلامه، وظهرت فيها نزعات مختلفة ، ولكن من مجموعها يستطيع الباحث ان يجزم بانه كان في مطلع شبابه [٣] . إذ ملأ الدين الجديد قلبا لم ينازعه فيه منازع من عقيدة سابقة، ولم يخالطه شوب يكدر صفاءه، فبحق ما يقال: ان عليا عليه السلام كان المسلم الخالص على سجيته المثلى ، وان الدين الجديد لم يعرف قط احد اصدق اسلاما ولا اعمق نفاذا منه[٤]. ولكن بعض الشانئين له عليه السلام وكما هو ديدنهم مع فضائله عليه السلام لم يرق لهم التسليم بسبقه بالاسلام دون ان ينتقصوا من هذا السبق ، فمنهم من عد إسلامه عليه السلام إسلام تقليد ومحاكاة لانه اسلم في عمر الصبا [٥]، ومنهم من وضع تصنيف من عند نفسه ليجعل أسبقية الامام عليه السلام لا تعدو الصبيان ، فقال : أول من اسلم من النساء خديجة ، ومن الصبيان علي عليه السلام ومن الموالي زيد ، ومن العبيد بلال ، ومن الرجال ابو بكر[٦].

وللاميني[٧] التفاتة طيبة حول مسألة القول بسبقه عليه السلام في الاسلام : " ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم ؟ ومتى اشرك بالله حتى يؤمن ؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفية البيضاء ، واحتضنه حجر الرسالة ، وغذته يد النبوة ، وهذبه الخلق النبوي العظيم ، فلم يزل مقتصا اثر الرسول قبل ان يصدع بالدين الحنيف وبعده ، فلم يكن له هوى غير هواه ، ولا نزعة غير نزعته ... ان المراد من اسلامه وايمانه واوليته فيهما وسبقه الى النبي في الاسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى عن ابراهيم ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ

١- نهج البلاغة: ص 408 .

٢- جورج جرداق : الامام علي عليه السلام صوت العدالة الانسانية : 52/1.

٣- هاشم معروف الحسني: سيرة الائمة الاثني عشر: 149/1.

٤- العقاد : عبقرية الامام : ص 45 .

٥- الحسني : سيرة الائمة : 1 / 148 – 149.

٦- الثعلبي: الكشف والبيان: 85/5. البغوي: معالم التنزيل: 322/2. عبد الله بن قدامة : المغني: 89/10. الشهروزي: مقدمة ابن الصلاح : ص 179. القرطبي: الجامع : 237/8. ابن حجر: الاصابة: 84/1. الحلبي: السيرة الحلبية: 444/1.

٧- الغدير : 3 / 239 .

الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، وفيما قال سبحانه عنه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2]، وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام : ﴿ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [3]، وفيما قال تعالى عن نبيه العظيم ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾[4]، وفي قوله: ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ ﴾ [5] .

" وهل يدل تأمل حال الامام عليه السلام مع الانصاف الا على انه اسلم ، لانه شاهد الاعلام ، ورأى المعجزات ، وشم ريح النبوة ، ورأى نور الرسالة، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة ، الا فيما يتعلق بامور الاخرة " [6].

ثالثا: المستوى الفكري او العلمي :

اما علاقة الامام عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وفق هذا المستوى فسيأتي الحديث فيه بشيء من التفصيل في الفصل الخامس [7].

وعوداً على بدء يمكن القول انه : حسبنا التأمل في كلماته عليه السلام ، وهو يتحدث واصفا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصفات التي لم يصفه بها احد من الخلق كما وصفه بها هو عليه السلام ، والتي تنبئ عن معرفة واجلال عز نظيرهما لشخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها قوله في رثائه صلى الله عليه وآله وسلم عند تغسيله : " **بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّه ، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ ، مِنَ النُّبُوَّةِ والإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ ، وعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً ، ولَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ونَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ**

١- سورة الأنعام الآية 163.

٢- سورة البقرة الآية 131 .

٣- سورة الأعراف الآية 143.

٤- سورة البقرة الآية 285 .

٥- سورة غافر الآية 66.

٦- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 246 .

٧ - ينظر ص 411 - 416

، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّئُونِ ، ولَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا والْكَمَدُ مُحَالِفاً ، وقَلَّا لَكَ ولَكِنَّه مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّه ، ولَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُه ، بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ واجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ " [1]

وقد اثرت مصيبة فقده صلى الله عليه وآله وسلم على أمير المؤمنين عليه السلام اشد تأثير حتى انه ترك الخضاب ، وقد قيل له : **" لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عليه السلام الْخِضَابُ زِينَةٌ ونَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ "** قال الشريف الرضي موضحا يريد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [2] .

ومنها قوله عليه السلام وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم شارحا صفاته :

" اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ ودَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ ، وجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا ، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ ، والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاه فِي عَزْمٍ ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ ، وهُدِيَتْ بِه الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ ، وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ " [3] .

وقوله في الدعاء له صلى الله عليه وآله وسلم برفع درجاته " **اللَّهُمَّ افْسَحْ لَه مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ ، واجْزِه مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ ، اللَّهُمَّ وأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَه ، وأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَه وأَتْمِمْ لَه نُورَه ، واجْزِه مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَه مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وخُطْبَةٍ فَصْلٍ ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وبَيْنَه فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وقَرَارِ النِّعْمَةِ ، ومُنَى الشَّهَوَاتِ وأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ ورَخَاءِ الدَّعَةِ ، ومُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وتُحَفِ الْكَرَامَةِ"** [4]

---

١ – نهج البلاغة : ص 486 .

٢ – نهج البلاغة : ص 756 .

٣ – نهج البلاغة : ص 106 –108 .

٤ – نهج البلاغة : ص 108 – 109 .

الفصل الثاني

بيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الاول : الجانب الجغرافي والاقتصادي

المبحث الثاني : الجانب السياسي والاجتماعي

المبحث الثالث : الجانب الديني

الفصل الثاني

بيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

تمهيد

تعد البيئة من العوامل الرئيسة التي تعلب دوراً هاماً في تكوين شخصية الفرد وتحديد مسار نموه، وتتنوع البيئات التي يحدث فيها ذاك التكوين والنمو الانساني، و أول هذه البيئات هي البيئة التي تحتضن الفرد وهو لا يزال جنينا في أحشاء امه، اذ لها آثار واضحة اثبتها العلم الحديث. ومن ثم يأتي دور البيئة الأسرية التي ينشأ في كنفها الطفل بعد ولادته. اما البيئة الاوسع فهي البيئة الاجتماعية التي تساعد على تشرب عادات الجماعة وتمثلها، وامتصاص معاييرها وتقاليدها، وتوفر له الانتماء القوي للمجتمع، وتعمل على اشباع حاجاته النفسية في جو من التفاعل الاجتماعي، إن الآثار تكون سلبية او ايجابية في تكوين الشخصيات تبعاً لطبيعة تلك البيئة المحيطة بالفرد.[1]

وللبيئة الطبيعية (الجغرافية) أثرها ايضاً في نمو الفرد وتكوين شخصيته [2]. كما اكد العلماء على اهمية (الموقف .... والمحيط) في تحديد الشخصية، فسلوك الفرد هو عملية ديناميكية حيوية متكونة من تفاعل المحيط والفرد. فالمحيط يؤثر في سلوك الفرد، والفرد يعيد تأثيره على المحيط بالتبادل[3].

وأمام هذه النقاط الهامة التي تشكل حصيلة تجارب علمية و أبحاث ودراسات جادة ادلى بها المختصون في مجال أثر وتأثر الشخصية بالمحيط نضع في البدء ثمة تساؤلات هامة:

١- ابو جادو: علم النفس التربوي: ص71- 72.

٢- ابو جادو: علم النفس التربوي: ص71.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: الرحو: اساسيات في علم النفس: ص320 – 324.

1 -ما مدى أثر البيئة (بانواعها المذكورة اعلاه في تكوين شخصية " محمد " النبي الخاتم وسيد الخلق اجمعين ﷺ .

2 -هل كانت شخصية النبي ﷺ كباقي الشخصيات الانسانية تتأثر بالمؤثرات البيئية؟

3 -ما مديات التفاعل بين شخصية النبي ﷺ وبيئته التي احتضنته وأيهما كان الأكثر أثراً في الآخر؟

تتطلب الاجابة على هذه التساؤلات عدة خطوات هامة تحدد مسار البحث للتوصل الى نتائج قريبة للواقع وفق ما قدمه الامام امير المؤمنين عليه السلام من نصوص يمكن الاستدلال بها.

أولى هذه الخطوات الوقوف عند شخصية النبي الخاتم ﷺ واستجلاء ابعاد هذه الشخصية ، وهل يمكن ان تقاس بمن سواها من بني البشر؟ ام لها ميزات اختصت بها؟ ومن ثم البحث عن مصاديق لأثر البيئة (بكافة اقسامها) في تكوين شخصية النبي ﷺ ووفق ما ورد في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام .

فأما عن شخصية النبي الاعظم ﷺ فهي من الذوات المعّدة إلهيا، أي ان للسماء عنايةٍ خاصة بها، ويدلنا على ذلك مثلا قضية الاصطفاء التي خُص بها بعض العباد من الانبياء والاولياء وفي طليعتهم النبي ﷺ وهو " **الْمَجْتَبَىَ مِنْ خَلَائِقِه ... والْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِه ، والْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِه**"[1]. ولبيان خصوصية اصطفائه قال الامام عليه السلام : " **وقَدَّمَه فِي الِاصْطِفَاءِ** "[2]. لانه جعله " **ومُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ** "[3]. و" **وسَيِّدُ عِبَادِه** " [4]. وأمثال هكذا شخصيات ، وبالأخص شخصية النبي الخاتم ﷺ التي اعُدت لمهمة عالمية تحمل رسالة الله الى عباده لا يمكن ان تقاس في مكنوناتها وصفاتها وآثارها بباقي البشر ويكفينا قول الامام امير المؤمنين عليه السلام عن خصوصية محمد وأهل بيته عليهم السلام إذ يقول: " **لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مِنْ هَذِه الْأُمَّةِ أَحَدٌ** " [5]، ويمكن تعميم هذه الحقيقة على كافة الابعاد والجزئيات المنطوية عليها شخوصهم القدسية.

١- نهج البلاغة ص342.

٢- نهج البلاغة :ص 447 .

٣- نهج البلاغة :ص626 .

٤- نهج البلاغة: ص447 .

٥- نهج البلاغة : ص25 .

والقول اعلاه يلزمنا التوقف عن البحث و إطالة الكلام حول شخصية النبي الأعظم ﷺ في هذا الجانب ما دامت متسامية عن القياس بمن سواه من البشر.

اما عن أثر البيئة في تكوين هذه الشخصية ، فبالنسبة لأثر البيئة الأولى حين كان جنيناً فليس لدينا معلومات يمكن ان نستشفها من كلام الامام عليه السلام ، عدا ما أشار اليه بشيء من التع ميم عن طهارة الارحام والاصلاب التي احتضنته مثيل قوله " **مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ** " [1].

وسوف يأتي الحديث عنها تفصيلا في الفصل التالي [2] فان الله اختار له أكرم واطهر الارحام والاصلاب لتناقله.

وفيما يخص البيئة الأسرية فمن المعلوم تأريخيا انه ﷺ نشأ يتيم الاب ، فحظى برعاية أمه السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام [3]، وجده عبد المطلب بن هاشم عليه السلام ذاك الذي كان سيد قومه ، ذو السجايا الرفيعة والمحامد الكريمة [4] ، ومن بعد وفاته انتقل الى كنف عمه ابي طالب عليه السلام وزوجته السيدة فاطمة بنت اسد عليها السلام ، إلا أنه لا نجد في نصوص نهج البلاغة إشارة من الامام امير المؤمنين عليه السلام الى هذه المرحلة من حياة النبي ﷺ .

وسيختص حديثنا عن البيئة الاوسع التي عاش في كنفها النبي الاعظم ﷺ ، اذ وردت في مظان كلامه عليه السلام معلومات شتى، يمكن على اساسه ا دراسة هذه البيئة من أوجه عدة (جغرافيا واقتصاديا ، ودينيا ، وسياسياً و اجتماعيا).

ويبقى التساؤل الهام والجدير بالاجابة : هل لبيئة النبي ﷺ أثر على تكوين شخصيته ؟ وما مدى هذا الأثر؟ وهل أثر النبي ﷺ في بيئته المحيطة به ؟ وأيهما كان الاشد تأثيرا ؟

١- نهج البلاغة ص178.

٢- ينظر ص 231 – 259

٣- عن السيدة آمنة بنت وهب ينظر: ايمان حسن الساعدي: والدا النبي محمد ﷺ :ص19 – 21.

٤- عن عبد المطلب وسيرته ينظر علي كريم القريشي : آل عبد المطلب واثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي : ص 10 – 95 .

ان شخصية لشخصية النبي العظ يﷺ وكما مرت الاشارة لا يمكن قبول أي أثر أرضي في تكوينها ما دامت السماء قد تعاهدته ، وخلقه الله من نوره ، واختاره نبياً وآدم بين الماء والطين [١]، ونقله من الاصلاب الشامخة الى الارحام المطهرة عبر توالي القرون حتى اودعه في افضل مستودع [٢]، وما ان خرج وليداً الى الحياة " كريماً ميلاده "[٣] حتى قرن به ملكاً من اعظم ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم [٤]، لم يتركه لحظة وقد عرف منذ صغره بصفات الكمال الخلقي ، كالصدق ، والامانة ، والنجدة ، والكرم ، والشجاعة وغيرها . هذا من جانب ، ومن جانب آخر لو تأملنا في البيئة التي كانت تحيط به ، لبرزت لنا سمات غاية في التدني وعلى كافة المستويات – كما سيتبين من خلال البحث – ويمكن ان يتسم الطابع العام بغلبة الجانب السلبي على النادر من الايجابيات التي عرف بها هذا المجتمع.

إذن يمكن القول بـعدم وجود أي أثر لهذه البيئة في تكوين هكذا شخصية عظيمة صاغتها العناية الربانية.

وبالمقابل نجد أثر النبي ﷺ كان عظيما في بيئته ولا تحده حدود ، ففي هكذا بيئة متردية نشأ وترعرع ، وخط مساراً اخلاقياً عالياً قبل ان يكلف بالدعوة الى دين الله ويجاهر بها ، وإذا به قد بُعث بأصول وآداب ومعارف ، تضاد ما كان سائدا في تلك البيئة " فلو كان هو في تعاليمه مستمداً من بيئته ، لكان قد تأثر بها ولو في بعض هذه التقاليد "[٥]. وهذا التأثر كان بشخصيته وما تحمل من مزايا وبرسالته السماوية ، اذ كونه اتحاداً انصهرت ذاته في رسالته فكان انموذجاً إلهيا على الارض.

ونجد في نصوص النهج اشارات كثيرة عن الحالة التي كان عليها المجتمع قبل بعثته ﷺ ، وقد يفهم من تلك النصوص تركيزاً منه عليه السلام على بيان الوضع الذي كانوا عليه وما آلت إليه أمورهم في ظل

١- الفخر الرازي: مفاتح الغيب 6:/213. ابن عربي: تفسير ابن عربي 417/1. الأيجي: المواقف 3/ 340.

٢- نهج البلاغة : ص175.

٣- نهج البلاغة : ص21.

٤- نهج البلاغة : ص406.

٥- جعفر سبحاني : محاضرات في الالهيات : ص 300.

الاسلام فـ " من خلال معرفة هذا التاريخ وسماته يستطيع المتلقي إدراك الاهمية الحقيقية لمجيء الاسلام ، ومن ثم تعيين المستوى الثقافي والحضاري الذي جاء به هذا الدين الجديد" [1].

إن من بين أهم المؤثرات البيئية التي تؤثر في الشخصية هو النسق الثقافي (culture – pattern) بما فيه من قيم وآمال ومعتقدات وعادات راسخة تنظم المجتمع الذي يحيا فيه الفرد . والدليل على اهمية هذا العامل هو ما جاء به علماء الانتروبولوجيا الذي يعنون بالدراسات الاجتماعية ، الذين اهتموا بدراسة الطريقة التي تشجع الانساق الثقافية المختلفة ونمو الاتجاهات والاستعدادات المتباينة فيها . إذ إن ثقافة المجتمع تعيش فينا كما نعيش فيها ، ويمكن لشخصياتنا ان تكون المرآة التي تنعكس عليها صورة هذه الثقافة ، حتى قيل ان الشخصية هي المظهر الذاتي للثقافة . ومع ذلك لا يمكن اغفال اثر العوامل الاخرى [2].

ولكننا لا نجد اثراً واضحاً لذلك في شخصية النبي ﷺ ، لكن العكس هو ما حصل ، اذ ترك وجوده المبارك تأثيراً عظيماً في من حوله، ويتضح ذلك جلياً من خلال أثر رسالته السماوية، وما أحدثته من تغيير جذري شامل في المجتمع الجاهلي الذي انطلقت بين ثناياه ، ومن أبرز سمات وخصائص الرسالة الاسلامية التي حملها النبي ﷺ : " انها جاءت بنمط فريد من الثقافات الالهية عن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وعلمه ، وقدرته ، ونوع العلاقات بينه وبين الانسان ، ودور الانبياء في هداية البشرية ، ووحدة رسالتهم ، وما تميزوا به من قيم ، ومُثل ، وسنن الله تعالى مع انبيائه ، والصراع المستمر بين الحق والباطل ، والعدل والظلم ، والارتباط الوثيق لرسالات السماء بالمظلومين ، والمضطهدين ، وتناقضها المستمر مع اصحاب المصالح والامتيازات غير المشروعة ، وهذه الثقافة الالهية لم تكن اكبر من الوضع الفكري والديني لمجتمع وثني منغمس في عبادة الاصنام فحسب ، بل كانت اكبر من كل الثقافات الدينية التي عرفها العالم يومئذ ، حتى ان المقارنة تبرز بوضوح ، انها جاءت لتصحح ما في تلك الثقافات من اخطاء ، وتعدل ما اصابها من انحراف ، وتعيدها الى حكم الفطرة والعقل السليم " [3].

١- عبد الرحمن الوائلي: جدلية العلاقة بين العقل والتجربة الاجتماعية: ص 59.

٢- الرحو: اساسيات في علم النفس: ص 292 .

٣- محمد باقر الصدر: المرسل والرسول والرسالة : ص 66 – 67 .

فالامام امير المؤمنين عليه السلام اهتم باستعراض تلك الاوضاع المتردية التي صبغت بيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اجل ابراز اثره صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما بعد في تغيير تلك الاوضاع.

ومثال على ذلك نجد ه عليه السلام يستعرض احوال قريش وثقافتهم ومواجهتم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معرض حديثه عن جزء من تاريخه هو مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليوظف هذا التاريخ في عملية بناء الوعي التاريخي والحث على الاستفادة منه والاعتبار بحوادثه بعد استيعابها على حقيقتها ومعرفة كل العوامل المشتركة في تكوينها ثم اندراجها كتجربة تاريخية تستحق التوقف عندها والتزود من دروسها [1]. ومن ذلك ما جاء في وصفه الدقيق للحال التي كانوا عليها فيقول عليه السلام : " **إِنَّ اللَّه بَعَثَ مُحَمَّداً – صلى الله عليه وآله – نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ ، وتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ والآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ** " [2] .

ففي هذا النص الشامل والموجز الدقيق يصف الامام عليه السلام حالهم لان الموقف كان يستدعي ذلك فهو يتحدث عن تأريخهم وضمن مقطع زمني هو الفترة التي سبقت البعثة ، إذ كانت الثقافة السائدة هي ثقافة الحجارة التي ضربت طوقاً فكرياً " ديموغاجيا " على العرب في تلك العصور فجعلتهم من الامم المنسية والمهملة – لا سيما وهم يقعون بين حضارتين كبيرتين كانتا تحيطانهم في ذلك الوقت ، وهما دولة الفرس ودولة الروم ، إذ يبدو التخلف العربي آنذاك كبيراً، ثم مّن الله على هذه الامة بالنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذي اخرجها من الظلمات الى النور، وسلمها المشعل الذي قدره الله لها لتنير به العالم وتقوده الى بر الامان في ظل رسالة شاملة متكاملة هي الرسالة الاسلامية [3].

وتجدر الاشارة إلى ان هذه الامة على تلك الحال وتلك الاوصاف ، تحولت الى أمة عالمية ارست قواعد الحضارة الانسانية في مدة قصيرة ، ولم يتحقق ذلك الا في ظل العنايات الالهية والامدادات الغيبية [4]، وهذا ما أشارت اليه السيدة فاطمة عليها السلام في خطبتها الغراء:

١- الوائلي : جدلية العلاقة: ص 63 .

٢- نهج البلاغة : ص56.

٣- الوائلي: جدلية العلاقة: ص 64 .

٤- سبحاني : محاضرات: ص 302 – 303 .

" ابْتَعَثَهُ اللهُ إتْماماً لأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلى إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنفاذاً لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً فِي أدْيانِها، عُكَّفاً عَلى نِيرانِها، عَابِدَةً لِأَوْثانِها، مُنْكِرَةً للهِ مَعَ عِرْفانِها، فَأنارَ اللهُ بِأَبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وَكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلا عَنِ الأَبْصارِ عَمَهَا، وعن الأَنْفُس غُمَمَها، وَقامَ فِي النَاسِ بِالهِدايَةِ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وَهَداهُمْ إلى الدينِ القَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إلى الصراطِ المُسْتَقِيمِ"[1].

ان الامام امير المؤمنين عليه السلام رغم انه كان يعي تماماً قيمة هذا الحدث الكبير الذي غير مجرى التأريخ لكنه يريد لمستمعيه ان يعوا هذا الامر ومن ثم يعوا من خلاله دورهم الذي يتوجب عليهم القيام به ، وكل ذلك اراده الامام من خلال استدعائه للحدث التأريخي وللتجربة التأريخية التي كان يتوخى تنمية الوعي التأريخي من خلالها. ولعل هذا النمط من الاستدع اء للتجربة الاجتماعية التاريخية هو الذي يولد ما اصطلح عليه في الفكر الحديث بـ " التحيز الثقافي " الذي يشير الى تغليب بعض القيم والمعتقدات المشتركة في المجتمع الواحد على غيرها، فالامام عليه السلام اراد ان يوج هالذهن العربي في ذلك الوقت الى قيمة ما يملكون من افكار جديدة جاء بها الاسلام العظيم ، ولم يجد طريقة لتوضيح هذا الامر غير عرض النقيض الذي كان يسبق هذا التحول التأريخي الخطير، وبأضدادها تعرف الاشياء كما هو معروف، فجاء تفصيله للاحوال التي سبقت الرسالة تفصيلاً دقيقاً وهاماً [2].

١- الطبرسي: الاحتجاج 133/1، الشامي: الدر النظيم ص468.

٢- ينظر الوائلي : جدلية العلاقة : ص 64 – 65 .

المبحث الاول

الجانب الجغرافي والاقتصادي

اولا :الجانب الجغرافي

المعلوم أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد عاش حياته في كنف بيئتين (مكة والمدينة) ؛ اذ كانت مكة المكرمة محل ولادته ونشأته " **مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ** "[1] التي عاش فيها ثلاث وخمسون سنة ، واما يثرب التي سميت بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واختصارا المدينة المنورة ، التي اضطر الى الهجرة اليها ، وامضى السنوات العشر الاخيرة من حياته الشريفة في نشر مبادئ الدين الاسلامي حتى وفاته فيها ، يقول الامام عليه السلام : " **وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ ، وامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ** "[2].

تعد مكة والمدينة من إقليم الحجاز الذي يعد جزءً من شبه الجزيرة العربية ، التي تقع في اقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا ، وتعد من حيث المساحة اكبر شبه جزيرة في العالم [3]. ويطلق العرب عليها تجوزا اسم (جزيرة العرب)[4] ؛ لان البحار والانهار تحيط بها من جميع جهات ها ، فيحدها من الشرق الخليج العربي ، ومن الجنوب البحر العربي ، أما من الغرب فيحدها البحر الاحمر (القلزم) ، ويكمل الفرات الحد الشرقي ، ومن الشمال الشرقي بلاد الشام والبادية التي تمتد بين العراق والشام ، أما بادية سيناء فدخلت كلها في حدود جزيرة العرب بإدخال نهر النيل ليكمل الحد الغربي ويصب في البحر المتوسط (بحر الروم) الذي يمثل الحد الشمالي الغربي[5].

١- نهج البلاغة : ص 302 .

٢- نهج البلاغة : ص302.

٣- فورتز هومل: التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية : ص55-56 . جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1/ 110 . الملاح: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام : ص 15.

٤- البلاذري: أنساب الأشراف 409/10. وكيع: أخبار القضاة 97/2، ابن الفقيه الهمداني: مختصر البلدان ص 86، الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص39. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 11/1، 263. الالوسي: بلوغ الارب :186/1.

٥- الهمداني: صفة جزيرة العرب: ص39-40. الشريف: مكة والمدينة: ص13.

وهناك من يطلق على بلاد العرب اسم (شبه الجزيرة العربية) بإخراج بادية الشام وشبه جزيرة سيناء منها ، إلا ان طبيعة الارض الجيولوجية تحتم ضمهما ، لانهما تمثلان اجزاء هامة لا يمكن فصلها عن الطبيعة الصحراوية لسائر بلاد العرب [١].

ان نهر الفرات لا يمكن ان يكون حدا لشبه جزيرة العرب لذا وصف بانه خط وهمي ، وعلى الرغم من احاطة البحار بها الا انه لم يستطع الجو البحري التغلب على جفافها فلم يخفف من حدة الحرارة فيها ، فان الابخرة المتصاعدة من البحر لا تكاد تصل الى اواسط الجزيرة العربية ، اذ ان رياح السمائم الشديدة الحر تقاومها مقاومة شديدة وتمنعها في الغالب من الوصول الى وسط شبه الجزيرة [٢].

تعد شبه جزيرة العرب من جملة الاراضي التي تقل بها الانهار والبحيرات ، إذ ليس فيها نهر واحد بالمعنى المعروف من الانهار [٣] كما هو الحال في نهر دجلة والفرات والنيل ، بل ان فيها انهار صغيرة ، فضلا عن غلبة الجفاف ، وقلة سقوط الامطار ، لذلك غدت اكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان ، غير انها كثيرة الاودية تطغى عليها السيول عند سقوط الامطار [٤].

لقد استمدت شبه الجزيرة العربية اسمها من اسم الاقوام الذين كانوا يعيشون فيها وهم العرب [٥]، فذكر فذكر الهمداني إنها: " تسمى جزيرة العرب ، لان اللسان العربي في كلها شائع " [٦]، ولا ريب ان كلام الهمداني

يصح على الحقبة الاسلامية والمدة التي سبقت الاسلام بقليل ، اما قبل ذلك فلم تكن وحدة اللغة هي السبب في ظهور التسمية وانما طبيعة حياة السكان من الاعراب التي اتسمت بالبداوة [٧].

١- جواد علي: المفصل: 1 / 112. فيليب حتي: تاريخ العرب ص 17. الشريف: مكة والمدينة ص 14. عرفة محمود: العرب قبل الاسلام : ص17.

٢- جواد علي: المفصل 110/1. حتي: تاريخ العرب ص9. الشريف: مكة والمدينة ص19. محمود: العرب قبل الإسلام ص20.

٣- الاصطخري: المسالك والممالك ص21.

٤- حتي: تاريخ العرب ص31 .

٥- الملاح : الوسيط : ص17.

٦- صفة جزيرة العرب : ص39 .

٧- الملاح: الوسيط: ص18.

وهنا يمكن ان يصح اطلاق كلمة الامام بقوله " **مَعْشَرَ الْعَرَبِ** " [١] على كافة اجزاء الجزيرة العربية لتكون الصفات التي ذكرها محل انطباق على ارض الجزيرة بشكل عام ألا وهي قوله " **وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وحَيَّاتٍ صُمٍّ** " [٢]. كما سنقف على بيانه فيما يأتي من البحث .

لقد وردت معلومات في خطب الامام عليه السلام وكلماته يمكن من خلالها تصور الواقع الجغرافي على مستوى التضاريس والمناخ لشبه الجزيرة العربية آنذاك وما يحيط بها . فقد وردت الإشارة إلى الأقاليم السبعة [٣]، وإقليم الحجاز [٤]، الذي يضم مكة [٥] والمدينة [٦] وما بينهما ، كالعرج [٧] وفدك [٨] والقليب [٩]، [٩]، ومنعرج اللوى [١٠].

ووردت الإشارة إلى اليمن [١١]، والبحرين [١٢] ومنها مدينة هجر[١٣]، واليمامة [١٤]. وإقليم العراق [١٥]، وذكر من

مدنه البصرة [١] والكوفة[٢]. فقد أشار إليهما مرة بالمصرين [٣]، وورد ذكر قرقيسيا [٤].

١- نهج البلاغة : ص56.
٢- نهج البلاغة : ص56.
٣- نهج البلاغة : ص 473.
٤- نهج البلاغة : ص66 ، 567، 574.
٥- نهج البلاغة : ص302، 637.
٦- نهج البلاغة : ص302.
٧- نهج البلاغة : ص487.
٨- نهج البلاغة : ص573.
٩- نهج البلاغة : ص407.
١٠- نهج البلاغة : ص75.
١١- نهج البلاغة : ص55، 610، 644.
١٢- نهج البلاغة : ص569.
١٣- نهج البلاغة : ص526.
١٤- نهج البلاغة : ص574.
١٥- نهج البلاغة : ص66 ، 105، 402، 511 .

ومن الأنهار أشار إلى نهر دجلة [٥] وورد ذكر بحر العراق [٦]، والنهر الذي وقعت قربه معركة النهروان [٧]. و إقليم الشام [٨]، وإقليم مصر [٩]، والمغرب [١٠].

إن الذي يهمنا هنا هو ما يتعلق بإشارات الامام عليه السلام الخاصة ببيئة النبي ﷺ وهو اقليم الحجاز الذي يضم مكة والمدينة وما حولهما. فالإمام يختصر تلك البيئة بقوله : " **مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ ، وامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ** "[١١].

مع ملاحظة مهمة لا بد من التنويه اليها هنا :

يجب علينا الاخذ بنظر الاعتبار، ونحن نقتبس تلك الاشارات المتعلقة بالجانب الجغرافي ، إن هذه الاشارات ، التي تجمعت لدنيا ؛ انما هي متفرقات في خطبه المتعددة ولم ترد في خطبه واحدة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ان تلك الخطب يرجح احتمال انه ألقاها عليه السلام بعد توليه الخلافة [١٢] ، أي بعد توسع رقعة الدولة الاسلامية ، من هنا تنوعت انتماءات المتلقين – المخاطبين – بهذه الكلمات . أي لم يقتصر انتمائهم المناطقي على مكة والمدينة ، وبما ان الإمام عليه السلام وجه خطابه للجميع ، وخاطبهم بصيغة المجموع ، فـهذا يطرح امامنا عقبة لا يمكن تجاوزها دون الوقوف عندها قليلا : وهي ان الاوصاف التضاريسية الواردة في خطب الامام عليه السلام التي يمكن انطباقها على بيئة النبي ﷺ – سيما

١- نهج البلاغة : ص 328، 512، 572.

٢- نهج البلاغة : ص 54 ، 85 ،180 ، 187 ، 188 ، 257، 495.

٣- نهج البلاغة : ص631 .

٤- نهج البلاغة : ص 625.

٥- نهج البلاغة : ص 86.

٦- نهج البلاغة : ص402 .

٧- نهج البلاغة : ص 75.

٨- نهج البلاغة : ص 81، 92، 104، 134، 180، 187، 199، 257، 511، 557، 569، 619، 621.

٩- نهج البلاغة : ص 103، 559 ، 589.

١٠- نهج البلاغة : ص 557. ولم يتضح ما المقصود بالمغرب هنا.

١١- نهج البلاغة : ص302

12- على سبيل المثال: مثلا قوله عليه السلام : " وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ ... " اذ انه عليه السلام القى هذه الخطبة قبل مسيره الى النهروان . حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 3 / 314.

وهو يتحدث عن وضع المقاييس بين ما كانوا عليه وما اصبحوا عليه بمجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته – هل عنى الامام بهذه الاوصاف مكة والمدينة فقط أم منطقة الحجاز كلها ؟ فإلى أي مدى يمكن توسيع مدى الخطاب وما عنيه عليه السلام به ؟ وهنا يمكن ان يقال: ان بعض العبارات التوصيفية واضحة في دلالتها المكانية لاتحتاج الى جهد جهيد في تحديد المنطقة المقصودة بذلك الوصف كما في قوله عليه السلام عن البيت الحرام : " **ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً ، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً ، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً** "[1]، فالإمام عليه السلام هنا يعطي دلالة واضحة في تحديد المكان المقصود بهذا الوصف ألا وهو مكة المكرمة لأنها المكان الذي احتضن الكعبة المشرفة ، والامام عليه السلام – كما هو واضح في النص – انما يتحدث عن المكان الذي فيه الكعبة . ومع ذلك فلا اشكال في توسيع رقعة الخطاب الى منطقة الجزيرة سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار غلبة الطابع الصحراوي وان الصفات اعلاه تنطبق على منطقة الحجاز بأكملها.

اما قوله عليه السلام : " **وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ ، ...**"[2] فالكلام واضح انه انما عنى ارض الحجاز عموما ومكة على وجه الخصوص . اما اما لو قلنا بان قوله " **وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ** " قد يوسع مدى الحطاب ليشمل بدوره كل ارض العرب ، فهو ايضا ممكن القبول خاصةً بغلبة الاراضي الجبلية على واقع منطقة العرب ، واما بعض المناطق الزراعية والمزدهرة السهلة قياسا بالأعم الاغلب وهو التصحر والوعورة قد لا يشكل استثناءا ملحوظا . ولكن يبقى ترجيح ارض الحجاز ومكة خصوصا هو الاقرب للواقع بملاحظة :

1 -انها الارض التي ينطبق عليها وصف الامام عليه السلام بشكل تام .
2 -انها البيئة التي انطلقت منها الدعوة المحمدية وبهذا تكون مركز التغيير الاول .

ومن ثم فان المتأمل في كلام الامام عليه السلام ليلحظ أن من جملة اهدافه في حديثه عن حال العرب قبل الاسلام وعلى كافة المستويات ومنها الجغرافي انما كان لغرض تذكيرهم بفضل ونعمة وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينهم ، وكيف غير حالهم المأساوي الى حال افضل ، فمن الطبيعي ان تكون بيئة دعوته الاولى محل تركيز للمقايسة لان منها كانت بداية التغيير.

١- نهج البلاغة : ص394.

٢- نهج البلاغة : ص56 .

لقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام أرض العرب بأنها شر دار، فقد جاء في كلامه عليه السلام مخاطبا العرب : " **وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وحَيَّاتٍ صُمٍّ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ** " [1].

فهل هنا الإمام عليه السلام يقصد شبه الجزيرة العربية كلها [2] ؟ إن هذا لا يمكن القول به إذا نظرنا إلى أرض اليمن والسواد في جنوب العراق ، أم أنه يقصد أرض الحجاز التي تعد مكة أهم مدنها بل هي أم القرى ومعقل أرض العرب ؟ وهذا هو الأقرب للواقع . ولكن لماذا وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنها شر دار ؟

لعل علة وصفها بشر دار يعود الى الجانب الجغرافي ، وما تركه من اثر على جميع نواحي حياتهم الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية اذ " بين كونها شراً ببيان فساد احوالهم " [3]، إذ يجوز ان يعني بقوله : " **بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ**" [4] الحقيقة ، وذلك أن البادية بالحجاز ونجد وتهامة وغيرها من أرض العرب ذات حياة وحجارة خشن، وقد يعنى بالحجارة الخشن الجبال أيضا ، أو الأصنام ، فيكون داخلا في قسم الحقيقة إذا فرضناه مرادا ، ويكون المعنى بذلك وصف ما كانوا عليه من البؤس وشظف العيشة وسوء الاختيار في العبادة ، فأبدلهم الله تعالى بذلك الريف ولين المهاد وعبادة من يستحق العبادة . ويجوز أن يعني به المجاز، فالمقصود بالحيات هنا الأعداء وهو الأحسن[5] ، يقال للأعداء حيا ت . والحية الصماء أدهى من التي ليست بصماء ، لأنها لا تنزجر بالصوت . ويقال للعدو أيضا : إنه لحجر خشن المس إذا كان ألد الخصام. والجشب من الطعام الغليظ الخشن .." [6]

١- نهج البلاغة : ص 56.

٢- ذهب بعضهم للقول أنها نجد وتهامة والحجاز: ينظر: ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 19/2. ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 37/2. في حين اشار البيهقي ان مراد الامام عليه السلام بها : مكة والمدينة حصرا ، ينظر: معارج نهج البلاغة : ص115.

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 37/2. وينظر: حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 315/3.

٤- نهج البلاغة : ص56.

5- إذ كانوا تحيطهم الاعداء (فارس وبيزنطة) ، وقد اشار لذلك عليه السلام ، ينظر نهج البلاغة : ص 401 -402. وسيأتي بيانه في الجانب السياسي من هذا الفصل.

٦- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 2 /19.

وقد علق شارح معاصر على التفسير أعلاه بالقول : " ولقائل يقول : ان هذا التفسير لا يستقيم وذلك لأن كثيرا من الاعراب لولا اكثرهم كانوا ساكنين في البلاد كالمدينة ومكة والطائف واليمن والشام ومصر وامثالها من البلدان ، واما الساكنون في البوادي فهم كانوا قليلين بالنسبة الى غيرهم ، فتفسير العبارة بما ذكروه لا معنى له فان المنادى بقوله عليه السلام : " وانتم يا معشر العرب عام والخطاب للجمع كما هو ظاهر على المتأمل "[1].

ثم قدم الجواب بوجهين ورجح ثانيهما :

الاول: انه من باب التغليب لو قلنا اكثر العرب كانوا ساكنين بالبوادي واثباته مشكل .

الثاني: وهو الحق عندي انه لا اشكال في كون العرب باجمعهم على شر دين وفي شر دار وذلك لان الدار التي لا دين فيها فهي شر قطعا سواء كانت في المدينة او مكة او غيرها ، والذي صار سببا لحملهم العبارة على ما قالوه ، هو ان المدينة ومكة المكرمة مثلا كيف يمكن القول بانهما تتصفان بالشر، فحملوا العبارة على دور البوادي ، ولم يعلموا ان اتصاف مكة والمدينة وما شابهما بالشر ليس فيه اشكال فان الشر شران : ذاتي وعرضي والمقصود هو الثاني ، فان القاتل مثلا ليس بشر ذاتاً وانما هو شر بالعرض لكونه قاتلاً ، وليكن ما نحن فيه من هذا القبيل . هذا مع انه عليه السلام لم يقل في شر بلد بل قال في شر دار، ولا منافاة في كون الدار شرا والبلد غير شر فان دار ابي لهب وابي جهل وامثالهما من المشركين كانت شرا من جهة عدم نفوذ الدين فيها سواء كانت في مكة او غيرها ، وبعبارة اخرى لا ملازمة بين البلد والدار من هذه الجهة . والحاصل: انه لا كلام لاحد في ان العرب قبل البعثة كانوا في شر دين وشر دار كما قال الله ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[2] ﴾.[3]

وقد أشار البلدانيون إلى واقع الجزيرة العربية الجغرافي ، إذ قسم العرب جزيرتهم تقسيما مسايرا لطبيعتها الجغرافية على خمسة اقسام ، يقول الهمداني[4] : (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها خمسة اقسام عند العرب في اشعارها واخبارها ، تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض

١- الخراساني : مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة : 5 / 190 .

٢- سورة آل عمران الآية 164 .

٣- الخراساني : مفتاح السعادة : ص 190 - 191

٤- صفة جزيرة العرب : ص 85 .

، واليمن). وزاد الاصطخري [1] ثلاثة أصقاع ، وهي بادية العراق ، وبادية الجزيرة ، وبادية الشام . إذ يتألف سطح الجزيرة العربية من هضبة تشبه الصحراء الافريقية في اتساعها وسهولها القاحلة الرملية والصخرية ، التي تتخللها بقاع يندر فيها النبات ، وهي عبارة عن ارض واسعة تنحدر تضاريسها من الغرب متجهة نحو الشرق ، وهي مرتفعة غربا اذ تكثر الجبال المرتفعة ، واشهرها جبال السراة التي تمتد من اقصى شمال الجزيرة حتى جنوبها موازية لساحل البحر الاحمر [2].

وتعرف المنطقة الممتدة بين سلسلة جبال السراة وبين ساحل البحر الاحمر– وهي عبارة عن سهول ضيقة في الغالب– باسم تهامة ، وتعني الارض المنخفضة ، وقد اتسم مناخها بسبب انخفاض ارضها وقربها من البحر بشدة الحر والرطوبة [3]. اما نجد فتمتد بين عسير والطائف وهي هضبة عظيمة الارتفاع ، وتقع في قلب الجزيرة ، ويحدها من الغرب جبال السراة ، وسميت نجد لارتفاع ارضها [4]. وتشكل – الحجاز– الفاصلة بين المرتفعات العالية (نجد) وبين الهضاب المنخفضة (تهامة) وتتخللها اودية عدة [5].

الحجاز :

١– المسالك والممالك : 20 – 21 ، القلقشندي : صبح الاعشى :4 / 245 .

٢– ياقوت الحموي : معجم البلدان :204/3 . محمود :العرب قبل الاسلام : ص17 .

٣– جواد علي: المفصل:134/1 .

٤– ياقوت الحموي : معجم البلدان :261/5–262 .

٥– القلقشندي : صبح الاعشى :252/4. وينظر: الشريف : مكة والمدينة : ص23. الملاح: الوسيط : ص20.

الحجاز: بالكسر، لغة فيه ثلاثة أوجه: **الأول**: مأخوذا من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه ، إذا شده شدا يقيده به ، **الثاني** : سمي حجازا لأنه يحتجز بالجبال ، يقال: احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت ، ومنه قيل حجزة السراويل ، الثالث : من قولهم حجزه يحجزه حجزا أي منعه [1].

أما اصطلاحا: فالحجاز: جبل ممتد بين تهامة ونجد ، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، قال الخليل : أنه فصل بين الغور والشام وبين البادية ، وقال ا لأصمعي : الحجاز اثنتا عشرة دارا : المدينة ، وخيبر، وفدك ، وذو المروة ، ودار بلي ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ونفر من هوازن وجل سليم وجل هلال وظهر حرة ليلى ، ومما يلي الشام شغب وبدا. وروي عن هشام الكلبي أنه قال: الحجاز ما بين جبلي طئ إلى طريق العراق لمن يريد مكة ، وقيل لما تبلبلت الألسن ببابل وتفرقت العرب إلى مواطنها سار طسم بن إرم في ولده وولد ولده يقفو آثار إخوته وقد احتووا على بلدانهم ، فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجازا لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطيبها في ذلك الزمان وكثرة خيرها [2].

والحجاز أحد أقسام العرب الخمسة ، قال هشام الكلبي : صارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارهم وأخبارهم : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن[3].

لقد وردت الإشارة إلى الحجاز ثلاث مرات في نهج البلاغة ، الأولى في يوم الجمل وهو يخاطب الزبير مستغربا من موقفه السلبي منه بعدما كان من مريديه في الحجاز، فقال له: " **عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ** " [4]. والثانية كتبها لأحد ولاته الذي خان الولاية وأخذ أموالها ورحل للحجاز [5] فكتب له

١- الفراهيدي: العين 3/ 70 . الجوهري: الصحاح 3/ 872 . ياقوت الحموي: معجم البلدان : 2/ 218.

٢- البكري: معجم ما استعجم : 1/ 9 -12. ياقوت الحموي: معجم البلدان : 2/ 218- 219.

٣- الهمداني: صفة جزيرة العرب : ص 85 . البكري: معجم ما استعجم : 16/1. ياقوت الحموي: معجم البلدان : 2/ 219.

٤- نهج البلاغة: ص66.

٥- تباينت الآراء في الوالي أعلاه وإن كانت القرائن تشير إلى عبد الله بن العباس والي الإمام عليه السلام على البصرة. لمزيد من التفاصيل ينظر: النصرالله: شرح نهج البلاغة : ص 383 - 401.

عليه السلام : " **إِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي، وجَعَلْتُكَ شِعَارِي وبِطَانَتِي، ولَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي ، لِمُوَاسَاتِي ومُوَازَرَتِي وأَدَاءِ الأَمَانَةِ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ ، ... قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ ، فَفَارَقْتَه مَعَ الْمُفَارِقِينَ ، وخَذَلْتَه مَعَ الْخَاذِلِينَ ، وخُنْتَه مَعَ الْخَائِنِينَ ، ... فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّةَ ، وعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ واخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْه مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةِ لأَرَامِلِهِمْ وأَيْتَامِهِمْ ، اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الأَزَلِّ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ ، فَحَمَلْتَه إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِه ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِه** " [1]. والنص الثالث حينما ذكر فدكا قال عليه السلام : " **ولَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ ، ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ ، ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ، ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ، ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَه فِي الْقُرْصِ ، ولَا عَهْدَ لَه بِالشِّبَعِ ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً ، وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى ، وأَكْبَادٌ حَرَّى** " [2].

أما مدن الحجاز التي وردت الاشارة اليها في نهج البلاغة فمكة والمدينة وبعض المواقع التي تقع فيهما أو بينهما

أولا: مكة المكرمة

١- نهج البلاغة: ص567.

٢- نهج البلاغة: ص574.

إن اسم مكة [1] أُخذ من مك أي مص أو استخرج أو جذب ، أو ازدحم ، ولعلها سميت مكة لقلة مائها ، وذلك لانهم كانوا يمتكون الماء فيها أي يستخرجونه ، أو لأنها تجذب الناس إليها [2]، وتسمى بكة ، وهو مأخوذ من البك وهو الازدحام [3]. وتباينت الآراء في هل إن بكة هي مكة ذاتها أم البيت الحرام فقط [4].

يبدو ان معنى الازدحام مأخوذ مما تشهده مكة في موسم الحج الذي قد يؤدي احيانا الى الهلاك او دك الاعناق اثناء الطواف حول البيت [5] ، حتى ان بعض المعاني المستمدة من بكة تساعد على ذلك فـ " البكبكة " تعني المجيء والذهاب [6]. وواضح انها ربما كانت مشتقة من الطواف او السعي بين الصفا والمروة [7].

١- إن الاسم مشتق من لفظ " مكا " البابلية التي تعني البيت ينظر حسن المعمري: مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية : ص 10 ، واما بكة فهو اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها وهو ازدحامهم ايضا الحميري: الروض المعطار: ص93 . وقد ذكرها بطليموس الاسكندري باسم (مكربة) (مكربا) (Macoraba) وهي تقابل كلمة (مكرب) لقب ملوك اليمن قديما تعني (مقرب) لان مكة تقرب الى الاله جواد علي : المفصل: 7/4 – 8 . توفيق برو: تاريخ العرب القديم: ص165.

٢- وقيل سميت بذلك لأنها وسط العالم كالمخ ألذي هو أصل ما في العظم . الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن : ص470 .

٣- الفراهيدي: العين : 5/ 285. ابن سلام: غريب الحديث : 123/3. الأزرقي : أخبار مكة : 281/1. ابن الفقيه: مختصر البلدان : ص 74. الراغب الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن : ص 470. ابن سيدة : المخصص : 26/1/1 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 182/5. ابن منظور: لسان العرب : 491/10 . العيني : عمدة القاري: 214/9. الزبيدي: تاج العروس : 13/ 645.

٤- ياقوت الحموي : معجم البلدان : 181/5- 182. ابن منظور: لسان العرب : 491/10. الزبيدي : تاج العروس : 13/ 645.

٥- الفراهيدي: العين : 285/5. علي غانم: بيئة النبي ﷺ في القران الكريم : ص25.

٦- ابن سيدة: المخصص : 106/3/3.

٧- علي غانم جثير: بيئة النبي ﷺ: ص 25.

كما جاء ذكرها في القران الكريم على انها بكة في قوله ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [1] وقد ذكر الاخباريون والبلدانيون ان بكة موضعا ما او موضع البيت الحرام او بطن مكة [2]. وهناك من يرى ان بكة هي نفسها مكة ابدلت فيها الميم باء على عادة اهل الجنوب [3].

وردت بعض الاشارات التوصيفية لارض مكة في معرض حديث الامام عن البيت الحرام ، اذ يقول عليه السلام : " **ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً ، وأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً ، وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، ورِمَالٍ دَمِثَةٍ ، وعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، ولَا حَافِرٌ ولَا ظِلْفٌ** " [4].

ويمكن الوقوف هنا على أهم الاوصاف التضاريسية التي أشار لها الامام عليه السلام في ضمن نقاط توضيحية:

1 قوله عليه السلام: " **بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً** " إذ إن مكة هي أكثر الاراضي المرتفعة وعورة وخشونة ، فهي تقع في واد على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب تحيط بالوادي احاطة كاملة [5]. وصفه القرآن ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾[6]، وقد اغتنت مكة على مر الزمان عن بناء سور لحماية المدينة [7]. واما نوعية تربتها فانها من النوع الحجري المرافق لوجود الجبال فضلا عن الرمال الدمثة (اللينة) وتأثيرها على الحركة ، وقد اثر هذا الحجر على وعورة المنطقة وعدم ملائمتها للانتاج الزراعي . واشار الامام الى نوعية التربة الصالحة للزراعة التي غابت نوعا ما

١- سورة آل عمران الآية 96.

٢- الأزرقي: أخبار مكة : 280/1. ياقوت الحموي: معجم البلدان : 181/5- 182. ابن منظور: لسان العرب : 491/10 . الزبيدي: تاج العروس : 13/ 645.

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 475/1، 5/ 181 . القلقشندي: صبح الأعشى : 255/4 . الحميري: الروض المعطار: ص93.

٤- نهج البلاغة : ص 394 .

٥- فالى الشرق منها يقع جبل ابو قبيس ، والى الغرب منها يطل عليها جبل قعيقعان . ينظر القلقشندي: صبح الاعشى : 253/3.

٦- سورة إبراهيم الآية 37.

٧- الشريف : مكة والمدينة: ص28.

عن ارض مكة وهي التربة الطينية بنفس الوقت فان ارضها كانت رملية لينة وليست صلبة اذ ان اللينة ضعيفة الانتاج الزراعي[١].

2 -اشار الامام عليه السلام الى ان مكة كانت قليلة المياه اذ كما قال عليه السلام انها ذات " **عُيُونٍ وَشِلَةٍ** " لقلة الامطار فيها ، التي مع سقوطها أحيانا إلا انها لا تكون غزيرة ، ولكنها تشكل سيولا تنحدر من الجبال الى الوديان والشعاب [٢].

3 -تقع مكة في واد محاط بجبال ، او كما عبر عنه عليه السلام " **وأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً ، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ** " فان الجبال قريبة بعضها الى بعض فلا سهل يوجب الانبساط في النفس والسعة في محل الحركة والعمل [٣]، وهي بين جبال خشنة لا لين في احجارها ورمال لينة يصعب السير فيها فيها [٤].

4 -انقطاع القرى وتباعدها بعضها عن البعض الآخر، " **وقُرًى مُنْقَطِعَةٍ** " ، فلا يتيسر التواصل فيما بينها [٥].

5 -يشير عليه السلام الى انها بقعة لا تساعد على بقاء الفصائل الحيوانية الضرورية ، وهي ذات الخف والحافر والظلف – الجمال والخيل والبقر والغنم – ، ولا تفيد في زيادتها ونموها فهي هزيلة . أو أن طبيعة الرمال اللينة يصعب معها مشي الدواب . ولعل هزالها يعود الى عدم وجود نباتات في هذه المنطقة ومن ثم عدم وفرة الكلأ ، " ولعل الامر اكثر وضوحا واسهل بيانا من هذا الالتباس اذ ان القول ان الرمال هي السبب في عدم نمو الحيوانات يلزم القول بعدم تربيتها هناك اصلا ، لا نموها فقط ، وهذا ما لم يثبت ، فالامام عليه السلام يذكر ان حيوانات مكة ضعيفة وهزيلة اكثر من حيوانات بقية المناطق التي تعتمد على الزراعة التي لا تكون ارضها حجرية جافة، لذلك حمل اغلب الشارحين كلام الامام عليه السلام على هذا الاساس وهو اساس قلة الغذاء " [٦].

١- حميد سراج جابر: الفكر الاختباري في نهج البلاغة: ص 238 – 239 .

٢- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول : ص 225 .

٣- الشيرازي : توضيح نهج البلاغة : 199/3 .

٤- جابر : الفكر الاختباري : ص 235 .

٥- العاملي : تخطيط المدن في الاسلام : ص 28 .

٦- جابر: الفكرالاختباري: ص237 .

ولعله يمكن التوفيق بين الرأيين وارجاع السبب في عدم نمو الحيوانات الى قلة النباتات نتيجة طبيعة هذه الارض ، والى تكون هذه الارض من رمال لينة يصعب معها تحرك الحيوانات ، مما ادى الى صعوبة البيئة وتأثيرها السلبي على الحيوان [١] .

6 –وصف الامام عليه السلام مكة بالنتيقة ، ولقد تعددت الآراء في معناها:

أ – انه عليه السلام اراد بها البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها [٢]. يقول ابن ميثم : النتق بمعنى الجذب وسميت المدن نتائق لارتفاع بنائها وشهرتها كانها جذبت ورفعت [٣] .

ب – الاراضي المرتفعة باعتبارها ارض جبلية [٤].

ج – ان ابنية المدن ودورها بمثابة المظلة التي يستظل بها لذلك سميت المدن نتائق، وهي متأتية من كلمة انتق أي جعل مظلة [٥].

د – اما الراوندي [٦] فيقول: استعمل النتق على وجوه أليقها بهذا الموضع ان تكون الارض مثارا للزراعة، وهي – أي ارض مكة – اقل الارضين مدرا، يرفع ويزرع فيه، لان تلك الارض ذات حجارة ، ومدرها المستصلح للزراعة قليل ، ومن هذا جاء قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ [٧] أي رفعنا.

ويمكن استخلاص ثمة معنى من الآراء أعلاه أنها تعني الرفعة والارتفاع لارض مكة.

واما ابرز معالم مكة التي ورد ذكرها في نهج البلاغة :

١– محمد عبدة : نهج البلاغة (شرح) : ص 279

٢– ابن الاثير : النهاية : 5 / 13 . ابن منظور : لسان العرب : 10 / 351 – 352 . البدري : نزهة النظر في غريب النهج والاثر : ص 809 .

٣– شرح نهج البلاغة : 4 / 315

٤– الشيرازي : توضيح نهج البلاغة : 3 / 198 .

٥– حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 11 / 281

٦– منهاج البراعة : 251/2 .

٧– سورة الاعراف الاية 171 .

أولا : الكعبة:

ورد ذكر الكعبة في القرآن بلفظ الكعبة ، أو البيت الحرام ، أو البيت العتيق ، كما في قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [2]. وقد وردت الإشارة من الإمام عليه السلام إلى الكعبة بلفظ البيت الحرام في اكثر من مورد منها قوله عليه السلام : " **وفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ** " [3] ، " **حج البيت واعتماره** " [4] ، " **فَجَعَلَهَا بَيْتَه الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَه لِلنَّاسِ قِيَاماً** " [5] ، " **واللَّه اللَّه فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ** ".[6] وتطرق الإمام عليه السلام إلى جملة أمور تخص البيت الحرام ، منها تاريخ البيت الحرام ، إذ جاء في كلامه:

" **أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه ، اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صلوات الهِ عليه ، إِلَى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَه الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَه لِلنَّاسِ قِيَاماً، ثُمَّ وَضَعَه بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وولَدَه أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَه ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ ، وغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ ، تَهْوِي إِلَيْه ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ ، ومَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ ، وجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا ، يُهَلِّلُونَ لِلَّه حَوْلَه ويَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَه ، قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمُ ، ابْتِلَاءً عَظِيماً ، وامْتِحَاناً شَدِيداً ، واخْتِبَاراً مُبِيناً ، وتَمْحِيصاً بَلِيغاً ، جَعَلَه اللَّه سَبَباً لِرَحْمَتِه ، ووُصْلَةً إِلَى جَنَّتِه** " [7].

يتطرق الامام في النص اعلاه الى أمور عدة، منها: تاريخ وجود البيت الحرام (الكعبة) الذي يرجع إلى زمن آدم عليه السلام وهذا ما اشارت اليه بعض الروايات التاريخية والتي على اختلاف المعلومات الواردة فيها الا انها ربطت زمن وجود هذا البيت بالنبي آدم عليه السلام. لكن الروايات تباينت فيما يلي:

١- سورة المائدة الآية 97.

٢- سورة الحج الآية 29.

3- نهج البلاغة : ص 22 .

4- نهج البلاغة : ص 211 .

5 - نهج البلاغة : ص 394 .

٦ - نهج البلاغة : ص 582 .

٧- نهج البلاغة : ص394 _ 395.

ـ ان الله هو الذي انزل البيت على شكل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت، ثم امر ادم عليه السلام بالطواف حوله [١] .

ـ ان آدم عليه السلام فقد اصوات الملائكة فشكا ذلك الى الله فاهبط اليه بيت يطوف به كما يطاف بالعرش [٢] .

ـ ان الله هو الذي امر آدم عليه السلام ببناء البيت " اوحى الله الى آدم ان لي حرما بجنة عرشي، فانطلق فابن لي بيتا ثم طف به ... " [٣].

ـ اشارت رواية ان الله لما خلق السموات والارض كان اول شيء وضعه فيها البيت الحرام[٤].

ـ ان الله عزى ادم عليه السلام بخيمة من حلي الجنة فلما مات ادم رفعت فبنى بنوه مكانها بيتا بالطين والحجارة [٥] .

ـ عن الصادق عليه السلام : كان البيت درة بيضاء فرفعه الله الى السماء وبقى اساسه [٦].

ان التناقضات في هذه الروايات فضلا عن غلبة الطابع القصصي على ما ورد فيها هو الذي حمل عددا من الباحثين على التشكيك فيها، وعدم التسليم بقبول ما جاء فيها ؛ اذ يقول جواد علي [٧] " ومعارفنا عن البيت الحرام ضئيلة ، وفي الذي يذكره اهل الاخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الاخذ به ، لانه لا يدخل في حدود التاريخ ، ولغلبة الطابع القصصي عليه، ثم ان بعضه يناقض بعضا...".

وذهب الملاح[٨] بعيدا في تشكيكه حتى نسب بناء البيت الى تجار القوافل اذ يقول: " وقد زعم اهل الاخبار بان مكة قد اتخذت مقاما للعبادة قبل مجيء ابراهيم عليه السلام اليها بزمن طويل، وربما كان هذا البيت قد انشأه تجار القوافل من العرب الذين كانوا يتوقفون في هذا الموضع لغرض اخذ قسط من الراحة والتزود بالماء من الابار التي كانت موجودة فيه".

١- الطبري: تاريخ : 1 / 84 .

٢- الطبري: تاريخ : 1/ 84 -85 .

٣- الطبري: تاريخ : 1 / 85 .

٤- الازرقي: أخبار مكة : 50/1 . العياشي: تفسير : 1 / 60 .

٥- الازرقي: أخبار مكة : 1 / 51 .

٦- العياشي: تفسير: 1 / 60.

٧- المفصل :6 / 336 .

٨- الوسيط : ص 272.

ولكن كيف يمكن القول : ان هذا البيت المقدس بناه التجار او اناس عاديون دون تدخل السماء في ذلك؟! وهو البيت الذي خصه الله بعنايته، فجعله اول بيت بني لعبادته ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [1] بنسبته اليه جل وعلا اذ يقول : ﴿ وطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [2] ، وكل الايات الذاكرة له تدلل على عظمته وارتباطه بالذات الالهية ، وان كنا لا نسلم بكل ما جاء في المرويات التاريخية التي تناولت قصة وجود هذا البيت وبنا ئه من قبيل ان الله قد انزله على آدم عليه السلام تسلية له بعد حزنه او غيرها من الاسباب ، وانه انزله ياقوته حمراء او بيضاء او خيمة في اصله ثم بنوه أبناؤه من بعده، وما في ذلك من تفاصيل مبالغ فيها ، ويصعب التسليم بها.

وقد جاء في اشارة الامام عليه السلام في أعلاه ان البيت منذ زمن آدم عليه السلام كان من الحجر، وان جعله من الحجر كان لحكمة، وهذا يعارض ما جاء في الروايات بانه كان خيمة من حلي الجنة انزلها الله من السماء او ياقوته حمراء او بيضاء، فيما ذكرت رواية اخرى انه بعد موت آدم قام ولده ببناء البيت بالحجارة والطين بعد ان رفع الله الخيمة او الياقوته، وإن خير دليل على نفي هـ ذه الروايات ما اشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **وَلَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، ويَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، ونُورٍ وضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ...**" [3].

ان لهذا النص اهمية خاصة في سد ثغرة احدثها غياب التوثيق قبل الاسلام ، اذ يقول جواد علي [4] : " ولم يعثر حتى الان على كتابة جاهلية تكشف القناع عن تاريخ (البيت الحرام) ، ولذلك انحصر علمنا بتأريخه بما ورد في الموارد الاسلامية عنه".

وإذا كانت المشكلة عند جواد علي مع الموارد الاسلامية لان اكثرها عن الاخباريين " وفي الذي يذكره اهل الاخبار عنه ما لا يمكن قبوله ولا الاخذ به ، لانه لا يدخل في حدود التاريخ ، ولغلبة الطابع القصصي عليه..." [5] . فالراوي هنا هو امير المؤمنين عليه السلام باب علم مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعدل القرآن، القرآن، فلا جدال في صحة ما جاء عنه عليه السلام، فهل نهج البلاغة لم يكن من مصادر الدكتور جواد علي حينما كتب سفره القيم عن تاريخ العرب قبل الإسلام؟.

١- سورة آل عمران الآية 96.

٢- سورة الحج الآية 26.

٣- نهج البلاغة ص 396.

٤- جواد علي : المفصل : 6/ 336.

٥- المفصل :6 / 336 .

أما عن بناء النبي إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام الذي أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [1]. فهذا إشارة إلى تجديده من قبلهما عليهما السلام.

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى حكمة الله في بناء هذا البيت إذ اختبر الله العباد من اول الخلق بهذه الاحجار التي لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، وان جل ما فيها نسبتها لله سبحانه، فهو الذي ارادها بهذه الكيفية والبساطة.

وان الله تعالى اتماما للاختبار والابتلاء جعل البيت في اوعر بقاع الارض واصعب ها ، فهي غير صالحة للزرع وغير صالحة ايضا لحياة الحيوان فيها ، فلا يزكو بها خف ولا حافر ولا ظلف ، وهذا عين ما جاء في قوله تعالى على لسان النبي إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ [2] ﴾ [3] .

وقد بين عليه السلام السر وراء جعل البيت في هكذا موضع تكتنفه الصعوبات بقوله " **وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَه، أَنْ يَضَعَ بَيْتَه الْحَرَامَ ومَشَاعِرَه الْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وأَنْهَارٍ وسَهْلٍ وقَرَارٍ ، جَمَّ الأَشْجَارِ ، دَانِيَ الثِّمَارِ ، مُلْتَفَّ الْبُنَى ، مُتَّصِلَ الْقُرَى ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ ، ورَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، ورِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ ، ولَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، والأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، ويَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، ونُورٍ وضِيَاءٍ ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، ولَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، ولَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ ، ولَكِنَّ اللَّه يَخْتَبِرُ عِبَادَه بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، ويَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، ويَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ**

١- سورة البقرة الآية 127.

٢- سورة إبراهيم الآية 37 .

٣- فارس حسون : الحج في نهج البلاغة : ص 9

الْمَكَارِه ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ ، ولِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِه ، وأَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِه " [1].

يتضح جليا من هذا النص ان الله سبحانه قد شرع الحج الى بيته الحرام منذ زمن آدم عليه السلام، إذ يقول عليه السلام: " **ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام ووَلَدَه أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَه** " [2]، " **علَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ ومَضَتِ الدُّهُورُ**" [3] ، وغدا البيت " **قِبْلَةً لِلأَنَامِ** [4] " [5].

١- نهج البلاغة : ص 396 _397. ولكن نلاحظ ان هذا البيت رغم ما يكتنفه من صعوبات طبيعية مرت الاشارة اليها وصعوبات المناسك ايضا الا انه من خصائصه واسراره " **تَهْوِي إِلَيْه ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ** " نهج البلاغة : ص 395 ، كما ورد في دعاء النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿ فاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ سورة ابراهيم الاية 37، وقد ذكر امير المؤمنين عليه السلام هذا الشوق في تمثيل رائع ، إذ قال: " **ويَألَهونَ إِلَيهِ وُلوهَ الحَمامِ**" نهج البلاغة : ص 22 ، أي يشتد شوقهم اليه حتى تكاد تذهب عقولهم من شدة الاشتياق كاشتياق الحمام الى وكرها ، وقد " **جَعَلَه اللَّه سَبَباً لِرَحْمَتِه ، ووُصْلَةً إِلَى جَنَّتِه**" نهج البلاغة : ص 396 وينظر : فارس حسون : الحج في نهج البلاغة : ص 9.

٢- نهج البلاغة ص394 _ 395.

٣- نهج البلاغة ص20.

٤- نهج البلاغة ص22.

٥- الانام هنا: الجن والانس، وقيل: ما على وجه الارض من جميع الخلق، وبناء على التفسير الاول، يكون بيت الله الحرام قبله للانس والجن، اما الانس فواضح، اما الجن، فيدل كلامه عليه السلام: جعله قبلة للانام – بناءً على تفسير الانام للجن والانس – على ان بيت الله الحرام قبلة للجن ايضا ، يتوجهون اليه حين عبادتهم، وان كانت ماهية عبادتهم لنا مجهولة . وقد أشار القرآن إلى إيمان الجن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا* وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ . سورة الحج الأية 1_ 15. وبناء على التفسير الثاني، يكون بيت الله الحرام قبله لجميع ما على وجه الارض من الخلق، ومعلوم ان المخلوقات كلها تعبد خالقها، وان كانت كيفية عبادتها مجهولة لنا الا ان المفهوم من قوله عليه السلام: جعله قبله للانام، بناء على تفسير الانام بأنهاكل ما

ويظهر من كلامه عليه السلام أن الانبياء عليهم السلام كانوا يحجون البيت الحرام ، ففي اشارة منه عليه السلام في معرض حديثه عن عباده ممن يحج البيت انهم " **وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِه** " [1] . وفيه إشارة إلى متابعتهم لهم في مواقف الحجّ [2].

ومع وجود بيوت أخرى للعبادة عرف بعضها بالكعبات ، فقد جاء في صحيح البخاري [3] " كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخصلة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية " ، ورغم ذلك بقيت الكعبة صاحبة المكانة المتميزة عند العرب.

ثانيا: **حراء**:

بالكسر والتخفيف والمد ، جبل من جبال مكة على ثلاثة اميال ، وهو أحد الجبال التي بنى منها آدم أو إبراهيم عليه السلام الكعبة [4] ، وفيه الغار الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحنث فيه قبل بعثته الشريفة مدة شهر أو أكثر [5]. وذكره أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: " **وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ ، فَأَرَاه وَلَا يَرَاه غَيْرِي**" [6]. ويظهر أنه صلى الله عليه وآله وسلم استمر في ذلك حتى بعد البعثة مستترا من المشركين[7].

على وجه الارض من الخلق، فبيت الله الحرام قبلة لجميع المخلوقات تتوجه اليه في عبادتها ربها وخالقها. فارس الحسون : الحج في نهج البلاغة: ص 22– 23 .

١– نهج البلاغة ص 22.

٢– وفي ذكر الأنبياء هاهنا استدراج حسن للطباع اللطيفة المتشوّقة إلى لقاء اللّه والتشبّه بأنبيائه عليهم السلام . فانّ الكعبة وما يتعلق بها مقام الأنبياء عليهم السلام فمن حجّ ودخل الحرم فقد دخل مدخلهم ومقامهم . ينظر ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 398 . الخراساني : مفتاح السعادة : 2 / 12 .

٣– 111/5. و لمزيد من التفاصيل ينظر: الشريف يوسف : الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام : (الصفحات جميعها) .

٤– ابن طاووس: سعد السعود ص37، النوري: المستدرك :328/9، .

٥– ابن هشام: السيرة النبوية : 154/1. ابو جعفر الإسكافي: نقض العثمانية: ص 306. الطبري: تاريخ 48/2. الزمخشري: الفائق: 237/1. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 233/2، 182/4. ابن الاثير: الكامل في التاريخ : 48/2. ابن سيد الناس: عيون الاثر: 114/1. ابن كثير: البداية والنهاية : 5/3.

٦– نهج البلاغة : ص 406.

٧– المجلسي: البحار: 7/19.

ويستشف من بعض النصوص أن النبي تعرض لمحاولة اغتيال وهو في حراء[1].

المدينة:

تقع المدينة على بعد ثلاثمائة ميل الى الشمال من مكة ، كما تبعد عن ينبع مينائها على البحر الاحمر مائة وثلاثين ميلا [2]. وهي ارض بركانية بين حرتين [3] ، وقد اشتهرت بالخصب والنماء ، وفي شمالها جبل احد، كما ان المزارع تحيط بها من جميع الجهات ما عدا الجبهة الغربية وإن المسافر يجد فيها كما يجد المقيم حاجته من زاد وامن [4] .

قال البكري[5]: (هي مدينة الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم. فإذا قيل المدينة ، غير مضافة ولا منسوبة ، علم أنها هي، قال الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [6]. وهي يثرب ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ

١- البحراني: حلية الأبرار: 1/ 61.

٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 5/ 82-88 .

٣- الحرة ، قال ياقوت تحت عنوان: ذكر الحرار في ديار العرب: (قال صاحب كتاب العين: الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار، والجمع الحرات والاحرون والحرار والحرون، وقال الأصمعي: الحرة الأرض التي ألبستها الحجارة السود، فإن كان فيها نجوة الأحجار فهي الصخرة، وجمعها صخر، فإن استقدم منها شئ فهو كراع، وقال النضر بن شميل: الحرة الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث، فيها حجارة أمثال الإبل البروك كأنها تشطب بالنار، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود وإنما سودها كثرة حجارتها وتدانيها، وقال أبو عمرو: تكون الحرة مستديرة فإذا كان فيها شئ مستطيل ليس بواسع فذلك الكراع واللابة والحرة بمعنى، ويقال للطلمة الكبيرة، وهي الخبزة التي تنضج بالملة: حرة، والحرة أيضا: البثرة الصغيرة، والحرة أيضا: العذاب الموجع، والحرار في بلاد العرب كثيرة، أكثرها حوالي المدينة إلى الشام، وأناأذكرها مرتبة على الحروف التي في أوائل ما أضيفت الحرة إليه). ثم ذكر عدد من هذه الحرار كحرة أوطاس، وتبوك، وتقده أو نقده، وحقل، والحمارة، وراجل، وراهص، والرجلاء، ورماح، وسليم ، وشرج، وشوران، وضارج ، وضرغد، وعباد، وعذرة، وعسعس، وغلاس، وقباء، والقوس، ولبن، ولفلف، وليلى، ومعشر، وميطان، وحرة النار، وواقم، غيرها. معجم البلدان 2/ 245- 249.

٤- الشريف : مكة والمدينة : ص 29.

٥- معجم ما استعجم : 4/ 1202.

٦- سورة المنافقون الآية 8.

لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ [1]. وهي الدار، قال الله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِم ﴾ [2]. وهي طيبة وطابة والعذراء ، وهي جابرة ، والمجبورة ، والمحبة ، والمحبوبة ، والقاصمة ، قصمت الجبابرة).

كانت تسمى يثرب قيل نسبة إلى يثرب ابن قانية من إرم بن سام بن نوح ، لان أول من نزلها. وقال النبي ﷺ ، تسمونها يثرب ، ألا وهي طيبة . كأنه كره أن تسمى يثرب ، لما كان من لفظ التثريب [3]. فيروى أنه كان ﷺ يخاطبها بقوله : " يا طيبة ، يا سيدة البلدان " [4]، وفي رواية : " ان الله عز وجل امرني ان اسمي المدينة طيبة" [5]، وكان ﷺ يقول: " لكل نبي حرم، وحرمي المدينة" [6] . ومن ومن هنا ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام بذكر خصيصة هجرته ﷺ اليها، فقال: " هجرته بطيبة " [7].

ومن المواقع التي تقع ما بين مكة والمدينة :

القليب: بفتح القاف وكسر اللام وسكون الياء ، هو البئر قبل ان تطوى ،[8] فاذا طويت فهي الطوي ، والجمع القلب ، وقيل هي البئر العادية القديمة التي لا يعلم لها رب ، ولا حافر ، تكون في البراري ، تذكر وتؤنث وقيل هي البئر القديمة ، مطوية كانت او غير مطوية [9]، ذات ماء او غير ذات ماء ، جفر جفر او غير جفر . وقيل القليب ما كان فيه عين والا فلا . وسميت قليبا لانها كالشيء يقلب من جهة

١- سورة الأحزاب الآية 13 .

٢- سورة الحشر الآية 9 .

٣- معجم ما استعجم : 4/ 1389.

٤- المتقي الهندي: كنز العمال: 259/12.

٥- السيوطي : الجامع الصغير : 1 / 258 . المتقي الهندي : كنز العمال : 12 / 232 .

٦- ابن حنبل : المسند : 1 / 318 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 3 / 301

٧- نهج البلاغة : ص302.

٨- الفراهيدي: العين : 5 / 71 . الجوهري : الصحاح : 1 / 206 .

٩- ابن منظور: لسان العرب : 1 / 689.

الى جهة وكانت ارضا فلما حفرت صار ترابها كانه قلب [1]. وقيل انما سميت كذلك لان ترابها قلب [2] ، والقليب ببدر من العدوة الدنيا من بطن وادي يليل [3] الى المدينة [4] .

والامام عليه السلام يقصد هنا قليب بدر الذي يقع على ثمانية وعشرين فرسخا [5] من المدينة في طريق مكة [6] ، وهذا يعني ان القليب يقع بين مكة والمدينة . وقد ورد ذكر القليب في كلام الامام عليه السلام وهو يشير الى رد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين بعد طعنهم في نبوته ، اذ تحدث عليه السلام عن حادثة الشجرة وكيف تنبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشركين بقوله " **وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ** "[7].

إن قضية من طرح في القليب وردت في كتب الحديث لكن برؤية فيها بعض الاختلاف، فقد جاء في صحيح البخاري [8]: " عن عبد الله بن مسعود حدثه، ان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم كان يصلى يصلى عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجئ بسلا جزور بنى فلان يضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه ، وانا انظر لا أغنى شيئا لو كان لي منعة ، قال: فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة ، فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ، ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات ، فشق عليهم ، إذ دعا عليهم ، قال: وكانوا يرون ان الدعوة في ذلك البلد مستجابة . ثم سمى اللهم عليك بأبي جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي

١- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة : 5 / 18.

٢- ابن منظور : لسان العرب : 1 / 689.

٣- وادي يقع بين ينبع والعذيبة ، وهو واد أصفر الرمل . ابن سيدة : المخصص : 5 / 1 / 47 . ياقوت الحموي: معجم البلدان: 248/1.

٤- البكري : معجم ما استعجم : 1 / 232 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 5 / 441.

٥- مقدار من مقاييس الطول عند العرب ، أختلف هل هو عربي أم معرب ، يساوي ثلاثة أميال ، وحاليا اختلف فيه بين (5) و(7) و(8) كم . العاملي: الاصطلاحات الفقهية ص160. أبو حبيب: القاموس الفقهي : ص282.

٦- البكري: معجم ما أستعجم : 1 / 231.

٧- نهج البلاغة: ص407 .

٨- 1/ 65- 66. وينظر: ابن حنبل: مسند احمد: 417/1. مسلم: الصحيح: 180/5.

معيط ، وعد السابع لم نحفظه ، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم صرعى في القليب قليب بدر".

الذي يلاحظ :

1 – أن أمير المؤمنين ذكر الحادثة في موضع قيام النبي ﷺ بإفحام المشركين ورده على تخرصاتهم في محاولة إثباتهم عدم صحة نبوته. فعندها تنبأ النبي ﷺ لعدة أمور منها أنه مع تقديمه ما طلبوا منه ، فإنهم لن يؤمنوا به ، ثم تنبؤه ﷺ لمصير هؤلاء إذ يسحبون إلى القليب.

2 – أما البخاري فذكرها في حادثة عرضية دفعت النبي ﷺ للدعاء على المشركين . وكأنه من باب الانتقام ، مع أن سيرة النبي ﷺ مع ألد أعداءه تنفي أن يكون لديه حب الانتقام وفتح مكة أصدق دليل على ذلك!

3 – أوضحت رواية البخاري إن دعاء النبي ﷺ المستجاب ليس لأنه من النبي ﷺ وإنما لأن مكة بلد مستجاب الدعوة ؟

4 – ذكر البخاري أن سحبهم إلى القليب ليس نبؤة من النبي ﷺ وإنما حدث واقعي رآه ابن مسعود . مع أن هذا الخبر يعد من أعلام نبوته ﷺ [1].

إن التأمل الدقيق في كلام الإمام عليه السلام ورواية البخاري لتوحي إلى محاولة تحريف في الواقعة وتوجيهها في مسار آخر.

١– ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 4 / 374. وقد تحققت نبؤة النبي ﷺ ، فقد روى انه ﷺ وقف على ذاك القليب وناداهم رجلا رجلا فقال : " هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا ، بئس القوم كنتم لنبيكم..." . الواقدي : المغازي : 112/1. الطبري : تاريخ : 155/2– 156. وقد انكر عمر بن الخطاب عليه ذلك فقال : " اتنادي قوما قد ماتوا " ؟ فقال ﷺ: " ما أنتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يستطيعون ان يجيبوني ". ابن حنبل : المسند : 27/1، 104/3. البخاري : الصحيح : 5 /8. الهيثمي : مجمع الزوائد : 91/6. العيني: عمدة القاري : 8/ 202.

العرج: بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وجيم ، عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج ، وقيل هي قرية جامعة على طريق مكة من المدينة ، بينهما وبين الرويثة [١] أربعة عشر ميلا [٢]، وبين الرويثة والمدينة واحد وعشرون فرسخا ، ووادي العرج يدعى المنبجس [٣] ، وفيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين ، وعلى ثلاثة أميال منها مسجد النبي ﷺ الذي يدعى مسجد العرج [٤]. وقيل في تسميتها : عن ابن الكلبي: لما رجع تبع [٥] من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دواب تعرج فسماها العرج ، وروى انه قيل لكثير: لم سميت العرج عرجا ؟ قال: يعرج به عن الطريق [٦]. وأشار السمعاني [٧] إلى إن " العرج " موضع بمكة ولعله قد توهم في ذلك ، إذ تعقبه ابن الأثير [٨] بقوله : " العرج بين مكة والمدينة وليس بمكة .

١- الرويثة: تصغير الروثة من روث الدواب أو روثة الأنف وهي طرفه ، وقيل سماها تبع الرويثة من راث أي أبطأ ، قرية جامعة تبعد عن المدينة سبعة عشر فرسخا. البكري : معجم ما أستعجم : 2/ 686. الإدريسي: نزهة المشتاق : 145/1- 146 . ياقوت الحموي : معجم البلدان : 105/3. الحميري : الروض المعطار : ص 277. العيني : عمدة القارئ : 272/4 ، 15/ 260.

٢- الميل عند العرب: ما اتسع من الأرض حتى لا يكاد بصر الرجل يلحق أقصاه . وهو اسم لمسافة يساوي أربعة إلى ستة آلاف ذراع ، وهو ثلث الفرسخ ، فيساوي مايزيد على الكيلو متر أو الكيلومترين . عبد المنعم: معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية 386/3. العاملي: الاصطلاحات الفقهية ص213.

٣- هو وادي العرج ، يقال ان مائها يسمى المنبجس وهي بئار (جمع بئر) . البكري : معجم ما استعجم 930/3. ياقوت الحموي : معجم البلدان : 514/1 .

٤- مسجد العرج : يبعد عن وادي العرج ثلاثة اميال . البكري: معجم ما استعجم : 930/3.

٥- لقب لمن يتولى حكم اليمن. لمزيد من التفاصيل عن التبابعة ينظر: محسن مشكل فهد : التبابعة في اليمن (الصفحات جميعها).

٦- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 98/4- 99. البكري : معجم ما استعجم : 3 / 930 . الزمخشري : الفايق : 2 / 389. الصالحي الشامي: سبل الهدى : 5 / 281. ابن منظور : لسان : 1 / 196 . الطريحي : مجمع البحرين : 3 / 149.

٧- الأنساب 177/4 .

٨- اللباب في تهذيب الأنساب: 2 / 334.

وقد ورد ذكر العرج في كلام امير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث عن هجرة النبي ﷺ ولحاقه به، إذ قال: " **فجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ** " [1].

فدك:

لغة: فَدكَ – بالتحريك – آخره كاف . قال ابن دريد : فَدكّتُ القطن تفديكاً إذا نفشته ، وهي لغة أزدية [2].

أما اصطلاحا : هي موضع بالحجاز شمال الجزيرة العربية على طريق الشام وهي قرية زراعية على بعد يومين أو ثلاثة أيام من المدينة المنورة ، وتبعد عن خيبر دون مرحلة ، والمرحلة هي المسافة التي يقطعها الراكب في اليوم الواحد ، وكانت يسكنها اليهود [3].

لقد كان لقرب فدك من خيبر أولاً ، ولسكنها من قبل اليهود كما هو الحال بالنسبة لخيبر ثانيا ، ولان طريقة فتحها شابهت طريقة فتح حصنين من حصون خيبر ثالثا ، لذا اشتبه الأمر على بعضهم فتصوروا إنها من توابع خيبر [4]. لقد فتحت فدك صلحا ، وأصبحت فيئا للنبي ﷺ بموجب النص القرآني ، وتشير الروايات أن النبي ﷺ أعطى فدكا للسيدة فاطمة عليها السلام بموجب النص القرآني ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ [5]، وقد أشارت كتب التفسير أن المقصود بذلك السيدة فاطمة عليها السلام وقد تصرفت عليها السلام بهذه الأرض أربع أربع سنوات حتى وفاة النبي ﷺ ، فارتأى نظام الحكم بعد النبي ﷺ مصادرتها بعد أحداث جسام [6].

١- نهج البلاغة : ص487.

٢- الجوهري : الصحاح : 4 / 1602 . الحموي : معجم البلدان : 4 / 238 . ابن منظور : لسان العرب : 10 / 473 . وقيل في سبب تسميتها بفدك نسبة إلى فدك بن حام بن نوح عليه السلام لأنه أول من نزلها. الحموي : معجم البلدان : 240/4 . الحميري : الروض المعطار : ص437.

٣- انظر : الفراهيدي : العين : 5 / 332 . الحموي : معجم البلدان : 4 / 238 .ابن منظور : لسان العرب : 10 / 473 . الطريحي : مجمع البحرين : 3 / 371 . الجلالي : فدك : ص80-83.

٤- من هؤلاء الذين اشتبه عليهم الأزهري .انظر : ابن منظور : لسان العرب : 10 / 473 .وصاحب شرح المواقف. انظر: التبريزي : اللمعة البيضاء : ص292.

٥- سورة الإسراء الآية 26.

٦- لمزيد من التفاصيل راجع دراستنا التفصيلية: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية : ص789 – 900.

لقد ورد ذكر فدك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى واليه عثمان بن حنيف[1]، جاء فيها " **بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْه السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ ، ونِعْمَ الْحَكَمُ اللَّه ، ومَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وغَيْرِ فَدَكٍ ، والنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِه آثَارُهَا ، وتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا ، وأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا ، لأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ والْمَدَرُ ، وسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ ، وإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى ، لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الأَكْبَرِ، وتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ** " [2].

منعرج اللوى

اللوى من إلتوى ، تعني الرمل الذي تغيره الريح متى ما هبت ، ومنعرج اللوى هو منعطف الرمل [3]، وهو المكان الذي وقعت فيه معركة بين هوازن بقيادة أبو عبد الله أخو دريد بن الصمة وبين غطفان ، بعد أن نهبهم فلحقوه ، وكان قد نزل في منعرج اللوى وقتلوه وجرحوا دريدا. وكان دريد قد نصح أخاه ألا يقيم في منعرج اللوى لان غطفان ستلاحقه ، فلم يأخذ بنصيحة أخيه لذا قال:

امـرتهـم امـرى بمـنعرج اللّوى فلم يستبينوا الرّشد الّا ضحى الغد

فلمّا عصونى كنت منهم وقد ارى غـوايتهـم وانّـنى غـير مـهتدى

وهـل انا الّا مـن غـزيّة ان غوت غـويت وان يـرشـد غـزيـّة ارشد

فان يـك عـنـد اللـّه خلـّى مكانه فـما كـان وقـافا ولا طـائش اليد[4]

وقد تمثل أمير المؤمنين عليه السلام بالبيت الأول لما بلغه ما جرى بين الحكمين أبو موسى الاشعري وعمرو بن العاص[1]. ولم يتضح في المصادر المتوفرة اين مكان هذا المنعرج.

١- عثمان بن حنيف الأنصاري ، أرسله عمر بن الخطاب لمسح السواد، ولاه أمير المؤمنين عليه السلام البصرة ، ثم خرج منها إثر مجيء أصحاب الجمل ، فقبضوا عليه ونتفوا شعر لحيته ، ثم اطلقوه ، سكن الكوفة. حتى مات أيام معاوية. ينظر: ابن سعد: الطبقات : 255/3، 8/6 . ابن خياط : تاريخ : ص 136- 152. البخاري: التاريخ الكبير: 6/ 209 . العجلي: معرفة الثقات : 128/2.

٢- نهج البلاغة : ص573 -574.

٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 365/1 . البدري: نزهة النظر: ص770.

٤- البيهقي: معارج نهج البلاغة : ص 125- 126.

الجانب الاقتصادي:

أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الواقع الاقتصادي السيء عند العرب قبل بعثة النبي ﷺ الذي يعود إلى:

أولا: طبيعة أرض شبه الجزيرة: التي يغلب عليها إما أن تكون أراضي جبلية صخرية أو صحراوية . كما تبين في الجانب الجغرافي.

ثانيا: سيطرة القوى الأجنبية على الأراضي الخصبة ودفع العرب نحو الأراضي الصحراوية ، يقول عليه السلام : " **يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ وبَحْرِ الْعِرَاقِ ، وخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ ، ومَهَافِي الرِّيحِ ، ونَكَدِ الْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً ، وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً** " [٢].

هنا الإمام عليه السلام يشير إلى سيطرة الساسانيين على سواد العراق ، وهو المشهور بخضرته ، وأما بحر العراق فيقصد نهري دجلة والفرات ، فضلا عن شط العرب الذي كان يسمى دجلة العوراء [٣]، والروم أبعدوا العرب عن المناطق الخصبة في الشام ، واضطروا القبائل العربية إلى مناطق البادية [٤] ، التي وصفها الإمام بأنها " **مَنَابِتِ الشِّيحِ ، ومَهَافِي الرِّيحِ** " ، فالشيح نبات صحراوي[٥] ، ومهافي الريح إشارة إلى الأثر السيء للرياح في الصحراء ، حيث لايصدها شجر أو مانع ما [٦]، يبحثون عن الماء والكلأ ، فـ " **تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ** " [٧]. فالكدر: الماء غير الصافي الذي يتجمع في الأودية بعد

١- نهج البلاغة : ص75.

٢ - نهج البلاغة : ص402.

٣ - ياقوت الحموي: معجم البلدان: 183/3، 167/4.

٤ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13/ 173.

٥ - الفراهيدي: العين: 263/3 . الجوهري: الصحاح : 379/1.

٦ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 173/13.

٧ - نهج البلاغة : ص56.

سقوط الأمطار ، فيشربون منه [١] ، والجشب هو الطعام الغليظ ، او الذي لم ينخل كالشعير وغيره ، او الذي ليس فيه أدم [٢]. فحياتهم قاسية ، و(نكد المعاش) ضيقه وقلته ، قال أبن ابي الحديد [٣]: وتركوهم عالة ، أي فقراء ، جمع عائل ، والعائل ذو العيلة والعيلة: الفقر، قال تعالى ﴿ وإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٤]، ... وقوله " **إِخْوَانَ دَبَرٍ ووَبَرٍ** " ، الدبر مصدر دبر البعير، أي عقره القتب. والوبر للبعير بمنزلة الصوف للضان والشعر للمعز. ووصف عليه السلام أرضهم بأنها " **أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً** "، لعدم المعاقل والحصون المنيعة فيها. " **وأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً** "، لعدم الزرع والشجر والنخل بها. والجدب المحل.

لكن هذا الواقع الاقتصادي المأساوي تغير بعد البعثة النبوية الشريفة ، يقول عليه السلام " **فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّه عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، ... كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ** " [٥].

فقد امتدت رقعة دولة الإسلام على مساحات شاسعة من العالم يومذاك ، وغدت أراضي الدولة الساسانية والبيزنطية تتبع الدولة الإسلامية، وخيرات البلاد جميعا تدر عليهم من الخيرات ما لا يوصف.

---

١ – الفراهيدي: العين : 325/5 . الجوهري: الصحاح : 803/2 . ابن منظور: لسان العرب : 134/5.

٢ – ينظر: الفراهيدي: العين : 39/6 . ابن الأثير: النهاية: 272/1.

٣ – ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 173/13– 174.

٤ – سورة التوبة الآية 28.

٥ – نهج البلاغة : ص402– 403 .

المبحث الثاني
الجانب والسياسي والاجتماعي

اولا :الجانب السياسي :

أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الواقع السياسي عند العرب قبل البعثة المحمدية الشريفة، وهي إشارة أبانت الوضع السلبي الذي عاشه العرب آنذاك، إذ تميز واقعهم بـ :

أولا: التفرقة: كان للنظام القبلي أثره في تفرق العرب قبائل متناثرة في شبه الجزيرة العربية ، وصفها عليه السلام بأنها " قُرًى مُنْقَطِعَةٍ "[١]، وقال عليه السلام واصفا حالهم: " **تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وتَفَرُّقِهِمْ ... لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، ولَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ** " [٢].

ثانيا: الحروب: مع هذه الفرقة ، تميز تاريخ العرب قبل البعثة المحمدية بحروب متواصلة، تقع أحيانا لأتفه الأسباب ، مما أدى إلى أن تقطع الأرحام كما وصف حالهم الإمام " **وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ** " [٣]، حتى إن بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءت (على حين ... تلظ من الحروب) [٤]. هذه الحروب – التي سميت بأيام العرب[٥] ، وكانت موضع فخرهم في أنديتهم ومجالسهم[٦] – كانت سببا لقيام بعض القبائل بوأد بناتها [٧].

---

١ – نهج البلاغة : ص394.
٢ – نهج البلاغة : ص 401 – 402.
٣ – نهج البلاغة : ص 402.
٤ – نهج البلاغة : ص144 .
٥ – عن هذه الأيام ينظر: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر: 101/2 .ابن حمدون : التذكرة الحمدونية :ص382–384 . ابن الأثير: الكامل :502/1 – 506.
٦ – الملاح: الوسيط : ص407.
٧ – ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13/ 174 –175. الآلوسي : بلوغ الارب 3 / 42 – 43 .

ثالثا: الهيمنة الأجنبية: أشار أمير المؤمنين إلى أن حالة التفرقة هذه والحروب فيما بينهم أدت إلى سهولة السيطرة عليهم من قبل القوى الكبرى يومذاك " **لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ والْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ** " [١]، فقد تمكن الساسانيون من مد سيطرتهم على العراق واتخذوا من المدائن [٢] عاصمة لهم [٣]، ولا يبعد أنهم شجعوا الخلافات بين القبائل العربية، ونصبوا المناذرة ملوكا على العرب في العراق، مقابل قيامهم بحماية المصالح الفارسية [٤]، وكذلك مد الرومان سيطرتهم على بلاد الشام ونصبوا الغساسنة ملوكا لحماية لحماية مصالحهم ولصد الغارات العربية عن حدودهم [٥]. وكان الغساسنة مخلصين للرومان إلى درجة أن قام الملك الغساني بقتل الرسول الذي أرسله النبي محمد ﷺ يدعوهم للإسلام إرضاءً لأسياده الرومان [٦].

[٦].

لكن هذا الحال تغير بعد البعثة النبوية الشريفة إلى حال مغاير تماما، إذ تميز واقعه بإن الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ أدت إلى توحدهم تحت لواء واحد، مما ألف بين قلوبهم، فزالت الحروب والمنازعات

---

١ – نهج البلاغة : ص401–402.

٢ – مدينة تقع شمال شرق بغداد على بعد ستة فراسخ، وقد أختلف في أول من بناها هل هو الاسكندر المقدوني ؟، أم اردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية الذي اتخذها عاصمة ؟، وقد دأب الملوك من بعده على أن يبني احدهم مدينة إلى جوار السابقة حتى أصبح عددهن سبع مدن، عندها سميت بالمدائن، وقد افتتحها سعد بن أبي وقاص سنة 16 هـ، أيام الخليفة عمر، ولما فتحت البصرة والكوفة انتقل أكثر أهل المدائن اليهما، ولما بنى المنصور بغداد انتقل من تبقى إلى بغداد. قال الحموي ت 626هـ : ((فأما في وقتنا هذا فالمسمى بهذا الاسم بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ، وأهلها فلاحون يزرعون ويحصدون، والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية، وبالمدينة الشرقية قرب الإيوان قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعليه مشهد يزار إلى وقتنا هذا)). وينسب لهذه المدينة طائفة من حملة العلوم كالمدائني الإخباري، وابن أبي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة، وغيرهم. انظر : السمعاني : الأنساب 5 / 230 . 232 ، ياقوت الحموي : معجم البلدان : 5 / 74 – 75 . السيوطي : لب اللباب : ص 239 .

٣ . للتفاصيل ينظر: اليعقوبي: تاريخ : 1 / 137 وما بعدها، المسعودي: مروج الذهب: 221/1 – 253. آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين (كل الصفحات). طه باقر : تاريخ إيران القديم : ص 111 وما بعدها. شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية : ص 69 – 74.

٤ – الملاح: الوسيط : ص 219 – 220، 242. ولمزيد من التفاصيل عن المناذرة ينظر: اليعقوبي: تاريخ : 1/ 178–185، الملاح: الوسيط : ص 213–253.

٥ – الملاح: الوسيط : ص 256. ولمزيد من التفاصيل عن الغساسنة ينظر : اليعقوبي: تاريخ : 1/ 176–178 . الملاح: الوسيط : ص254 – 269.

٦ – الواقدي: المغازي : ص514.

، وغدا لهم سلطان واحد يفزعون إليه ، فلم يعودوا بعد أتباعا للأجنبي ، بل أصبحوا هم حكاما على الناس بعد أن كانوا تابعين للغير، يقول عليه السلام :

" فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّه عَلَيْهِمْ ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِه طَاعَتَهُمْ وجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِه أُلْفَتَهُمْ ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، والْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ، قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ ، وآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ ، وتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ومُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، ويُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، ولَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ "[1].

وقوله عليه السلام : لا تغمز له قناة ، أي هو صلب. والقناة إذا لم تلن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر. وأما قوله: لا تقرع لهم صفاة ; فهو مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لعزته وقوته[2].

١ – نهج البلاغة : ص402–403.

٢ – ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 13/ 179.

ثانيا : الجانب الاجتماعي :

طبيعة المجتمع قبل الاسلام :

المعلوم أن المدة الزمنية من تاريخ العرب التي سبقت الإسلام قد نعتت بالجاهلية ، فما هي الجاهلية ؟ ولماذا نعت العرب وقتذاك بذلك؟ .

الجاهلية : لغة ، مصدر جهل ، والجهل نقيض العلم ، وتجاهل : اظهر الجهل ، والجهالة : ان تفعل فعلا بغير علم ، والمجهلة : ما يحملك على الجهل [١] .

اما اصطلاحا: فهو لفظ مستحدث ظهر بظهور الاسلام ، وقد اطلق على حال العرب قبل الاسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة [٢] .

ولكن لماذا عرفت المدة السابقة للاسلام من تاريخ العرب بالجاهلية ؟ ، هناك من يرى انه غلبت على العرب البداوة ، وانهم قد تخلفوا حضاريا عن معاصريهم ، فعاشوا عيشة قبائل رحل في جهل وغفلة ولم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي ، اميون ، عبدة اصنام ، ليس لهم تاريخ حافل [٣].

لقد تباينت الاراء حول سبب اطلاق هذه اللفظة (الجاهلية) على تلك الحقبة من تاريخ العرب التي سبقت الاسلام ، و يمكن ايجازها بثلاثة اراء:

الاول: لانهم لا يعرفون القراءة والكتابة.

الثاني: لعدم المامهم بالعلوم، وانهم اناس غلبت عليهم البداوة والجهل بالعلوم.

الثالث: لعدم معرفتهم بالدين الصحيح.

وقد اخضع احد الباحثين هذه الآراء للدراسة والتحليل ، واثبت عدم انطباقها على واقع العرب في تلك المدة . إذ رجع إلى المصدر الذي أطلق لفظ الجاهلية ، ألا وهو القرآن الكريم الذي وجد أن لفظة (الجاهلية) وردت في القرآن الكريم في السور المدنية دون المكية [٤]، مما يدل على ان ظهورها كان بعد

١- الجوهري: الصحاح : 4/ 1663 -1664.

٢- جواد علي: المفصل:29/1 .

٣- جواد علي: المفصل: 1 / 29 .

٤- النصرالله: الجاهلية فترة زمنية ام حالة نفسية: (الصفحات جميعها)

الهجرة الى المدينة ، وان اطلاقها بهذا المعنى كان بعد الهجرة ، وان المسلمين استعملوها منذ هذا العهد فما بعده [١] .

وقد جاء امير المؤمنين عليه السلام ليقتبس هذه اللفظة من القرآن الكريم ، جريا على عادته في محاكاة اياته الشريفة ، فهو الذي كان اقدر و" اكثر من غيره على محاكاة ومجاراة كتاب الله والاستفادة منه في استعمال الكلمة القرانية ، ووضعها في موضع جديد، واستعمال علوي بليغ ، واذا البلاغة القرانية تتجسد على لسان علي" [٢] . ولا بأس من الاشارة الى النصوص التي وردت فيها لفظة الجاهلية في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام : ففي حديثه عن الأجواء التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " **بعثَه والنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ ، واسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ** " [٣] . وفي مقام نصحه أصحابه قال: " **لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، ولَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ**" [٤] ، ووصف حال المسلمين بعد مقتل عثمان بانه " **إِنَّ هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ** " [٥]، وأشار إلى أن من يتبع الشيطان هم: " **صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ** " [٦]. وعاد عليه السلام محذرا من الكبر فقال: " **فَاللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّه مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ، ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِه ، ومَهَاوِي ضَلَالَتِه ، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِه ، سُلُساً فِي قِيَادِه ، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيه ، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه ، وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِه** " [٧].

وفي وصفه المتكبرين او الكبراء والتحذير من طاعتهم " **أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ ، وجَاحَدُوا اللَّه عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِه ، ومُغَالَبَةً لِآلَائِه ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ ، ودَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ** " [٨]

١- جواد علي: المفصل: 1 / 29.
٢- الساعدي: علي القران الناطق : 1 / 12.
٣- نهج البلاغة : ص177 – 178.
٤- نهج البلاغة : ص320.
٥- نهج البلاغة : ص323.
٦- نهج البلاغة : ص387.
٧- نهج البلاغة : ص389 –390.
٨- نهج البلاغة : ص390.

وقال عليه السلام موبخا العصاة الخارجين عن الطاعة " **أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ** "[1].

ومن وصاياه العسكرية عليه السلام التي تعد من آداب الحروب أوصى بعدم التعرض للنساء ، " **ولَا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى ، وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والأَنْفُسِ والْعُقُولِ ، إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ ، وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ ، فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُه مِنْ بَعْدِه** "[2].

وفي موضع اخر " **فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ** "[3].

وقال عليه السلام مفتخرا : " **فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ** "[4].

وفي كتابه لابن عباس يستنكر عليه موقفه السلبي من بني تميم في البصرة ، يصف الامام بني تميم " **وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ ولَا إِسْلَامٍ** "[5].

الى غيرها من النصوص التي وردت فيها لفظة مشتقة من لفظ الجاهلية ، كـ الجهل [6]، وجهالة [7] ، والجاهلية الجهلاء [8] ، والجهلاء [9]. وغيرها.

والمتأمل في النصوص اعلاه يمكن ان يسجل الملاحظات الاتية :

اولا: إن الامام امير المؤمنين عليه السلام أطلق – صراحة – هذه اللفظة على المدة التي سبقت الاسلام من تاريخ العرب ، واوضح مثال على ذلك قوله مفتخرا : " **فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ** "[10].

١- نهج البلاغة : ص403.

٢- نهج البلاغة : ص509.

٣- نهج البلاغة : ص388.

٤- نهج البلاغة : ص529.

٥- نهج البلاغة : ص513.

٦- ينظر: نهج البلاغة : ص80، 178، 203، 269، 346، 489، 757.

٧- ينظر مثلا: نهج البلاغة : ص137، 458، 468.

٨- صفة مبالغة للجهل: ينظر مثلا: نهج البلاغة : ص178.

٩- جمع جاهل: ينظر مثلا: نهج البلاغة : ص398.

١٠- نهج البلاغة : ص529.

اشارة الى شرف بيته على غيره أنه لا يختص بدورهم في الاسلام فقط ، بل أن شرف بني هاشم قبل الإسلام (الجاهلية) مشهور، ومكارم اخلاقهم لا يدفعها دافع ولا ينكرها منكر[1].

ويظهر أن بعضهم تصور أن الإمام يشير إلى الجاهلية بمعناها الخلقي ، لذا استبعد ذلك واشار الى ان اللفظة هكذا " وجاهليتكم لا تدفع " [2]. لكن الواضح من سياق الكلام ان استعمال الامام عليه السلام لفظة الجاهلية كانت في مقابل لفظة الاسلام " فاسلامنا " مقابل " جاهليتنا " وهذا دليل التقابل الزمني ، فان في كلا المدتين كان لبني هاشم مآثر محمودة . وكذلك في معرض كتابه لابن عباس واليه على البصرة يوصيه ببني تميم ، قائلا عليه السلام: " **وإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ [3] فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ** " [4] .

إن الإمام هنا يقصد بلفظ الجاهلية المدة الزمنية التي سبقت الدعوة المحمدية.

ثانيا: يبدو واضحا في النصوص ان لهذا النعت " الجاهلية " اسبابا ودوافع استوجبت وسم المجتمع انذاك بهذه الصفة ، منها الممارسات السلبية التي ابتعدت بهم عن هدى الشرائع السماوية ، كما هو واضح في اشارته عليه السلام : " **لَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ** " [5] .

كما تنبئ تلك النصوص عن تفشي امراض اجتماعية مقيتة في ذلك المجتمع كالكبر والحمية والعصبية والاستخفاف والحقد ، وعدم احترام المرأة ، فضلا عن غيرها من السمات التي سياتي الحديث عنها تفصيلا .

ثالثا: غير خاف على المطالع للنصوص السابقة ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد القى تلك الخطب التي حوت هذه النصوص – في اغلبها ان لم تكن كلها – في مدة خلافته ، أي بعد ظهور الاسلام ومضي مدة ليست بالقليلة ، ومع ذلك فاننا نلحظ وبشكل لافت للنظر ان الدلائل واضحة على عودة مظاهر الجاهلية ونشاطها من جديد في المجتمع الاسلامي انذاك.

١- ألف الجاحظ رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس، ينظر رسالة في فضل بني هاشم على عبد شمس (الصفحات جميعها). وكذلك ألف المقريزي رسالة في أسباب وصول بني أمية للحكم منابذة لبني هاشم بعد أن بين فضلهم . ينظر: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم (الصفحات جميعها).

٢- الراوندي : منهاج البراعة : 78/3 . نلاحظ ان ابن ميثم في شرحه اوردها بلفظ " جاهليتنا " وكذلك في كتابه مصباح السالكين : ص 500 اذ ذكر اللفظة في اصل الخطبة " جاهليتنا " ولكن في شرحها قال : " جاهليتكم لا تدفع شرفنا وفضلنا فيها .

٣- الوغم : الحرب والحقد . ينظر : ابن الاثير : النهاية : 5/ 209 ، ابن منظور : لسان العرب : 12 / 641.

٤- نهج البلاغة : ص 513.

٥- نهج البلاغة : ص320.

مما دعاه عليه السلام الى الجد في اعادتهم لهدي الشريعة السمحاء ووضعهم على الطريق الصحيح ، بالوعظ والانذار والتوضيح لمكامن العلل والحرص منه عليه السلام على معالجتها ، ومن ذلك:

قوله عليه السلام : " **فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ** " [1]. وفي قول آخر يحذر من كبر ابليس والانقياد له " **صَدَّقَه بِه أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَه الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْه فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّ ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُه عَلَيْكُمْ ، ودَلَفَ بِجُنُودِه نَحْوَكُمْ ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ ، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ ، وأَوْطَئُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ ، وحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ ، وقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ ، وسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ ، فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً ، وأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ**" [2] .

وعاد يؤنب سامعيه و ماهم عليه من روح قبلية وتعصب عنصري ذميم وهما من شر سمات الجاهلية ، مبينا ان هذه الافة الخطيرة قد ابتليت بها الامم الماضية : " **أَلَا وقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلَّه بِالْمُنَاصَبَةِ ، ومُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ ، فَاللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ ، وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّه مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ ، ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِه ، ومَهَاوِي ضَلَالَتِه ، ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِه سُلُساً فِي قِيَادِه ، أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيه ، وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه ، وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِه** " [3] . وحذر من تكرار التجربة التاريخية في هذا المضمار: " **واجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ، وأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ ، وتَشَاحُنِ الصُّدُورِ ، وتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وتَخَاذُلِ الأَيْدِي ...** " [4] .

الى غيرها من النصوص التي تنطوي تحت هذا الجانب .

والغاية من هذا العرض الموجز لبعض الامثلة اعلاه انه بدلالة قول الامام عليه السلام وبيناته فان " الجاهلية " لم تكن سمة مقتصرة على المدة التي سبقت الاسلام ، بل هي سارية في كل مجتمع تتوافر فيه مصاديقها، وهذا ما يوافق النظرة القرانية كما سيتضح لنا.

رابعا: ان ما ذكره الامام امير المؤمنين عليه السلام عن موجبات ذلك النعت للمجتمع في الفترة السابقة للاسلام وحتى المدة الاسلامية ، يحاكي ما جاءت به آيات الذكر الحكيم التي ستكون مدار البحث فيما يأتي :

١- نهج البلاغة : ص388.

٢- نهج البلاغة : ص387 -388.

٣- نهج البلاغة : ص389 -390.

٤- نهج البلاغة : ص400.

لقد سبقت الاشارة الى ان هذه اللفظة وردت في القرآن الكريم في السور المدنية في اربع مواضع من القرآن الكريم وهي كالاتي :

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [1] .

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [2] .

﴿ وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[3]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [4]

ومن خلال تأمل ما جاء في كلام امير المؤمنين عليه السلام نجد تناغما واضحا ما بين الاستعمال القرآني للفظة الجاهلية وما بين استعماله عليه السلام لها ، ولاسيما في الآيات الثلاثة الاولى كما سنبينه الان :

الآية الاولى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [5] .

لقد حصرت الآية الأحكام في نوعين ، اما احكام من الله او من غيره ، وقد اطلقت الاحكام الصادرة عن غير الله بانها احكام جاهلية ، والقرآن هنا يشير الى جماعة لم تقبل باحكام الله وارادت احكاما اخرى [6].

وهذا ما نجد له صدى واضحا في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام ، ومن ذلك اشارته عليه السلام الى بعض الاحكام المخالفة للشريعة الالهية ، التي عدها عليه السلام من أحكام الجاهلية ، ومن أبرزها ظاهرة " الوأد " [7] ، اذ يقول عليه السلام واصفا المجتمع آنذاك: " **الأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ**

١- سورة المائدة الآية 50 .

٢- سورة الفتح الآية 26.

٣- سورة آل عمران الآية 154.

٤- سورة الأحزاب الآية 33.

٥- سورة المائدة الآية 50 .

٦- ابن كثير: تفسير: 67/2 . النصر الله: الجاهلية : ص15 .

٧- واما عن اسباب او دوافع الوأد عند العرب قبل الاسلام ، فهي متعددة منها:

العامل الديني: وذلك من خلال تقديم بعض البنات كقرابين للإلهة ، كإظهار الشكر على النعم ، وقد استنكر القران الكريم ذلك بقوله ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ سورة الأنعام الآية 137. واحيانا تم وأد البنات بسبب عقيدة بعض المشركين بان الملائكة بنات الله ، فالحقوا البنات به ، فهو أحق بهن، والى ذلك اشار القرآن الكريم ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ ...".[1]

الوأد – لغة – الثقل ، واطلقت الكلمة على البنت التي تدفن حية لانها تثقل بالتراب ، جاء في اللغة : وأد الرجل ابنته اذا دفنها في القبر حية واثقلها بالتراب [2]، وهو ما اكده المفسرون انما سميت المؤودة كذلك " لما يطرح عليها من التراب فيؤودها ، أي يثقلها حتى تموت " [3].

اما المعنى الاصطلاحي للوأد ، فهو قتل الطفل ، ذكرا كان او انثى سواء بالدفن او بغيره كالقائه من شاهق ، او إغراقه ، أو ذبحه [4] .

والامام عليه السلام هنا يشير الى " وأد البنات " تحديدا ، ولكن يمكن ان يحمل قوله في موضع آخر " تسفكون دمائكم وتقطعون ارحامكم " على قتل الوالد لولده [5] . وقد استنكر القرآن الكريم هذه الظاهرة وعدها من المسائل التي تأخذ حيزا كبيرا يوم القيامة كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ[6] ﴾ [1].

سورة النحل الآية 57. العامل الاقتصادي: ان شحة موارد الصحراء جعلت الاعراب يعيشون حياة الكفاف والفقر، فاضطرهم ذلك لوأد البنات ؛ الآلوسي: بلوغ الإرب : 3/ 44. قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ ﴾ سورة الإسراء الآية 31. العامل الاجتماعي: يكاد يكون هذا العامل في مقدمة العوامل المسببة للوأد حيث ان المجتمع البدوي قائم على الغزو وهذا يؤدي الى وقوع المرأة في الاسر مما يجلب العار لاهلها ؛ الآلوسي : بلوغ الارب : 3 / 42 – 43 . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية : 2 / 24 . قال تعالى ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ﴾ ؛ سورة النحل الآيتان 58 –59. العامل الصحي: كان البعض يتشاءم اذا ولدت له بنت مصابة بالكساح او ان تكون برشاء او زرقاء او عرجاء او غير ذلك ، فكانوا يئدون من تولد على هذه الصفات ؛ الآلوسي: بلوغ الإرب : 3/ 43.

وتجدر الاشارة ان هذه الحالات شاذه وانحصرت لدى بعض القبائل البدوية ، وظهر من يستنكر ذلك عند العرب كما فعل عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، اليعقوبي: تاريخ : 12/2. وصعصعة بن ناجيه جد الفرزدق الذي كان يشتري المؤودة ، لذا كان الفرزدق يقول مفتخرا: **ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يؤد**

ينظر ديوان الفرزدق ص173، وينظر: النصر الله : الجاهلية :ص 17 .

١– نهج البلاغة : ص402.

٢– أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية : ص 75. ابن منظور: لسان العرب : 442/3 . الزبيدي: تاج العروس : 289/5.

٣– الثعلبي: الكشف والبيان : 139/10. البغوي: معالم التنزيل : 452/4 . وينظر: الشريف الرضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن : ص302. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن : 283/10. الغرناطي: التسهيل لعلوم التنزيل : 456/2. الآلوسي: روح المعاني : 30/ 52.

٤– حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 3 / 317. المحمودي: مفتاح السعادة: 5 / 195– 196 .

٥– حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة :3 /317 .

٦– سورة التكوير الآيتان 8 ،9 .

اما الآية الثانية : قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [٢]

الحمية في الاصل من مادة " حمي " ومعناها الحرارة ، ثم صارت تستعمل في معنى الغضب ، ثم استعملت في النخوة والتعصب الممزوج بالغضب ايضا [٣]، والحمية : هي السفه والحمق والانفة والخفة والغضب ، وعدم الانقياد الى قانون او حكم ، هي شعور بالاعتداد بالنفس [٤] .

ويقال ذو حمية منكرة اذا كان ذا غضب وانفة ، أي حميت قلوبهم بالغضب ، كعادة آبائهم في الجاهلية ان لا يذعنوا لاحد ولا ينقادون له [٥] . قال الراغب[٦] : عبر عن القوة الغضبية اذا ثارت بالحمية ، فقيل: حميت على فلان اذا غضبت.

وهذه الكلمة (الحمية) قد تستخدم في هذا المعنى المذموم " مقرون بالجاهلية او بدونها " بعض الاحيان ، وقد تستعمل في المدح حينا آخر، فتكون عندئذ بمعنى التعصب في الامور الايجابية البناءة [٧] .

ولكلا الحالتين مصداق في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام ففي الجانب السلبي نجده عليه السلام يعدها من مظاهر الكبر والافتخار المذموم ، وذلك حينما استدل عليه السلام بقصة ابليس وعصيان الامر الالهي بالسجود لآدم ، اذ قال عليه السلام: " **اعْتَرَضَتْه الْحَمِيَّةُ ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِه ، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْلِه** " [٨]، وفي مورد آخر لذم الشيطان ومن نهج نهجه يقول عليه السلام : " **صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ** " [٩] ، وفي موضع آخر قال عليه السلام محذرا: " **فَاللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ** " [١٠]. وقد عدها عليه السلام من خطرات الشيطان: " **فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ**

١- النصر الله : الجاهلية: ص 17.

٢- سورة الفتح الآية 26.

٣- ناصر مكارم الشيرازي: الامثل : 16 / 351 .

٤- ابن الاثير: النهاية : 447/1. ابن منظور: لسان العرب : 11/ 14 ، 129 ، 199 .

٥- الطبرسي : مجمع البيان : 210/9.

٦- المفردات في غريب القرآن : ص132.

٧- ناصر مكارم الشيرازي: الامثل : 16 / 351.

٨- نهج البلاغة : ص385.

٩- نهج البلاغة : ص387.

١٠- نهج البلاغة : ص389 -390.

الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِه ونَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه " [1] ، ومن مظاهر الكبر اذ يقول عليه السلام في صفة المتكبر" **وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ** " [2].

اما الجانب الايجابي لها فيمكن الاستدلال عليه بقول امير المؤمنين عليه السلام مخاطبا المتقاعسين في جيشه " **أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ولَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ** " [3].

ومظهر آخر من مظاهر الحمية المذمومة وردت الاشارة اليه في كلام امير المؤمنين عليه السلام " العصبية " الجاهلية . والعصبية : مشتقة من عصب وجمعها اعصاب ، والعصب هو الطي الشديد ، وكل شيء استدار بشيء فقد عصب به ، ويقال عصب الرجل بالرجل عصبا أي احاطو به لقتال او حمية ، وعصب القوم بالنسب احاطوا به ، وعصبة الرجل بنوه الاقربون [4] .

وكان المجتمع انذاك يعتبر رابطة الدم والرحم اساس الروابط الاجتماعية فيضع مبدأ القرابة فوق مبادئ الحق والعدالة في حال التعارض بينهما [5]، والقرآن الكريم قد ذم هذه الحمية كما مر في الآية السابقة .

ان العصبية والحمية من توابع الكبر – كما سياتي بيانه – والفرق بينهما ان الحمية للنفس ، والعصبية للاقارب ، والحمية للاهل والعصبية للقبيلة[6].

وقد اشار امير المؤمنين عليه السلام الى ان كل تعصب لعلة ما مقتضيه لتعصبه اذ يقول عليه السلام : " **ولَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ – يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ** " [7] مقتضية لتعصبه حاملة له عليه .

ثم شرع عليه السلام في تفصيل بعض وجوه العصبية واسبابها ، فبدأ بذكر مبدأ العصبية لابليس وهذه العلة كما يقول امير المؤمنين عليه السلام : " **تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ** " [8] ، أي تحتمل تشبيه الامر على اهل الجهل بحيث يظن سببا صحيحا للتعصب او عن حجة ملتصق بعقول

١- نهج البلاغة: ص388 -389.
٢- نهج البلاغة : ص389.
٣- نهج البلاغة : ص78.
٤- خريسات : العصبية القبلية : ص21
٥- الملاح: الوسيط: ص376.
٦- المجلسي: مرآة العقول: 11 / 159.
٧- نهج البلاغة : ص398.
٨- نهج البلاغة : ص398.

السفهاء فيقلبها ، وهذا هو مقتضى العقل ، اذ كان الترجيح من غير مرجح محال في بداية العقول ، وتقدير الكلام : فما وجدت احدا يتعصب الا وجدته يتعصب عن علة [١] .

يقول شوقي ضيف [٢]: وهي عصبية سيطرت على نفوسهم قدسوها تقديسا كان اعظم من تقديسهم للشعائر الدينية ، تلك الشعائر التي كانت تشاركهم فيها قبائل اخرى ، اما الشعائر العصبية القبلية فانها خاصة بالقبيلة الواحدة وابنائها الذين يجمعهم دم واحد ونسب واحد ، وربما تسامح الواحد في دينه ، اذ لم يكن يهمه في كثير من الاحوال ، اما في العصبية فانه لا يتسامح في أي واجب من واجباتها " .

وقال عليه السلام موضحا سبب تعصب ابليس : " اما ابليس فتعصب على ادم لاصله ، وطعن عليه في خلقته فقال: انا ناري وانت طيني" فكانت علة تعصبه انه تعزز بخلقة النار واستوهن خلقة الصلصال [٣] . ولذا نعته عليه السلام بانه " **إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ** " [٤] وفي موضع اخر اشار عليه السلام الى ان الشيطان هو الذي وضع اساس العصبية ونازع الله رداء الجبرية ، وكان عليه السلام قد حذر الناس من ابليس لانه عدو لله وامرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاء بسبب معصيته وتكبره وتعصبه " **فاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّه عَدُوَّ اللَّه أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِه ، وأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِه ، وأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِه ورَجِلِه ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ ، ورَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، فَـ ﴿ قَالَ رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** [٥]**، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ورَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَه بِه أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ وإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وفُرْسَانُ الْكِبْرِ والْجَاهِلِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَه الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، واسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْه فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الأَمْرِ الْجَلِيِّل** " [٦] .

ثم بين من هم تلامذة ابليس ومن سار على نهجه واستسلم لغوايته اذ اشار عليه السلام الى عصبية الاغنياء والجهال من مترفة الامم ، وبين علة تعصبهم ، وهي اثار مواقع النعم والاموال والاولاد وسائر ما ينتفع به اذ يقول عليه السلام : " **وأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَـ ﴿ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وأَوْلاداً وما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾** [٧] " [٨] .

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 4 / 341.
٢- العصر الجاهلي: ص 61.
٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 308.
٤- نهج البلاغة : ص385.
٥- سورة الحجر الآية 39.
٦- نهج البلاغة : ص386 -387.
٧- سورة سبأ الآية 35.
٨- نهج البلاغة : ص 398 -399.

وفي الماحة منه عليه السلام لما رأى ان عمدة منشأ تعصب اغلب الناس هو اتباع الرؤساء وحذرهم من متابعتهم بقوله : " **أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وكُبَرَائِكُمْ** "[1] والتكرير لتاكيد التحذير، ولا يكونوا مثل الكافرين الذين ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا [2] ﴾ أي اطعنا قادة الكفر وائمة الضلال [3] ، ووصف عليه السلام الكبراء السادات بانهم " **الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ** " [4] أي جهلوا انفسهم ولم يفكروا في اصلهم من النطف النطف المستقذرة ومن الطين المنتن ونحوه [5] .

ثم مضى عليه السلام في بيان اوصافهم بانهم " **أَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ ، وجَاحَدُوا اللَّه عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِه ، ومُغَالَبَةً لِآلَائِه** " [6]، ولذا نعتهم عليه السلام " **فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ**" [7] ، أي بهم بهم قوام الكبر العصبية وثباته ، كما ان قوام الاساس يقوا غيره واستحكام بها [8] . واضاف عليه السلام في نعوتهم أنهم " **دَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ** " [9]، واراد ان اعتزائهم الى الجاهلية وانتسابهم اليها بمنزلة السيوف القواطع للحق المهلكة للدين [10] . وهنا عليه السلام انما استعار لفظ السيوف لهم باعتبار صرامة عزومهم ومضيهم عند الاعتزاء فيما يعتزي له كمضي السيوف وصرامتها في مضاربها ، ويحتمل ان يريد بقوله (واصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية) وذلك عند قولهم : يا لفلان ! والاعتزاء منهي عنه لكونه مبدأ الفتن[11].

ان ما ذكر اعلاه هو حديثه عليه السلام في مقام الذم لتلك السمة ، أي العصبية المذمومة . ولكن يجدر التنبيه الى ان للامام عليه السلام كلاما ايضا في العصبية الممدوحة ، والمرغوبة في الشريعة فقال عليه السلام: " **فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، ومَحَامِدِ الأَفْعَالِ ، ومَحَاسِنِ الأُمُورِ، الَّتِي**

١- نهج البلاغة : ص390.
٢- سورة الأحزاب الآيتان 66-67.
٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 258
٤- نهج البلاغة : ص390.
٥- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة :13 /149 .
٦- نهج البلاغة : ص390.
٧- نهج البلاغة : ص390.
٨- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة 11/ 260.
٩- نهج البلاغة : ص390.
١٠- الحسيني: الديباج الوضي: 4 / 1996.
١١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 4 / 307 – 308.

تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ والنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ ، ويَعَاسِيبِ القَبَائِلِ بِالأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ ، والأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ ، والأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، والآثَارِ الْمَحْمُودَةِ " [1].

وهنا اشارة واضحة منه عليه السلام الى وجود عصبية محمودة الى جانب العصبية المنفرة المذمومة ، وهذا يعني ان معرض الذم وان كان غالبا على المجتمع في تلك الفترة السابقة للاسلام الا انه ليس شاملا بل فيه ما يدعو الى المدح والافتخار، وخير مثال على ما ذكره بعض الكرام من العرب من اهل المجد والشرف والذين عبر عنهم عليه السلام بقوله " المجداء والنجداء من بيوتات العرب ، ويعاسيب القبائل ".

ورغم تعدد الامثلة بين ثنايا الروايات التاريخية الا اننا سنركز الحديث لاحقا عن الابرز وضوحا في تاريخ العرب ألا وهم اجداد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من بنو هاشم ممن تعارف باكرم الخصال واعلى رتب الشرف ، وممن انف عن افعال الجهل والكبر والعصبية الا للخلال المحمودة – كما سياتينا بيانه [2] – ومن مصاديق ذلك ما كان منهم من نصرة الدين الالهي ومنعة لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم [3]، وقد ورد في الحديث " ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه" [4].

ولنا تحفظ بشأن ما ورد لدى البعض من تحليل لموقف سيدنا ابي طالب عليه السلام وسيدنا الحمزة عليه السلام فعللوا موقف الاول تجاه الرسالة السماوية وابن اخيه النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما ابداه من موقف ايجابي ، انه كان لتعصبه القبلي او لحميته لقريبه [5] ؟! وكذلك فسر اسلام الحمزة عليه السلام انه جاء نتيجة غضبه وعصبيته للقرابة [6]. ولكن المطّلع المتأمل لمواقف هذين السيدين ليقف على ايمان عميق بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والا لما استحقا هذه المكانة في تاريخ الاسلام فغدا ابو طالب حامي الرسول والمدافع عنه وناصره اذ سماه الله سبحانه ناصر النبي ، إذ قال جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم اثر موت ابي طالب : " اخرج منها فقد مات ناصرك " [7]، واما الحمزة فهو اسد الله ، واسد رسوله ، وسيد الشهداء [8].

١- نهج البلاغة : ص399.

٢- ينظر الفصل الثالث ص : 254 – 259 .

٣- ينظر من هذا الفصل ص : 137 – 141 .

٤- ابن حنبل: المسند: 533/2 . السمعاني: تفسير: 448/2.

٥- لمزيد من التفاصيل عن هذا الرأي وما جاء في رده ينظر المحمداوي : ابو طالب : ص 107 – 314 .

٦- ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 184 – 185 . ولمزيد من التفاصيل عن سيرة الحمزة عليه السلام ورد الشبهات عنها ، ينظر : سعدي المالكي : حمزة بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية : (الصفحات جميعها) .

٧- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 29/1، 128/4.

٨- الصفار: بصائر الدرجات : ص141.

ولنترك الحديث لامير المؤمنين عليه السلام يحدثنا عن هاتين الشخصيتين، فنجده يفخر بابيه قائلا: " **ولا ابو سفيان كأبو طالب** " [١]، ويفخر بعمه حمزة فيقول: " ومنا أسد الله " [٢].

إن الحمية والعصبية من توابع الكبر، الذي كان من ابرز سمات المجتمع الجاهلي انذاك، وقد وردت الاشارة اليه في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام فما هو الكبر؟

الكبر: هو حالة تدعو الى الاعجاب بالنفس والتعاظم على الغير، بالقول او الفعل ، وهو من اخطر الامراض الخلقية ، واشدها فتكا بالإنسان ، وادعاها الى مقت الناس له وازدرائهم به ، ونفرتهم منه . قال تعالى ذاما لهذه الخصلة ﴿ انه لا يحب المستكبرين ﴾[٣] وقال: ﴿ وجعل جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ [٤] .

فالكبرياء من السمات الخاصة بالله " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ** " [٥]، وقد حذر امير المؤمنين عليه السلام من هذه الحالة التي كانت من ابرز الظواهر في المجتمع انذاك " **بَعَثَهُ والنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، واسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ** " [٦] في مواضع عدة " **واسْتَعِيذُوا بِاللَّه مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَه مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّه فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِه، لَرَخَّصَ فِيه لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِه وأَوْلِيَائِه** " [٧]، وقال عليه السلام : " **فَاللَّه اللَّه فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ**" **الْكِبْرِ**" [٨] ، **وضرب الامثلة لعاقبة الذي يتكبر بالشيطان اولا الذي اضاع عبادة ستة الالاف سنة عن كبر ساعة واحدة** [٩] " **فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ، ، ونَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ ، وادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ . أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ ؟ ووَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً ، وأَعَدَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ سَعِيراً** " [١٠]

١- نهج البلاغة : ص511 .
٢- نهج البلاغة : ص528 .
٣- سورة النمل الآية23.
٤- سورة الزمر الآية 60.
٥- نهج البلاغة : ص 384-385.
٦- نهج البلاغة : ص 177
٧- نهج البلاغة : ص392.
٨- نهج البلاغة : ص397.
٩- نهج البلاغة : ص 386.
١٠- نهج البلاغة : ص385.

فدعا الناس للاعتبار بحاله " **إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَه الطَّوِيلَ وجَهْدَه الْجَهِيدَ**" [١] " **فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ قُلُوبِكُمْ ، مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ ، وأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ ، مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ ونَخَوَاتِه ونَزَغَاتِه ونَفَثَاتِه ، واعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، وإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ** " [٢] .

ثم دعا للحذر من التأسي بفعال المثال الثاني من امثلة المتكبرين ، وهو قابيل ابن آدم ، اذ يقول عليه السلام : " **ولَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّه ، مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَه اللَّه فِيه ، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِه مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِه مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، ونَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِه مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ ، الَّذِي أَعْقَبَه اللَّه بِه النَّدَامَةَ ، وأَلْزَمَه آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** "[٣]

وما زال عليه السلام محذرا من هذا المرض الاخلاقي البغيض وآثاره الوخيمة اذ يقول عليه السلام : " **اللَّه اللَّه فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ – فَإِنَّه مَلَاقِحُ الشَّنَئَانِ ومَنَافِخُ الشَّيْطَانِ – الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ والْقُرُونَ الْخَالِيَةَ – حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِه ومَهَاوِي ضَلَالَتِه – ذُلُلًا عَنْ سِيَاقِه سُلُساً فِي قِيَادِه – أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيه وتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْه – وكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِه – ... فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، مِنْ بَأْسِ اللَّه وصَوْلَاتِه ووَقَائِعِه ومَثُلَاتِه ، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، واسْتَعِيذُوا بِاللَّه مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَه مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ**" [٤].

لعل اهم ما ميز حياة العرب في الجاهلية انها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى كأنها سنة من سننهم، فهم دائما إما قاتلون أو مقتولون، لا يفرغون من دم إلا الى دم آخر. [٥] والى ذلك اشار الامام امير المؤمنين عليه السلام في معرض حديثه عن المجتمع آنذاك اذ يقول: " قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ " [٦] أي أي قد تداعوا الى الموت والفناء من كثرة الغارات وشدائد سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض، لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدلي ولم يجر في امورهم قانون شرعي اسرع فيهم ظلم بعضهم لبعض واستلزم ذلك فنائهم.[٧]

١- نهج البلاغة : ص 386.
٢- نهج البلاغة : ص 388 -389.
٣- نهج البلاغة : ص389.
٤- نهج البلاغة : ص 389-390.
٥- ضيف : العصر الجاهلي : ص 62
٦- نهج البلاغة : ص381.
٧- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 255.

اذ كان اكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الاخذ بالثأر [1]، فهو شريعتهم المقدسة، فكأن الثأر هو واجبهم الاول الذي لا يتساهلون فيه، ومن هنا تحولت القبائل العربية وتوزعت ما بين طارد ومطرود وغاز ومغزي كل يسعى الى اخذ غيره بسلطان قوته وخاصة اذا لمس في الخصم ضعفا[2].

لذا عد الامام عليه السلام " الغارات " من ابرز مظاهر حياتهم آنذاك بقوله في وصف حالهم: " **فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، والأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، والْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ، وأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ** "[3]. فقد تحولوا بسبب اختصامهم على المراعي واتخاذهم الغزو وسيلة من وسائل عيشهم الى ما يشبه كتائب حربية ، فكل قبيلة مستعدة دائما للحرب والاغارة على من حولها من البدو والحضر ، وهي دائما شاكية السلاح حتى تحمي حماها ومنازلها وآبارها ومراعيها [4] . وكانوا يسمون وقائعهم ايام [5]، فهي ليست حروبا بالمعنى المفهوم من الحرب ، فان فان منها ما هو مجرد مناوشات او مهاترات او غزوات ، ومنها ايام وقعت واستمرت لعدة سنين [6] . ولذا قال عليه السلام : " وانتم معشر العرب ... تسفكون دمائكم وتقطعون ارحامكم ... " في دلالة على الاثر السلبي الذي جنته تلك الحروب والغزوات على علاقاتهم وتسببت بفرقتهم .

ولذا وصفهم الامام امير المؤمنين عليه السلام بالجفاء والغلظة وعبر عن مزيتهم قائلا : " **الْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ** " [7] يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من قساوة القلوب وسفك الدماء ، ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتأكيدا لها ، واراد الجفوة القوية [8] ثم نجده عليه السلام يشير الى سلوك اجتماعي مقيت اذ مما يشاع فيهم انهم " " **يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، ويَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ** " [9] ففضلا عن ارتباكهم الفواحش والمحرمات ، ظهر من

١- لمزيد من التفاصيل عن الثأر واثاره السلبية ينظر : بثينة الزبيدي : الثأر في العصر الاموي : ص 7 – 62

٢- خريسات : العصبية القبلية : ص 90

٣- نهج البلاغة : ص402.

٤- ضيف : العصر الجاهلي : ص 61 –62

٥- لمزيد من التفاصيل ينظر : الالوسي : بلوغ الارب : 2 / 67– 73 . جواد علي : المفصل: 5 / 260 – 311

٦- جواد علي : المفصل: 5 / 268.

٧- نهج البلاغة : ص275.

٨- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 222.

٩- نهج البلاغة : ص275.

عاداتهم استذلال من عقل منهم وحلم الغارة والنهب واثارة الفتن ، واستنهاضه بنسبته الى الجبن والضعف [1].

الآية الثالثة : ﴿ وطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [2]

الظن: هو ان ترجح مضمون الخبر وعدمه ، مع تجويز الطرف الاخر [3]، واحيانا ياتي الظن بمعنى العلم ، قال تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاه ﴾ [4] وقال ايضاً : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ﴾ [5].

والاية هنا تشير الى بعض افكار الجاهلية التي تبتني على غير ادلة سواء كانت ادلة شرعية او عقلية ، ومن تلك الافكار قولهم بتعدد الالهة واتخاذ وسائط الى الله تمثلت بالاصنام ، وانكار بعضهم حياة ما بعد الموت ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ** ﴾ [6]. ولذلك سموا بالمعطلة ، وكانوا يحملون الدهر مسؤولية ما يمر بهم من نكبات وتقلبات [7]، اذن القرآن يرد القول ان أي أي ظن ياتي عن غير دليل شرعي او عقلي فهو جاهلي ، بغض النظر عن زمانه ومكانه [8].

ومن مصاديق ذلك في كلام امير المؤمنين عليه السلام ما اشار اليه في معرض حديثه عن اديان العرب ، ومنها عبادة الاوثان بقوله عليه السلام: " **فَبَعَثَ اللَّه مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم بِالْحَقِّ ، لِيُخْرِجَ عِبَادَه مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِه ، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِه** " [9]، وقال في موضع آخر" **الأَصْنَامُ**

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 3 / 222.
٢- سورة آل عمران الآية 154.
٣- محمد رضا المظفر: المنطق : 18/1.
٤- سورة ص الآية 24.
٥- سورة الكهف الآية 53، وكذلك: البقرة الآية 46، سورة الحاقة الآية 20.
٦- سورة الجاثية الآية 24.
٧- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 117/1 -120.
٨- النصر الله : الجاهلية : ص 20 – 21.
٩- نهج البلاغة : ص267 .

فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ " [1] " **وأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ** " [2]ومن اديان العرب الاخرى التي اشار اليها عليه السلام : " **وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّه لِلَّه بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه** "[3] والتي سنقف عليها بشكل تفصيلي في بحث الجانب الديني.

دور النبي صلى الله عليه وآله في اصلاح مجتمعه :

وبعد هذا العرض الموجز الذي تم لملمة شتاته من بين مواضع شتى تناثرت في كلامه الشريف عليه السلام ، حتى تكونت لنا هذه الصورة عن تاريخ العرب قبل الاسلام وقبيل بعثته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ان شخص عليه السلام وجوه الفساد والانحراف في ذاك المجتمع بين ان علاجها واصلاحها هو وظيفه النبوة التي وضعت العلاج اللازم لتلك الامراض العقيمة ، لذا عبر عليه السلام عن دور النبي عليه السلام بقوله : " **طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ ، وأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذَانٍ صُمٍّ ، وأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ ، ومَوَاطِنَ الْحَيْرَة** "[4] .

فالنبوة تعالج وجوه الفساد كلها في الانسان والمجتمع في الروح والمادة ، والمؤسسات لتحقيق الغاية العظيمة النبيلة ، وهي تكوين الانسان المتكامل ، وقد اعلن الانبياء صلوات الله عليهم هدفهم هذا على مدى التاريخ ، كل واحد منهم في المحيط الذي بعث اليه في الزمان الذي كان فيه ، الى ان ختمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان هذا الهدف العظيم بحجم امتداد الرسالة الخاتمة في الزمان والمكان على مستوى البشرية كلها ، وعلى مدى المستقبل كله الى نهاية الزمان : " **فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي النَّصِيحَةِ ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** " [5]، " **... فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ** " [6]، وقد اثمر جهد الانبياء العظيم النبيل وجهادهم ومن اتبعهم وجرى على سنتهم ، في تحقيق هذا الهدف العظيم الذي وضع الانسانية على طريق التكامل [7] .

ويقول عليه السلام في وصف النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتجربته الرسالية العظيمة واثره في عملية التغيير الشاملة التي قامت بها الدعوة الاسلامية " **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، ولَيْسَ**

١- نهج البلاغة : ص 56.
٢- نهج البلاغة : ص402.
٣- نهج البلاغة : ص21.
٤- نهج البلاغة : ص201.
٥- نهج البلاغة : ص178.
٦- نهج البلاغة : ص21.
٧- شمس الدين: حركة التاريخ : ص 83.

أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ" [1]

وقد بين عليه السلام النهج الذي اتبعه صلى الله عليه وآله وسلم في هداية الناس ، الذي كان يعتمد على الرفق واللين والنصح والموعظة ، يقول عليه السلام : فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي نصحهم ، ودَعَاهم إِلَى الْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [2] وذلك استجابة لامر السماء ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ [3]، " **أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ** " [4]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة الالهية المتجسدة بشخصه بين الخلق، لذا برز في فعاله رحمه ورفق لا مثيل له حتى عبر عن ذلك الامام امير المؤمنين عليه السلام بذكر انموذج من فعاله فقال: " **يَحْسِرُ الْحَسِيرُ ويَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْه حَتَّى يُلْحِقَه غَايَتَه، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيه** " [5]، وذلك اشارة الى وصفه صلى الله عليه وآله وسلم بالشفقة على الخلق في حال اسفارهم معه في الغزوات ونحوها، أي انه كان يسير في آخرهم ويفتقد المنقطع منهم عن عياء وانكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتى يبلغه اصحابه الا ما لا ايصاله و لا يرجى. وقيل: كنى بالحسير والكسير عمن عجز ووقف قدم عقله في الطريق الى الله لضعف في عين بصيرته، واعوجاج في آل ة ادراكه ، وبقيامه عليه حتى يلحفه الى غايته عن اخذه له بوجوه الحيل والجواذب الى الدين حتى يوصله الى ما يمكن من العقيدة المرضية والاعمال الزكية التي هي الغاية من طريق الشريعة المطلوب سلوكها.[6]

وفي نص آخر يضيء به الامام امير المؤمنين عليه السلام جانبا آخر من جوانب وظيفة النبوة قال: " **صُرِفَتْ نَحْوَه أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إِلَيْه أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ، دَفَنَ اللَّه بِه الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِه أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِه الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِه الْعِزَّةَ** "[7] . ففي هذا النص كشف الامام امير المؤمنين عليه السلام عن عمل النبوة في تغيير القيم السائدة في المجتمع ، هذه القيم التي تحكم وتوجه العلاقات داخل المجتمع بين فئاته وافراده ، وابدالها بقيم اخرى متسقة في طبيعتها مع طبيعة الرسالة النبوية لانها مستمدة منها.

١- نهج البلاغة : ص192، وينظر: عبد الرحمن الوائلي: جدلية العلاقة : ص 159 – 160.

٢- نهج البلاغة ص178.

٣- سورة النحل الآية 125.

٤- نهج البلاغة ص107.

٥- نهج البلاغة ص192 -193.

٦- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 35 .

٧- نهج البلاغة : ص 178 -179.

وما يترتب على ذلك من تغيير في المفاهيم والقناعات ومن تبدل في نوع العلاقات نتيجة لتبدل القيم الجاهلية بالقيم النبوية. لقد ثنيت ازمة الابصار نحو الرسول الاكرم ﷺ كما كانت تثني نحو كل نبي في مجتمعه، لانه قد اثار اهتمام الناس كلهم واوجد هزة راحت تنداح على المجتمع كله وتنفذ في اعماقه.[1]

وقد كانت للفحام [2] وقفة جيدة عند الصور الفنية التي رسمتها نصوص نهج البلاغة عن الوظيفة النبوية وما احدثته من تغيير فعلي وصل حد الاعجاز في توحيد القبائل العربية ولم الصف ونقل المعرفة ومحاربة الجهل ومن تلك الصور :

1 -قوله عليه السلام : " **أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ** " [3]

[3] وهذه صورة اختصرت سنوات طوال من نضال النبي ﷺ وصبره حتى مكنه الله من بسط الفكر التوحيدي الجديد وتشريع قوانين العدالة السماوية الجديدة التي أنارت العقل وبسطت النفوذ ووحدت الكلمة .

والامام اكتفى بقوله " **أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ** " مقابل اطنابه بالصور الثلاث اللاحقة ، لأن مراده بيان الحال لما بعد البعثة النبوية وأثر النبي ﷺ في استجلاب الخير للعرب خاصة ، لذلك أشار الى بعض الصفات الجاهلية الغالبة عليهم التي قضى عليها النبي ﷺ فوصف الضلالة بالمظلمة كناية عن المبالغة في عدم الاهتداء ، وقال " **والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ** " لأن طباعهم كانت غلظة وشناعة مثل وأد البنات وفعل السبي والنهب في الناس ، ووصف الجهالة بالغالبة نظر الى خفة العقول واشعال الحروب وسفك الدماء لأتفه الاسباب كما في حرب البسوس وحرب داحس والغبراء المشهورتين في الجاهلية .

والصفات التي اطنب بها الامام في اطلاقها على المواصفات للمبالغة ومراعاة السياق ، اذ هو لما قال " **أَضَاءَتْ** " حسن ايراد صفة الظلام على الضلالة ، ووصف الجهالة بالغالبة للإشعار بهذه الصفة السائدة في عقول الناس قبل بعثة النبي ﷺ ، واطلاق لفظ الجافية على المصدر للمبالغة من باب المجاز العقلي كما يقال جن جنونه .

2 -وفي موضع آخر رسم الامام للنبي صورة مشرقة للتغيير فقال : " **جَعَلَه اللَّه بَلَاغاً لِرِسَالَتِه وكَرَامَةً لأُمَّتِه ، ورَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِه ورِفْعَةً لأَعْوَانِه وشَرَفاً لأَنْصَارِه** " [4] . فوصف رسالة النبي بالبلاغ اشارة لإتمام النعمة على الناس ولطف الله بالبرية " واما باقي رسله ، وان ادوا ما عليهم

١- شمس الدين: حركة التاريخ : ص 85.
٢- بلاغة النهج : ص41-50 .
٣- نهج البلاغة : ص275 .
٤- نهج البلاغة :ص428 .

من الابلاغ ، الا انه لما كانت رسالاتهم مؤقتة محدودة لم يحصل منهم بلاغ منه تعالى كاف " [1]

وجعل الله ختام النبوة بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كرامة للعرب كونه منهم واختتام الاديان بالاسلام فبعد ان كانوا قبائل متناحرة في تخوم الصحراء كرمهم الله فأصبحوا سادة العالم والحاملين اليه لواء التوحيد . وجعله الله " **ورَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِه** " صورة للنماء والخيرات والبركات حتى لغير المؤمنين في عاطفة من المديح الصادق تطابق فيه الاداء مع المضمون ايما تطابق ، تطابق يستشعر فارقه كل دارس لادب مديح السلاطين حين تسبغ مثل هذه الصفات على غير مستحقيها . وقول الامام هذا يشبه قول ابيه رضوان الله عليه من قبل في النبي صلى الله عليه وآله وسلم [2] .

وابيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامي عصمة للارامل

وقوله [3]:

وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا على ربوة في رأس عنقاء عيطل

وقوله الآخير إشارة الى ما خلف النبي فيهم من فهم جديد في النظر الى الحياة ووظيفة الانسان فيها رفع من مكانتهم بين الامم ، قال ابو ذر : " تركنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يتقلب في السماء طائر الا ذكرنا منه علما " [4] .

3 –وقال في موضع آخر : " **فَرَتَقَ بِه الْمَفَاتِقَ وسَاوَرَ بِه الْمُغَالِبَ ، وذَلَّلَ بِه الصُّعُوبَةَ وسَهَّلَ بِه الْحُزُونَةَ ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ** " [5] . والمفاتق التي رتقها النبي كناية عامة عن كل مفسدة اصلحها النبي [6] وكل سيئة وفعل من شأنه سفك الدم وفرقة الكلمة وهد الصف . . والمفاتق جمع مفتق وهي الشقوق .

ويبدوا من سياق الربط بين الفعل رتق ومفعوله المفاتق ان المراد ب هـ غير الظاهر من اسم الفاعل " المفاتق " بضم الميم المقابل في الصورة الثانية للمغالب ، وثمة معنى فارق بينهما ، اذ الصورة تريد الجمع لا اسم الفاعل وان كان يوهمه الصورة الثانية . بقرينة المغالب ، واراد من المساورة (المواثبة أي كسر به صلى الله عليه وآله سورة من اراد الطغيان) [7].

١– التستري : بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : 192/2 .

٢– ابو طالب :ديوان شيخ الاباطح : ص26 .

٣– ابن معد : الحجة على الذاهب الى تكفير ابي طالب : ص 219 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 14 / 63

٤– ابن حنبل : المسند : 162/5 .الهيثمي : مجمع الزوائد :8 /263 .

٥– نهج البلاغة :ص 447 .

٦– ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة :11 /64 .

٧– المجلسي : البحار :18 /225 .

وقوله " **وذَلَّلَ بِه الصُّعُوبَةَ** " كناية عن التسهيل والتخفيف ، وقوله " **وسَهَّلَ بِه الْحُزُونَةَ** " تعزيز لمعنى الأولى ، والحزونة : ضد السهولة ، والحزن هي ما غلظ من الارض وخشن ، واستعير لوصف الاخلاق الخشنة ، وكلام الامام يحمل معنيين : عام كنى به عن المعنى الاول ذاته في توخي التليين والتخفيف في التعامل اليومي ، وخاص اومأ به الى حادثة أفاد منها للانطلاق الى المعنى العام . ولا ريب تلك نظرة جديدة الى بناء الانسان في ظل مفهوم المدنية وحياة اللاعنف التفت اليها النبي في ادق تفاصيلها . لذلك سرح الله به الضلال سريعا ، واكد تشتيته بقوله " **عَنْ يَمِينٍ وشِمَالٍ** " .

وكلام الامام كثير في تصوير احوال العباد والبلاد بعد التغيير النبوي يعجز التفاصيل إيفاءه حقه لذلك كثيرا ما يعمد الامام الى التكنية عنه بصور مختصرة تدع الاذهان تذهب فيه كل المذاهب في تصوره كقوله : "... **حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه واله – حُجَّتُه ، وبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُه ونُذُرُه** " [1] . ومقطع الشيء نهايته وما يقطع به ولا يبقى خلفه شيء [2] . أي ليس ثمة رسول ينتظر بعد النبي محمد لأنه تمت الحجة به على العباد وبلغ الامر مقطعه " وانتهت عذر الله تعالى ونذره ، فعذره ما بين المكلفين من الاعذار في عقوبته لهم ان عصوه ، ونذره ما انذرهم به من الحوادث ، ومن انذرهم على لسانه من الرسل " [3]

لقد ادت القيم الجديدة التي جاء بها النبي ﷺ الى تغيير المفاهيم، ومن ثم الى تغيير عميق وجذري في العلاقات الاجتماعية بين الافراد والفئات، والى احداث التبدلات الاجتماعية. لقد دفنت به الضغائن، لان اسباب تولدها قد زالت، ومن ثم فقد زالت اسباب تفجرها فزالت الثوائر. وقد ادت القيم الجديدة الى ايجاد علاقات جديدة: فالف الله بالنبي ﷺ بالقيم التي بشر بها واذاعها في الناس، اخوانا في الايمان، وفرقت هذه القيم الايمانية بين اقران اختلفت بهم الطريق حين هتف بصوت النبوة في المجتمع، فسلك بعضهم طريق الايمان وبقي الاخر على طريقه القديم، كما ادت هذه القيم الجديدة الى تغيير في المراتب الاجتماعية، وغدت التقوى هي الاساس للتفاضل بين افراد المجتمع، ومن ثم فقد اعز الله به ﷺ وبقيمه الالهية الذلة التي كانت تفرضها القيم الجاهلية القديمة على الفقراء والمستضعفين، واذل به العزة التي كانت تنشأ من قيم غير ايمانية.[4]

١- نهج البلاغة : ص166-167 .

٢- ابن منظور : لسان العرب : 278/8 .

٣- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة :7/7 .

٤- شمس الدين: حركة التاريخ : ص 85- 86.

فكان من اثار نهجه العظيم ﷺ: " **فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، ورَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ**" .[1]

المكون المجتمعي:

لو تأملنا في المكون المجتمعي الذي احاط بالنبي الاعظم ﷺ في موطنه الاول ومحل ولادته وانطلاق دعوته (مكة المكرمة) لوجدناه يتكون من:

أولا: المسلمون الاوائل: " **الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الإِسْلَامِ فَقَبِلُوه** "[2]، وقد كان لثلة منهم قصب السبق في الايمان الخالص بالله وبرسوله، وهم الذين تمايزوا بهذه الفضيلة، وتقدموا على من سواهم ممن أسلم أو آمن فيما بعد[3]. وفي طليعة هؤلاء كانت **اسرة النبي ﷺ** التي تشكل المكوّن البيئي الاول الذي احتضنه ﷺ وهم الذين اصطلح على تسميتهم بـ " أهل البيت "[4]. والمتأمل في كلامه عليه السلام يلاحظ انه عليه السلام قد طرق هذا المفهوم تارة على وجه العموم، وأخرى على وجه الخصوص ، وذلك تبعاً لموارد الاستخدام[5].

فأما الوجه الاول الذي استخدم فيه الامام عليه السلام هذا المصطلح بشكل عام يشمل بعض أقرباء النبي ﷺ من بني هاشم – خاصة – كالحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث عليهم السلام ، إذ كان في معرض حديثه عن المواقف الجهادية لهؤلاء الافذاذ وكيف قدمهم النبي ﷺ قبل غيرهم

١- نهج البلاغة: ص483 .

٢- نهج البلاغة : ص231.

٣- يتضح لهم هذا الفضل في اشارة الامام عليه السلام محاججا معاوية بقوله: " لما ادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الامة طوعاً وكرهاً، وكنتم ممن دخل في الدين اما رغبة او رهبة، على حين فاز اهل السبق بسبقهم..." نهج البلاغة: ص512.

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: حاكم الكريطي : اهل البيت عليهم السلام في نهج البلاغة قراءة تأويلية : (الصفحات جميعها).

٥- تجدر الاشارة الى ان الامام عليه السلام في هذا المنهج سار على نهج القرآن الكريم في استخدام مصطلح أهل البيت عليهم السلام الذي تارة يستخدم لعموم بني هاشم، وأخرى لخصوص آل بيت النبي ﷺ وهم المشار إليهم بأصحاب الكساء . لمزيد من التفاصيل ينظر: عباس غياض : السياق واثره في دلالة النص القراني عند مفسري الامامية في العصر الحديث : ص 263 – 282 .

ليكونوا أنصارا للإسلام [1]. وأما الوجه الخاص الغالب في استخدام الامام عليه السلام لهذا المصطلح ، فقد عنى به " أهل البيت " ممن هم عترته وخاصته الذين خصتهم آية التطهير[2].

لقد تحدث الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن أهل البيت عليهم السلام مشيرا الى جوانب متعددة وخصائص متنوعة ، منها ما كان وصفاً لخصال وسجايا ذاتية ووراثية تلازم أجيال هذه الدوحة المباركة السابقة لرسالة الاسلام وعلاقتها بالرسلات السماوية المتقدمة ، وكذلك تحدث الامام عليه السلام عن مكارم الاخلاق، ومحامد الفعال التي اتصفت بها أسرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما عرف عنها وعن سادتها وقادتها الذين لعبوا أدواراً مشرفة وبارزة في حوزة الجزيرة العربية وما حولها، فقال في ذلك : " **فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ، وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ، وكِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وهُوَ قَوْلُه سُبْحَانَه وتَعَالَى: ﴿ وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ الله ﴾**[3] "[4].

وفي كلام الامام عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمة إمعان في التركيز على طهارة النسب وشرف الآباء ، وإنه من سلالة الانبياء وذريتهم تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[5] .[6] ولسنا هنا في محل التفصيل في شرف النسب ، اذ للحديث عنه محل آخر [7].

إن المساحة الاوسع التي استوعبها الامام أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه بخصوص أهل البيت عليهم السلام هي فيما كان من مواقفهم وردود فعلهم إزاء الحدث الاكبر أهمية في جزيرة العرب حينما بُعث الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ، فأحدثت بعثته زلزالاً على كافة الاصعدة والمستويات ، فاختلفت مواقف الطبقات الاجتماعية آنذاك ، وتأرجحت بين قبول الرسالة الجديدة والإيمان بها وبقيمها والدفاع عنها ، وبين رفضها ومقاومتها بل ومحاولة القضاء عليها ، فقد وصف الامام عليه السلام مواقف الجيل الاول من بني هاشم الذي

١- نهج البلاغة : ص503 .
٢- حول اختصاص آية التطهير باهل البيت ينظر: السيد علي الحسيني الميلاني: آية التطهير : ص7 -34.
٣- سورة الانفال الآية 75 .
٤- نهج البلاغة : ص 529. وينظر: درويش: علي كما وصف نفسه: ص11.
٥- سورة آل عمران الآية 34.
٦- الفحام: نهج البلاغة : ص 22.
٧- ينظر الفصل الثالث : ص .

عاصر البعثة ، كما بسط القول فيما يخص العبء الاكبر والمسؤولية العظمى التي تحملها اهل البيت عليهم السلام عندما انيط بهم حمل الرسالة والنهوض بأعبائها بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

فما ان كلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة الى دينه الحنيف ، حتى حطت الرسالة السماوية رحالها في أفناء هذا البيت الرفيع " **ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ** "[٢]، فكان أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم أول من لبى هذه الدعوة ، فكانوا أول بيت في الاسلام يدخله نور الوحي ، وأول قلوب أشرق فيها نور الايمان بالدعوة المحمدية ، إذ يقول عليه السلام : " **ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ** "[٣].

اما عن دور هذه الاسرة المباركة في مؤازرة دعوته صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد أشار عليه السلام إن عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الرائدة ورجالها هم السابقون لنداء السماء ، وليس لأحد أن يدعي إنه يوازي فضلهم أو يقارب صنيعهم ومرتبتهم في النصح لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم أول من احتضن الاسلام ودافع عنه ، وهذا ما عبر عنه عليه السلام بخصوص أهل البيت عليهم السلام : " **وهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ ، ووَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ**"[٤].

وتجدر الاشارة إلى أن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم منع التفاضل بين أهل البيت عليهم السلام ومن سواهم مهما سمت مرتبته وعلا شأنه ، إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم : " نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد "[٥]. وهو صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك قد جعل الافضلية المطلقة لاهل بيته عليهم السلام.

ولقد حذا أمير المؤمنين عليه السلام حذو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيان تفرد أهل البيت عليهم السلام وتقدمهم دون منافس، إذ يقول مضيفا لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعلاه ما يظهر بعض العلل الموجبة لعدم التجرؤ في وضع أهل البيت في كفة واحدة مع من سواهم من الناس ، إذ يقول عليه السلام: " **لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – مِنْ هَذِه الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْه أَبَدا** "[٦].

١- درويش: علي كما وصف نفسه: ص11- 12.

٢- نهج البلاغة : ص 210 . وورد ايضا في بعض الروايات بلفظ " موضع الرسالة " وهي من نعوت أهل البيت عليهم السلام ، ينظر : الصفار: بصائر الدرجات ص 82 . الصدوق: كمال الدين :ص 206. الطوسي: أمالي : ص 654. القندوزي : ينابيع المودة 77/1. وللتفصيل عن هذا النعت ينظر: الكربلائي : الأنوار الساطعة : 403/1 – 430.

٣- نهج البلاغة : ص406. لقد مر بنا الحديث بشيء من التفصيل عن إيمانه عليه السلام ، ينظر الفصل الاول: ص 69 – 78.

٤- نهج البلاغة : ص489.

٥- المتقي الهندي : كنز العمال : 12/ 104. المجلسي: البحار :45/65 ، 13/110.

٦- نهج البلاغة : ص25. وينظر: الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام:71/2.

وفي شرحه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه يشير ابن ابي الحديد [1] أنه لا شبهة أن المنعم أشرف من المنعم عليه ، ولا ريب أن محمداً صلى الله عليه وآله والأدنين من بني هاشم –لا سيما علي عليه السلام– أنعموا على الخلق كافة بنعمة لا يقدر قدرها وهي الدعاء الى الاسلام والهداية اليه أما أمير المؤمنين عليه السلام فنعمته على من تقدم عليه تتمثل بجهاده وهم قاعدون ، وعلمه الذي احتاج اليه الجميع ولولاه لما حكم بالصواب.

ويشير الامام عليه السلام إلى موقعية أهل البيت ودورهم في حياطة الدعوة المحمدية بقوله : " **هُمْ مَوْضِعُ سِرِّه ، ولَجَأُ أَمْرِه ، وعَيْبَةُ عِلْمِه ، ومَوْئِلُ حُكْمِه ، وكُهُوفُ كُتُبِه ، وجِبَالُ دِينِه ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه، وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه**"[2]. وأبان عليه السلام حاجة الامة الى الاعتماد عليهم ، إذ أنهم المجسد الحقيقي للإسلام بكل تفاصيله إذ يقول: " **نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي ، وإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي** "[3].

وشبه عليه السلام وجودهم كالنجوم الزواهر لمن أراد الهدى أو أراد أن يتخذ الى ربه سبيلا قويماً ، فيقول: " **أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله وسلم – كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّه فِيكُمُ الصَّنَائِعُ ، وأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ**" [4].

وعرض الامام عليه السلام عدة خصائص انفرد بها أهل البيت عليهم السلام مما جعلهم الاوّلى بالإتباع إذ يتضح من خلالها علة دعوة الناس لإتباعهم عليهم السلام منها: " **فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ومَوْتُ الْجَهْلِ ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيه** "[5]، ومنها: " **وعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ ، وضِيَاءُ الأَمْرِ**" [6]، ومنها: " **انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، فَأَلْزَمُوا سَمْتَهُمْ ، واتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ، ولَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا ، وإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا ، ولَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، ولَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا** "[7].

١- شرح نهج البلاغة : 1 / 140.
٢- نهج البلاغة : ص25.
٣- نهج البلاغة : ص675.
٤- نهج البلاغة : ص186.
٥- نهج البلاغة : ص269.
٦- نهج البلاغة : ص230.
٧- نهج البلاغة : ص181.

لقد استنكر عليه السلام على الامة حيرتها وتخبطها وهي تبتعد عن هذا المنهل الصافي الذي يمثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه القويم إذ يقول: " **فَأَيْنَ يُتَاه بِكُمْ ؟ وكَيْفَ تَعْمَهُونَ ؟ وبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ، وهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ ، وأَعْلَامُ الدِّينِ ، وأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ ، ورِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ**" [1].

واما عن نصح هذه الاسرة الطيبة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في مواطن الجهاد ، ومؤازرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ونصرة دعوته ، فقد تعددت موارد الاشارة لذلك ، فضلا عما سبق ذكره من إشارات بشكل عام وموجز ومركز، نأتي إلى ذكر الموارد الاخرى التي ركز فيها الامام عليه السلام على بعض المواقف الجهادية الصلبة التي وقفها أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشكل والصورة التي ندر مثيلها، ففي معرض حديثه عليه السلام عن جهاد اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن كان له موقف وحضور مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نجد تميزا لاهل بيته عليهم السلام لا يوازيه في الفضل أي احد من صحابته ، يدلنا على ذلك شهادة الامام امير المؤمنين عليه السلام بما كان يصنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مواطن الشدة في الحروب اذ كان صلى الله عليه وآله وسلم " **إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ ، وأَحْجَمَ النَّاسُ ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ ، فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ والأَسِنَّةِ** "[2].

وقد سارت الركبان وطارت الاخبار بشجاعة الامام عليه السلام ، وقيل عنها ما لا يحصى ، فهو الشجاع الذي ما فر قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز احداً الا قتله ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الاولى الى ثانية ، وفي الحديث كانت ضرباته وتراً "[3] ولكننا ملزمون بخطة تقتصر على ما ذكره الامام فقط في نهج البلاغة ، وقد أجمل الامام عليه السلام القول بخصوص ما يمتلك من الشجاعة والاقدام بقول موجز ولكنه معبر " **أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ** " [4]. **وأبان** عليه السلام سبقه سبقه في مجال نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودوره المتميز في الجهاد ، ردا على من اتهمه بان لا علم له بالحرب ، فجاء رده " **لِلَّه أَبُوهُمْ ، وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي ، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا ومَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ**" [5].

١- نهج البلاغة : ص141.
٢- نهج البلاغة : ص503.
٣- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 20/1.
٤- نهج البلاغة : ص 405.
٥- نهج البلاغة : ص61.

ومن اوضح صور المؤازرة التي وقف بها أهل البيت الى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته الغراء ، تحملهم ألوان الاذى في سبيل الله ، وأصدق مصاديق ذلك هو الموقف الشجاع الذي كان لهم في شعب ابي طالب لما قاطعتهم قريش[1].

ثم ذكر عليه السلام متفاخرا كيف كان أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طليعة الشهداء الذين ثبت أساس الدين بتضحياتهم العظيمة " **فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ** "[2] ففي كل المواطن لهم ذكر وحضور وأثر فاعل ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام بالموقع الذي لا يجارى في تلك الميادين إذ واسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " **فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ** "[3]، وكان عليه السلام تواقا لنيل الشهادة [4] كما نالها اخوته وبني عمومته من بني هاشم " وأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ ، ولَكِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ ، ومَنِيَّتَهُ أُجِّلَتْ "[5].

ومن دلالات فضل أهل البيت عليهم السلام وسابقتهم وتقدمهم في المواقف الجهادية ، تفرد شهدائهم وجرحاهم عن سائر من سواهم " **أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ولِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيْه ، أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ** "[6] .

ولا يخفى أن هذه الاشارة في المثال الاول الى عمه الحمزة بن عبد المطلب ذو المواقف المشرفة في مجاهدة اعداء الدين وقد ابلى البلاء الحسن في سبيل نصرة الاسلام . والمعني الثاني بكلام الامام امير

١- نهج البلاغة : ص 502.

٢- نهج البلاغة : ص503.

٣- نهج البلاغة : ص 422.

٤- وقد نقل عنه عليه السلام في حواره مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله عن موعد الشهادة التي وعده بها ، اذ جاء في ذلك الحوار: " فقلت: يا رسول الله ! ، أو ليس قد قلت يوم أحد حيث استشهد من المسلمين من استشهد ، وحيزت عني الشهادة ، فشق ذلك عليّ ، فقلت لي: أبشر فأن الشهادة من ورائك ؟ فقال لي: ان ذلك كذلك ، فكيف صبرك اذاً! فقلت: يا رسول الله ! ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر". نهج البلاغة : ص288 – 289.

٥- نهج البلاغة : ص503.

٦- نهج البلاغة : ص527 – 528.

المؤمنين عليه السلام هو أخوه جعفر بن ابي طالب الذي استشهد في واقعة مؤتة [1]. والامام عليه السلام اقتصر على هذين المثالين للدلالة فقط ، والا فمفاخر هذه الاسرة من الكثرة التي تحتمل المزيد من الكلام.

بل ذهب الامام الى اكثر من ذلك، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله فيما يتعلق باموات اهل البيت عليهم السلام، وما في ذلك من الخصوصية والتفرد فقال: " **أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله، إِنَّه يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ، ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ**". ويظهر من شرح ابن ابي الحديد ان هذا النص من المتشابه الذي يصعب تفسيره واستكشاف مدلوله القطعي، وقد استبعد الشارح كون المراد هو بقاء الذكر الحسن او الاشارة الى مدلول الآية التي تصرح بان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون. وذلك لأن ظاهر النص وما يحيطه من قرائن لا يمكن حمله على هذا المعنى، حسب قول ابن ابي الحديد [2]. ولكنه على جميع الاحتمالات والتفاسير يشير الى فضيلة وكرامة بيّنة لاهل البيت عليهم السلام.[3]

وهؤلاء هم السابقون الى الاسلام مع باقي من اسلم فيما بعد شكلوا النواة التي كونت مجتمع ما اصطلح على تسميته بـ " **المهاجرين** "، ممن استجاب لامر الله سبحانه وأطاع نبيه ، فترك الديار والأموال والأهلين وهاجر الى الله طائعا، بعد ان لاقوا في سبيل دينهم ما لاقوه من الاذى والتعنيف من قبل المشركين.

إن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا على درجة واحدة من الفضل ، إذ إن للهجرة قيود وشرائط ، لا تقف عند حدود الهجرة الظاهرية (ترك المكان الى مكان آخر) دون تحقق حصول الهجرة الواقعية المقيدة بالايمان القلبي وكونها في الله والى الله ورسوله [4]. والدليل على وجود التفاضل بين افراد هذا المكون، ان الامام امير المؤمنين عليه السلام وسم ثلة منهم بـ " المهاجرون الاولون "، والاولية هنا قد تشمل السبق في الهجرة أو الصدق في النية كما ستدلنا أبعاد مفهومة (الهجرة):

الهجرة لغة : أنها جاءت من هجر: وكلمة هجر تأتي بمعنيين:

١- لمزيد من التفاصيل عن شخصية جعفر بن ابي طالب عليه السلام وجهاده الفريد ، ينظر: الحجاج : جعفر بن ابي طالب عليه السلام دراسة تاريخية : (الصفحات جميعها) .

٢- شرح نهج البلاغة : 6/377 – 380.

٣- درويش : علي كما وصف نفسه : ص 29 .

٤- للسيد محمد السند تحقيق جدير بالتأمل حول عنواني" المهاجر " و" الانصاري " ، اذ تتبع الاستعمال القرآني لكلا العنوانين ووقف على دلالات اللفظة والقيود الملزمة لمقامات المدح والذم لمن تسمى بهما من صحابة النبي صلى الله عليه وآله. ينظر: الصحابة بين العدالة والعصمة: ص56– 61 .

الأول: الهجَرَ بالفتح يعني الهذيان ، والهُجر بالضم الاسم من الاهجار ، وهو الإفحاش في المنطق [١] ، ويقال للنخلة الطويلة ذهبت الشجرة هجرا أي طولا وعظما ، وهذا أهجر من هذا أي أطول منه ، وناقة مهجرة ، أي فائقة في الشحم ، ويقال لكل شيء أفرط في الطول أو تمام وحسن إنه لمهجر، ويقال جارية مهجرة ، إذا وصفت بالفراهة والحسن ، وإنما قيل ذلك لان واصفها يخرج من الحد المقارب للشكل الموصوف في صفة فكأنه يهجر فيها أي يهذي[٢] .

الثاني: الهجر ضد الوصل ، وقد هجره هجرا وهجرانا : صرمه ، والاسم الهجرة. ويقال هجرت الشيء هجرا إذا تركته وأغفلته ، وهجر فلان الشرك هجرا وهجرانا وهجرة حسنة ، والتهاجر: التقاطع[٣] .

والهجرة: بالكسر والضم ، الخروج من أرض إلى أخرى ، ولقيته عن هجرة ، بالفتح أي بعد حول أو بعد ستة أيام فصاعدا أو بعد مغيب [٤]. وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مخل بمسكنه منتقل إلى قوم آخرين بسكناه ، فقد هاجر قومه[٥] .

وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشئوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلد آخر ، فهو مهاجر ، وكل من أقام من البوادي بمباديهم ومحاضرهم في القيظ ، ولم يلحقوا بالنبي ﷺ ولم يتحولوا إلى أمصار المسلمين وان كانوا مسلمين ، فهم غير مهاجرين ، وليس لهم في الفيء نصيب [٦] .

١- ابن منظور: لسان العرب: 5 / 250- 251. الفراهيدي: العين: 3 / 386. الجوهري: الصحاح: 851/2. الرازي: مختار الصحاح: ص 353 . الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 2 / 158 – 159 . الزبيدي: تاج العروس: 7 / 607 – 613 .

٢- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 252 .

٣- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 250- 251. الفراهيدي: العين : 3 / 386 . الجوهري: الصحاح : 2 / 851 . الرازي : مختار الصحاح : ص 353 . الفيروز آبادي : القاموس المحيط : 2 / 158 – 159 . الزبيدي : تاج العروس : 7 / 607 – 613 .

٤- الفيروز ابادي : القاموس المحيط : 2 / 158 – 159.

٥- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 250.

٦- ابن منظور: لسان العرب : 5 / 251.

لقد كان لهؤلاء (المهاجرين) ميزة في تاريخ الإسلام ، إذ مثلوا الحجر الأساس لصرح الإسلام ، فقد أثنى عليهم القرآن بالتكريم ، وأولاهم عنايته الخاصة ؛ لأنهم بذلوا في سبيل الله كل ما ملكوا من غال ونفيس [1] .

إن الهجرة في نظر الإسلام لا تقتصر على الهجرة المكانية والخارجية بل يلزم قبل ذلك أن تتحقق لدى الفرد المسلم هجرة داخلية باطنية ، يترك فيها كل ما ينافي الأصالة والكرامة الإنسانية ، لكي يتيسر له بهذا السبيل إلى الهجرة المكانية – إذن فالهجرة الباطنية ضرورية قبل أن يبدأ الإنسان المسلم هجرته

١- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة البقرة الآية 218؛

- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ سورة آل عمران الآية 195.

- ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ سورة آل عمران الآية 195 .

- ﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ سورة الأنفال الآية 74 .

- ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ سورة التوبة الآية 20.

- ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة الآية 100.

- ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل الآية 41.

- ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ سورة الحشر الآية 8. وغيرها من الآيات الكريمة التي أشادت بفضلهم

الخارجية – وإذا لم يكن هذا الإنسان بحاجة إلى الهجرة الخارجية ، يكون قد نال درجة المهاجرين بهجرته الباطنية [١] .

نجد هذا المعنى ماثلا في أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " أفضل الهجرة أن تهجر ما كره الله " [٢]، وأوضح صلى الله عليه وآله وسلم أن أفضل الهجرة " أن تهجر السوء " [٣] ، وفي حديث آخر إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الهجرة خصلتان إحداهما ان تهجر السيئات والأخرى ان تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة [٤] . وفي رواية " أشرف الهجرة أن تهجر السيئات " [٥].

وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه " ويقول الرجل هاجرت ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها "[٦] .

نجد في هذا الحديث ما يدل على أن الذين هاجروا بأجسامهم دون أن تتحقق هجرة حقيقية في بواطنهم، هم ليسوا في درجة المهاجرين الذين استوجبوا رضا الله ورسوله.

ولقد جاء في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشأن الهجرة ما قد يبدو للوهلة الأولى أنها متناقضة أو متعارضة، إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: " لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية " [٧]، ولكنه في حديث آخر يقول: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " [٨] . وقد جمع ابن الأثير [٩] بين الحديثين ، بالتأويل الآتي ، قائلاً : الهجرة

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 3 / 276.

٢- ابن حنبل: المسند : 2 / 195 . النسائي: السنن الكبرى : 4 / 425.

٣- الصنعاني: المصنف: 11 / 127. الهيثمي : مجمع الزوائد : 1 / 59 .

٤- ابن حنبل: المسند: 1 / 192. الطبراني : الدعاء : ص 616، المعجم الأوسط : 1/ 23. البيهقي : شعب الإيمان: 444/5.

٥- الطبراني: مسند الشاميين : 378/1، المعجم الصغير 1/ 13. الهيثمي: مجمع الزوائد : 60/1. السيوطي: الجامع الصغير : 161/1.

٦- الثقفي: الغارات: 2 / 502. الميرجهاني : مصباح البلاغة : 3 / 323.

٧- ابن حنبل: مسند أحمد : 226/1. البخاري: الصحيح : 200/3. الدارمي: السنن : 239/2. ابن حزم: المحلى 45/7. النووي: المجموع : 19/ 263.

٨- الطوسي: المبسوط 4/2. ابن إدريس الحلي: السرائر 14/2. ابن قدامة: المغني 10/ 513. المدني: رياض السالكين 107/2 ، 606 .

٩- النهاية: 5 / 244. وينظر: المجلسي: البحار: 66 / 229 – 230.

هجرتان : أحدهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [1]، فكان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه ، وينقطع بنفسه إلى مهاجره ، وكان النبي ﷺ يكره أن يموت الرجل في الأرض التي هاجر منها، فقال حين قدم مكة " اللهم لا تجعل منايانا بها " [2] فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية : من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة ، وهو المراد بقوله: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " فهذا وجه الجمع بين الحديثين .

ولكن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكشف عن مفهوم آخر للهجرة إذ يقول :" **والْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ ، مَا كَانَ لِلَّه فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ ومُعْلِنِهَا ، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأَرْضِ ، فَمَنْ عَرَفَهَا وأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، ولَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْه الْحُجَّةُ ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُه ووَعَاهَا قَلْبُه** " [3].

وفي هذا النص جملة أمور يستلزم المقام الوقوف عندها بمزيد من التأمل:

لقد اختلف الشراح في هذا المقطع من كلامه الشريف فابن أبي الحديد المعتزلي [4] فرق بين هذه الهجرة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام وبين الهجرة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: " لا هجرة بعد الفتح " إذ شفع عمه العباس بن عبد المطلب في نعيم بن مسعود الاشجعي [5] أن يستثنيه ، فاستثناه ، وخص الأولى بالهجرة إلى الإمام ، التي عدها من أسرار الوصية .

١- سورة التوبة الآية 111.

٢- ابن حنبل: المسند: 2/ 25. الطبراني: الدعاء : ص 268. ابن عبد البر: الاستذكار: 7/ 277، التمهيد 8/ 393. الذهبي: ميزان الاعتدال : 343/4. الهيثمي: مجمع الزوائد: 5/ 253. المجلسي: البحار: 66 / 229 – 230.

٣- نهج البلاغة : ص 375.

٤- شرح نهج البلاغة: 13 / 81.

٥- هو نعيم بن مسعود الاشجعي أسلم يوم الخندق، وينسب له دور في تخذيل المشركين واليهود في معركة الخندق، أرسله رسول الله ﷺ إلى ابن ذي اللحية، أستشهد في يوم الجمل الأصغر مع حكيم بن جبلة العبدي . ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب : 1508/4، الدرر ص177.

بينما نجد ابن ميثم[1] يعطي لكلامه تأويلا آخر إذ عند شرحه لكلام الإمام عليه السلام : " الهجرة قائمة على حدها الأول " ، يقول: " إذ لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل إلى منزل آخر لم يكن تخصيصها عرفا بهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعه وهاجر إليه من مكة إلى المدينة ، مخرجا لها عن حقيقتها وحدها اللغوي ، إذ كان أيضا كل من ترك منزله إلى منزل آخر مهاجرا .

ويضيف ابن ميثم[2]: إذا عرفت ذلك فنقول : إن مراده عليه السلام من بقاء الهجرة على حدها بقاء صدقها على من هاجر إليه والى الأئمة من أهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي معناها ترك الباطل إلى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول.

ثم يبين ابن ميثم [3] بيان ذلك نقلا وعقلا ، فيذكر: أما المنقول فمن وجهين : أحدهما: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ [4] ، فقد سمى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا. وقد علمت في أصول الفقه : من للعموم فوجب أن يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا. الثاني: قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : " المهاجر من هجر ما حرم الله عليه " [5] ، وظاهر إن من هاجر معصية الأئمة إلى طاعتهم والاقتداء بهم ، فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم الهجرة صادقا عليه.

وأما المعقول: فلأن المفارق وطنه إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهاجر، فوجب أن يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد الهجرة في الموضعين ، ولان المقصود من الهجرة ليس إلا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله ، وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الأئمة

١- شرح نهج البلاغة: 227/4 .
٢- شرح نهج البلاغة : 4 / 227 .
٣- شرح نهج البلاغة: 4 / 227 – 228 .
٤- سورة النساء الآية 100 .
٥- ابن سلامة: مسند الشهاب: 138/1، ابن عبد البر: الاستذكار: 277/7.

الطاهرين عليهم السلام بحيث لا فرق بين النبوة والإمامة ، ولا مدخل لأحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون من قصد من الأئمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم [١].

ولكن أبن أبي الحديد [٢] يرى أن هذا معارض بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " لا هجرة بعد الفتح " حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي أن يستثنيه فاستثناه .

أجاب ابن ميثم [٣] على ذلك قائلا: يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها إلى المدينة ، توفيقا بين الدليلين ، وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام . واعلم أن فائدة هذا القول الدعوة إلى الدين واقتباسه منه ومن أهل بيته عليهم السلام بذكر الهجرة والتنبه بها وما تستلزم من الفضيلة ، على أن التارك لأهله ووطنه إليهم طلبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الأولين في مراتبهم وثوابهم.

وأيده على ذلك حبيب الله الخوئي [٤] بقوله في تأويل النص نفسه : " لم تتغير ولم تتبدل أي من أراد الفوز بالإيمان والوصول إلى معارج اليقين فليهاجر إلى أئمة الدين ، لان الهجرة قائمة على حدها الأول الذي كان في بدء البعثة ، إذ الغرض الأصلي في ذلك لم يكن إلا الوصول إلى حضور حجة الله ورسوله ، وتحصيل الإيمان والمعرفة ومعالم الشرع معه ، وهذا الغرض موجود الآن ويحصل بالوصول إلى حضور الأئمة ، لكونهم حجج الله على عباده وخلفائه في بلاده وقائمين مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فالهجرة إليهم هجرة إليه ".

وبعد أن ذكر أمير المؤمنين عليه السلام قيام الهجرة وبقائها على حدها الأول تنبيها بذلك على مطلوبيتها ووجوبها أردفه بقوله : " **مَا كَانَ لِلَّه فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ و مُعْلِنِهَا** " [٥]. فقد عد الراوندي [٦] أن ما هنا نافية ، أي لم يكن لله في أهل الأرض ممن أسر دينه ، أو أعلنه وأظهر حاجة ،

١- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 227 – 228 .
٢- شرح نهج البلاغة: 13/ 103.
٣- شرح نهج البلاغة : 4 / 227 – 228 .
٤- منهاج البراعة: 11/ 139.
٥- نهج البلاغة : ص 375.
٦- منهاج البراعة : 445/2 . ينظر أيضا: ابن ميثم: شرح نهج البلاغة:228/4 .

فتكون " من هنا لبيان الجنس " ، وقد اعترض على ذلك ابن أبي الحديد [1] بقوله : " وهذا ليس صحيح لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متصل احدهما بالآخر " ، وفسر كلامه عليه السلام أعلاه : كناية عن بقاء التكليف كما يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة " .

وبين ابن ميثم [2] مراده من ذلك بقوله : " وجعلها هو – أي ابن أبي الحديد – بمعنى المدة : أي والهجرة قائمة على حدها الأول ما دام لله في أهل الأرض ممن اسر دينه ، أو أعلنه حاجة : أي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من أهل الأرض بالتكليف ، وهو كقولك في الدعاء : (اللهم أحيني ما كانت الحياة خير لي) ، ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها كطلب ذي الحاجة لها.

وأيده في ذلك المجلسي [3] بقوله : " والظاهر أن قوله عليه السلام ما كان لله في أهل الأرض حاجة " كناية عن بقاء التكليف كما يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، وللتجوز مجال واسع ، وفي الصحيفة السجادية : " ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ، ولا حاجة بك إليه " [4]، وقيل كلمة ما ها هنا نافية ووجهوه بتوجيهات ركيكة ".

وتوقف ابن ميثم [5] في كلام ابن أبي الحديد المعتزلي إذ يقول : " إنه غير بعيد أن تكون نافية مع اتصال الكلام بما قبله ، ووجهه إنه لما رغب الناس في طلب الدين والعبادة ، فكأنه أراد أن يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تعالى إليها من خلقه إذ كرر طلبه منهم بتواتر الرسل والأوامر الشرعية، ويصير معنى الكلام : إن الهجرة باقية على حدها الأول في صدقها على المسافرين لطلب الدين ، فينبغي للناس أن يهاجروا في طلبه من أئمة الحق ، وليس ذلك

١- شرح نهج البلاغة : 13 / 103.
٢- شرح نهج البلاغة: 4 / 228 – 229.
٣- البحار: 66 / 230- 231.
٤- وهو مقطع من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام يوم عرفة. ينظر: الصحيفة السجادية ص328. ويعد من مناسك الحج ومستحباته أن يدعو به الحاج يوم عرفه. ينظر: السيد السيستاني: مناسك الحج ص 325، وحيد الخراساني: مناسك الحج ص352، محمد إسحاق الفياض: مناسك الحج ص292.
٥- شرح نهج البلاغة : 4 / 229 .

لأن لله تعالى إلى أهل الأرض ممن أسر دينه ، أو أظهره حاجة ، فانه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به إلى شيء "

في حين إن حبيب الله الخوئي ضعّف مقالة ابن أبي الحديد بل أنكر حتى على ابن ميثم البحراني تأويله ، مستعرضا ما يراه مناسبا لشرح كلام امير المؤمنين عليه السلام فيقول: " **مَا كَانَ لِلَّه فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ ، مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ و مُعْلِنِهَا** " إشارة إلى مطلوبيتها ليس لأجل حاجة وافتقار منه إلى المهاجرين وغيرهم من أهل الأرض مضمرين لما قصدوه بالهجرة أو مظهرين له . وبعبارة أخرى أنه سبحانه طلب الهجرة من المهاجرين ، لا لأجل حاجة منه في هجرتهم ، وغرض عائد إليه تعالى عن جلب منفعة أو دفع مضرة أو طلب ثناء ومحمدة ، بل هو الغني المطلق المتعالي عن الفاقة والافتقار ، وإنما حثهم على الهجرة وعلى الإيمان المتحصل بالهجرة وسائر التكاليف الشرعية المتفرعة عليه لأجل إيصال النفع إلى العباد وانجائهم من العقوبة يوم المعاد.

فهذه الجملة – اعني قوله: (ما كان لله) – بمنزلة الاستئناف البياني ، فإن قوله: والهجرة قائمة ، لما كان دالا بدلالة التنبيه والإشارة على مطلوبية الهجرة ، وربما يسبق منه إلى الأوهام القاصرة إن مطلوبيتها لأجل حاجة إليها منه سبحانه أتى بهذه الجملة دفعا لذلك التوهم.

وأضاف: قد ظهر بما ذكرناه ضعف ما قاله الشارح المعتزلي من أن معناه: ما دام لله في أهل الأرض المستسر منهم باعتقاده والمعلن حاجة أي ما دام التكليف باقيا زعما منه أن جعل " ما " نافية موجب لإدخال كلام منقطع بين كلامين يتصل أحدهما بالآخر.

ثم أوضح وجه الضعف في كلام ابن أبي الحديد وهو منع استلزام كونها نافية ، لا انقطاع هذه الجملة عما قبلها ، إذ قد ظهر بما ذكرناه اتصالها وحسن ارتباطها به كما لا يخفى . مضافا إلى أن وصف الله سبحانه بالحاجة على إبقائها على حقيقتها باطل ، وعلى تأويلها بالمعنى المجازي كما أوّلها الشارح البحراني ، فقدجعل لفظ الحاجة مستعارا في حقّه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالأوامر وغيرها ، كطلب ذي الحاجة لها مما تشمئز منه الطباع ، ويأبى عنه الذوق السليم كما لا يخفى .

وخلص للقول: وبالجملة فهذه الجملة معترضة بين الجملتين، والغرض من الاعتراض تنزيه الله سبحانه من الحاجة والافتقار إلى عبادة أهل الأرض ، فهي نظير الجملة المعترضة في قوله سبحانه: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُون ﴾[1]، فان قوله (سبحانه) جمله لكونه بتقدير الفعل وقعت في أثناء الكلام ، لان قوله : ولهم ما يشتهون ، عطف على قوله : (لله البنات)، والنكتة فيه تنزيه الله وتقديسه عما ينسبون إليه [2].

ثم أوضح أمير المؤمنين عليه السلام شرطاً أساسياً في مصداق الهجرة ، بقوله: " لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض ، فمن عرفها ، وأقر بها ، فهو مهاجر " [3] يعني انه لا يستحق احد إطلاق اسم المهاجر عليه ووصفه بالهجرة إلا بمعرفة حجة الله في أرضه والإيمان به ، وهذا الحجة هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه والأئمة المعصومون القائمون مقامه بعده[4] .

إن اشتراط " المعرفة " بقوله " فمن عرفها " إن الفرد يعد مهاجرا بشرط الخروج إلى الإمام والسفر إليه ، أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان ، ويحتمل أن يكون المراد إن مجرد معرفة الإمام والإقرار بوجوب إتباعه كاف في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام. فمعرفة الإمام والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[5] .

١- سورة النحل الآية 57 .
٢- منهاج البراعة : 11 / 139 – 140.
٣- نهج البلاغة: ص 375 .
٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 140.
٥- المجلسي: البحار: 66 / 231.

وهنا يمكن أن نفهم القصد من كلامه عليه السلام حين وبّخ فئة من الناس ممن شذّ عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته عليه السلام في خطبة مشهورة عرفت بالقاصعة [1] فقال لهم: " **واعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً** "[2] .

إن " التعرب بعد الهجرة " يعدّ من كبائر الذنوب في الإسلام [3] ، لأنه يوجب الرجوع عن الدين ، والتخلّق بأخلاق الجهلة. ولذا فإن الأعراب من أهل البادية ممن أظهر الشهادتين على وجه حكم بإسلامه ظاهرا، ولا يعرف من معنى الإسلام ومقاصده وأحكامه سوى الشهادتين[4].

وقال ابن أبي الحديد [5]: إن الأعراب على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آمن به من أهل البادية ، ولم يهاجر إليه ، وهم ناقصو المرتبة عن المهاجرين لجفائهم ، وقسوتهم ، وتوحشهم ، ونشأتهم في بعد عن مخالطة العلماء ، وسماع كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[6].

إذن فحقيقة الهجرة هو الهجرة إلى الحجة وهو أمير المؤمنين عليه السلام لمعرفته والعلم بوجوب إطاعته وامتثال أحكامه ، وعلى هذا فيكون كلامه عليه السلام في مقام التوبيخ على أنهم " بعدما كانوا عارفين به وبمقامه عليه السلام ووجوب طاعته وعالمين بأحكام الشرع وآدابه ، ووظائف الإسلام كما هو شأن المهاجر، قد تركوا ذلك كله وصاروا مثل الأعراب الذين لا يعرفون إلا ظاهر الإسلام كما قال الله عز وجل ﴿ وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواحُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ أي أحرى بان لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام .

١- جاء في سبب إلقاء هذه الخطبة المسماة بالقاصعة: " إن أهل الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا، وكانوا قبائل متعددة، فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى، فيصيبه أدنى مكروه، فينادي باسم قبيلته، ... فتثور الفتن، وتسل السيوف، ولا يكون لها أصل في الحقيقة إلا تعرض الفتيان بعضهم لبعض، وكثر ذلك، فخرج عليه السلام على ناقته فخطبهم بهذه الخطبة كسرا لصولتهم. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13/ 167- 168 حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 224.

٢- نهج البلاغة: ص404.

٣. الكليني: الكافي: 2 / 281 . الطبري: جامع البيان: 5 / 54 . المناوي: فيض القدير: 1 / 73 . السيد السيستاني: فقه المغتربين: ص 51.

٤- الشهيد الثاني: مسالك الإفهام: 3 / 65.

٥- شرح نهج البلاغة : 181/13.

٦- سورة التوبة الآية 97.

يعني إنكم قد صرتم بالعصبية والاستكبار والعناد وإثارة الفتن بمنزلة الأعراب الجاهلين بما لهم وما عليهم بعدما كنتم عارفين بذلك كله " [١] .

ويتجلى هذا المعنى بوضوح في تتمة كلامه عليه السلام وهو يشير إلى الحال الذي آل إليه هؤلاء بقوله " **مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِه ، ولَا تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَه** " [٢] ، فهم لم يأخذوا من الإسلام وأحكامه شيئا إلا أنهم يتسمَّون بالمسلمين ، ولم يعرفوا من الإيمان إلا صورته . ومن هنا صح إطلاق لفظ الأعراب عليهم كما ورد في الحديث: " التعرّب بعد الهجرة : التارك لهذا الأمر بعد معرفته ". [٣] وفي حديث للإمام الرضا عليه السلام أنه قال: " حرّم الله عز وجل التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين ، وترك المؤازرة للأنبياء والحجج عليهم السلام وما في ذلك من الفساد ، وإبطال حق كل ذي حق لا لعلة سكنى البدو " [٤]، وبالفعل فإننا نلمح في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يقارب هذا المعنى إذ يقول عليه السلام: " **أَلَا وإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّه الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ** " [٥]. فها هم قد خذلوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتركوا مؤازرته ، وبذلك فقد وقعوا في معصية أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي اوجب طاعته عليه السلام بقوله ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [٦].

وحين نطل على المشهد من زاوية أخرى فإننا ندرك معنى الحديث النبوي الذي يقول : " لا هجرة بعد الفتح ولكن إنما هو الإيمان والنية والجهاد " [٧] ، وفي حديث " لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، ،

١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 12 / 11.
٢- نهج البلاغة: ص 404.
٣- الصدوق: معاني الأخبار: ص 265.
٤- الصدوق: علل الشرائع: 2 / 481، عيون أخبار الرضا عليه السلام : 1 / 99.
٥- نهج البلاغة: ص 403.
٦- سورة النساء الآية 59.
٧- المتقي الهندي: كنز العمال: 10 / 500، 16 / 660. الريشهري: ميزان الحكمة: 4 / 3429.

وإذا استنفرتم فانفروا " [1] . وفي حديث: " لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل " [2] أو " ما دام الجهاد " [3].

ونحن نعلم أن المقام قد استوجب من الإمام عليه السلام محاربة البغاة والخارجين عن الدين من الناكثين والقاسطين والمارقين ، إذ يقول عليه السلام: " **أَلَا وقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلَامِ ، وعَطَّلْتُمْ حُدُودَه وأَمَتُّمْ أَحْكَامَه ، أَلَا وقَدْ أَمَرَنِيَ اللَّه ، بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ والنَّكْثِ والْفَسَادِ فِي الأَرْضِ ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ ، وأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ، وأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُه ، بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِه ورَجَّةُ صَدْرِه ، وبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ، ولَئِنْ أَذِنَ اللَّه فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ ، لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً فضل الوحي أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ ومُضَرَ**" [4].

ولسنا بصدد إيراد شرح تفصيلي لهذا الكلام ، وإنما ذكرناه بطوله ليتبين لنا ما يناسب مقام البحث وما استلزم من إيراده بيان انطباق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما فيه من ضرورة على استمرار خط الجهاد لأعداء الدين مما يضمن استمرار فضيلة الهجرة إلى الله بنصرة أوليائه وحماة دينه ، وعدّ خذلانهم في قمع المنكر وقتال أهل البغي.

إن إشارة الإمام عليه السلام في صدر هذا المقطع تبّين حال المتخاذلين الذين خالفوا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بوجوب إطاعة أمير المؤمنين عليه السلام الذي نبههم إلى أن قتاله لهذه الفرق إنما كان بأمر الله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو واضح في كلامه : " ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي " وكما مر في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: " فان استنفرتم فانفروا " ولكنهم تخاذلوا ولم يطيعوه عليه السلام .

١- ابن حنبل: المسند: 1 / 226، 316 ، 3 / 401. الدارمي: السنن: 239/2 . البخاري: الصحيح: 2 / 214. مسلم: الصحيح: 4 / 109.

٢- ابن حنبل: المسند : 1 / 192. الهيثمي: مجمع الزوائد: 5 / 250 . المتقي الهندي: كنز العمال : 16 / 659.

٣- الطبراني: الأحاديث الطوال: ص 34. الهيثمي: مجمع الزوائد: 9 / 395. السيوطي: الجامع الصغير: 1 / 328 . المتقي الهندي: كنز العمال: 4 / 382.

٤- نهج البلاغة: ص 404- 405.

هذا من جانب فيما لو اختص حديثه عليه السلام بالقوم الذين حضروا خطبته من أهل الكوفة ، فإن من عصاه ولم يطع أوامره فقد كان متخلفا عن مقام الهجرة إلى الله ، أما لو توسعت دائرة الحديث فإنها تشمل كل من كان في عصره أولا ، بل وكل آت بعده ثانيا فان الأمر يستلزم وقفة توضيحية موجزة :

فأما الذين كانوا في عصره ممن كانوا يفخرون بهجرتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم أتموا تلك الفضيلة بمعرفة الحجة على الخلق من بعده صلى الله عليه وآله وسلم والقائم مقامه ألا وهو أمير المؤمنين عليه السلام فآزروه ونصروه وهاجروا إلى طاعته وجاهدوا معه، فإنهم قد فازوا بمرتبة المهاجرين الأولين الذين حازوا رضا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وأما من نقض شرط الهجرة فقد كان ممن تعرب بعد هجرته فهم ممن ترك أمر طاعته عليه السلام بعد معرفته ، فاستوجبوا غضب الله ولعنته عليهم.

وأما شمول حديثه لكل أهل زمان آتوا بعده ، فدليله قائم من حديثه ذاته إذ يقول عليه السلام: " **لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الأَرْضِ** " . ومعلوم أن " **لَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّه بِحُجَّةٍ ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً ، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّه وبَيِّنَاتُه ، وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ أُولَئِكَ واللَّه الأَقَلُّونَ عَدَداً ، والأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّه قَدْراً ، يَحْفَظُ اللَّه بِهِمْ حُجَجَه وبَيِّنَاتِه حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ ، ويَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ** " [1]

وهذا الكلام نص صريح على وجوب دوام الحجة وبقائه في الأرض ما دام التكليف باقيا ، فما أن يموت منهم أحد حتى يخلفه من يقوم مقامه ، وقد دلت الآثار وتواترت الأخبار على أن المقصود بهم أئمة أهل البيت عليهم السلام فـ " لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت " [2]، فهم الأمان لأهل الأرض كما النجوم أمان لأهل السماء[3] .

فأئمة أهل البيت عليهم السلام أحدهم يقوم مقام الآخر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وبهذا فإن الهجرة قائمة على حدها الأول كما أشار بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي مستوجبة معرفة أولئك الأئمة الأطهار

١- نهج البلاغة : ص 686-687.

٢- الصفار: بصائر الدرجات: ص 508. الكليني: الكافي: 1 / 179 . الصدوق: علل الشرائع: 1 / 196.

٣- نسبة للحديث " النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض " ينظر: الصدوق: علل الشرائع: 1 / 123، كمال الدين: ص 205. الزرندي: درر السمطين: ص 234. السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 680 . المتقي الهندي: كنز العمال: 12 / 96 ، 101.

كل منهم في زمانه ومقامه ، وبهذا فإن " معرفة الإمام ، والإقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " [١] .

أما المستضعفون في الأرض – في كل زمان – فقد ذكر امير المؤمنين عليه السلام الحكم الذي يخصهم في قوله بهذا البيان ، إذ يقول عليه السلام : " **ولَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْه الْحُجَّةُ ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُه ووَعَاهَا قَلْبُه** " [٢] .

قال الراوندي [٣] : يمكن أن يشير هذا الكلام إلى إحدى آيتين : أحدهما : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [٤] ، فيكون مراده عليه السلام – على هذا – أنه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الإمام وبلغته أحكامه ووعاها قلبه ، وإن بقي في وطنه ولم يتجشم السفر إلى الإمام كما لايصدق على هؤلاء المذكورين في الآية. والثانية : قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [٥] ، فيكون مراده عليه السلام على هذا إن من عرف الإمام ، وسمع مقالته ، ووعاها قلبه لا يصدق عليه الاستضعاف كما يصدق على هؤلاء ، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم بل يقنع منه بمعرفته والعمل بقوله دون المهاجرة إليه بالبدن . وكان الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قد سئل عن الضعفاء ، فقال : " الضعيف من لم ترفع له حجة ، ولم يعرف الاختلاف ، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف " [٦].

١- المجلسي: البحار: 66 / 231.
٢- نهج البلاغة: ص375.
٣- منهاج البراعة :2/445-446 .
٤- سورة النساء الآية 97.
٥- سورة النساء الآية 98.
٦- الكليني: الكافي: 8 / 125 . المجلسي: البحار : 48 / 244.

وفي رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام لما سئل عن المستضعف قال " هو الذي لا يستطيع حيلة إلى الكفر فيكفر ، ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان ، لا يستطيع أن يؤمن ، ولا يستطيع أن يكفر ، فمنهم الصبيان ، ومن الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم " [1].

إذن فلا عذر لمن بلغته دعوة الحجة وسمعها وتأخر عن النهوض والمهاجرة إليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له ، بل يكون في تأخّره ملوما مستحقا للعذاب كالذين قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم ، وهذا الاحتمال إنما يكون جائز الإرادة من هذا الكلام المقدم مشروطا بمعرفة الإمام بالمشاهدة والسفر إليه ، إذ لو جاز أن يطلق عليه المهاجرة مع عدم السفر إلى الإمام لما كان ملوما في تأخره عنه [2] .

ولما علم من المقاطع السابقة تصريحا أو تلويحا بوجوب السعي والهجرة إليه عليه السلام والى الأئمة من ولده ممن حق على الخلق طاعتهم ولا تخلو الأرض من بركة وجودهم ، وبين عليه السلام انه لا يسوغ التقصير والاستضعاف في معرفة حقهم أردف ذلك بالتنبيه على أن معرفتهم حق المعرفة من خواص المؤمنين المخلصين : " **إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُه إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ، امْتَحَنَ اللَّه قَلْبَه لِلإِيمَانِ** "[3]. وبهذا فإن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعطى للهجرة مفهومها ومقامها الصحيح وفق مارسمته الشريعة المقدسة ، ونجد في كلماته إشارات في معرض المدح لمن حاز تلك الرتبة السامية في الإسلام ممن هاجر طائعا لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرة الدين الحق ، ومن ذلك قوله بادئا بنفسه في بيان سبقه عليه السلام للإيمان والهجرة إذ يقول : " **فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ والْهِجْرَةِ** " [4].

١- الكليني: الكافي : 2 / 404 . الكاشاني: الوافي 220/4. البحراني: البرهان 156/2. المجلسي: مرآة العقول: 11/ 201، هادي النجفي: موسوعة أحاديث أهل البيت: 3 / 248- 249 .

٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 230 – 231.

٣- نهج البلاغة: 375.

٤- نهج البلاغة: ص94.

لقد أورد ابن ابي الحديد [1] تساؤلا عن قول الامام عليه السلام اعلاه : إنه سبق إلى الهجرة ، ومعلوم إن جماعة من المسلمين هاجروا قبله ، منهم عثمان بن مظعون [2] وغيره ، وقد هاجر أبو بكر قبله ، لأنه هاجر في صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ! وتخلف علي عليه السلام ، فبات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومكث أياما يرد الودائع التي كانت عنده ، ثم هاجر بعد ذلك ؟ وقال في جوابه :

1 -انه عليه السلام لم يقل " وسبقت كل الناس إلى الهجرة " وإنما قال : " وسبقت " فقط ، ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة ، ولا شبهة انه سبق معظم المهاجرين إلى الهجرة ، ولم يهاجر قبله أحد إلا نفر يسير جدا. وإن سيل الهجرة استمر حتى فتح مكة سنة 8 هـ.

2 -وأيضا فان اللام في " الهجرة " يجوز ألا تكون للمعهود السابق ، بل تكون للجنس ، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي حصلت قبل هجرة المدينة ، فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هاجر من مكة مرارا يطوف على أحياء العرب ، ويتنقل من ارض قوم إلى غيرها ، وكان علي عليه السلام معه دون غيره ثم ذكر عدد هجراته صلى الله عليه وآله وسلم التي سبقت الهجرة إلى المدينة التي رافقه فيها أمير المؤمنين عليه السلام [3] .

إن التعليل الثاني مقبول ولا إشكال فيه ، وأما ما ذكره أولا وانه عليه السلام قد سبقه احد من الصحابة إلى الهجرة فلا نجده متوافقا مع واقع أمير المؤمنين عليه السلام وان كلامه صريح جدا في سبقه للجميع بلا استثناء ، وأما كيفية ذلك ، فنحن قد أدركنا المعنى الواقعي الحقيقي " للهجرة " من خلال ما بينه أمير المؤمنين عليه السلام وإنها هجرة إلى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومعرفة مقامه صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان به وتحصيل معالم الشريعة منه والتسليم له تسليم مطلقا.

ومما لا خلاف فيه أن ذلك كله متحصّل له عليه السلام ومن أسبق منه لنيل هذه الرتبة من اليقين والمعرفة بحجة الله على خلقه وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ؟! ، فهو عليه السلام وان تأخر عن الهجرة بدنيا ليسبقه

١- شرح نهج البلاغة : 4/ 97 . وينظر: ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 2 / 410 – 411.

٢- هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي. أسلم في مكة بعد أثني عشر ، وقيل هاجر الهجرتين وشهد بدرا، ومات بالمدينة بعد معركة بدر، كان من المقربين إلى أمير المؤمنين عليه السلام لذا سمى عليه السلام أحد أولاده عثمان على أسمه. ينظر: ابن سعد: الطبقات : 3/ 393. ابن عبد البر: الاستيعاب 1053/3 . التفرشي: نقد الرجال: 197/3.

٣- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 97 – 99.

إليها غيره إلا أنه قد هاجر ذاتيا وأدرك المقام الأسمى لتلك الفضيلة التي لم يسبقه إليها احد . وقد مر علينا أن صحة إطلاق اسم " الهجرة " على احد لا يستلزم السفر والمسير من مكان إلى مكان بل يكفي معرفته واقراره ونيته.

وفي إشارة أخرى له عليه السلام حول مقام الهجرة الممدوح لديه وممن خصه بالذكر من المهاجرين قوله عليه السلام لمعاوية ، وقد استنكر عليه عليه السلام خوضه في شأن لا يعنيه وهو لما أرسل إليه معاوية كتابا اقتص فيه ذكر بعض الصحابة معرضا بأفضليتهم – حسب زعمه – على أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه قائلا:

" ... **وزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ فُلَانٌ وفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّه ، وإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُه ، ومَا أَنْتَ والْفَاضِلَ والْمَفْضُولَ والسَّائِسَ والْمَسُوسَ ، ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ ، وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْه الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ ، وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ولَا ظَفَرُ الظَّافِرِ ، وإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيه رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ ، أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله – بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيْه ، أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه ، ولِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ** "[1] .

وكما هو واضح في كلام أمير المؤمنين عليه السلام كيف انه استنكر على معاوية الخوض في مسألة التفضيل والترتيب بين الصحابة ، إذ يقول له عليه السلام إن هذا الترتيب إما أن يتم أو لا ، فان تم فهو – أي معاوية – بمعزل عنه ، إذ ليس له نصيب في تلك المراتب والسبق في الإسلام ، وان نقص فلا يلحق معاوية عيبه أو نقصه لأنه لم يكن منهم ، فعلى كلا الوجهين كان معاوية خائضا فيما لا يعنيه[2] .

١- نهج البلاغة : ص 526 – 528 .

٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 521. حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 19 / 93.

ثم بين عليه السلام عدم لياقة معاوية لتمييز الفاضل والمفضول منهم ، وترتيب درجاتهم ، فوجه إليه استفهاماً على سبيل الاستحقار والإنكار عليه أن يخوض على صغر شأنه وحقارته في هذه الأمور، لأنه وأبوه أبو سفيان من الطلقاء. ممن كانوا في زمن الهجرة مشركين ، ولما رفع الله الكلمة العليا ودخل الناس في دين الله أفواجا استسلما ، وما اسلما كما قال بذلك أمير المؤمنين عليه السلام : " **فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ** " [1].

وأما قوله عليه السلام : " بين المهاجرين الأولين " ، فإنّه يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [2].

لقد جاء في تفسير الطبرسي[3] لهذه الآية : إن فيها دلالة على فضل السابقين ، ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة في نصرة الدين، فمنها مفارقة العشائر والأقربين ، ومنها مباينة المألوف من الدين ، ومنها نصرة الإسلام وقلة العدد وكثرة العدو ، ومنها السبق إلى الإيمان والدعاء إليه ، إلى أن قال : وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني [4] في قوله تعالى بإسناده مرفوعا عن عبد الرحمن بن عوف (والسابقون الأولون) قال: هم عشرة من قريش أولهم إسلاما علي بن أبي طالب .

وبالجملة فإن شأن معاوية وقدره أدنى من أن يدخل في التمييز بين هؤلاء ونحوهم وليس بأهل لذلك [5] .

ونجد في كتاب آخر لأمير المؤمنين عليه السلام وجهه لمعاوية ذكر فيه المعنى نفسه بقوله : " **ولَمَّا أَدْخَلَ اللَّه الْعَرَبَ فِي دِينِه أَفْوَاجاً ، وأَسْلَمَتْ لَه هَذِه الْأُمَّةُ طَوْعاً وكَرْهاً ، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ** " [6]

١- نهج البلاغة : ص 511 .
٢- سورة التوبة الآية 100 .
٣- مجمع البيان: 5 / 113 .
٤- عند مراجعة الحاكم الحسكاني كانت الإشارة هكذا " هم ستة من قريش " شواهد التنزيل: 1/ 334
٥- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 19 / 93.
٦- نهج البلاغة: ص 512 .

ثم نبّهه أمير المؤمنين عليه السلام على ضعفه وقصور ذرعه عن البلوغ لتلك المراتب السامية ، وأنى للأعرج العروج إلى قلل شامخة ، فقال عليه السلام: " ألا تربع أيها الإنسان ... الخ " استفهام على سبيل الاسترحام أو الاستحقار والتقريع ، فهل للظالع – وهو الأعرج – أن يحمل حملا ثقيلا ؟ فرفقا بنفسك حتى لا تحمل ما لا تطيق ؟ وألا تعرف قصور ذرعك وعدم قدرتك عن بلوغ درجات السابقين ؟ ألا تضع نفسك حيث وضعها الله ؟! [1] .

ويواصل أمير المؤمنين عليه السلام تقريعه وتوبيخه لمعاوية ، إلى أن بلغ إلى تذكيره وتنبيهه بأفضليته عليه السلام وأهل بيته وتقدمهم على من سواهم ، وإن شاركهم بعضهم في تلك الخصائص والفضائل ، وذكر لهم مثالين وهما : حمزة سيد الشهداء عليه السلام الذي كان من المهاجرين الأولين ، وممن حاز مرتبة الشهادة وخصّه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما ذكره عليه السلام فيما تقدم ، جعفر بن أبي طالب عليه السلام أيضا الذي هاجر هجرتين ، كانت الأولى الى الحبشة والثانية الى المدينة ، وكان سباقا في نيل رتبة الهجرة والجهاد ، ومن ثم الشهادة ، وخص بذي الجناحين والطيار في الجنة.

وفي مقام آخر نجده عليه السلام يستنكر على معاوية ما ادعاه الأخير بأنه لا موجب للتفاضل بينهما ما داما من أصل واحد إذ أرسل إلى الإمام يقول : " إنا بنو عبد مناف " فأجابه الأمير عليه السلام مستنكرا " ولا المهاجر كالطليق " [2].

فعرض الإمام عليه السلام " شرفه من جهة هجرته مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وخسة خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق ، وهذه الفضيلة وان كانت خارجية إلا أنها تستلزم فضيلة نفسانية ، وهي حسن الإسلام والنية الصادقة الحقة " [3]

فالإمام عليه السلام يستنكر على معاوية المساواة بين فضيلة الهجرة التي اختص بها عليه السلام وبين كون معاوية طليقا لم يحظ بشرف تلك الرتبة في الإسلام.

١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 19 / 94.
٢- نهج البلاغة: ص 511.
٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 467.

وفي الوقت الذي يفتخر فيه أمير المؤمنين عليه السلام بان جيشه يشتمل على نخبة من المهاجرين ، مشرعا في وصفهم بأوصاف تزلزل أركان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام إذ يقول عليه السلام مخاطبا معاوية : " **وأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ** " [1].

فهؤلاء الأفذاذ ممن صدق عليه " الهجرة " بواقعها السامي الذي اشترطه أمير المؤمنين عليه السلام، إذ إنهم فضلا عن تلك الهجرة المتحققة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لم ينحرفوا عن جادة الصواب ، وحافظوا على مراتبهم العليا في نيل فضيلة المهاجرة إلى حجج الله في أرضه ، فنالوا بذلك رضا الله سبحانه وجنانه إذ يقول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [2] .

وفي موضع آخر نجد أمير المؤمنين عليه السلام يرد مزاعم معاوية حين توعد الأخير بأنه قادم إليه بجيش يضم المهاجرين والأنصار، إذ قال له عليه السلام: " **وذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، وقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ** " [3].

وكلامه ها هنا تكذيب لمعاوية فيما ادعاه ، إذ ليس معه مهاجر لان أكثر من معه ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم أبناء الطلقاء ، ومن أسلم بعد الفتح ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : " لا هجرة بعد الفتح " ، وعبّرعن يوم الفتح بعبارة حسنة فيها تقريع لمعاوية وأهله بالكفر ، وإنهم ليسوا من ذوي السوابق ، فقال عليه السلام : " وقد

١- نهج البلاغة : ص 532.
٢- سورة التوبة الآية 100 .
٣- نهج البلاغة: ص 631.

انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك " [1] ، يعني يزيد بن أبي سفيان [2] أسر يوم الفتح في باب الخندمة [3] ، وكان قد خرج في نفر من قريش يحاربون ويمنعون من دخول مكة ، فقتل منهم قوم وأسر يزيد بن أبي سفيان ، أسره خالد بن الوليد ، فخلصه أبو سفيان منه ، وأدخله داره ، فأمن لان رسول الله ﷺ قال يومئذ : " من دخل دار أبي سفيان فهو آمن " [4].

ومن ثم نراه يُعرض بحال أهل الشام ممن كان في ركب معاوية إذ يقول عليه السلام عنهم : " **جُفَاةٌ طَغَامٌ وعَبِيدٌ أَقْزَامٌ ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّه ويُؤَدَّبَ ، ويُعَلَّمَ ويُدَرَّبَ**

١- إن ابن ميثم لما ذكر أصل الخطبة أورد المقطع كالآتي " وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أخوك " لكنه لما جاء على شرحه فانه ذكر المقطع بالصيغة الآتية " وقد انقطعت الهجرة يوم اسر أبوك " [شرحها قائلا] أي حين الفتح ، وذلك إن معاوية وأباه وجماعة من أهله إنما اظهروا الإسلام بعد الفتح وقد قال عليه السلام : " لا هجرة بعد الفتح " فلا يصدق عليهم إذن اسم المهاجرين ، وسمى عليه السلام اخذ العباس لأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ غير مختار وعرضه على القتل أسرا . ثم شرح : وروى : يوم أسر أخوك ، وقد كان أسر أخوه عمرو بن أبي سفيان يوم بدر، فعلى هذه الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بأن من شأنه وشأن أهله أن يؤسروا أولا فيسلموا ، فكيف يدعون مع ذلك الهجرة ، فان الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ، ولا يكون " يوم أسر " ظرفا لانقطاع الهجرة ، لان الهجرة انقطعت بعد الفتح . ينظر شرح نهج البلاغة: 5 / 258.

٢- هو أبو خالد يزيد بن أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، اسلم يوم فتح مكة ، فكان من الطلقاء ، والمؤلفة قلوبهم مع أبيه وأخيه معاويه ، لأنه أراد الحرب لكنه أسر من قبل خالد بن الوليد ، بدأ نجمه مع خلافة أبي بكر إذ استعمله على الشام ، ولما تولى عمر الخلافة ولاه فلسطين ، ثم الشام ، حتى وفاته بالطاعون سنة 18 هـ ، فولى مكانه أخيه معاوية ، ينظر: ابن سعد: الطبقات : 405/7 ، ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار ص 35 ، ابن عبد البر: الاستيعاب : 4/ 1575، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 298/8 ، 95/15، 256/17. الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : ص432.

٣- الخندمة: جبل في مكة في ظهر أبي قبيس لما اراد النبي ﷺ فتح مكة اجتمع صفوان بن امية ، وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو في الخندمة ، وفيه قال حماس بن قيس لزوجته :

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة
وحيث أبو يزيد قائم كالمؤتمه واستقبلتنا بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا تسمع إلا غمغمة
لم تنطفي باللوم أدنى كلمة

ينظر: الحموي: معجم البلدان 393/2، وينظر: الأزرقي: أخبار مكة 1/ 222، 269/2.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 17 / 197.

ويُوَلَّى عَلَيْه ، ويُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْه ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، ولَا مِنَ (الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ والإيمانَ)" [1] .

إن الذي يعنينا من كلامه الشريف عليه السلام أن هؤلاء ليسوا من المهاجرين والأنصار في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصانا لهم عن المهاجرين والأنصار وقد سبقت الإشارة إلى افتخاره عليه السلام بتواجد هذه الفئة في جيشه عليه السلام.

وفي معرض مدحه للمهاجرين نجده خص أحد الصحابة بالذكر وهو خباب بن الارت [2] ، إذ يقول عنه : " **يَرْحَمُ اللَّه خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً ، وهَاجَرَ طَائِعاً وقَنِعَ بِالْكَفَافِ ورَضِيَ عَنِ اللَّه وعَاشَ مُجَاهِداً** "[3].

كان خباب بن الارت من أفذاذ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم المخلصين والحاملين لأسرار الشريعة الإسلامية ، ممن تلمسوا الحقيقة بقلوبهم وبلغو الدرجة القصوى من اليقين بالنسبة إلى معالم الدين ، ومن الذين كانوا شهداء على الناس ومؤازرين للحق عند ظهور الخلاف ، فكونه في صف أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مجاهدا معه في صفين من الأدلة القاطعة على أن الإمام علياً عليه السلام مع الحق والحق مع علي يدور معه أينما دار [4] ، مثله في أصحابه عليه السلام مثل عمار [5] . و قال ابن أبي الحديد: هو قديم الإسلام ، قيل:

١- نهج البلاغة: ص 488 .

٢- هو خباب بن الارت بن جندلة التميمي النسب، الخزاعي بالولاء، حليف بني زهرة، كان عبدا يعمل السيوف قبل الإسلام، فأصابه سبي، فبيع بمكة، كان من المسلمين الأوائل ومن خيار المهاجرين، قيل هو سادس ستة، وقد تعرض إلى تعذيب المشركين حتى هاجر الى المدينة، شهد جميع مشاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، حتى مات سنة 37 أو 39 هـ وصلى عليه الإمام ودفن في الكوفة. وكان ابنه عبدالله على منهج أبيه في موالاة أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي قتلته الخوارج لموالاته الإمام. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب 437/2، ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين 39/4، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 171/18-172، التبريزي: الإكمال في أسماء الرجال ص57، الكرباسي: إكليل المنهج ص542 .

٣- نهج البلاغة: ص 662.

٤- حديث خرجه: أبو جعفر الإسكافي: المعيار والموازنة ص 35، ابن قتيبة: الإمامة والسياسة (المنسوب) 73/1، ابن مردويه: المناقب : ص 113، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 322/14، ابن عساكر: تاريخ دمشق 449/42، الشامي: الدر النظيم ص441.

٥- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 21 / 86.

إنه كان سادس ستة ، وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو معدود في المعذبين في الله [1]. وورد في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : " السباق خمسة : فانا سابق العرب ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة ، وصهيب سابق الروم ، وخباب سابق النبط " [2].

وقد وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوجيز من الكلام بما لا مزيد عليه، واثبت له فضيلة الرغبة في الإسلام، والطوع على الهجرة، وصرف الحياة في الجهاد فناهيك بهذه الفضائل عن التتبع للأقوال، وثناء سائر الرجال[3].

ومن حظوة مقام الهجرة قوله عليه السلام في المهاجرين في كتاب إلى معاوية " **انَّه بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ ، عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْه ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ ، ولَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ ، وإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وسَمَّوْه إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلَّه رِضًا ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ ، بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوه إِلَى مَا خَرَجَ مِنْه ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوه عَلَى اتِّبَاعِه غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، ووَلَّاه اللَّه مَا تَوَلَّى** "[4].

اولاً لا بد من الإشارة إلى أن كلامه " على مقتضى عقيدة القوم مداراة ومماشاة معهم بما اعتقدوا من أمر الخلافة إنما هو بالبيعة من أهل العقد والحل لا بالنص ، وإلا فإمامته بلا فصل كانت ثابتة بالبراهين القطعية ، فالقياس جدلي على اصطلاح أهل الميزان ، لأنه اعتبر في مقدماته التسليم من الخصم أي تبكيت الخصم إلزامه بما سلم به " [5]. فهو بمقتضى المقام قد حصر الشورى في المهاجرين والأنصار لأنهما أهل الحل والعقد في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمتى اتفقت كلمتهم على أمر اجمعوا عليه كان ذلك حقا مرضيا لله تعالى فيجب على الناس إتباعه . ومن ذلك إطباقهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن خلال ما مضى يتبين لنا بان التعامل مع فضيلة " الهجرة " كان وفق رؤيتين:

١- شرح نهج البلاغة: 171/18.
٢- الصدوق: الخصال: 312. ابن الفتال: روضة الواعظين: ص 28 .
٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 21 / 87.
٤- نهج البلاغة: ص 499- 500 .
٥- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 17 / 169.

الأولى: تمثلت في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الفضيلة ، وكيف أعطى لها أبعادا تتجاوز معناها اللغوي والاصطلاحي الذي قد يتحدد بهجرة البدن من مكان إلى آخر، إذ عدها عليه السلام ظاهرة ذات علاقة بالرسالة الإلهية وديمومتها ، ومنوطة بمعرفة الحجة في الأرض ، القيِّم على تأدية حق الشريعة في كل زمان ، وقد اخرجها من افقها الضيق الذي لا تعدو أن تكون فيه مجرد حركة انتقال مكاني قد يطلب من ورائه السعة بعد الضيق والراحة والدعة والاستقرار في مكان آخر تتوافر فيه هذه المقومات.

الثانية: التي طرح فيها عنوان " المهاجرين " كامتياز يحاول بعضهم التكسب فيه للحصول على أطماع دنيوية بحتة ، إذ اظهروا إنهم تحملوا الآلام والمحن بترك أوطانهم ، بهجرتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا بات من حقهم الاستئثار بامتيازات ومناصب ، كما حدث في السقيفة [1] ، فقد طرحت " الهجرة " كامتياز تفاضلي في وجه الأنصار لبيان أحقية المهاجرين بالخلافة دون سواهم ، ومن ثم غدت من القضايا التي تمثل منهجا في العامل السياسي ، وتحولت فيما بعد إلى ما هو اخطر في الوجود الإسلامي ، إذ أوجدت الطبقية في المجتمع الإسلامي ، ففي عهد عمر بن الخطاب كان توزيع الأموال متفاوت حسب أمور عدة منها القدم في الإسلام ، وهذا يعني تقديم المهاجرين على الأنصار[2].

١- لمزيد من التفاصيل والتحليل عما جرى في السقيفة ينظر: محمد رضا المظفر: السقيفة ص 9 - 156، الخليلي: السقيفة أم الفتن ص11 – 118. النصرالله: مرويات الجوهري عن يوم السقيفة : ص1-61. العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام : ص725 - 786.

٢- ذكر اليعقوبي: ودون عمر الدواوين، وفرض العطاء سنة 20، وقال: قد كثرت الأموال ، فأشير عليه أن يجعل ديوانا، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف، وقال: اكتبوا الناس على منازلهم، وابدأوا ببني عبد مناف. فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف، والحسن بن علي في ثلاثة آلاف، والحسين بن علي في ثلاثة آلاف، وقيل بدأ بالعباس بن عبد المطلب في ثلاثة آلاف، وكل من شهد بدرا من قريش في ثلاثة آلاف، ومن شهد بدرا من الأنصار في أربعة آلاف، ولأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف، ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدرا، ولأمهات المؤمنين ستة آلاف ستة آلاف، ولعائشة وأم حبيبة وحفصة في اثني عشر ألفا، ولصفية وجويرية في خمسة آلاف خمسة آلاف، ولنفسه في أربعة آلاف، ولابنه عبد الله بن عمر في خمسة آلاف، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة، وفرض لأهل اليمن فئ أربعمائة، ولمضر في ثلاثمائة، ولربيعة، في مائتين. وكان أول مال أعطاه مالا قدم به أبو هريرة من البحرين، مبلغه سبعمائة ألف درهم. قال: اكتبوا الناس على منازلهم، وكتبوا بني عبد مناف، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم أتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه على الخلافة. فلما نظر عمر قال: وددت والله اني هكذا في القرابة برسول الله، ولكن ابدأوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه، حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله. وفرض للنساء المهاجرات وغيرهن على قدر فضلهن، وكانت فريضته لهن في

ثانيا: ونبقى في مكة نستطلع مكونها المجتمعي ، إذ نجد إشارة الامام امير المؤمنين عليه السلام الى " **المشركين** " الذين كان لهم موقفا سلبيا وقاسيا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته ومن آمن بها ، وفي طليعة هؤلاء كان الملأ من قريش ، والمعلوم ان " قريش " هم سادة مكة وهم عشيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهله ، وقد تباينت مواقف هؤلاء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمنهم من آمن به وآزره ، وفي مقدمتهم اهل بيته من بني هاشم كآل ابي طالب وغيرهم ، وقد كان للعامل القبلي اثره الايجابي في هذا المضمار، حتى ان بني هاشم مسلمهم وكافرهم قد قبلوا بمحاصرة قريش لهم وكانوا في شعب ابي طالب[1].

ولكن البعض الاخر من قريش كان الاشد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن بدعوته اذ كان صلى الله عليه وآله وسلم ، كما عبر امير المؤمنين عليه السلام واصفا حالة " **خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الأَدْنَوْنَ وتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ** " [2]. واجمعت قريش على حربه [3] ، يتقدمهم الملأ الذين كانوا واعين لخطورة هذه الدعوة على مصالحهم السياسية والاجتماعية ، فاتهموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتهامات شتى وآذوه وألبوا عليه العرب . وذكر لنا الامام عليه السلام انموذجا على موقفهم هذا بقوله : " **ولقد كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ ورَسُولٌ ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ**" [4]. فطالبوه بأمر اعجازي .

ألفين، وألف وخمسمائة، وألف، وفرض لأسماء بنت عميس، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وخولة بنت حكيم بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون في ألفين، وفرض لأم عبد في ألف وخمسمائة، وفرض لأشراف الأعاجم، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك والنخير خان، ولخالد وللجميل ابني بصبهرى دهقان الفلوجة، وللهرمزان، ولبسطام بن نرسي دهقان بابل، وجفينة العبادي في ألفين ألفين، وقال: قوم أشراف أحببت أن أتألف بهم غيرهم. وقال عمر في آخر سنيه: اني كنت تألفت الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض، وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربيا على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر؛ تاريخ : 2/153 .154. ولمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر: ابن الاثير: الكامل : 2/ 502 _ 505، الكتاني: التراتيب الادارية 1/ 200_202 .

١- أشار عليه السلام الى هذه الحادثة، بقوله: " فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ، وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ، وكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ" نهج البلاغة: ص 502.

٢- نهج البلاغة: ص414.

٣- اشارة لقوله عليه السلام بخصوص قريش: " فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قَبْلِي" نهج البلاغة ص 561.

٤- نهج البلاغة : ص406 -407.

وقد استمر موقف قريش المعادي ومن تبعها حتى فتح الله لنبيه ذاك الفتح العظيم ، ودخل مكة منتصرا في السنة الثامنة للهجرة . فادخل الله العرب في دينه افواجا، واسلمت له هذه الامة طوعا وكرها . فكان ممن استسلم لقهر الاسلام وغلبته بعضٌ من هؤلاء، الذين عرفوا بـ " **الطلقاء** " [1]، فكانوا ممن دان بدين الاسلام كرها لا طواعية ، بدلالة قوله عليه السلام لمعاوية وهو احد الطلقاء في اكثر من موضع " **ومَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً ، وبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الإِسْلَامِ كُلُّه لِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم حِزْباً** "[2].

إن هؤلاء " **الطلقاء** " لم يسلموا واقعا ، بل تظاهروا بالاسلام [3] ليقوا انفسهم من حر السيوف ، وتمتعوا بعفو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم اذ قال لهم : ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا: اخ كريم وابن اخ كريم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : " اذهبوا فانتم الطلقاء " [4]. وقد حجّم الامام امير المؤمنين عليه السلام طموح هؤلاء ، وبين موقعيتهم في الاسلام ، رغم كل محاولاتهم لتخطي حدود واقعهم الحقيقي ، فبين ذلك من خلال مساجلاته مع معاوية كانموذج منهم:

1 -انهم انما اسلموا كرها ودخلوا في هذا الدين رهبة [5].
2 -انهم اظهروا الاسلام واسروا الكفر [6].
3 -انهم لا يمكن مساواتهم بأهل السابقة والفضل [7] في الاسلام من المهاجرين [8] وغيرهم.

١- الطليق هو كل من دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة عنوة فملكه بالسيف، ثم من عليه عن إسلام أو غير إسلام، كصفوان بن أمية الذي لم يسلم، ومعاوية الذي أعلن الإسلام، وكذلك من اسر في حروب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فمن عليه بفداء أو غير فداء، كسهيل بن عمرو الذي أمتن عليه بفداء، وأبي عزة الجمحي بغير فداء، وعمرو بن أبي سفيان الذي أمتن عليه معاوضة مقابل أطلاق أسير من المسلمين. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 15 / 119 .

٢- نهج البلاغة: ص630 – 631.

٣- يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام : " فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ ... ". نهج البلاغة :ص511.

٤- الطبري: تاريخ: 2/ 337، ابن الأثير: الكامل في التاريخ :252/2، ابن كثير: البداية والنهاية :4/ 344.

٥- اشارة لقوله عليه السلام : " كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وإِمَّا رَهْبَةً" . نهج البلاغة :ص 512.

٦- إشارة لقوله عليه السلام " ما أَسْلَمُوا ولَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وأَسَرُّوا الْكُفْرَ". نهج البلاغة :ص511.

٧- " فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ولَمْ تَكُنْ لَه كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُه ولَا أَظُنُّ اللَّه يَعْرِفُه". نهج البلاغة ص 503. وايضا قوله : " وكنتم ممن دخل في هذا الدين اما رغبة واما رهبة ، على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون الاولون بفضلهم " . نهج البلاغة ص512.

٨- " ولَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ". نهج البلاغة ص 511. وايضا قال: " ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْه الْحُكْمُ لَهَا " نهج البلاغة ص 527.

اما المجتمع المدني ، فقد كان يتكون من عدة عناصر سكانية ابرزها : (العرب ومنهم ما عرف بالانصار ومن لحق بهم من المهاجرين . واصحاب الديانات الاخرى من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس) [١] .

وقد مر بنا الحديث عن المهاجرين ، اما الانصار فقد اشار الامام امير المؤمنين عليه السلام الى انهم قد آمنوا بالنبي ﷺ وتعاهدوا على نصرته وآووا دعوته واحتضنوا رسالته ، أذ نوّه عليه السلام إلى موقفهم من النبي ﷺ ودينه الحنيف فقال: " **هُمْ واللَّه رَبَّوُا الإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ** [٢] ، **مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ** [٣] **وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ** [٤] " [٥]. كما اشار عليه السلام الى منزلتهم من رسول الله ﷺ حتى اوصى بهم من بعده بإن بإن " **يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، ويُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ** "[٦].

ومن المعلوم تاريخياً ان هذا المكون المجتمعي قد كان يتألف من قبيلتي الاوس والخزرج ، التي شهدت الايام وقائع وحروب بينهما قبل دخولهم في الاسلام ، إذ كان له ﷺ الاثر الواضح في معالجة ذاك الخلاف الدامي فـ " **دَفَنَ اللَّه بِه الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً** " [٧] فأظلهم بمظلة الاسلام ، واصبحوا في دين الله اخوانا.

ورغم وجود بعض الاقليات الدينية الاخرى كالنصارى في مكة واليهود في المدينة ، الا انه لم ترد الاشارة اليهم في نهج البلاغة.

هذا المجتمع برمته ممن احاط بالنبي ﷺ قد اصطلح على تسميته بـ " **الصحابة** " [٨] ، وقد

١- لمزيد من التفاصيل ينظر : شذى العبيدي : مجتمع المدينة من خلال القران الكريم (الجوانب السياسية والاجتماعية) : ص 174 – 237 .مؤيد الدليمي : ملامح المجتمع المدني في عصر النبوة دراسة تاريخية : ص 27 – 57 .

٢- الفلو: المهر إذا فطم أو بلغ السنة . ابن الأثير: النهاية: 72/3.

٣- السبط الممدود ، إشارة إلى السخاء. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية :ص271.

٤- إشارة إلى سلاطة اللسان. ابن سيدة: المخصص ج 1/ق2/ السفر الثاني ص 116، ابن منظور: لسان العرب: 7/ 321.

٥- نهج البلاغة : ص 754 .

٦- نهج البلاغة : ص 102 .

٧- نهج البلاغة: ص178 –179.

٨- لقد ألفت عدة مؤلفات خاصة بهم ككتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.

ايد الله دينه ونبيه العظيم بالنخبة الفذة من هؤلاء ، " **وتَأْيِيدَه إِيَّاه لِمَنْ أَيَّدَه مِنْ أَصْحَابِه** " [1]، وقد شخص الامام امير المؤمنين عليه السلام في عدة مواضع من كلامه الشريف جملة مواقف ومزايا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فضلا عن وقفات هامة وملحوظات عامة يمكن ان تستشف من كلامه عليه السلام سندرجها تباعا :

أولا: المواقف الجهادية : يعد الجهاد من افضل وسائل التقرب الى الله الموصلة الى رضوانه ، وقد قرنه الامام امير المؤمنين عليه السلام بالايمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،" **إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، الإِيمَانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ، والْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلَامِ** " [2]. وقد استعار لفظ " الذروة " له ملاحظة الشبه في العلو والمرتبة في الاسلام بالسنام [3] للبعير، لكون سالكه سالكه على يقين من لقاء الله وقوة من التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث يلقي نفسه الى التهلكة الحاضرة. ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين [4]. إذ لولا الجهاد ما ارتفع للاسلام راية ، ولا كان له عين ولا اثر. وقد سطر صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ملاحم جهادية في ساحات الوغى عز نظيرها ، وقد تحدث الامام امير المؤمنين عليه السلام عن دلالات فضلهم في هذا الجانب وانفرادهم فيه لما حملوا من عقيدة راسخة فقال عليه السلام : " **وهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَه اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا، وسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا، وأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً، وصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وبَعْضٌ نَجَا**"[5].

ومن مصاديق هذا التفاني منهم في مجاهدة اعداء دينهم ، انهم لم يثنهم عن اقامة فرض الجهاد وجود قراباتهم وذويهم في الجانب المقابل لهم في الحروب التي خاضوها ، بل زادهم ذلك ثباتا واصرارا على دينهم : " **فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الآباءِ والأَبْنَاءِ والإِخْوَانِ والْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وشِدَّةٍ ، إِلَّا إِيمَاناً ومُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ ، وتَسْلِيماً لِلأَمْرِ ، وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ** " [6].

وفي موضع آخر وبيان اكثر يقول : " **ولَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وتَسْلِيماً، ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ ، وصَبْراً عَلَى مَضَضِ**

١- نهج البلاغة : ص 526.

٢- نهج البلاغة : ص210 -211.

٣- في حديث آخر له عليه السلام: " ذروة الاسلام وسنامه الجهاد" . ينظر: الطريحي: مجمع البحرين 158/1. وينظر: الصدوق: من لا يحضره الفقيه 75/2.

٤- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 97 .

٥- نهج البلاغة : ص 231 -232.

٦- نهج البلاغة : ص234.

الأَلَمِ ، وجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ ، ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا ، يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ "[1]. فكان الاب يقاتل في جانب وابنه في الجانب المقابل ، لاختلاف عقائدهم ، فهذا في صف المسلمين ، وهذا مع المشركين ، ومثال ذلك ان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام كانا في جانب ، وكان العباس بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب في الجانب المقابل ، فالقرابة كانت موجودة بين المسلمين والمشركين اما نسبا او سبباً [2]. وقد اشار الامام امير المؤمنين عليه السلام الى تحرر هؤلاء المسلمين من غلبة غريزة حب الاقارب التي جبلت عليها القلوب فطريا ، بل انهم قد تنفعوا من مواقفهم هذه في تكسب عدة امور معنوية جليلة ، وقد عدها امير المؤمنين عليه السلام:

- انها زادتهم ايمانا بالله وبرسوله وتسليما لامره جل وعلا ، والايمان قابل للكمال والنقص ، وهو على مراتب ثلاث كما في قول امير المؤمنين عليه السلام الاقرار باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بالاركان[3]، فهؤلاء المؤمنون بعد تجربتهم الجهادية صار ايمانهم متكاملا بسبب التطبيق العملي. اما التسليم فهو من اعلى مراتب الايمان ايضاً.
- انها زادتهم ثباتا وعزيمة على المضي في طريق الحق، وصبراً على مضض الالم بتحمل وقع الجراحات المادية وكذا الجراحات المعنوية الواردة على قلوبهم من حيث المعنى في قتلهم آباءهم وابنائهم واحبائهم ، فكل ذلك من مضض الالم [4]. ورغم كل ما لاقوه لم يزدهم ذلك الا ثباتا وجدا في جهاد عدوهم .

وواضح ان محور الكلام يدور بالدرجة الاساس عن صدق النوايا والاخلاص في الجهاد ، حتى استوجب نزول النصر المبين " **فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ، ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّه صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ ، وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ** " [5]. ولعل غزوة بدر من اتم المصاديق للنصر الذي اوجبه الله للمسلمين والكبت بالمشركين [6].

<u>ثانيا: المزايا الاخلاقية والعبادية :</u> إن مما أشار إليه الامام امير المؤمنين عليه السلام عن تلك الجماعة الصالحة التي تربت في كنف الاسلام ، وكانت على مساس بشخصية أعظم إنسان الذي كان بدوره

١- نهج البلاغة : ص 92 -93.
٢- الخراساني : مفتاح السعادة : 7 /183 .
٣- نهج البلاغة : ص 700.
٤- الخرساني: مفتاح السعادة : 185/7.
٥ - نهج البلاغة : ص93.
٦ - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية 123.

صنيعة ربه ، فأي آثار ممكن ان يتركها وجوده المبارك بينهم ؟! قد بانت في سجاياهم وخصالهم الاخلاقية العالية كما وصفهم الامام امير المؤمنين عليه السلام " قوم والله ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل الحق ، مطاويل للبغي . مضوا قدما على الطريقة ، واوجفوا على المحجة ، فظفروا بالعقبى الدائمة ، والكرامة الباردة " [1]. ومن ابرز خصائصهم تلك الجنبة العبادية في ذواتهم، اذ وسمهم الامام امير المؤمنين عليه السلام بوسم رائع يكشف عن ايمان راسخ وعقيدة ثابتة وتعّبد فريد يدل على انقطاعهم عن الدنيا وزهدهم فيها وتشوقهم للاخرة اذ يقول عن صفاتهم: " **وقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوه ... لَا يُبَشَّرُونَ بِالأَحْيَاءِ ، وَلَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى ، مُرْه الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ، ذُبُلُ الشِّفَاه مِنَ الدُّعَاءِ ، صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ ، أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ** "[2].

وفي موضع آخر يقول: " **لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله – فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً ، وقَدْ بَاتُوا سُجَّداً وقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وخُدُودِهِمْ ، ويَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى ، مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ ، إِذَا ذُكِرَ اللَّه هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ ، حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ، ومَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ ورَجَاءَ لِلثَّوَابِ** "[3] . وذلك اشارة لقوله تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[4] .

وفي احدى اشاراته قال بحق جماعة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بانهم " **الْمُسْتَحْفَظُونَ** " [5] : واستحفظته واستحفظته الشيء ، اودعته عنده وسألته ان يحفظه ، و" **الْمُسْتَحْفَظُونَ** " – على بناء المفعول – المطلعون على أسرار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته ، الصادقون في الشهادة الذين لم يغيروا ولم يبدلوا لاغراض دنيوية [6]. وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه [7].

١- نهج البلاغة : ص 226 – 227.
٢- نهج البلاغة : ص 231- 232.
٣- نهج البلاغة: ص181 -182.
٤- سورة الفتح الآية 29.
٥- نهج البلاغة ص421.
٦- المجلسي: البحار :109/34، حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة :12 /195 .
٧- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 544/3 .

ولعل هم من قصدهم الامام امير المؤمنين عليه السلام في مورد حديثه وكلامه عن رواة حديث النبي ﷺ اذ قال وهو يعد نماذج رواة الحديث : " **وآخَرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – ولَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِه**" [1]

ورغم ان صحبة النبي ﷺ فضيلة عظيمة ، ولكن ليس كل صحابته كانوا على مرتبة واحدة ، وطراز واحد في الفقه والعلم وفي الطاعة لله ورسوله ﷺ ، ففيهم من احسن الصحبة وابلى بلاءاً حسناً وجاهد في الله حق جهاده ، وهاجر في سبيله ، ولم يُحدّث بعد رسول الله ﷺ ، الى غير ذلك من السمات التي وصفهم بها القرآن الكريم وأحاديث النبي الأعظم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام ولكن من صحابة النبي ﷺ من " ابتغوا الفتنة "[2] ، ومنهم من لمزّ النبي ﷺ[3]، ومنهم من آذاه [4]، ومنهم من كان كان في قلبه مرض [5] ، ومنهم من رد واعترض على النبي ﷺ [6]، ومنهم من احدث بعده [7] ، وحسبنا ان ان نجد في كتاب الله سورة باسم المنافقين [8]!

١- نهج البلاغة : ص 442 – 443 .

٢ – قوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ التوبة 47 .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ التوبة 58

٤- قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة 61

٥- قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ الاحزاب 60-61

٦-ينظر : مازن الغزي :الرد على الرسول محمد ﷺ دراسة تاريخية : (الصفحات جميعها).

٧- قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران 144

٨- وفي القران الكريم في غير هذه السورة عدة موارد للتعريض ببعض الصحابة وذم طائفة منهم ، كما في الاشارة اعلاه الى بعض تلك الآيات ، وكذلك ما افاضت به كتب الصحاح والمسانيد ومرويات التاريخ التي لم تخل من الذم لبعضهم ، بل نرى الصحابة انفسهم ينقد بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا . لمزيد من التفاصيل ينظر : السند : الصحابة بين العدالة والعصمة : ص 15 وما بعدها . احمد حسين يعقوب : نظرية عدالة الصحابة : ص 11 وما بعدها . خليل عبد الكريم : الا .. امير المؤمنين علي بن ابي طالب : ص 30 وما بعدها . اياد المنصوري : المنهج العلمي في تقييم افعال الصحابة : ص 18 وما بعدها . خالد البغدادي : تصحيح القراءة في نهج البلاغة : ص 51 – 114 . عبد الزهراء الخطيب : مصادر نهج البلاغة واسانيده : ص 115 – 120 .

وفي نهج البلاغة والى جانب اشارات المديح المارة الذكر، فقد شخص الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعض موارد الذم ، لبيان الحقائق للمجتمع الذي قد يضع الجميع بميزان واحد بناءاً على الوثوق بكل من صحب النبي صلى الله عليه وآله ورآه ، اذ يقول عليه السلام في حديثه عن المنافق " **فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه ، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه ، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – رَآه وسَمِعَ مِنْه ولَقِفَ عَنْه فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه** "[1]. فهنا وجب التمييز بين هؤلاء الصحابة الذين احاطوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ لم يكونوا على مرتبة واحدة . إذ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلال دولته وغزواته ، ومن خلال بيعة الناس له ، والحج والعمرة ، وفتح مكة ، وحجة الوداع خاصة ، وسيطرة دولته الكاملة على شبه الجزيرة العربية لذا اتيحت الفرصة للجميع للإلتقاء به ، إذ لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة الا اسلم وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الاوس والخزرج انه لم يبق منهم احد في اواخر عهد النبي الا ودخل الاسلام ، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر، حتى الاطفال صاروا صحابة على سبيل الالحاق لغلبة الظن على انه صلى الله عليه وآله وسلم رآهم لتوفر دواعي الصحابه على احضارهم اولادهم عنده صلى الله عليه وآله وسلم، فاذا اخذنا بعين الاعتبار ان الفوارق قد ازيلت تماما بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه كان يمشي في الشارع وحده ، ويقضي حاجاته بنفسه ، فكان بامكان أي مواطن في الدولة الاسلامية ان يراه او يتكلم معه او ان يحضر مجلسه مما جعل شعب دولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم صحابة بهذا المفهوم [2].

وقد مر بنا ان الامام عليه السلام أشار الى ان من هؤلاء من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرهاً، فاضطر لاظهار الايمان ولكن اسّر كفره ، ولم يؤمن بالله والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة ، فكيف يمكن ان يكون الجميع بمنزلة واحدة ؟! . وإن المتتبع لموارد الذم للصحابة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يمكن ان يلحظ ان هذه الموارد جاءت على نحوين:

الاول: ما جاء صريحا منه بالتعريض بحق اشخاص معينين من الصحابة ولكن هذه الموارد في الاغلب انما كانت تختص بالمدة التي اعقبت رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم [3] اذ أطلع الشيطان رأسه من

١- نهج البلاغة : ص 441 – 442 .

٢- يعقوب : نظرية عدالة الصحابة : ص 17 .

٣- ينظر مثلا ما جاء في الخطبة الشقشقية ، نهج البلاغة : ص 26 – 32 . ومساجلات الامام عليه السلام مع معاوية ، ينظر ، مثلا : نهج البلاغة : ص 499- 501 ، 502 – 506 ، 511- 512 ، 526 – 532 ، 533 – 534 ، 556 – 557 ، 562- 563 ، 583- 584 ، 619 – 620 ، 630 – 635 ، 643 – 644 . وما جاء من توبيخه لعمرو بن العاص ، نهج البلاغة : ص 565 ، وايضا كلامه لطلحة والزبير ، نهج البلاغة : ص 617 – 618 . وكلامه لابي موسى الاشعري ، نهج البلاغة : ص 629 – 630 ، 647 .

مغرزه فـ " **رجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ ، وغَالَتْهُمُ السُّبُلُ ، واتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ ، ووَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِه ، ونَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِه فَبَنَوْه فِي غَيْرِ مَوْضِعِه** "[1].

الثاني: فقد جاءت اشارته بشكل عام وكانت تشخيصاته غاية في الدقة في متفرقات خطبه وكلماته الشريفة ، التي سنقف عندها تحديداً دون سابقتها اعلاه ، وذلك لانها تخص عصر النبي الأعظم ﷺ وتدخل في مضمار بحثنا هنا.

واولى تلك الاشارات الهامة ما ذكره عليه السلام عن وجود حركة للنفاق في عصر النبي ﷺ ، والمنافقون هم الاشد خطراً على النبي ﷺ والإسلام ، اذ نقل عليه السلام عن النبي ﷺ قوله: "**إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولَا مُشْرِكاً ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ ، ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ، ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**"[2].

وقد بين الامام امير المؤمنين عليه السلام ان هذا الانموذج المنافق انما هو: " **مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ ولَا يَتَحَرَّجُ ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله مُتَعَمِّداً** "[3]، ولقد لبس على الناس أمرهم لكونه يظهر خلاف ما يبطن ولو " **عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه ، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه** "[4]. وقد تحدث القرآن الكريم عن صفات هؤلاء ومدى خطرهم على الاسلام ، بل ان الله سبحانه خص بهم سورة كاملة بعنوان " سورة المنافقين " ، وايضاً في موارد أخرى من السور القرآنية كانت هناك اشارات كثيرة عن هذه الطائفة من المجتمع المحيط بالنبي ﷺ ، ونخص بالذكر سورة التوبة التي نزل فيها الامر بجهاد المنافقين على حد جهاد الكفار[5].

وفي مورد آخر وهو يشير عليه السلام الى فضيلة من فضائله التي خُصّ بها دون غيره اذ يقول عليه السلام : " **ولقد ولَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه سَاعَةً قَطُّ** "[6]. هذا النص يكشف لنا امران :

١- نهج البلاغة : ص274.

٢- نهج البلاغة : ص525.

٣- نهج البلاغة : ص441.

٤- نهج البلاغة : ص441.

٥- وقد سميت هذه السورة بـ " الفاضحة " لانها فضحت المنافقين . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد السند : الصحابة بين العدالة والعصمة : ص 65- 69 . العبيدي : مجتمع المدينة : ص193 -201 .

٦- نهج البلاغة : ص 421- 422 .

الأول: فيه ايماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع والاعتراض على النبي ﷺ، وان هناك امور وقعت من غيره عليه السلام على هذه الشاكلة التي تعد من موارد الطعن فيمن قام بمثل هكذا صنيع من صحابة النبي ﷺ.

الثاني: قوله بحق بعض صحابة النبي ﷺ بانهم كانوا مستحفظون فيه دلالة واضحة على وجود من لم يكن مستحفظا من صحابة النبي ﷺ ، وبهذا يكون ممن لم يحفظ عهد نبيه ﷺ.

وللإمام امير المؤمنين عليه السلام وقفة مع انموذج آخر ممن عايش النبي ﷺ ، وممن كان يعاني من قصور او تقصير في مستوى الادراك والوعي والعلم ، وانهم لم يكونوا على درجة من الحرص على الإفادة من وجود النبي ﷺ بينهم ، تلك الإفادة المرجوة التي علقت الامة آمالها عليهم اذ رأت فيهم صحبه الذين عايشوه فكانوا الأولى بنشر دينه وتعاليمه واقواله الى من سواهم ممن لم يحظ بلقائه ﷺ سيما الاجيال اللاحقة ، ومن المعلوم انه ﷺ خاتم الانبياء عليهم السلام ودينه خاتم الاديان . لذا تصبح الحاجة الى معرفة هذا الدين ضرورة ملحة لكل العالم ، وبالتالي وجب ان يكون الناقل له على درجة من الثقة يُطمئن لها.

ومما يؤسف له ان هذه الطمأنينة لا يمكن ان تمنح لكل من عاصر النبي ﷺ فـ " **وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – مَنْ كَانَ يَسْأَلُه ويَسْتَفْهِمُه ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ ، فَيَسْأَلَه عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا** "[1]. ويتضح لنا من هذا النص مراتب الصحابة:

1. منهم من كان لا يسأل النبي ﷺ اما لشدة اشتغاله بامر الدنيا وطلب المعيشة أو لعدم اهتمامه بأمر الدين[2].
2. منهم من كان له رتبة الفهم ولكن لا يفهمه بمجرد الجواب، ولا يستفهم من النبي ﷺ اما لخوف نسبة الغباوة اليه بسبب عدم الفهم اول مرة [3]. او مهابة لرسول الله ﷺ ، وهم الذين يحبون ان يجيء الاعرابي او الطاريء فيسأله وهم يسمعون [4].

١- نهج البلاغة : ص443 .
٢- المازندراني : شرح أصول الكافي: 2 / 320 .
٣- المازندراني: شرح أصول الكافي: 2 / 320 .
٤- ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 48 .

3 –ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة في النظر والبحث. او من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني[1].

وقد تميز الامام امير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء بكونه الأحرص على التعلم والأخذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه الأكثر قدراً واستيعاباً لمرامي حديثه صلى الله عليه وآله وسلم وكانت له خصوصية في هذا المجال سنقف عليها بشيء من التفصيل في الفصل الخامس.

١– ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 11 / 48 .

المبحث الثالث

الجانب الديني

عرف العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا من المعتقدات [1]، إذ كانت ديانتهم متباينة تبعا للتباين في عدة ظروف وعوامل تركت أثرها جليا في اتسام الوضع الديني بالاضطراب إذ كان قوامه خليط من عناصر وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها ، قال البلخي [2] واصفا موقفهم الديني: (كان فيهم من كل ملة ودين، وكانت الزندقة والتعطيل في قريش، والمزدكية والمجوسية في تميم، واليهودية والنصرانية في غسان، والشرك وعبادة الأوثان في سائرهم... وكان في شركهم بقية من دين إسماعيل...). هذه الرؤية هي عين ما سبق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الإشارة إليها وهو يصف الحالة الدينية آنذاك قائلا: " **وَ أَهْلُ الاَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ أَهْواءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَ طَرائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ** " [3]. إذن لم يكن لهؤلاء معتقد موحد ولا نظام ديني شامل ، بل كانت هناك أكثرية وثنية ، وقد تنوعت معبوداتهم ما بين الأصنام ، والكواكب ، والملائكة ، والشياطين، بل وحتى الأشجار والحيوانات [4] .

لقد نشأت هذه الديانات الوثنية من فكرة عبادة العرب لمظاهر الطبيعة التي تقع تحت أبصارهم كالأرض والسماء والنجوم والكواكب . وتعد الوثنية بمثابة الطور الذي تمر به كل أمة في بداوتها قبل أن تنتقل إلى التوحيد ، وقد قاوم العرب في جاهليتهم فكرة التوحيد ولم يتأثروا باليهودية أو المسيحية، ويبدو أن ذلك يرجع إلى أن الوثنية كانت تتفق مع نظام العرب القبلي القائم على الاستقلال، فكانت لكل قبيلة مقوماتها ومعتقداتها ، فالفرد يفنى في القبيلة ، والقبيلة مثله الأعلى [5] .

١- لمزيد من التفاصيل عن عقائد العرب قبل الاسلام ينظر: جواد علي: المفصل:الجزء السادس (الصفحات جميعها). احمد عجيمي : كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام : ص 59- 357. د. شاكر مجيد كاظم، ود. جواد كاظم النصرالله: الحياة العقائدية والاجتماعية :ص4 -21 .

٢- البدء والتاريخ : 1/ 331 .

٣- نهج البلاغة : ص21 .

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: جواد علي: المفصل: 6/ 34 – 65.

٥- رشيد الجميلي: تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية: ص 218 .

ومهما يكن من أمر فقد انتشرت عبادة الظواهر الطبيعية المعروفة بالوثنية في بلاد العرب لتوهمهم أن وراءها قوى روحية كامنة تتحكم في تسيير حياتهم ومقدرات أمورهم ، لذا اتخذوا لهذه الظواهر أشكالا مختلفة تتمثل في أشياء مادية قريبة وملموسة هي رمز للآلهة المعبودة منها الأحجار الطبيعية والمصقولة التي هذبتها يد الإنسان ، والأشجار، والبيوت ، والحيوانات ، وغيرها ، وأخذوا ينظرون إليها على أنها المواضع التي تحل فيها القوى المؤثرة، ذلك إن الأشياء المادية لم تكن المقصودة بالعبادة ، بل كانوا يتقربون إلى الأرواح التي تحل فيها ، إذ إن أكثرهم كانوا ماديين لابد لهم من الملموس والمحسوس الذي يمكن إدراكه والتقرب إليه [١] . ثم تطورت عبادة قوى الطبيعة عند العرب فصارت عبادة للأصنام التي كانت تمثلها من قبل ، فعبدوها على صورتها المادية وصار الأساس في اعتقادهم أن الله قد اتخذ أولياءهم الآلهة ومنحهم فيضا من قدراته، لذا تقربوا لها بالقرابين والعبادة التي تقربهم الى الله زلفى. قال تعالى: ﴿ **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** [٢] ﴾ [٣] .

لقد جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشارة إلى عبادة الأوثان قبل بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ يقول: " **فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوثان إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ** " [٤]. وأشار أيضا إلى عبادة الأصنام في موردين: " **الأصنام فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ** " [٥]، و " **وَأَصْنَام مَعْبُودَة** " [٦] .

لقد علل ابن الكلبي [٧] ظهور الوثنية عند عرب الحجاز رغم أنهم ورثة إسماعيل وأصحاب بيت الله بقوله: (وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجر من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة ، فحيثما حلو وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون

١- محمود: العرب قبل الإسلام : ص 166 – 167.
٢- سورة الزمر آية 3 .
٣- محمود: العرب قبل الإسلام : ص 168.
٤- نهج البلاغة : ص267 .
٥- نهج البلاغة : ص 56 .
٦- نهج البلاغة ص 402 .
٧- الأصنام : ص6 . وينظر: ابن هشام: السيرة النبوية : 51/1 . السهيلي: الروض الأنف : 210/1 . ياقوت الحموي: معجم البلدان: 5 / 185.

على أرث إبراهيم وإسماعيل. ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم) .

وقد انتقد نبيه عاقل [1] هذا الرأي قائلا: (وفي هذا التعليل دليل على أن المؤلفين العرب الذين كتبوا في ظل الإسلام عن أديان الجاهلية أرادوا أن يمدوا جذور التوحيد عند العرب إلى الفترة السابقة للإسلام ، وإظهار النزعة الموحدة كنزعة أصيلة في المجتمع العربي منذ أقدم العصور، إنما شوهت تشويها ولكنها تظل في نظرهم هي الأساس. وطبيعي أن في هذا التعليل لنشأة الوثنية عند عرب الشمال سذاجة ظاهرة وتعصب للإسلام إذ أنهم أحبوا ورأوا كل شيء من خلال نوره، دفعهم إلى تجاهل حقيقة أساسية ، وهي أنه إذا صح هذا التفسير بالنسبة للقبائل التي سكنت مكة وهجرتها ، فانه لا يصح بالنسبة للقبائل التي أقامت في مكة باستمرار وظلت على الوثنية رغم ذلك ".

ويبدو طرح مثل هذا التساؤل وإثارة هذا الإشكال حول رؤية ابن الكلبي أمر مقبول ويجعله في محل تأمل ، ولكن ما قاله حول غرض ابن الكلبي بأنه حاول مد جذور التوحيد عند العرب إلى ما قبل الإسلام وإظهار النزعة الموحدة كنزعة أصيلة منذ أقدم العصور وهي إنما شوهت ... " وبغض النظر عن حقيقة مراد ابن الكلبي .

يمكن القول أنه لا خلاف بين الباحثين في تاريخ العرب قبل الإسلام أن العرب كانوا قد عرفوا الله ووحدوه، وإن التوحيد كان في أول الأمر مبدأً فطريا بدلالة قوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾[2]. فالقرآن يذكر عقيدة المشركين بعد حرف العطف (ثم) الذي يدل على الترتيب والتراخي ، وهذا يدل على أن التوحيد كان في أول الأمر مبدأ نظري وعقيدة عامة للبشر، أما الشرك فقد حصل فيما بعد كانحراف عن الأصل الفطري [3] . ولقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى بقوله : " **فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوثان إِلَى عِبَادَتِهِ ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ ، بِقُرْآن قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ** " [4] .

١- تاريخ العرب القديم: ص 269- 270 .

٢- سورة الأنعام آية 1 .

٣- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل : 4 / 205 .

٤- نهج البلاغة : ص 267.

فالجحود لا يكون إلا مع علم الجاحد بأنه صحيح [1] إلا أن يحمل كلامه عليه السلام على الإقرار في عالم الذر، إذ يقول تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[2].

ومن جانب آخر فان الله سبحانه لا يعذب أمة إلا بعد إتمام الحجة عليه ا بإرسال الرسل الذين يهدون إلى عبادته وتوحيده ، ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3] وأن الرسل قد تواترت بلا انقطاع ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [4] ، ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [5] . وقد حصل الانحراف عن التوحيد فيما بعد بالشرك وتعدد الآلهة : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [6].

ثم أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر في معرض حديثه عن بيت الله – الكعبة المشرفة – بأنه موجود منذ زمن آدم عليه السلام وأنه تعالى قد أمره بالحج إليه والطواف حوله: " **أَلاَ تَرَوْنَ إَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَواتُ اللّهِ عَلَيهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لاَتَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَ تُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاما، ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ** " [7]. وفي هذا دلالة واضحة على تأص يل التوحيد في منطقة مكة خصوصا ، إذ ارتبط ذلك بوجود هذا البيت المقدس . ولا شك في إن عقيدة الشرك إنما حدثت لاحقا . ولكن ما هو موقف العرب قبيل الإسلام من عبادة الله وتوحيده ؟ فهل كانوا يعرفون الله ؟ .

إذا ما قمنا بدراسة الإشارات الواردة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام سيما الخاصة بعقيدة العرب تجاه الله عز وجل ، فمن السهولة إفراز المصطلحات الآتية : ففي قوله : " **أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَ تَنازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ ، فَقَفّى بِهِ الرُّسُلَ ، وَ خَتَمَ بِهِ الْوَحْىَ ، فَجاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ، وَالْعادِلِينَ بِهِ** " [8].

١- ابن فارس: معجم : 1/ 426 .
٢- سورة الأعراف آية 172 .
٣- سورة الإسراء آية 15 .
٤- سورة فاطر آية 24 .
٥- سورة النساء آية 165 .
٦- سورة يوسف آية 106 .
٧- نهج البلاغة : ص 394 . 395 .
٨- نهج البلاغة : ص 251 .

نجد من الألفاظ:

أولا. "الإدبار"، قال عليه السلام: " **فَجَاهَدَ فِي اللَّه الْمُدْبِرِينَ عَنْه** " ، والإدبار نقيض الإقبال. ومعناها: إعراضهم عن عبادة الله الواحد[١].

ثانيا. "العادلين به": يقال: عدلت الشيء بالشيء أعدله عدلا إذا ساويته [٢] . وقد أورد ابن منظور [٣] معان عدة لكلمة عدل منها: نظير، مثيل، وبصورة عامة تعني المساواة، والموازنة، والمماثلة، والمناظرة بين الشيئين لايشترط تساويهما في الجنس[٤] . وجاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: " **كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ** " [٥]. وقد أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: " **أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ** " [٦]وقوله تعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ ، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير آية ﴿ **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ إنها جاءت ردا على مشركي العرب الذين قالوا : إن أوثاننا آلهة [٧]، وهم قد جعلوا لله مثيلا يعبد ، وساووا به غيره بأن جعلوا له أندادا [٨].

ثالثا. الجهل: من قوله عليه السلام: " **فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ ... لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ** " [٩].

إن الجهل: نقيض العلم[١٠] . تقول فلان جهل فلان حقه ، وجهل عليّ وجهل بهذا الأمر ، والجهالة : أن تفعل فعلا بغير علم[١١] .

١- الجوهري: الصحاح 654/2 . ابن منظور: لسان العرب: 4 / 268.

٢- الطوسي: التبيان 4 / 75.

٣- سورة الأنعام آية 1 .

٤- لسان العرب: 11/ 432. جثير: بيئة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ص 197.

٥- نهج البلاغة ص 152 .

٦- سورة النمل آية 60 .

٧- التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : ص 542 . الطبرسي: الاحتجاج 25/1 . المجلسي: البحار 9/ 266 .

٨- الطوسي: التبيان 4 / 75 .الطبرسي: مجمع البيان 4/ 7 .

٩- نهج البلاغة ص 267.

١٠- الفراهيدي: العين 390/3 . الجوهري: الصحاح 4 / 1663 .ابن فارس: معجم 1/ 489 . ابن منظور: لسان العرب 11/ 129.

١١- الفراهيدي: العين 3 /390 .

رابعا. الجحود: من قوله عليه السلام: " **فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ ...لِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ** " [1]. الجحود: الإنكار مع العلم ، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد بأنه صحيح ، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ [2] ﴾ [3] .

وللمازندراني[4] تعليق على ألفاظ (العلم) و(الإقرار) و(الإثبات) الواردة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في أعلاه إذ قال: " والظاهر أن المراد بالعلم العلم التصوري ، والإقرار التصديق بوجوده، وبالإثبات الإقرار بوجوده لسانا ، ففيه إشعار بأن العباد قبل البعثة لكونهم واغلين في الجهالة لم يدخل إلى قلوبهم تصور الصانع فضلا عن الأخيرين ، ويحتمل أن يراد بالعلم العلم بصفاته وبالإقرار التصديق بوجود ذاته وبالإثبات إثباتهما على نحو ما نطقت به ألسنة الشرع إذ بمجرد معرفة الذات والصفات بدون معرفة وجه الارتباط بينهما لا يتحقق معرفة الصانع والتوحيد المطلق " .

وفي موضع آخر من كلامه عليه السلام يذكر مزيدا من المعتقدات ، إذ يصفها قائلا : " **بَيْنَ مُشَبِّه لِلَّه بِخَلْقِه أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِه، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِه** " [5]. التي سنأتي على بيانها لاحقا. وإنما ذكرناها هنا لتكتمل الصورة التي رسمتها كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المضمار.

إن تأمل النصوص السابقة يدل على تنوع عقيدة العرب في موقفها تجاه الله سبحانه ما بين منكر وجاحد وجاهل وبين من جعل له ندا أو مثيلا أو شبيها وغيرها. وإن هذه العقيدة المتباينة تستبطن اعترافا ضمنيا بوجود الله سبحانه وتعالى ، وإن كان اعتقادهم مشوبا بالشرك .

ولكن لماذا هذا الجهل والإنكار والجحود بالله عز وجل ؟

إن الجواب نجده حاضرا في مظان كلام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يشخص سمات تلك الحقبة الزمنية على المستوى العقائدي التي كانت تتمحور بين الضلال والحيرة والجهل والفتنة ، فقد ساد الناس سبات مقيت إثر غياب النبوات ، وتطاول الزمن حتى اندرست الشريعة ، وهذا ما أشار إليه عليه السلام في أكثر من موضع بقوله : " **أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ** " [6]. وما صاحب تلك الفترة من : " **طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ**

١- نهج البلاغة : ص 267.
٢- سورة النمل آية 14 .
٣- الجوهري: الصحاح : 1 / 451 .ابن فارس: معجم : 1/ 426 . ابن منظور: لسان العرب : 3 / 106.
٤- شرح أصول الكافي: 12 / 560 .
٥. نهج البلاغة : ص21.
٦- نهج البلاغة : ص 144 ، 176 . 177 ، 251 ، 292.

الْأُمَمِ ... وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى " [1] ، " **وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ** " [2]، و" **وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ** " [3] وفي ذلك كله دلالة على الانحراف عن جادة الطريق ، لجهل فيهم ، وعدم فطنة لما ينبغي ، فتخبطوا في الفتن بعد تصدع عرى الدين ، واندراس شريعة المرسلين ، وسادت الفرقة والاختلاف بينهم حتى صعب عليهم تلمس طريق الخلاص ، إذ يقول عليه السلام : " **وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ** [4] **فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي** [5] **الْيَقِينِ ، وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ** [6] **وَ تَشَتَّتَ الْأَمْرُ ، وَضَاقَ الْمَخْرَجُ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ**" [7] فعبارة " حبل الدين " – التي وردت بصيغة المفرد – إشارة إلى وحدة الدين الحق ووحدة المصدر الذي تستقي منه كافة أصول وتعاليم الأنبياء ، وان شهدت هذه الأصول والتعاليم بعض الفوارق التي تفرزها طبيعة كل الزمان ، وهذا ما يجوزه القرآن الكريم على لسان المؤمنين الصادقين بقوله : ﴿ **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾ [8].

وقوله عليه السلام: " **وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ** " لا يشير إلى الاختلافات التي شهدها ذلك العصر على أنها اختلافات صورية في تفرعاتها وأطيافها فحسب ، بل كانت اختلافات أصولية وأساسية وجذرية [9] .

بل يمكن القول إن العبارة أشارت إلى معنى يتضمن تزلزل أركان الفطرة الإنسانية وأصولها التي جُبِل عليها من قبيل التوحيد وعشق الأعمال الصالحة والخيرة ، الأمر الذي دعا إلى تلك الحالة من الفرقة والتشتت " **تَشَتَّتَ الأَمْرُ** " يمكن أن يكون إشارة إلى شدة الخلافات الدينية القصوى آنذاك [10]. وإن

١- نهج البلاغة : ص 144 ، 292.
٢. نهج البلاغة : ص 292 .
٣. نهج البلاغة : ص 176 . 177 .
٤- انجذم : انقطع : الزمخشري : اساس البلاغة : ص114. ابن الاثير : النهاية : 1/ 252. ابن منظور : لسان العرب : 12/ 88 .
٥- سواري: جمع سارية وهي العمود والدعامة : ابن الاثير : النهاية : 2/ 365 .
٦- النَجْر: بفتح النون وسكون الجيم: الأصل : الفراهيدي : العين : 106/6 . ابن السكيت : ترتيب اصلاح المنطق : ص375 . الجوهري : الصحاح : 2/ 823 .
٧- نهج البلاغة : ص 24 .
٨- سورة البقرة آية 285 .
٩- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1/ 186 – 187.
١٠- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 1 /187.

من دواعي الفرقة والتشتت ما كان يسود المجتمع في تلك الفترة من جدل " **وَتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ** " [1] بين أصحاب الملل والمذاهب العقدية المختلفة بما فيهم عبدة الأوثان وأهل الكتاب ومن ليس له دين وعقيدة ، فكلٌ يجادل بدافع التعصب لإثبات أحقيته ، ولكن هذا الجدال كان مجرد تسطير للألفاظ الذي لم يرق إلى مستوى الحوار المنطقي، بل مجرد كلام لا شيء وراءه إلا الشحناء وإثارة الفتن والحروب.[2]

ثم إننا نجد في كلامه عليه السلام إشارة إلى المعطيات السلبية التي أفرزتها تلك الأوضاع المزرية فوصفها قائلا: " **فَالْهُدى خامِلٌ ، وَالْعَمى شامِلٌ . عُصِيَ الرَّحْمنُ ، وَنُصِرَ الشَّيْطانُ ، وَخُذِلَ الْإيمانُ ، فَانْهارَتْ دَعائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعالِمُهُ ، وَدَرَسَتْ** [3] **سُبُلُهُ ، وَعَفَتْ شُرُكُهُ** [4] " [5]. ثم أردف يخوض في بيان ما ما آل إليه حال الناس" **أَطاعُوا الشَّيْطانَ فسَلكَوا مَسالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَناهِلَهُ** [6] **، بِهِمْ سارَتْ أَعْلامُهُ ، وَقامَ وَقامَ لِواؤُهُ فِى فِتَنٍ داسَتْهُمْ بِأَخْفافِها** [7] **، وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلافِها** [8] **وَقامَتْ عَلى سَنابِكِها** [9] **، فَهُمْ فِيها تائِهُونَ حائِرونَ جاهِلُونَ مَفْتُونُونَ** " [10].

وفي مواضع أخرى يقول: " **بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ ، حَيارى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلاَءٍ مِنَ**

١- نهج البلاغة : ص 251 .

٢- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 5 / 297. مغنية : في ظلال نهج البلاغة : 2 / 279.

٣- درست: انطمست . ابن الانباري : الزاهر في معاني كلمات الناس : ص323. الجوهري : الصحاح : 6/ 2432 .

٤- الشرك جمع شراك وهي الطريق. الجوهري : الصحاح : 4/ 1594 . ابن سيدة : المخصص :208/1/3.

٥- نهج البلاغة : ص 24 .

٦- جمع منهل وهو مورد الماء . الفراهيدي : العين : 51/4. ابن منظور : لسان العرب : 11/ 681.

٧- جمع خف وهو للبعير كالقدم للانسان . الفراهيدي : العين : 4 / 143- 144 . الحربي : غريب الحديث : 2/ 853 .

٨- جمع ظلف وهو للبقر والشاة كالخف للبعير والقدم للانسان . الحربي : غريب الحديث : 853/2 . الزمخشري : اساس البلاغة : ص243 .

٩- جمع سنبك وهو طرف الحافر . الفراهيدي : العين : 5 / 427 . ابن سلام : غريب الحديث : 190/4 . الجوهري : الصحاح : 4 / 1599.

١٠- نهج البلاغة : ص 24 .

الْجَهْلِ " [1] ، وقوله : " **ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ** ،[2] **وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ** [3] **الْحَيْنِ** [4] **، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ**" [5] " **يَحْيَوْنَ عَلى فَتْرَةٍ وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ** " [6]

الفترة:

مما ينبغي الوقوف عنده ما تكرر في حديثه عليه السلام عن تلك الفاصلة الزمنية التي كانت بين نبي الله عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ التي عرفت ب" الفترة " ، إذ يقول عليه السلام : " **أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ** " [7] ، وهو عين ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [8].

فعلة من فتر عن عمله ، يفتر فتورا : إذا سكن فيه ، والفترة : انقطاع ما بين النبيين ، وفتر الماء : إذا انقطع عما كان عليه من البرد إلى السخونة ، وامرأة فاتر الطرف : أي منقطعة عن حد النظر. والفتر: الانكسار والضعف ، ومنه (فتر الحر) إذا انكسر وضعف [9] .

لقد اختلف في طول الفترة بين زمان النبي عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ ، فقيل أربعمائة سنة وبضع وثلاثون سنة ، وقيل أربعمائة ونيف وستون سنة ، وقيل خمسمائة وأربعون سنة ، وقيل خمسمائة وستون سنة ، وقيل ستمائة سنة [10] ويرى ابن كثير[1] إن القول الأخير هو الرأي المشهور. ومنهم من يقول

١- نهج البلاغة : ص177 . 178 .

٢- ضرب في الماء : سبح، وضرب في الأرض سار بسرعة وأبعد، والغمرة : الماء الكثير والشدة، وما يغمر العقل من الجهل. والمراد هنا شدة الفتن وبلاياها. ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 118.

٣- جمع زمام، وهو ما تقاد به الدابة. ابن قتيبة : غريب الحديث : 1 / 179 . ابن الانباري : الزاهر : ص 658 .

٤- الحين: الهلاك. الفراهيدي : العين : 3 / 304. الجوهري : الصحاح : 5 / 2106 .

٥- نهج البلاغة : ص 380 . 381.

٦- نهج البلاغة : ص 275 .

٧- نهج البلاغة : ص 144 ، 176 . 177 ، 251 ، 292.

٨- سورة المائدة آية 19 .

٩- الطريحي: مجمع البحرين: 3 / 357

١٠- الثعلبي: الكشف والبيان: 40/4 . ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: 172/2. ابن الجوزي: زاد المسير: 256/2. القرطبي: الجامع : 6 / 122 . ابن حيان: البحر المحيط : 3 / 467 . ابن كثير : تفسير القران العظيم : 2 / 37 . العيني : عمدة القارئ : 5 / 52.

يقول ستمائة وعشرون سنة ، والظاهر انه لا منافاة بينهما ، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية ، والآخر أراد قمرية .

إن قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الآنف الذكر بيان لبعض أمارات النبوة ، فإن منها الزمان المتطاول الذي تندرس فيه الشريعة السابقة ، والقوانين التي بها نظام العالم ، ويحتاج الخلق إلى قوانين مجددة لنظام أحوالهم ، وحينئذ تجب بعثة رسول [٢] .

إذن هذه الفترة شهدت غياب النبوات ، فلم يكن بين النبي عيسى عليه السلام وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم نبي . وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام في مورد آخر من كلامه عن تلك الفترة بقوله : " **إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدا صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِه وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا ، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيا** " [٣] . ومن خلال التأمل في كلام أمير المؤمنين عليه السلام يستوقفنا إشكالان :

الأول: ألا يتعارض ما ذكر أعلاه مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [٥].

الثاني: ورد في الأثر عن ابن عباس: " كان بين ميلاد النبي عيسى والنبي محمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وتسع وستون سنة بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله تعالى ﴿ **إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ** ﴾ [٦]، وهو شمعون وكان من الحواريين " [٧] .

وعن الكلبي مثل قول ابن عباس إلا انه قال: " بينهما أربعة أنبياء ، واحد من العرب من بني عبس وهو خالد بن سنان " [٨] الذي نسب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال بحقه : " ضيعه قومه " [١] . وفي هذا تعارض مع ما ذكر أعلاه في قوله عليه السلام : " **وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا ، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيا** " .

١- تفسير : 2/ 37.
٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 / 198.
٣- نهج البلاغة : ص 192 .
٤- سورة فاطر آية 24 .
٥- سورة النحل آية 36 .
٦- سورة يس آية 14 .
٧- ابن سعد : الطبقات : 1/ 53 . ابن حيان الأندلسي : البحر المحيط : 3 / 467 .
٨- الزمخشري : الكشاف : 1 / 603 . الطبرسي : جوامع الجامع : 1 / 487 . القرطبي : الجامع : 6 / 122.

أما فيما يخص الإشكال الأول : فهناك عدة آراء :

الأول: إنه استثنى أمة النبي محمد ﷺ من الآية : ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ فقالوا : " غير أمة محمد ، فإنهم لم يجئهم رسول قبل محمد عليه السلام ، ولا يجيئهم إلى يوم القيامة " [٢] وفي بعض التفاسير: " إلا العرب لم يكن لهم نبي سوى النبي " [٣] وهناك من قصر الأمر على الفترة الفاصلة بين نبوة نبوة عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ مستدلين بقوله تعالى: ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [٤]. قال ابن عباس ومقاتل: المعنى: " لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد " [٥] ، فيما خص البعض الآخر " أهل مكة " [٦]، بل هناك من خص " قريش " [٧] من أهل مكة بأنهم من لم يأته النذير ، استدلالا بالآية السابقة نفسها ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا** ﴾.

أما أصحاب الرأي الثاني : فقد فسروا الآية ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ بان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق ، وان كان فيهم من لم تباشره النذارة فهو ممن بلغته ، لان آدم بعث إلى بنيه ، ثم لم تنقطع النذارة إلى وقت محمد ﷺ [٨]. وكانت العرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه " أي بلغتهم النذارة وإن لم يكن بشكل مباشر، لأنها علمت بإبراهيم وبنيه وبدعوتهم ، ولم يأتهم نذير مباشر لهم سوى محمد ﷺ " [٩] .

وفريق آخر متفق مع هذا الرأي لكنه يرى إن الإنذار يكون في حال غياب النبي ﷺ لان أوصياءه هم الذين يتولون مهمة تبليغ دعواه إلى الناس ، فإن الأرض لا تخلو من حجة ، فإن خلا الزمان من

١- ابن ابي شيبة : المصنف : 7 /560 . الكليني : الكافي : 8/ 342 . الحاكم : المستدرك : 2 / 598 . المتقي الهندي : كنز العمال : 12 / 149 .

٢- مقاتل: تفسير :3 / 76.

٣- السمعاني : تفسير : 4 / 355 . القرطبي : الجامع : 14 / 340

٤- سورة القصص آية 46 .

٥- ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز : 4 / 357 . الثعلبي : الكشف والبيان : 7/ 325 . النسفي : تفسير النسفي : 3 / 239. ابن حيان الأندلسي : البحر المحيط : 7 / 117. الطوسي : التبيان : 8 / 293 .

٦- الثعلبي : الكشف والبيان: 7 /252 . البغوي : تفسير البغوي : 3 / 448 . المحلي والسيوطي : تفسير الجلالين : ص 514 .

٧- الطبرسي : مجمع البيان : 8 / 98 . الزمخشري : الكشاف : 240/3 . ابن المنير الاسكندري: الإنصاف فيما تضمنه الكشاف : 3 / 240.

٨- ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز : 4/ 436 .

٩- الغرناطي : التسهيل : 3 / 157 . الثعالبي : الكشف والبيان : 4 / 326.

رسول فإنه لا يخلو من وصي رسول حاضرا أو غائبا ، إذ لا يجوز ثبوت التكليف مع ارتفاع العصمة من المخلوقين من غير حجة ناطق أو ساكت [1] .

ويمكن القول أن الرأي الأول يرد عليه أن الآيات: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ ، وقوله ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا** ﴾ [2]، في غاية الوضوح فلا يحتمل معه هكذا استثناء ، فالأرض لا يمكن إن تخلو من حجة لله مطلقا ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " **لاَ تَخْلُو اَلْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلاَّ تَبْطُلَ حُجَجُ اَللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ** " [3] ، وأما عن قوله تعالى: ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ أي ما جاءهم رسول قبلك بتبديل شريعة ، ولا تغيير ملة ، ولم ينف عنهم الهداة والدعاة من الأوصياء ، وكيف يكون ذلك وهو عز وجل يحكي عنهم في قوله تعالى: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا** ﴾ [4] ، فهذا يدل على انه قد كان هناك هاد يدلهم على شرائع دينهم لأنهم قالوا ذلك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم [5] .

وأما عن التعارض بين هذه الآية وآية ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ ، فيمكن أن يقال: إن معنى جملة ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ هو إن كل أمة كان لها نذير إلا أنه لا يلزم حضوره بنفسه في كل مكان ، بل يكفي أن يصل صوت دعوة أنبياء الله العظام بواسطة أوصيائهم إلى إسماع كل البشر في العالم . وهذا يشبه قولنا: إن كل أمة كان لها نبي من أولي العزم، ولها كتاب سماوي ، فمعنى هذا الكلام إن صوت هذا النبي وكتابه السماوي قد وصل عن طريق وكلائه وأوصيائه لكل تلك الأمة على طول التاريخ [6] .

وهناك آيتان في نفس السياق وذات نفس المعنى قد تبدو كل منهما في محل تعارض مع الآية ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ وهما:

١- الراوندي : منهاج البراعة : 1 / 370 .
٢- سورة النحل آية 36.
٣- نهج البلاغة : ص686 – 687 .
٤- سورة فاطر الآيتان 41 . 42 .
٥- الصدوق : كمال الدين : ص 667- 668 .
٦- ناصر مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل : 13 / 94 .

أولا: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ** ﴾ [1]. فقد مر بنا إن آية ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ تعني إن كل أمة من الأمم السالفة كان لها نذير. ولكن ليس معنى هذا الكلام أن يبعث الله في كل مدينة أو منطقة رسولا ، بل يكفي أن تبلغ دعوة الرسل وكلامهم أسماع المجتمعات المختلفة ، إذ يقول القرآن: ﴿ **خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾، ولم يقل : (خلا منها نذير) وعليه فلا منافاة بين هذه الآية التي تقول ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ** ﴾ التي يقصد منها كون المنذر منهم [2] .

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [3]. أي لم تنذر آبا ءهم ، على ما روي عن قتادة ، فما هنا نافية ، والجملة صفة (قوما) مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار. والمراد بآبائهم آباؤهم الأدنون ، وإلا فالأبعدون قد أنذرهم إسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة إبراهيم عليه السلام . وقد كان منهم من تمسك بشرعة على أتم وجه ثم تراخى الأمر وتطاول المدد فلم يبق من شريعته عليه السلام إلا الاسم. والدعاء إلى الله لم ينقطع عن كل أمة ، إما بمباشرة من أنبيائهم وأما بنقل إلى وقت بعثته نبيا ﷺ ، والآيات التي تدل على أن قريشا ما جاءهم نذير معناها لم يباشرهم ولا آباءهم القريبين ، وأما إن النذارة انقطعت فلا ، ولما شرعت آثارها تندرس بعث النبي ﷺ. وما ذكره المتكلمون من حال أهل الفترات فهو على حسب الغرض. وعليه فالمعنى ما أنذر آباءهم رسول أي لم يباشرهم بالإنذار لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا ، فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي . فلا منافاة بين ـ ما ـ هنا وبين قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ ، وليس في ذلك إنكار الفترة المذكورة في قوله تعالى ﴿ **عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [4] ، لأنها فترة إرسال وانقطاعها زمانا لا فترة إنذار مطلقا [5]. وقال فخر الدين الرازي [6] وهو ينفي التعارض بين الآيتين أعلاه : " فوجوب بعث النذير لكل أمة لا يوجب أن يكون الرسول حاضرا مع القوم لان تقدم الرسول لا يمنع من كونه رسولا إليهم، كما لا يمنع تقدم رسولنا مع كونه مبعوثا إلينا إلى آخر الأبد" .

أما فيما يخص الإشكال الثاني ، حول وجود أنبياء سبقوا بعثة النبي محمد ﷺ في الفترة ما بينه وبين عيسى عليه السلام فيرده الدليل القرآني في أعلاه ، فضلا عن الأدلة الآتية :

١- سورة سبأ آية 44 .
٢- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : 14 / 70 .
٣- سورة يس آية 6 .
٤- سورة المائدة آية 19 .
٥- الالوسي : روح المعاني : 22 / 527- 528 .
٦- الرازي : مفاتح الغيب : 17 / 106 .

1 . قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات [1]، ليس بيني وبينه نبي " [2].

2 . قول أمير المؤمنين عليه السلام: " **إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَآلِه وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيا** " [3] . ولعل هذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ **وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ** ﴾ [4].

وهنا يستوقفنا إشكالان :

الأول: ما معنى قوله عليه السلام : " **وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابا** " هل في قوله هذا إطلاق شامل لكل العرب ؟ أليس في العرب من كان على دين اليهودية والنصرانية ؟ وبالتالي أتباع شريعة سماوية ولديهم كتب سماوية كالتوراة والإنجيل ؟ أم انه عنى بالعرب فقط مشركي مكة ؟ وللجواب يمكن القول إن العبارة إشارة إلى الأغلبية الساحقة من العرب آنذاك التي كانت تعبد الأوثان والأصنام ، وقد تناست دعوة الأنبياء السابقين . وبناءً على هذا فليس هناك من منافاة بين هذا الحكم العام الناظر للأغلبية العظمى ، ووجود الأقليات الدينية آنذاك كاليهود والنصارى. أضف إلى ذلك فإن الأقلية اليهودية كانت مهاجرة أتت إلى الحجاز من الشام كما قدمت الأقلية النصرانية من اليمن ، فهما لا ينتميان إلى العرب [5] .

ثانيا: نعم كان الخطاب شاملا للعرب وبضمنهم اليهود والنصارى وكتبهم (التوراة والإنجيل) ، ولكن إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعني الكتب السماوية غير المحرفة ، وهذا ما أشار إليه عليه السلام في موضع آخر بقوله : " **أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ** " [6] .

وفي هذا دلالة على التزييف الذي دخل الشرائع السماوية ، وبذا يكون الكتاب الموجود ليس كتابا سماويا يعول عليه في بيان الأحكام ، وإن شرعة ليس بواجب الإتباع للتحريف الذي ناله ، يقول تعالى:

١- هم الذين من أب واحد ولأمهات شتى، فالمراد إن الأنبياء إيمانهم واحد ، وشرائعهم مختلفة. ابن سيدة: المخصص : 209/1/4، الزمخشري: أساس البلاغة : ص653، ابن الأثير: النهاية: 291/3، ابن منظور: لسان العرب : 11/ 470.

٢- البخاري: الصحيح : 4 / 142 . ابن حبان: الصحيح : 15 / 233 . الطبراني: المعجم الأوسط : 5 / 142، المعجم الصغير : 1 / 257 . ابن عبد البر: التمهيد : 14 / 202 . السيوطي: الجامع الصغير : 1 / 415

٣- نهج البلاغة : ص 192 .

٤- سورة سبأ آية 44 .

٥. ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 4/ 281 .

٦- نهج البلاغة : ص 302 .

﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1].

أما حمل معنى " لا يقرأ كتابا " على عدم معرفة العرب بالقراءة والكتابة ، فهذا مما لا ينطبق مع الواقع فقد كان في عند العرب آنذاك من يحسن القراءة والكتابة والأدلة على ذلك كثيرة [2] ، هذا فضلا عن إن العبارة التي تلي هذه العبارة – من كلام الإمام السابق – على الخلاف من ذلك [3] .

وإما قوله عليه السلام : " ولا يدعي نبوة ولا وحيا " ، فيبدو انه اقتباس من الآية الشريفة ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** ﴾[4]. وهنا يمكن طرح تساؤلين :

الأول: ألا يتعارض مفهوم الآية وكلام الإمام أعلاه مع قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ ؟ وجوابه قد مر فيما سبق وتبين عدم التعارض بينهما.

الثاني: إن الإمام عليه السلام ينفي في كلامه أعلاه وجود نبوات متصلة بالسماء في تلك الفترة ، وهذا يخالف ما مر ذكره من وجود ثلاثة أنبياء من بني إسرائيل ، ونبي رابع من العرب يدعى خالد بن سنان العبسي ، فأما عن أنبياء بني إسرائيل ، فيرجح كونهم أوصياء للسيد المسيح عليه السلام ولا سيما مع خلو تلك الفترة من النبوات . وأما عن خالد بن سنان العبسي فسوف نقف بشيء من التحليل عند الروايات التي ذكرته وتناولت قصة نبوته لكي نخرج برأي اقرب للواقع.

يروي ابن شبة النميري : " عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما إن رجلا من بني عبس يقال له : خالد بن سنان ، قال لقومه : أنا اطفي عنكم نار الحدثان [5] ، فقال له عمارة بن زياد [1] – رجل من قومه –

١– سورة الأنعام آية 91 .

٢– ينظر: هاشم يونس عبد الرحمن: الحياة الفكرية في الجزيرة العربية : ص 116، 118– 123، 129– 133. النصرالله : الجاهلية : ص 5– 8.

٣– ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 4/ 282 .

٤– سورة يس آية 6 .

٥– قال البلاذري تحت عنوان: – خبر نار الحدثان: قال هشام ابن الكلبي عن أبيه: كان خالد بن سنان بن عيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة فيما يقال نبيا يوحى إليه، وكان حرّة الحدثان تأجّج بالليل نارا، فإذا كان النهار صارت النار دخانا يسطع ، وكانت تلك النار قد أضرت بالناس ، وربما خرج منها العنق فساح فلا يمر بشيء إلّا أكله ، فأتى خالد بن سنان بني عبس فقال لهم : إن الله قد أمرني بإطفاء هذه النار فليقم معي من كل بطن منكم رجل ، فكان عمارة بن زياد ، أخو الربيع ممن قام معه ، فانتهى بهم إلى طرف الحرة فإذا عنق من النار قد خرج على خالد ومن معه فصاروا منه في مثل كفة الميزان ، ثم جعل العنق يدنو فقالوا : يا خالد أهلكتنا فقال : كلا وجعل يضرب النار بالدّرّة ويقول : بدّا بدّا كل هدي للّه مؤدّى ، أنا عبد الله ، أنا خالد بن سنان ، فتراجع ذلك العنق يتخلل الحرة حتى انتهى إلى

– : والله ما قلت لنا يا خالد قط إلا حقا . فما شأنك وشأن نار الحدثان تزعم انك تطفأها ؟ قال : فانطلق وانطلق معه عمارة بن زياد مع ناس من قومه حتى أتوها ، وهي تخرج من شق جبل من حرة ، يقال لها حرة أشجع [٢]، قال : فخط لهم خطة ، فأجلسهم فيها ، وقال لهم : إن أبطأت عنكم ، فلا تدعوني باسمي . قال: فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها ، فاستقبلها خالد ، فجعل يضربها بعصاه ويقول : " بدا بدا، كل هدى مؤدى ، زعم ابن راعية المعزى أني لا اخرج منها ، و ثيابي تندى " ، حتى دخل معها الشعب ، قال – فأبطأ عليهم ، فقال عمارة بن زياد : والله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم (بعد) ، فقالوا له : إنه نهانا أن ندعوه باسمه ، قال : ادعوه باسمه فو الله لو كان صاحبكم حيا لخرج إليكم بعد ، قال: فدعوه باسمه ، قال : فخرج وهو آخذ برأسه ، فقال : ألم أنهكم إن تدعوني باسمي ؟ قد والله قتلتموني ، احملوني وادفنوني ، فإن مرت بكم الحمر فيها حمار أبتر ، فانبشوني ، فإنكم ستجدوني حيا (فأخبركم بما يكون) ، قال : فدفنوه ، فمرت به الحمر فيها حمار أبتر ، فقالوا : ننبشه فانه قد أمرنا أن ننبشه ، فقال عمارة : لا تحدث مضر: إنا ننبش موتانا ، والله لا تنبشونه أبدا، قال: وقد كان خالد أخبرهم إن في عكم [٣] امرأته لوحين ، فإذا أشكل عليكم أمر ، فانظروا فيهما ، فإنكم سترون ما تسألون عنه ، قال : ولا تمسهما حائض– فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما، فأخرجتهما وهي حائض فذهب ما

قليب في وسط الحرة فانساب فيه ، وانقدم عليه خالد ، وعليه إزار ورداء فمكث مليا ، فقال ابن عم لخالد يقال له عروة بن سنّة بن عيث بن مريطة : لا يخرج منها أبدا ، فما كان أن أسرع من أن خرج وثوباه ينطفان عرقا وهو يقول : زعم ابن راعية المعزى أن لا أخرج ، وجلدي يندى ، فسمّوا بني راعية المعزى إلى اليوم ، وطفئت النار إلى اليوم . وكان إذا قحط الناس ، وأمسك القطر خرج خالد حتى يأتي صخرة فيغشّيها بثوبه ، ثم يقوم فيدعو الله فيمطرون ما دام الثوب على الصخرة ، فإذا كشف الثوب عنها انقشع السحاب. أنساب الأشراف : 204/13 – 205 .

١– عمارة بن زياد بن سفيان بن عبد الله ابن ناشب العبسي : من رؤساء القادة في الجاهلية . كان كثير المال ، واسع الجود . آلى على نفسه ألا يسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكه . وكان أخا ثلاثة (الربيع ، وقيس ، وأنس) كل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشا . وكان عمارة يلقب بالوهاب ويقال له أيضا " دالق " بمعنى دلق الغارة وشنها على العدو . وقتله شرحاف بن المثلم الضبي . الزركلي : الاعلام : 5 / 37

٢– حرة أشجع : بين مكة والمدينة . البكري : معجم ما استعجم : 2 / 435.

٣– عكم : نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها ، عكم المتاع يحكمه عكما : شده بثوب، وهو أن يبسطه ويجعل فيه المتاع ويشده. ينظر الفراهيدي : العين : 1 / 208 . الجوهري :الصحاح : 5 / 1989 . ابن منظور : لسان العرب : 12 / 415

كان فيهما من علم ، قال أبو يونس: فقال سماك بن حرب : إن ابن خالد بن سنان ، أو بنت خالد أتى ، أو أتت[1] النبي ﷺ فقال: مرحبا بابن أخي أو ابنة أخي" [2] .

إن الذي يمكن ملاحظته على هذه الرواية ما يأتي:

أ – ليس في رواية ابن عباس ما يشير إلى أن خالد بن سنان كان نبيا ، وإن كان ما جاء في ذيل الرواية التي ألحقها به ابن شبة عن أبي يونس عن سماك بن حرب فيه إشارة إلى نبوته.

ب –اشارت الرواية إلى إن خالد بن سنان هو من قال لقومه : انه سيطفئ نار الحدثان ، بينما جاءت روايات أخرى مخالفة لما ذكر من ناحيتين:

الأولى : فيما يخص إطفاء النار، فهنا خالد هو الذي تطوع لإطفائها ، بينما في رواية ثانية إن الله هو الذي أمره بإطفائها.

إلا أن يكون قد أمره في الرواية السابقة إلا انه لم يصرح بذلك . وفي رواية ثالثة : انه اشترط على قومه إن هو أطفاها أن يؤمنوا به نبيا [3]. وفي رواية رابعة تذكر أن خالدا لما دعا قومه للإيمان به كذبوه ، وقال له رجل من قومه يدعى (قيس بن زهير)[4] : " إن دعوت فاسلت هذه الحرة علينا نارا – فانك إنما تخوفنا بالنار – اتبعناك ، وإن لم تسل نارا كذبناك " ، فتوضأ ودعا الله أن يسيل عليهم الحرة نارا ، وإذا بهم بعد أن اشتعل أوارها يعودون فيطلبوا منه ردها [5] .

الثانية : أما ما يخص النار، فقد اختلفت الروايات بشأنها من عدة أمور:

1 . مكانها: فالرواية تقول : أنها في حرة أشجع ، ورواية ثانية قالت : أنها في ارض الحجاز ، بأرض بني عبس [6]، وقيل : في أرض قريب من أرض عبس [1] ، وقيل : في ناحية خيبر من حرة [2] النار[3].

١– بالأصل أتيت . والتصحيح من المقوم اللغوي.

٢– تاريخ المدينة : 2 / 421 – 423 . وانظر الحاكم : المستدرك : 2 / 598– 599 . الطبراني : المعجم الكبير : 11 / 237 . ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 269 ، السيرة النبوية : 1 / 104 – 105 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 311 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 8 / 213 .

٣– ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/ 425 . الراوندي : قصص الأنبياء : ص 275 . المجلسي : البحار: 14 / 449 .

٤– هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي الفارس المشهور الذي كانت على يديه حرب داحس والغبراء بين عبس وفزارة ، اختلف في وفاته هل قبل البعثة ام ادرك عهد عمر بن الخطاب ؟ . ينظر : ابو الفرج : الاغاني : 11 / 66 ، 82 ، 103 ، 15 / 37 ، 17 / 124 .

٥– ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 427 .

٦– ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 430 .

2 . موعد خروجها : لقد اختلف في موعد خروجها ، هل كل يوم [٤] ، أو تأتيهم كل سنة ، و تخرج في وقت معلوم [٥] .

3 . وصفها : كذلك اختلفت الروايات في وصفها : فرواية تقول : (سالت عليهم نار من حرة النار في ناحية خيبر والناس في وسطها ، وهي تأتي من ناحيتين جميعا ، وإنها تخرج من غار" [٦] . وفي وراية ثانية " نار الحرتين كانت ببلاد عبس ، وإذا كان الليل تسطع من الماء ، وكانت بنو طي تتنفس منها إبلها من مسيرة ثلاث ، وربما بدرت منها عنق ، فتاتي كل شيء يقربها فتحرقها ، وإذا كان النهار كانت دخانا " [٧] . أو أنها تخرج من كهف أو شق جبل أو بئر أو غار.

4 . كيفية إطفائها : هنا تتباين الروايات في كيفية إطفائها من قبل خالد بن سنان ، وهذه الروايات هي :

- **الأولى** : " خرج إليها يضربها بسوطه حتى رجعت من الشق الذي خرجت منه وثيابه تندى " [٨]
- **الثانية** : أنه قال لقومه : " فليقم معي من كل بطن رجل ... [قال الراوي] : فخرج بنا حتى انتهى إلى النار، فخط خطا على من معه ، ثم قال: إياكم أن يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق ، ولا ينوهن باسمي ، فأهلك ، قال: فخرج عنق من النار ، فأحدق بنا حتى جعلنا مثل كفة الميزان ، وجعل يدنو منا حتى كاد يأخذ بأفواهنا ، وخرج يتبعها حتى ألجأها في بئر في وسط الحرة منها تخرج النار، فانحدر فيها خالد ، وفي يده درة ، فإذا هو بكلاب تحتها فرضهن

١- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 425.

٢- حرة النار: ذكر ياقوت : (حرة سليم: هو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، قال أبو منصور: حرة النار لبني سليم وتسمى أم صبار، وفيها معدن الدهنج، وهو حجر أخضر يحفر عنه كسائر المعادن، وقال أبو منصور: حرة ليلى وحرة شوران وحرة بني سليم في عالية نجد...) وذكر في موضع آخر: (حرة النار: بلفظ النار المحرقة: قريبة من حرة ليلى قرب المدينة، وقيل: هي حرة لبني سليم، وقيل: هي منازل جذام وبلي وبلقين وعذرة، وقال عياض: حرة النار المذكورة في حديث عمر هي من بلاد بني سليم بناحية خيبر، ... وفي كتاب نصر: حرة النار بين وادي القرى وتيماء من ديار غطفان، وسكانها اليوم عنزة، وبها معدن البورق، وهي مسيرة أيام، ... قال: وأم صبار اسم الحرة) . معجم البلدان : 246/2 .249 .

٣- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 424.

٤- الراوندي : الخرائج والجرائح : 2 / 951 ، قصص الأنبياء : ص 275.

٥- الكليني : الكافي : 8 / 342 – 343 . المجلسي : البحار: 14 / 448 . النمازي :المستدرك: 3 / 145.

٦- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 424.

٧- ابن حجر : الإصابة : 2 / 310- 311 . النمازي : المستدرك : 10 / 180 .

٨- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 430.

بالحجارة ، وضرب حتى أطفأها الله على يده . ومعهم ابن عم له يقال له عروة بن سنان بن غيث وأمه رقاش بنت صباح من بني ضبة ، فجعل يقول هلك خالد ، فخرج وعليه بردان ينطفان ماء من العرق وهو يقول: بدا بدا كل هدى لله مؤدى أنا عبد الله أنا خالد بن سنان ، كذب ابن راعية المعزى ، لأخرجن منها ، وجلدي يندى. فسمي بنو عروة ببني راعية المعزى ، فهو اسمهم إلى اليوم " [١].

- **الثالثة:** " فقال لهم العبسي : ابعثوا معي إنسانا حتى أطفأها من أصلها ، فخرج معه راعي غنم هو ابن راعية ، حتى جاء غارا تخرج منه النار، ثم قال العبسي للراعي: أمسك ثوبي ، ثم دخل في الغار، فقال: هديا هديا، كل يهن مؤدى ، زعم ابن راعية الغنم ، إني سأخرج ، وثيابي لا تندى ، قال وهو يمسح العرق عن جبينه : عودي بدا كل شيء مؤدى، لأخرجن منها ، وجسدي يندى " [٢].
- **الرابعة:** " فأخذ عسيبا [٣] من نخل رطب ، فدخل النار وهو يضربها بالقضيب وهو يقول: باسم رب الأعلى ، كل هدى مؤدى ، زعم ابن راعية المعزى ، أن لا أخرج منها وثيابي تندى . فما من شيء أصابه ذلك العسيب إلا انطفئ فأطفأها " [٤].
- **الخامسة:** " فتناول عصا ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها ، فضربها بالعصا ويقول : هدا هدا كل خرج مؤدى ، زعم ابن راعية المعزى أن لا أخرج منها وجبيني يندى ، فلم يزل يضربها حتى رجعت " [٥].

١- ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 431 – 432 .

٢- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 424 .

٣- العسيب: سعف النخيل. ابن سلام : غريب الحديث : 156/4.

٤- ابن شبة : تاريخ المدينة: 2 / 425

٥- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 427

- **السادسة:** " فاحتفر لها سربا ثم أدخلها فيه ، والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبها ، فسمع بعض القوم وهو يقول هلك الرجل ، فقال خالد : كذب ابن راعية المعزى ، وخرج يرشح جبينه عرقا وهو يقول: عودي بدا كل شيء يؤدى لأخرجن منها وجسدي يندى" [١].
- **السابعة:** " قال: فجاءت فاستقبلها بثوبه، ثم تبعها حتى دخلت كهفها ، ودخل معها ، وجلسوا على باب الكهف وهم يرون أن لا يخرج أبدا، فخرج وهو يقول : هذا هذا وكل هذا من ذا ، زعمت بنو عبس إني لا أخرج وجبيني يندى " [٢].
- **الثامنة:** " فاستقبلها فردها بثوبه [٣]، حتى أدخلها غارا وهم ينظرون ، فدخل معها ، فمكث حتى طال ذلك عليهم ، فقالوا : إنا لنراها قد أكلته ، فخرج منها " [٤].

نلاحظ على ما جاء في هذه الروايات:

1 . انها متباينة في المكان الذي خرجت منه النار هل من بئر، أو شق حبل، أو غار، أو كهف؟.

2 . تباين الروايات بماذا ضربها هل ضربها بسوطه أو بعصاه، أو درته، أو عسيبا من نخل رطب، أو استقبلها بيده أو بثوبه، أو أقحم نفسه فيها؟!

3 . من هو الذي اصطحبه معه ؟ ففي رواية اصطحب معه من كل بطن رجلا ، وفي ثانية حددت عددهم 30 رجلا ، وفي ثالثة راعي الغنم وحده ، وفي رابعة طلب أن يبعث معه شخص لم تعرفه الرواية ، وفي أخرى أنه واجه النار أمام مرأى من الناس كلهم !!

4 . نلاحظ الاختلاف حول من نعته بابن راعية المعزى الذي شكك بخروجه تارة عروة بن سنان بن غيث ، وتارة عمارة بن زياد ، وفي باقي الروايات لم تصرح باسمه !!.

5 . بل إن التباين طال حتى الكلمات التي رددها والتي أدخلها أحد الباحثين في إطار– الكلام النبوي– رغم ركاكتها [٥]!!!

6 . أوردت بعض الروايات تفاصيل مطولة غابت عن الروايات الأخرى !! فهل آثر بعض الناقلين الاختصار؟!! أم إن الآخرين أضافوا بعض الزيادات التي ألبست القصة زيها الأسطوري؟!!

١– ابن حجر: الإصابة: 2 / 311. النمازي : المستدرك : 10 / 180.

٢– الكليني : الكافي 8 / 342.

٣– وفي رواية (بيده) ينظر: الراوندي: الخرائج : 2 / 951.

٤– الرواندي: قصص الانبياء : ص 275.

٥– محمد مهدي السويج : في النبوة والأنبياء الستة العرب : ص 206.

ج- الغريب أن تأتي رواية أخرى تستبدل قصة النار بقصة (طائر) يفتك بالبشر ليواجهه خالد بن سنان بدعائه فيقضي عليه ، فعن ابن عباس : إن الله خلق في زمان موسى عليه السلام طائرا اسمه العنقاء ، لها أربعة أجنحة من كل جانب ، وجهها كوجه الإنسان ، وأعطاها من كل شيء حسن قسطا ، وخلق لها ذكرا مثلها، وأوحى إليه إني خلقت طائرين عجيبين ، وجعلت رزقهما في الوحوش التي حول بيت المقدس ، وآنستك بهما وجعلتهما زيادة فيما فضلت به بني إسرائيل . فتناسلا وكثر نسلهما . فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز ، فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن تنبأ خالد بن سنان العيسى [1] بين عيسى ومحمد. فشكوها إليه ، فدعا الله تعالى، فانقطع نسلها وانقرضت "[2].

د- ثم تأتي رواية أخرى بقصة مغايرة فتروي " قال خالد بن سنان: يا بني عبس، إن كنتم تحبون أن تغلبوا العرب، ولا تغلبنكم فخذوا هذه الصخرة فاحملوها، فإذا لقيتم عدوا فاطرحوها بينكم، فأنكم لا تزالون غالبين ما كانت الصخرة معكم، واسم الصخرة (وماس) ، فحملتها بنو عبس يتعاقبونها ، فإذا كانت الحرب سعى بها الغلام الشاب ، فإذا لم يكن حرب كان جهدها يقلها أربعون رجلا ، قال: فدار حملها يوما على بني بجاد من بني عبس ، فقال لهم قيس بن زهير: يا بني عبس ، أما تعرفنا العرب إلا بصخرة ورثناها خالد بن سنان ؟ ألقوها فلا تحملوها ، فحفروا لها حفيرا من الأرض فدفنوها ، فلقيتهم بنو فزارة فقتلوهم ، فكروا يطلعون الصخرة ، فلما حفروا عنها صارت نارا ، فتركوها فلن يقدروا عليها . فقال الحطيئة يهجوهم:

لعن الإله بني نجاد أنهم لا يصلحون وما استطاعوا فسدوا

برد الحمية واحد مولاهم جمـــــد على من ليس فيه مجمد[3]

فرماس هنا صخرة لكنها في رواية ثانية هي عين ماء [4].

أما قيس بن زهير المذكور سابقا هو نفسه الذي سبق ذكره بأنه طلب من خالد بن سنان أن يسيل الحرة نارا عليهم ، فهل تكرر موقفه المعارض للعبسي هنا ؟ أم قصته هذه بديلة عن تلك القصة؟!!

١- هكذا وردت في الأصل و لعل المقصود : العبسي.

٢- الزمخشري: ربيع الأبرار: 4 / 536 . ابن كثير : البداية والنهاية : 13 / 101. المجلسي: البحار:62/ 243.

٣- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 428.

٤- ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 429.

هـ – ثم إن بعض الروايات تشير إلى أن خالدا قد امتحن قومه في مسألة مغايرة إذ طلب منهم أن يدفنوه وبعد مدة ينبشوا قبره ، فيجدوه حيا فيسألوه عما شاءوا ، أو هو يخبرهم بما هو كائن إلى يوم القيامة ولكنهم لم يفعلوا ، وقد وردت عدة اختلافات في هذه القصة بين مروياتها من عدة جهات وهي :

1 – انه مات إثر حادثة إطفاء النار كما مر بنا حين نهاهم أن ينادوه باسمه ، فلم يلتزموا بذلك فخرج يحمل رأسه ، وفي رواية انه قد حضرته الوفاة بشكل طبيعي وقد حدد لهم وقتا لموته [١] .

2 – إنه أعطاهم دلالة على أثرها يقوموا بنبش قبره بعد ثلاث ، هذه الدلالة هي مجيء " عانة [٢] فيها حمار أبتر " [٣] أو " عيرا يطوف بقبري " [٤] أو " عير أشهب يقود عانة من الحمر " [٥] أو " عير أقمر " [٦].

3 – وفي رواية أنه لم يشترط مرور هذا الحيوان الذي يحفر قبره أو يطوف عليه أو يقف عنده ، بل اكتفت : " ادفنوني ثم دعوني ثلاثة أيام ثم انبشوا عني ثم سلوني " [٧] .

4 – أما الذي نهى القوم عن نبش قبره لئلا تكون سبة عليهم بين العرب ، فأيضا اختلفت الروايات ما بين: " أهل بيته وبني عمه " [٨] أو " قيس بن زهير " [٩] أو عمارة بن زياد " [١٠] أو سليط بن مالك بن زهير زهير بن جذيمة [١١] أو بعض من قومه [١٢]وقيل أنهم: " اجتمعوا و أرادو نبشه ثم قالوا : ما آمنتم به من

١– الراوندي :الخرائج :951/2 .ابن الاثير :الكامل :376/1 .

٢– هي مجموعة الحمر الوحشية. ينظر: ابن سلام: غريب الحديث : 222/4 . الجوهري: الصحاح 4/ 1704. الجواليقي: شرح أدب الكاتب : ص217. ابن منظور: لسان العرب : 32/4 ، 272/11.

٣– ابن شبة: تاريخ المدينة : 2/ 423 ، 424 ، 432 . الكليني: الكافي : 8 / 342 – 343 ، ابن كثير: البداية : 2 / 269 . ابن حجر: الإصابة : 2 / 312 . المجلسي: البحار: 14 / 448.

٤– ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 311.

٥– ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 426.

٦– ابن الأثير: الكامل :1 / 376.

٧– الراوندي: الخرائج : 2 / 311.

٨– ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 425 – 426.

٩– ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 428 .

١٠– ابن كثير: البداية والنهاية: 2 / 269 ، السيرة النبوية : 1 / 105 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 312.

١١– ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 433.

١٢– الراوندي: قصص الانبياء : ص 275.

حياته...." [1] وفي رواية إن قومه اختلفوا فصاروا فرقتين ، و صار ابنه عبد الله في الفرقة التي أبت إن تنبشه وهو يقول : إذا فعلتم ادعى ابن المنبوش فتركوه [2].

5 . أما عن مكان دفنه ، فتشير رواية الى إنه أمر بدفنه " على هذه الأكمة [3] "[4]، وفي رواية ثانيه: " في في حقف [5] من هذه الاحقاف" [6] .

ومن غريب ما روي عن " أبي الإصبع عبد الملك بن نصر وغيره يذكرون إن بينهم وبين القيروان بحرا في وسط جبل لا يصعده أحد وإن طريقها في البحر على الجبل ، وإنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هناك رجلا عليه صوف أبيض وهو مختب في صوف أبيض ورأسه بين يديه كأنه نائم لم يتغير منه شيء . وأن جماعة أهل تلك الناحية يشهدون انه خالد بن سنان " [7].

وقد علق ابن حجر[8]على هذه الرواية: " قلت وشهادة أهل تلك الناحية بذلك مردودة، فأين بلاد بني عبس عبس من جبال المغرب؟ "

وتضيف بعض الروايات كرامات أخرى الى خالد بن سنان تتلخص بـ :

الأولى: إنه " جمع عبسا فقال: يا عشيرتاه احفروا هذه القاع ، فحفروا فاستخرجوا حجرا فيه خط دقيق (قل هو الله أحد الله الصمد) السورة كلها ، فقال: احفظوا هذا الحجر فإذا أصابتكم سنة أو قحطتم فاخمروه بثوب ثم أخرجوه فإنكم تسقون ما دام مخمرا فإذا كشفوه أقلعت السماء"[9].

١- الكليني: الكافي: 8 / 342 . المجلسي : البحار : 14 / 448.

٢- الجاحظ : الحيوان 4 / 163 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 311.

٣- الأكمة: تل من قف حجر واحد ، وقيل هو الموضع الذي هو اشد ارتفاعا مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا . ويقال : هو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد فربما غلظ وربما لم يغلظ . الفراهيدي : العين : 5 / 420. ابن منظور : لسان العرب : 12/ 20 – 21

٤- ابن شبة: تاريخ المدينة : 2 / 432

٥- حقف : الحقف من الرمل : المعوج ، وجمعه احقاف . وهو ما اعوج من الرمل واستطال . الفراهيدي : العين : 3 / 51 . الجوهري : الصحاح : 4 / 1345 . ابن منظور : لسان العرب : 9 / 52 . وتسمى احدى سور القرآن بسورة الاحقاف .

٦- ابن حجر: الإصابة : 2 / 310 .

٧- ابن حجر: الإصابة: 2 / 312 .

٨- الإصابة: 2 / 312 .

٩- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 432 .

لكن هل هذا الحجر هو " رماس " أم غيره ؟ وكيف يصح إن سورة الإخلاص كتبت على هذا الحجر والقرآن قد اختص بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو معجزته .

الثانية: " قال : إن صاحبتي هذه حبلى في كذا كذا ، تلد في كذا كذا ، في شهر كذا كذا ، وقد سميت من نعم المولود فاستوصوا به خيرا ، فانه سيشهد مشاهد أولدت مجاهدا ، وهو أحيمر كالدرة ، نفع مولاه من المضرة ، نعم فارس الكرة ، ولا تصيبنكم جائحة من عدو ولا سنة ، ما كان بين أظهركم "[1].

وهنا يمكن السؤال: هل ابنه هذا هو المدعو عبد الله الذي مر ذكره الذي لم ينفذ وصية والده ؟ أم غيره ؟ ثم ما معنى قوله أولدت مجاهدا ؟ هل جاهد مع قومه؟ أم مع النبي ﷺ إذ سيأتينا انه أدرك النبي ﷺ .

الثالثة : " كان خالد أخبرهم إن في عكم امرأته لوحين ، فإذا أشكل عليكم أمر، فانظروا فيهما فإنكم سترون ما تسألون عنه ، قال: ولا تمسها حائض ، فلما رجعوا إلى امرأته سألوها عنهما فاخرجتهما وهي حائض ، فذهب ما كان فيهما من علم " [2].

ولكن لماذا لم ينبه امرأته أن لا تمسهما وهي حائض؟! او لماذا لم يخبروها بان لا تمسهما إن كانت حائضا وقد نبههم ؟!

الرابعة : ومن الطريف ما رواه القرماني[3] في حديثه عن الأنبياء الذين كانوا في الفترة ما بين المسيح المسيح عليه السلام والنبي محمد ﷺ إن النبي خالد بن سنان العبسي كان على رأس أولئك الأنبياء .. وانه (نبي البرزخ) ومعنى ذلك – حسب ما فسروه – : أنه بعث لمن مات طفلا.

وقد علق أحد الباحثين قائلا : " إن هذا ليدعو إلى الضحك في كون بعض الأنبياء يركض خلف من مات ليبلغه رسالته علما إن الموت يحول دون ذلك . هذا من جهة ومن جهة أخرى، إن الأطفال غير مكلفين ، والبرزخ ليس بدار عمل كالدنيا فالبرزخ عالم طريق بين العالمين الدنيوي والأخروي " [4] .

وقد نسب الى النبي الأعظم ﷺ انه قال عن خالد بن سنان العبسي: " نبي ضيعه قومه " على اثر لقائه بأحد الأشخاص كما أشارت الروايات التي اختلفت فيه :

١- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 432

٢- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 423 . ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 269 ، السيرة النبوية : 105/1. ابن حجر: الإصابة : 2 / 312.

٣- أخبار الدول ص 79 ، نقلا عن السويج : في النبوة والأنبياء: ص 209.

٤- السويج : في النبوة والأنبياء : ص 209 .

- روايات أشارت الى إن ابنه قدم على ﷺ فرحب به ودعاه بـ " ابن أخي "[١].
- روايات ثانية أشارت إن ابنته (المحياة)[٢] هي التي جاءت إلى النبي ﷺ وكانت عجوزا [٣]، فأكرمها ورحب بها ، وأسلمت وآمنت به ﷺ[٤].

وقد ورد في بعض الروايات ما هو محل إشكال في قصة لقائها بالنبي ﷺ:

أ. ذكرت إحدى الروايات انه ﷺ صافحها حين لقائه بها ، وهذا مردود لان النبي ﷺ لا يصافح النساء ، إلا أن تكون من وراء ثوب أو المصافحة للبيعة التي تتم كما ورد في الأثر ﷺ كان يغمس يده اليمنى في إناء ثم يخرجها وتغمس المرأة يدها في نفس الإناء فتتم البيعة [٥] أو كما روي عنه ﷺ قوله : " إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة " [٦] .

وروت عائشة: " ما مس رسول الله ﷺ بيده يد امرأة قط " [٧] فهل صافحته بطريقة المبايعة أعلاه ؟ ؟ لا سيما وأن هناك رواية ذكرت أنها وفدت عليه في وقت كان فيه يبايع النساء فسألها من أنت ... "[٨]

ب – أنها لما سمعت النبي ﷺ يقرأ سورة الإخلاص: (قل هو الله احد) قالت : "يا رسول الله إني لأسمع كلاما كنت اسمعه من أبي . قال : إن اباك كان نبيا ضيعه قومه "[٩]. وفي روايات إن من

١- ابن شبة : تاريخ المدينة: 2 / 423،433. ابن كثير : البداية والنهاية : 2 / 269، السيرة النبوية : 1 / 105 – 106 .

٢- لا يوجد لها ذكر الا ما روي من قدومها على النبي ﷺ وانها آمنت به ينظر : ابن الأثير : أسد الغابة : 5 / 454 . ابن حجر : الإصابة : 8 / 314 – 315.

٣- ابن حجر : الإصابة : 2/ 310 .

٤- ابن أبي شيبة : المصنف : 7 / 560 . ابن شبة : تاريخ المدينة : 2/ 421، 423، 426 ، 433 . الكليني: الكافي : 8 / 343 . الصدوق : كمال الدين : ص 659 – 660. السمعاني : الأنساب : 5/ 456. الراوندي : الخرائج : 2 / 950 – 951. ابن الأثير : الكامل : 1 / 376. ابن حجر : الإصابة : 2/ 311- 312 ، 8/ 314-315. العيني : عمدة القارئ : 17 / 72-73. المجلسي : البحار : 450/14. النمازي : المستدرك: 6/ 290.

٥- الكليني : الكافي : 5 / 527. المجلسي : البحار : 21/ 134. البروجردي : جامع أحاديث الشيعة : 303/20

٦- مالك : الموطأ : 2/ 983 . ابن حنبل : المسند : 6 / 357 . ابن ماجة : السنن : 2 / 959 . النسائي : السنن : 7 / 149 . البيهقي : المسند : 8/ 148. ابن عبد البر : الاستذكار : 8 / 454

٧- ابن حنبل : المسند : 6 / 114 . مسلم : الصحيح : 6 / 29 . النسائي : السنن : 5 / 219 . ابن عبد البر : التمهيد : 12 / 245.

٨- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 421.

٩- ابن شبة : تاريخ المدينة : 2 / 426.

وفد على النبي ﷺ هم جماعة من بني عبس فذكروا خالد بن سنان فقال : ذاك نبي ضيعه قومه [1] ولكن أليس القرآن قد اختص بالنبي محمد ﷺ فكيف سبق لخالد المعرفة بهذه السورة ؟! وقد مر بنا بطلان هذا الأمر. مع أن روايات أخر تشير الى عدم وجود ابن أو ابنة لخالد بن سنان ، إذ اقبل وفد من بني عبس في ثلاثة نفر على النبي ﷺ فسألهم عن خالد بن سنان فقالوا : لا عقب له[2].

كان هذا استعراض لمعظم الروايات التي ذكرت قصة هذا الرجل بما فيها من تباين واختلاف ، بقي أن نشير إن الاشكالات على هذه المرويات لم تقف عند الحد الذي سجلناه في أعلاه، بل هناك من أنكر نبوته وانه لم يكن نبيا قط، والبعض الآخر شكك في هذه المسألة كما سيأتينا الآن:

فقد روي عن الإمام الصادق ﷺ : " إن خالدا كان عربيا بدويا وما كان نبيا ، وإنما ذلك شيء يقوله الناس" [3]، وذكر ابن عبد الحكم [4] (ت257هـ) : " الذي تزعم فيه قيس [5] انه كان تنبأ في الفترة فيما فيما بين النبي وعيسى صلوات الله عليهما ". وقال ياقوت الحموي [6] (ت626هـ) : " ويزعمون أن أبا [7] خالد بن سنان العبسي كان نبيا وبعث إليهم " ، وشك ابن الأثير[8] (ت630هـ) بذلك قائلا: " قيل كان نبيا نبيا " ، وكذا شكك به ابن كثير [9](ت774 هـ) في موارد عدة : " زعم بعضهم انه كان نبيا " ، وقال بعد بعد أن أورد قصة خالد بن سنان برواية ابن عباس: " فهذا سياق موقوف على ابن عباس وليس فيه انه كان نبيا "[10] . أما الروايات التي عن غير ابن عباس فقال عنها : " والمرسلات التي فيها انه نبي لا يحتج بها هاهنا والأشبه انه كان رجلا صالحا له أحوال وكرامات ، فانه إن كان في زمن الفترة ، فقد ثبت في صحيح البخاري[11] عن رسول الله ﷺ انه قال: " إن أولى الناس بعيسى بن مريم أنا لأنه ليس بيني

١- ابن الأثير : أسد الغابة : 2 / 259 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 313.
٢- ابن كثير : البداية : 5 / 103 . ابن حجر : الإصابة : 2 / 313 .
٣- الطبرسي : الاحتجاج : 2 / 91 . المجلسي : البحار : 14 / 451.
٤- فتوح مصر وأخبارها ص 207.
٥- ربما صحفت فالمقصود " عبس ".
٦- معجم البلدان : 3 / 283 .
٧- لعلها أضيفت سهوا .
٨- الكامل :1 / 376 .
٩- البداية والنهاية : 2 / 268 ، السيرة النبوية : 1 / 104
١٠- هي نفس الرواية التي ذكرناها آنفا من تاريخ المدينة لابن شبة : 2/ 421- 423 .
١١- 4/ 142 ، وينظر: ابن حنبل: المسند : 541/2. مسلم: الصحيح : 96/7. الطبري: جامع البيان 396/3. السيوطي: الديباج : 5/ 349،

وبينه نبي ". وان كان قبلها فلا يمكن أن يكون نبيا لان الله تعالى قال: (لتنذر قوما ما آتاهم من نذير قبلك) وقد قال غير واحد من العلماء إن الله تعالى لم يبعث بعد إسماعيل نبيا من العرب إلا محمد ﷺ خاتم الأنبياء الذي دعا به إبراهيم الخليل باني الكعبة المكرمة التي جعلها الله قبلة لأهل الأرض شرعا ، وبشرت به الأنبياء لقومهم حتى كان آخر من بشر به عيسى بن مريم عليه السلام "[1].

فضلا عن ذلك كان ابن كثير [2] قد أشكل على رجالات السند في مرويات قصة خالد بن سنان . وقال في مورد آخر: " وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة كان صالحا ولم يكن نبيا لقول رسول الله ﷺ : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي" [3]. وشكك ابن حجر [4] في نبوته إذ قال: " الذي يقال أنه كان نبيا "، ونقل عن الفضل بن موسى الشيباني دخلت على أبي جمرة السكري ، فحدثته بهذا [يقصد رواية قصة خالد بن سنان] عن الكلبي فقال: " استغفر الله استغفر الله " [5] . وقال أبو السعود [6] (ت951هـ) : " وقيل لم يكن بعد عيسى عليه السلام إلا رسول الله ﷺ وهو الأنسب بما في تنوين فترة في التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول بعث إليهم عند إكمال حاجتهم إليه... " ، وذهب الآلوسي [7] (ت بعد 1270هـ) للقول: " وخالد بن سنان العبسي عند الأكثرين ليس بنبي ، وخبر ورود بنت له عجوز على النبي ﷺ وقوله لها: مرحبا بابنة نبي ضيعه قومه ونحوه من الأخبار مما للحفاظ فيه مقال لا يصلح معه للاستدلال ، وفي " شروح الشفاء " و" الإصابة " [8] للحافظ ابن حجر بعض الكلام في ذلك " .

ومن المعاصرين ذهب جواد علي[9] للقول: " وزعموا أن رجلا من بني (قطيعة بن عبس) كان نبيا " " وأورد مقالة الجاحظ آنفة الذكر، ثم عقب بعد إن ذكر قصته مع نار الحدثان، " وزعموا انه هو الذي دعا على العنقاء فذهبت وانقطع نسلها ".

١- ابن كثير: البداية والنهاية : 269/2 .
٢- البداية والنهاية : 2 / 268 .
٣- البداية والنهاية : 13 / 101 .
٤- الإصابة: 1 / 180، 5 / 458.
٥- الإصابة : 2 / 310
٦- تفسير أبي السعود : 3 / 22.
٧- روح المعاني : 21 / 160.
٨- لعله الكلام الذي أشكل فيه على المرويات وقد ذكرناه سابقا .
٩- 6 / 66.

وفي مقابل ذلك نجد إن روايات قصة خالد بن سنان على ما هي عليه من الاختلافات والتناقضات قد استفاضت بها كتب المؤرخين ويستوقفنا مقالة الصدوق بهذا الشأن إذ يقول :

" مع إنا لا ندفع الأخبار التي رويت انه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فترة لم يكن فيها نبي ولا وصي، ولا ننكرها ونقول : إنها أخبار صحيحة ، ولكن تأويلها غير ما ذهب إليه مخالفونا من انقطاع الأنبياء والائمة والرسل عليهم السلام . وإنما تعني الفترة أنه لم يكن بينهما رسول ولا نبي ولا وصي ظاهر مشهور كمن كان قبله ، وعلى ذلك دل الكتاب المنزل إن الله عز وجل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم على حين فترة من الرسل ، لا من الأنبياء والأوصياء ، ولكن قد كان بينه وبين عيسى عليهما السلام أنبياء وأئمة مستورون خائفون ، خالد بن سنان العبسي نبي لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر لتواطؤ الإخبار بذلك عن الخاص والعام وشهرته عندهم ".[1]

فالصدوق هنا قد أنكر وجود نبي في زمن الفترة إلا أن يكون خائفا مستورا ، ولعله بهذا يلمح إلى مقولة أمير المؤمنين عليه السلام : " **إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً** " [2].

ولكن الحجة لا يقتصر على النبي بل قد يكون وصيا أو إمامٱ كما أشار الصدوق الى ذلك في بدء حديثه ، فلماذا لا يكون خالد بن سنان وصيا أو رجلا صالحا من الأحناف دعا إلى عبادة الله كحال عبد المطلب عليه السلام وغيره !! وهذا لا يدفعه دافع ولا ينكره منكر، ولكن بشرط أن لا يسلم بكل ما جاء عن هذا الرجل من أساطير وزيادات طفحت حتى بدت متناقضة مما يصعب قبولها.

أما المجلسي [3] فقد علق على رواية الطبرسي في أعلاه عن الإمام الصادق عليه السلام الذي أنكر بها نبوة خالد ، فقال: " الأخبار الدالة على نبوته أقوى وأكثر ".

فأما (القوة) فلا ندري أين تكمن ؟ ثم أن هناك روايتين عن الإمام الصادق عليه السلام احدهما تثبت نبوته والثانية تنكرها ، فأيهما الأقوى ؟ أما عن رجالات السند فهي لا تخلو من إشكال كما مر بنا ، بل هي في الغالب مرسلة . وأما عن (الكثرة) فرب مشهور لا أصل له ، ثم انه لا إشكال بوجود هذه الشخصية لكن تبقى نبوته محل إشكال يصعب معه التسليم بقبولها.

١- كمال الدين : ص659.

٢- نهج البلاغة : ص 686 - 687 .

٣- البحار: 451/14.

ونخلص الى القول ان كلام الامام عليه السلام قد دحض هذه الرواية التي قد بدت معارضة له ، وذلك بعد تحليلها والتحقق منها . وبهذا يكون اعتماد كلامه عليه السلام خير ميزان يتم فيه قبول الرواية ام رفضها .

أصناف ديانات العرب قبل الإسلام

لم يرد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصفا مفصلا لمعتقدات العرب قبل الإسلام ، ولكن إشاراته المقتضبة بهذا الشأن حملت معاني عميقة ذات دلالات مفيدة وعلى عدة مستويات يأتي في مقدمتها الهدف الأول الذي دعاه لذكرها ألا وهو بيان فضيلة ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأثره الايجابي على الأمة الذي لا يمكن الوقوف عليه ما لم يتم مقايسته بالوضع الذي كانوا عليه قبل البعثة النبوية ، إذ حملت كلماته الشريفة في هذا المجال نقدا هادفا لذلك الماضي وكيفية انتفاع الخلق منه.

ومن جانب آخر فان المعلومات التي أوردها عليه السلام تشكل مادة قيمة ومصدرا موثوقا للمختصين بهذا الجانب. ففي معرض حديثه عن أديان العرب وما كانوا عليه من معتقدات قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نجده يقول: " **بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم ... وَأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ ، بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِهِ ، أَوْ مُلْحِد في اسْمِهِ ، أَوْ مُشِير إِلَى غَيْرِهِ** " [1] .

ولما وقف الشراح[2] على كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه بينوا أصناف ديانات العرب وإنهم كانوا على قسمين: العرب المعطلة والعرب غير المعطلة. وهناك من قسمهم إلى معطلة ومحصلة [3].

القسم الأول: العرب المعطلة ، وكانوا على ثلاثة أصناف:

أولا: صنف أنكروا الخالق والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم " **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** [4] " [1]. وقصروا الحياة والموت على تحلل الطبائع المحسوسة وتركيبها فالجامع هو الطبع

١- نهج البلاغة : ص21 .

٢- انظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1 / 117 – 120. ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 354-358 . حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 2 / 137 -139 . التستري : بهج الصباغة : 2 / 96 – 105 .

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 355 .

٤- سورة الجاثية آية 24.

والمهلك هو الدهر[٢] ، وعرف أصحاب هذه العقيدة بـ" الدهريين" : والدهر– لغة – يعني الزمان [٣] ، وهما ساعات الليل والنهار [٤]، والوقت الطويل أو القصير، والعرب تقول أتيتك زمان الصرام وتعني به وقت الصرام [٥] وأطلقه العرب على الرجل المعمر فقالوا دهري[٦].

أما المسلمون فإنهم أطلقوا الدهري على الملحدين الذين ينكرون الله وتأثيره ويسندون الحوادث إلى الدهر ولا يعتقدون بالبعث ويؤمنون بتدبير الحياة والموت إلى الدهر [٧]. وقد اعتقد هؤلاء إن الدهر هو الفاعل [٨] ، فإذا " أصابهم خسران أو ضيم أو مكر نسبو ذلك إلى الدهر" [٩]، وأصحاب هذا الصنف من المعتقدات هم الذين أشار إليهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " أو مشير إلى غيره " وهم الدهريون وغيرهم من عبدة الأصنام والكواكب .

فالإشارة في قوله " مشيرا إلى غيره " إما بالإلهية فقد قالوا: هذه الأصنام آلهتنا ، كما قال تعالى حاكيا عنهم ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[١٠]. وأما بالعبادة كما قال: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [١١]. وأما بإضافة هذه الآثار والحوادث في عالمنا هذا إلى الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية ، فكل هذه الأمور مختصة به ، فإذا أضافوها إلى غيره فقد أشاروا بها إلى غيره[١٢] . وبهذا يكون " الدهريون " أوضح مصداق على هذا الصنف من المعتقدات ، إذ نسبوا الحياة والموت إلى الدهر كما مر أعلاه.

١– الشهرستاني : الملل والنحل : ص389 . وينظر: المسعودي: مروج الذهب : 2/ 103 . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 118 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة :1 / 355 .

٢– ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 355 . الالوسي : بلوغ الإرب : 2 / 214

٣– الجوهري : الصحاح : 2 / 661.

٤– الطبري : جامع البيان : 25 / 198

٥– الطبري : تاريخ : 1 /6 . د. شاكر مجيد ، د. جواد النصر الله: الحياة العقائدية والاجتماعية : ص3– 4 .

٦– ابن منظور : لسان العرب : 4 / 293.

٧– الطبري : جامع البيان : 25 / 197 – 199. المسعودي : مروج الذهب : 2 / 103.

٨– الطبري: جامع البيان : 25 / 197 . الالوسي: بلوغ الإرب : 2 / 214 – 217.

٩– القرطبي: الجامع : 16 / 171. النصرالله: الجاهلية: ص 20.

١٠– سورة الزخرف آية 58.

١١– سورة الزمر آية 3.

١٢– الحسيني : الديباج الوضي : 1 / 167.

ثانيا: الصنف الثاني : أقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه ، وأنكروا البعث والإعادة [١] قال أحدهم:

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو[٢]

وهم المحكي عنهم في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٣] . فالقرآن الكريم يصور إنكارا لا جهلا بالبعث وهو تعبير من أوضح الصور عن عقائد العرب قبل الإسلام عما بعد الموت بإنكارهم للآخرة وما يأتي فيها من حساب وجنة ونار، ولذلك صعب على أتباع هذا الصنف قبولهم العقائد الإسلامية في البعث والجزاء حتى أنهم سموا حديثه عن الآخرة أساطير الأولين ، وزعموا أنهم وعدوا الوعود نفسها مع آبا هم بقوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[٤]. ويفهم من سياق هذه الآية إن فكرة البعث لم تكن غائبة عن ذهن العرب قبل الإسلام ، وإنما كانت معروفة إلا أنهم أنكروها بسبب عدم تحقيقها بشكل ملموس مما جعلهم يعلنون إن ما ورد في القران الكريم حولها لا يتعدى أساطير الأولين[٥].

وتجدر الإشارة إلى أن قسما من العرب اعتقدوا بفكرة البعث فكان من وصايا عبد المطلب: " والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته " [٦]

ثالثا: أما الصنف الثالث من العرب المعطلة فهم من اقروا بالخالق ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا إنها تشفع عند الله في الآخرة ، وحجوا لها ونحروا لها الهدي ، وقربوا لها القرابين وحللوا وحرموا وهم جمهور العرب[٧].

١- المسعودي: مروج الذهب : 2/ 102 . الشهرستاني : الملل : ص389 . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 118. ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355.

٢- الآلوسي: بلوغ الإرب : 2 / 193 . محمد عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات : ص 31 . ينسب البيت أعلاه إلى عبد الله بن الزبعرى. ينظر: النقوي : مفتاح السعادة : 456/1 . محسن الأمين: أعيان الشيعة : 1/ 46.

٣- سورة يس آية 78 .

٤- سورة المؤمنون آية 81 – 83.

٥- د.شاكر مجيد كاظم، د. جواد النصر الله : الحياة العقائدية والاجتماعية : ص4 .

٦- الشهرستاني: الملل والنحل : ص393. للمزيد من الادلة ينظر: النصرالله: الجاهلية : ص13- 15.

٧- المسعودي : مروج الذهب : 102/2 . وينظر : الشهرستاني: الملل والنحل : ص 389 -390 . ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : 1 / 118 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355 . الآلوسي : بلوغ الإرب : 2 / 192.

وكان إنكارهم لبعث البشر في الصورة البشرية أشد ، وإصرارهم على ذلك أبلغ[1] وأخبر عنهم التنزيل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾[3]. وفي القرآن آيات كثيرة تذكر إن المشركين كانوا يعبدون الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[4]، وقال تعالى :﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[6]﴾[7] .

أما عبادة الأصنام والأوثان فقد كانت منتشرة في العرب انتشارا واسعا ، فكل من اتخذ إلها من دون الله غير المرئي واللامتناهي فهو وثني أو صنمي[8].

إن الاعتقاد بوجود قوى خفية تحرك الكثير من الظواهر وتفسر من خلالها الكثير من السلوكيات، لهو أمر لازم لكل الشعوب البدائية، فالعقل البشري مشدود إلى الاعتقاد بوجود قوى خفية خارقة تنسب إليها كل ما يعجز العقل البشري آنذاك عن الإحاطة به ، نعني بذلك كل ما هو وراء المحسوس[9] . وقد اعتقد العرب بوجود قوى روحية كامنة مؤثرة في العالم والإنسان وفي بعض الحيوانات والطيور والنبات والجماد وفي بعض مظاهر الطبيعة المحيطة به كالكواكب. فربط بين هذه الكائنات والموجودات والظواهر الطبيعية وبين القوى الخفية وقدسها ، ثم تطورت وثنية العربي إلى عبادة قطع الصخور ومعظمها كانت بيضاء اللون لها علاقة بالغنم والجمل ولبنهما[10].

١- مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : ص 102 .

٢- سورة الإسراء آية 94 .

٣- سورة الفرقان آية 7 .

٤- سورة المؤمنون الآيات 84 - 87 .

٥- سورة العنكبوت آية 61 .

٦- سورة لقمان آية 25.

٧- د. شاكر مجيد ، د. جواد النصر الله : الحياة العقائدية والاجتماعية : ص6.

٨- سميح دغيم : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام : ص 86 .

٩- دغيم : أديان ومعتقدات العرب: ص 154

١٠- انظر جواد علي: المفصل : 6 / 18- 19 ،39 - 40. خان : الاساطير العربية : ص 98 .

إن عبادة العربي وتقديسه للظ واهر الطبيعية لم تكن على أساس أنها تمثل أربابا ، وان الأصنام التي عبدها لم تكن هي الآلهة بل كانت سكنا لهم ولأرواحهم فهي تمثل استقرار القوى الروحية في الأشياء المادية ، وليس من الضروري أن تكون بصورة آلهة ، ولكن عندما ينحط التفكير تحاط ذاتها بالتعظيم وكأنها الآلهة .[١]

وقد اختلفت الروايات التاريخية في منشأ عبادة الأصنام وانتشارها بين العرب [٢]، فروايات تنسب ذلك إلى عمرو[٣] بن لحي[٤]، وأخرى ترجعها إلى زمن نوح عليه السلام [٥]، وثالثة إلى زمن عاد [٦].

وعلى الرغم من تضارب الروايات في تحديد زمان عبادة الأصنام وبداياتها عند العرب ، فإننا نرى إن تحديد هذه المسألة لا يتطلب منا إرجاعها إلى شخص معين ، بل ربما كانت حالة نتجت عن وضع معين. فالإنسان دائما مشدود إلى قوى خفية يعدها أقوى منه وتسير حياته، ولربما كان بناء الكعبة على أيام إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وما روي عن هذه المسألة في قصة الحجر الأسود ، وكيف وجده إبراهيم ما يشير إلى بداية خلع القداسة عن الأحجار. وربما كان ذلك سوء فهم من الأعراب، ولكن هذه العادة سرت بينهم وتقبلوها لسذاجتهم وفطرتهم، فحملوا معهم الأحجار وقدسوها وأسبغوا عليها تمنياتهم وألهوها لما شعروا بالحاجة إلى ذلك".[٧]

ويذهب باحث معاصر الى القول: " والحقيقة إن التحقيقات التاريخية لم تثبت حتى الآن إلى من يعود إدخال هذه المعتقدات والعبادات ، وإن كان هناك تركيز ما على شخصية عمرو بن لحي، بيد أن المسألة برأينا تعود إلى أبعد من ذلك الشخص في الزمان ، وربما تكون قد بدأت بجو عام عرفه العرب القدامى عن طريق احتكاكهم بغيرهم من الشعوب القديمة التي ربما كان لديها من المعتقدات ما ينبئ عن

١- الجميلي : تاريخ العرب : ص 219.

٢- ينظر : جواد علي : المفصل : 6 / 60 – 65.

٣- هو عمرو بن لحي بن غالوثة بن عمرو بن عامر ، قيل انه استولى على البيت الحرام، ولما سار الى البلقاء من الشام وجدهم يعبدون الاصنام فاستحسن فعلهم ، وجلب منهم هبل ونصبه في الكعبة، ونسبوا للنبي ﷺ أنه رآه وقال عنه أنه أول من بدل دين إسماعيل . ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية 1/50 .51 ، الشهرستاني: الملل والنحل ص387 .

٤- ابن هشام: السيرة النبوية : 1/ 50-51 .

٥- ابن هشام : السيرة النبوية : 51/1 . ابن كثير: البداية والنهاية: 1/114-118 .

٦- ابن كثير : البداية والنهاية : 138/1 .

٧- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 88 .

ترميز معنى لها عبر التشخيص والتمثيل ، ومن هنا نشأت التماثيل والأصنام والأوثان ، وربما أيضا تكون هذه العبادات قد تأتت عن بعض مظاهر الطبيعة ، وعظمة هذه المظاهر ما تمثله ... فربما حرص العرب على تعظيم هذه الأمور نظرا لغرابتها في أذهانهم ، فأقاموا لها التشخيصات المناسبة وقدسوها وعبدوها وطافوا حولها " [1] وليست عبادة الأصنام والأوثان عبادة خاصة بالعرب ، بل هي عبادة كانت معروفة عند غيرهم من الشعوب السامية ، وعند غير الساميين ، كما أنها لا تزال موجودة وقائمة حتى الآن[2] .

والصنم: هو ما كان له جسم أو صورة [3]، وهذا يعني إنه تشخيص اعتقاد ما وإعطاء هيئة ما ، غالبا ما كانت هيئة أشخاص أو هيئة حيوان ما .[4] أما ابن الكلبي [5] فقد عرفه : " ما كان معمولا من خشب أو ذهب أو فضة ، على صورة إنسان ، فهو صنم " وقد وردت الإشارة إليه في القرآن [6] على صيغة الجمع " أصنام " التي تتحدث عن قوم موسى عليه السلام وعن إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه[7] .

ووردت لفظة الاصنام في مظان كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ثلاثة مواضع من خطبته الشريفة في معرض حديثة عن عرب ما قبل الإسلام " **اَلْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ** " [8]، وقوله: " **وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ جَهْلٍ مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ** " [9]، و" **كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَ نَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ** " [10] .

أما ((الأوثان)) فقد وردت الإشارة إليها مرة واحدة بقوله عليه السلام : " **فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأوثان إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ** " [11].

١- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 96 .
٢- جواد علي : المفصل : 6 / 65
٣- ابن الأثير: النهاية : 3/ 56 .
٤- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 88
٥- الأصنام: ص53 .
٦- انظر الأعراف 134، الأنعام 74، الشعراء 71، إبراهيم 38، الأنبياء 58.
٧- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 89.
٨- نهج البلاغة : ص56 .
٩- نهج البلاغة : ص 402.
١٠- نهج البلاغة : ص152 .
١١- نهج البلاغة : ص267 .

والوثن : هو أيضا اصطلاح للدلالة على التماثيل التي كان العرب يعبدونها في الجاهلية [١] . ومهما يكن من أمر فان الخلط بين الوثن والصنم كان أمرا معروفا من خلال كتب الإخباريين ، ولم يكن الفصل واضحا بينهما ومن الروايات يمكننا التمييز بينهما ، فالأصنام: هي تلك الأشكال التي صنعت أما على صورة إنسان أو حيوان ومن خشب أو فضة أو أي معدن آخر ووضعت في حضرة الآلهة . أما الأوثان : فهي الأشكال المصنوعة بالأحجار وقد لا تكون شكلا محددا أيضا ، وهي تعد مقدسة ، وقد عبدها الأعراب قياسا على ما عرفوه من قدسية أحجار الكعبة ، وغالبا ما تكون الأوثان أحجارا صغيرة ، أو كما يقولون الوثن هو الصنم الصغير[٢].

إن العرب في عبادتهم للأصنام ذوي آراء متباينة ، فمنهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى ويطلق عليهم لفظة الشريك ، ومن ذلك قولهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك ، ويجعلها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى[٣]﴾ [٤] .

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يشير الى عقيدة العرب بالأصنام ، إذ مر بنا قوله " أو مشير إلى غيره " والإشارة هنا أما بالإلهية فقد قالوا: هذه الأصنام آلهتنا ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [٥]، وأما بالعبادة ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾. وفي إشارة أخرى يقول عليه السلام: " أو ملحد في اسمه " ومعنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد . وأصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء[٦]. وألحد في دين الله: إذا عدل عنه ، وملحد من مادة " لحد " على وزن وزن مهد، بمعنى الحفرة الواقعة على جانب ، ومن هنا أطلق على مثل هذه الحفرة اسم اللحد، كما اطلق الإلحاد على كل عمل يخرج عن حالة الاعتدال ويجنح نحو الإفراط والتفريط ومن هنا نعتت الوثنية بالشرك والإلحاد . وقيل الإلحاد: ضربان: الشرك بالله ، والشرك بالأسباب ، فالأول ينافي الإيمان ويبطله

١- دغيم : أديان ومعتقدات العرب : ص 90.
٢- دغيم: أديان ومعتقدات العرب :ص 91.
٣- سورة الزمر آية 3 .
٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1 / 119 .
٥- سورة الزخرف آية 58 .
٦- ابن الأثير: النهاية: 4 / 236. ابن منظور : لسان العرب : 3 / 389.

، والثاني يوهن عراه ويعطله[1] وأما قوله عليه السلام : " **أَوْ مُلْحِد في اسْمِهِ** "[2]، فهو عينه ما أشارت اليه الآية الكريمة ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3]، أي يميلون عن صفاته إلى غير ما وصف به نفسه ، فيدعون له الشريك والصاحبة والولد .[4] ومنهم من فسر الملحدين في أسماء الله بالكاذبين في أسمائه ، وعلى هذا كل من سمى الله بما لم يسم به نفسه ، ولم ينطق به كتاب ، ولا ورد فيه إذن شرعي فهو ملحد في أسمائه[5].

والمقصود من الإلحاد في أسماء الله هو أن نحرف ألفاظها أو مفاهيمها فنصفه بصفات لا تليق بساحته المقدسة ، كما يصفه النصارى بالتثليث " الله والابن وروح القدس " ، أو أن نطبق صفاته على المخلوقين ، كما فعل ذلك المشركون وعبدة الأوثان ، إذ اشتقوا لأصنامهم أسماء من أسماء الله ، فسموها اللات والعزى ومناة وغيرها ، فهذه الأسماء مشتقة من الله والعزيز والمنان على التوالي ، أو أنهم حرفوا صفاته حتى شبهوه بالمخلوقات أو عطلوا صفاته وما إلى ذلك[6].

القسم الثاني: العرب غير المعطلة : وهم الذين يطلق عليهم لفظ المتألهون[7]. قالت العرب فلان يتأله : إي يتعبد ، وهو عابد متأله[8]، ويقصد بهم أصحاب الورع والتحرج عن القبائح وقد كانوا قلة ، ومنهم عبد المطلب وولديه عبد الله وأبي طالب[9].

والمتألهون يقرون بالخالق والبعث، وان الله يثيب المطيع، ويعاقب العاصي، وأشار الشهرستاني[10] إلى هؤلاء الموحدين، فقد قال: ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع.

١- الطريحي: مجمع البحرين: 4/ 112.
٢- نهج البلاغة : ص21 .
٣- سورة الأعراف آية 180.
٤- الطريحي: مجمع البحرين : 4 / 111.
٥- الطبري : جامع البيان : 9 / 179 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة :357/1 .
٦- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : 5 / 305.
٧- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 1 / 120. ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 152 .
٨- الزمخشري : أساس البلاغة : 18 .
٩- النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 109 .
١٠- الملل والنحل : ص394 . وينظر: المسعودي : مروج الذهب : 1 / 78 - 91.

وقد صُنف علماء العرب إلى عدة طوائف تحت مسمى (العرب المحصلة) منهم : العارفون بالأنساب ، ومفسرو الأحلام ، ومتخصصون في علم الأنواء (نوع من التنجيم المشوب بالخرافات) ، والكهنة الذين يوحون إلى الناس بأنهم يخبرون عن مغيبات المستقبل. أما من غير العرب كان البراهمة الذين عاشوا في الهند ينكرون الأديان كافة ولا يؤمنون سوى بالأحكام العقلية وطائفة أخرى من عبدة الكواكب كما في عبدة الشمس والقمر التي تمثل نوعا من الوثنية[١].

وإلى جانب هذه الطوائف هناك اليهود والنصارى والصابئة والمجوس ، وقد شهدت كل طائفة منهم انحرافا عقائديا ، فالمجوس قالت بإله الخير والشر. وقد انطوت المجوسية – التي قد تكون في بدايتها منسوبة الى بعض الأنبياء – على خرافات جمة حتى ذهب بعض المحققين إلى أنهم يعتقدون بإله الخير ، وإله الشر اللذين تقاتلا حتى تدخلت الملائكة ، فأصلحت ذات بينهما بشرط تفويض العالم السفلي لإله الشر مدة سبعة آلاف سنة ، ويفوض العالم العلوي لإله الخير[٢].

فيما ابتليت النصرانية بالتثليث ، وقد حرفت اليهود كتاب التوراة وشحنته بالانحرافات والخرافات .

وقد كان الغالب على هذه الطوائف دين التشبيه ومذهب التجسيم وهم الذين عنى بهم الإمام عليه السلام بقوله: " **بَيْنَ مُشَبِّه للهِ بِخَلْقِهِ** " [٣] ، إن شبه وشبه لغتان بمعنى ، يقال هذا شبهه ، أي شبيهه . وبينهما شبه بالتحريك ، والجمع مشابه على غير قياس [٤] . وذكر ابن منظور: شبه : الشبه والشبه والشبيه : المثل ، والجمع أشباه . وأشبه الشيء بالشيء : ماثله[٥]. والمشبه من قال بان الله تعالى بصفة الجسم في الحصول الحصول في الحيز والأعضاء والجوارح ، أو بصفة العرض في الحلول [٦]. وهذه مقالة اليهود والنصارى والصابئة والمجوس ، وقد كانت أديانهم اضمحلت من أيديهم ، وإنما بقوا متشبهين بأهل الملل ، وغلب عليهم القول بالتجسيم ، كما حكى القرآن الكريم عنهم ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾[٧] و﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ

١- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 356 . ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 152 .
٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 355 .
٣- نهج البلاغة : ص21 .
٤- الجوهري : الصحاح : 6 / 2236.
٥- لسان العرب : 13 / 503.
٦- الحسيني : الديباج الوضي : ص 167.
٧- سورة المائدة آية 18 .

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا[2] ﴾ [3].

وكان في العرب مشبهة ومجسمة سموا بذلك ؛ لأنهم شبهوا الله بخلقه إذ جعلوا له يدا ورجلا وعينا ، ومنهم أمية بن أبي الصلت إذ روي عنه إنه أنشد قائلا :

من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه المنصوب[4]

وبهذا يكون الإمام عليه السلام أوجز جميع هذه الطوائف في ثلاث:

الأولى: المشبهة: التي جعلت لله شريكا كالمجوس والنصارى أو أولئك الذين يجعلون لله صفات المخلوقين كاليهود.

الثانية: أولئك الذين عدلوا باسمه إلى غيره كأغلب الوثنيين الذين سموا أوثانهم بأسماء الله فجعلوهم شفعاءهم عند الله .

الثالثة: أولئك الذين عبدوا غير الله كالدهرية وعبدة الأصنام والكواكب و الشمس والقمر التي ترى الأصالة للكواكب والأصنام أي تراها هي الله[5].

وقد ترجمت كلمات الإمام عليه السلام كما أسلفنا حالة الصراع التي كانت بين هذه الملل والطوائف المختلفة " وتنازع من الألسن " بحيث جعلت الاضطراب العقائدي سمة بارزة من سمات ذلك العصر ، وغلب الجهل والحيرة والفتن على المجتمع فـ " **لاعَلَمٌ قائِمٌ ، وَ لامَنارٌ ساطِعٌ ، وَلا مَنْهَجٌ واضِحٌ** " [6] إذ الناس " **يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ** " [7] [7] وبهذايظهر سبب ما نعت به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معتقد ذلك العصر بـ " **شَرِّ دِينٍ** " [8] .

١- سورة التوبة آية 30 .

٢- سورة المائدة آية 64 .

٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 354- 355 . ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية: 1 / 153

٤- ديوانه ص164، ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة: 1 / 119 .

٥- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 153.

٦- نهج البلاغة : ص 420 .

٧- نهج البلاغة : ص 380 - 381.

٨- نهج البلاغة ص 56 .

الفصل الثالث

النبوة في نهج البلاغة

الوظائف _ العلامات _ السمات

تمهيد : مفهوم النبوة وضرورتها

المبحث الاول : وظائف النبوة

المبحث الثاني : علامات النبوة

المبحث الثالث : سمات النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

وسجاياه الخلقية

الفصل الثالث

النبوة في نهج البلاغة

الوظائف – العلامات – السمات

تمهيد

مفهوم النبوة وضرورتها:

النبي لغة: مأخوذ من نبا ينبو فهو اسم من النبوة ، وه ي الارض المرتفعة ، او من نبئ ، فهو اسم من النبأ وهو الخبر، ولعله ماخوذ من الاثنين من النبأ والانباء ، ويقرئ بلا همزة تخفيفا [١].

اما **اصطلاحا:** النبي هو الانسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة احد من البشر[٢]. إنه شخص من البشر ومن الناس انفسهم ، يجتبيه الله تعالى على سائر بني نوعه ، ويختصه بهدايته وعنايته ، فيوحي اليه ، او يحدثه من وراء حجاب ، او يرسل اليه ملكا يكلمه . وهذه هي طرق الوحي التي يحصل بها الاتصال بالله تعالى ، ويتلقى عبرها المعارف الحقة التي فيها السعادة ، وفي خلافها الشقاء والضلال [٣]. وقد اشار اليها القرآن في قوله تعالى :﴿ ومَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٤].

١- ينظر: الزمخشري: الفايق : 274/3. ابن سيدة : المخصص: 321/3/3. الطبرسي: مجمع البيان: 234/1. أبو المعالي القونوي: الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص : ص263. ابن منظور: لسان العرب : 303/15.

٢- الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص 244 . العلامة الحلي: الباب الحادي عشر: ص 85 . المقداد السيوري : النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ص333 .

٣- العاملي: بداية المعرفة : ص195. مرتضى العسكري: المصطلحات الاسلامية : ص63.

٤- سورة الشورى الآية 51.

النبوة ضرورة إلهية:

يجد المتأمل في نهج البلاغة تركيزاً واضحاً من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مسألة " النبوة " ، ويمكن ان يلاحظ على ما جاء في كلامه عليه السلام :

اولا : أنه عليه السلام تناول مفهوم النبوة على مستويين ، المستوى العام والخاص ، فتارة يتحدث عن النبوة كحركة أو تيار واحد من جهة أن الانبياء كلهم مصطفون من الله سبحانه ومبعوثون من قبله ، وأن أساس دعوتهم التوحيد، وأن أهداف بعثتهم واحدة . وكلهم جاء بشريعة سماوية أو دعا إليها لإنقاذ الناس، وتحقيق سعادتهم، وإن كان محتوى دعواتهم ينبغي ان يتغير بتقدم الزمن، إلا أن الاصول والنتائج تبقى على حالها. وهذا ما أشار إليه الامام عليه السلام بشكل عام عن النبوة في مظان كلامه المتناثر في خطبه وكلماته الشريفة .

وتارة نجده يخص بالذكر بعض الانبياء، وان كان بإيجاز كحديثه عن النبي آدم عليه السلام وصفة خلقه [1]، وعلة خلقه من تراب [2]، واصطفاء الانبياء من ذريته [3]، وقصته مع ابليس [4] ، وكذلك حديثه عن نبي الله

١- وذلك في قوله عليه السلام : " ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَه مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وسَهْلِهَا ، وعَذْبِهَا وسَبَخِهَا ، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ ، ولَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ ووُصُولٍ وأَعْضَاءٍ ، وفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وأَمَدٍ مَعْلُومٍ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِه ، فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا ، وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا ، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ والأَلْوَانِ والأَجْنَاسِ ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ ، والأَشْبَاه الْمُؤْتَلِفَةِ والأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ ، والأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ ، والْبَلَّةِ والْجُمُودِ...". نهج البلاغة : ص 17- 19.

٢- كما في قوله عليه السلام : " ولَوْ أَرَادَ اللَّه أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ ، يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُه ويَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُه ، وطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُه لَفَعَلَ ، ولَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَه الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، ولَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيه عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، ولَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه يَبْتَلِي خَلْقَه بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَه ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ونَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ " نهج البلاغة : ص 385 – 386 .

٣- واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ... " . نهج البلاغة : ص 19 .

٤- منها قوله عليه السلام : " واسْتَأْدَى اللَّه سُبْحَانَه الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَه لَدَيْهِمْ ، وعَهْدَ وَصِيَّتِه إِلَيْهِمْ فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَه ، والْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِه ، فَقَالَ سُبْحَانَه ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ ، اعْتَرَتْه الْحَمِيَّةُ ، وغَلَبَتْ عَلَيْه الشِّقْوَةُ ، وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ واسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ ، فَأَعْطَاه اللَّه النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ ، واسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ وإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ ، فَقَالَ * (فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) * ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَه آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا ، عَيْشَه وآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَه وحَذَّرَه إِبْلِيسَ وعَدَاوَتَه ، فَاغْتَرَّه عَدُوُّه نَفَاسَةً عَلَيْه بِدَارِ الْمُقَامِ ، ومُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّه والْعَزِيمَةَ بِوَهْنِه ، واسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًا وبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً ، ثُمَّ بَسَطَ اللَّه سُبْحَانَه لَه فِي تَوْبَتِه ، ولَقَّاه كَلِمَةَ رَحْمَتِه ووَعَدَه الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِه ، وأَهْبَطَه إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ

داود عليه السلام وزهده وطبيعة عمله وعبادته ، وأنه قارئ أهل الجنة [1]. وورد ذكر النبي سليمان عليه السلام إذ تحدث الامام عن نبوته ، وعظيم زلفته ، وطول عمره ، وسعة سلطانه ، وتسخير الجن والانس له [2].

اما نبي الله موسى عليه السلام فقد تطرق لبعض احواله بتعدد الاشارات الى ذكره . في اكثر من موضع من كلامه عليه السلام ، فقد تحدث عن زهده وتواضعه وصفاته الجسمانية ولباسه ، وبضعة تفصيلات حول لقاءه هو وأخوه هارون عليهما السلام مع فرعون ، فضلاً عن تأويل بعض الآيات الخاصة بموقف النبي موسى

وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ " نهج البلاغة : ص 18- 19 . وايضا قوله عليه السلام : " ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَه الْمُقَرَّبِينَ ،لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَه وهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، ومَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ * (إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ، فَإِذا سَوَّيْتُه ونَفَخْتُ فِيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَه ساجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ) * ، اعْتَرَضَتْه الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِه ، وتَعَصَّبَ عَلَيْه لأَصْلِه " . نهج البلاغة : ص 385 . وفي اشارة اخرى : " أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لأَصْلِه ، وطَعَنَ عَلَيْه فِي خِلْقَتِه ، فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ وأَنْتَ طِينِيٌّ " نهج البلاغة : ص 398 .

١- وذلك في قوله عليه السلام : " وإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ – صلى الله عليه وسلم – ، صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ ، وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِه ، ويَقُولُ لِجُلَسَائِه أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ، ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا " نهج البلاغة : ص 297 – 298 . " إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَامَ فِي مِثْلِ هَذِه السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَه ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً ، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ وهِيَ الطُّنْبُورُ أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ وهِيَ الطَّبْلُ ، وقَدْ قِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطَّبْلُ ، والْكَوْبَةَ الطُّنْبُورُ" نهج البلاغة : ص 673 .

٢- وذلك في قوله عليه السلام : " فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام الَّذِي سُخِّرَ لَه مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ ، مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَه واسْتَكْمَلَ مُدَّتَه ، رَمَتْه قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْه خَالِيَةً ، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ووَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ " نهج البلاغة : ص 352 .

عليه السلام[1]. وكذلك نجد ذكر النبي عيسى عليه السلام وبضعة اشارات عن كيفية معيشته وبعض احواله الاجتماعية ومظاهر زهده عليه السلام [2].

كما انه وبما يتصل بموضوع نبوة الانبياء تحدث عن بعض اقوامهم في اشارة موجزة لكنها مركزة؛ كحديثه عن ثمود قوم صالح، وبني اسماعيل، وبني اسحاق، وبني اسرائيل، والفراعنة، والعمالقة، وأصحاب الرس، والمؤمنين الذين اتخذهم الفراعنة عبيداً واليهود. وهذا الذكر منه لهذه الاقوام كان على سبيل الوعظ والتذكير والاعتبار بما أصابهم بغية تجنب العوامل التي ادت الى انحطاطهم ووقوع البلاء فيهم[3].

١- قال في موضع : " وإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّه – صلى الله عليه وسلم ، حَيْثُ يَقُولُ ، * (رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) * ، واللَّه مَا سَأَلَه إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُه ، لأَنَّه كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ ، ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِه ، لِهُزَالِه وتَشَذُّبِ لَحْمِه " نهج البلاغة : ص 297 . وفي موضع ثان قال عليه السلام :" ولَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ومَعَه أَخُوه هَارُونُ عليه السلام ، عَلَى فِرْعَوْنَ وعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ ، وبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَه إِنْ أَسْلَمَ ، بَقَاءَ مُلْكِه ودَوَامَ عِزِّه ، فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ ، وبَقَاءَ الْمُلْكِ ، وهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ والذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وجَمْعِه ، واحْتِقَاراً لِلصُّوفِ ولُبْسِه " نهج البلاغة : ص 393 . وفي قول ثالث : " الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً وأَرَاه مِنْ آيَاتِه عَظِيماً ، بِلَا جَوَارِحَ ولَا أَدَوَاتٍ ولَا نُطْقٍ ولَا لَهَوَاتٍ " نهج البلاغة : ص 351. وجاء في كلام له : " لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِه ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ ودُوَلِ الضَّلَالِ " نهج البلاغة : ص 33 .

٢- يقول عليه السلام : " وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ ويَأْكُلُ الْجَشِبَ ، وكَانَ إِدَامُه الْجُوعَ وسِرَاجُه بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وظِلَالُه فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا ، وفَاكِهَتُه ورَيْحَانُه مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ، ولَمْ تَكُنْ لَه زَوْجَةٌ تَفْتِنُه ولَا وَلَدٌ يَحْزُنُه ، ولَا مَالٌ يَلْفِتُه ولَا طَمَعٌ يُذِلُّه ، دَابَّتُه رِجْلَاه ويَدَاه" نهج البلاغة : ص 298. وفي موضع ثاني : قال في مدح الزاهدين السائرين على نهج المسيح عليه السلام : " طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً ، وتُرَابَهَا فِرَاشاً ومَاءَهَا طِيباً ، والْقُرْآنَ شِعَاراً والدُّعَاءَ دِثَاراً ، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ " . نهج البلاغة : ص 672- 673 .

٣- جاء الحديث عن هؤلاء الاقوام ودعوة الامام عليه السلام للاعتبار بحالهم في عدة مواضع منها : -

- " وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً ، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ ، أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ ، أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ ، وأَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ ، أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وهَزَمُوا بِالأُلُوفِ ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ ومَدَّنُوا الْمَدَائِنَ " نهج البلاغة : ص 352 .

- " فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، مِنْ بَأْسِ اللَّه وصَوْلَاتِه ووَقَائِعِه ومَثُلَاتِه ، واتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ ومَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ " . نهج البلاغة : ص 391 – 392 .وقد جاءت متفقة في سننها تاريخيا مع ماذكره القرآن ينظر مثلا :موسى نصار:الطغاة وسنن التاريخ في ضوء القرآن :ص231 –255 .

اما حديثه عن النبي الخاتم ﷺ فقد جاء بشكل أكثر تركيز وخصوصية كما يتبين من مفاصل هذه الاطروحة التي اختصت بتناول المادة الواردة في نهج البلاغة عن النبي محمد ﷺ وكيف عكست لنا رؤية الامام لشخص النبي الاعظم ﷺ.

ان طبيعة المادة المختصة بالنبوة وتوافرها بمستوى عام وخاص في نصوص النهج، فرض علينا – في حال غياب النص الصريح المختص بالنبي ﷺ – تطبيق بعض الاشارات العامة عن الانبياء على خصوص النبي ﷺ، وذلك لانسجام دعوتهم جميعاً ووحدة وظائفهم وسماتهم عدا بعض المزايا التي اختص بها ﷺ كونه خاتماً للانبياء ومهيمنا عليهم وغيرها مما سنذكره في محله.

ثانيا: نلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نعت النبي ﷺ بأوصاف عدة في معرض حديثه عن النبي ﷺ ، فتارة يقول عنه " نبي " [1]، وتارة " رسول " [2] ، فضلاً عن النعوت الاخرى من قبيل " البشير"[3] ، و" النذير " [4] ، و" الشاهد "[5] ، و" الامي "[6] ، و" عبد الله "[7] ، و" الامين "[8] ، و" الصفي "[9] ، "[9] ،

١- نهج البلاغة : ص 150 ، 187 ، 244 ، 407 ، 502 ، 596 .

٢- نهج البلاغة : ص 92 ، 102 ، 107 ، 108 ، 185 ، 198 ، 211 ، 238 ، 275 ، 283 ، 297 ، 299 ، 300 ، 304 ، 328 ، 333 ، 342 ، 361 ، 376 ، 380 ، 402 ، 405 ، 406 ، 407 ، 408 ،417 ، 422 ، 433 ، 439 ، 441 ، 442 ، 443 ، 447 ، 486 ، 527 ، 527 ، 576 ، 610 .

٣- نهج البلاغة : ص 193 ، 329 .

٤- نهج البلاغة : ص 56 ، 194 ، 329 ، 626 .

٥- نهج البلاغة : ص 108 ، 193 ، 198 ، 225 ، 626 .

٦- نهج البلاغة : ص 187 .

٧- ان صفة العبد هي أرقى وسام وأعلى مرتبة ينالها الانسان في معراج تكامله المعنوي وقد منح القرآن هذا اللقب للرسول ﷺ في عدة مواضع من القرآن الكريم ، ينظر مثلا سورة الجن آية 18 – 19 وأيضا الكهف آية 1، أما في نهج البلاغة: ص 106 ، 185 ، 275 ، 342 ، 361 ، 376 ، 380 ، 417 ، 447 .

٨- نهج البلاغة : ص 56 ، 108 ، 185 ، 198 ، 329 ، 361 .

٩- نهج البلاغة : ص 361 .

و" الرضي "[١] ، و" الامام "[٢] ، و" الرشيد " [٣] ، و" النجيب " [٤] ، و" المصطفى" [٥] ، و" الخاتم " [٦] ، و" ، و" المجتبى "[٧]، و" الاطيب "[٨] ، و" الاطهر "[٩] ، و" الامين "[١٠] ، و" المأمون "[١١] الى غيرها من تلك تلك الصفات التي تارة تأتي منفردة ، وأخرى مترادفة مع عبارة ما ، لتؤدي معناها بشكل أوفى[١٢] .

في اشارة واضحة وردت في كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام يقول فيها : " **ولَمْ يُخْلِ اللَّه سُبْحَانَه خَلْقَه مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ** " [١٣] ، فوجود النبي المرسل [١٤] يُعد كما هو واضح من الطاف الله بعباده ، ولئلا يكون للناس على الله حجة ، و لابد ان يكون هذا اللطف شاملا لجميع الخلائق ولا يختص بزمان دون اخر .

فالنبي المرسل في المرتبة الاولى ، اذ بعث الله رسله وجعلهم حجة له على خلقه " **لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ** " [١٥] ، وقال عليه السلام في حق النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : " **أَرْسَلَه لإِنْفَاذِ أَمْرِه وإِنْهَاءِ عُذْرِه وتَقْدِيمِ نُذُرِه** " [١٦].

١- نهج البلاغة : ص 361 .
٢- نهج البلاغة : ص 176 ، 226 .
٣- نهج البلاغة : ص 185 .
٤- نهج البلاغة : ص 275 .
٥- نهج البلاغة : ص 342 ، 361 .
٦- نهج البلاغة : ص 107 ، 251 ، 329 .
٧- نهج البلاغة : ص 342 .
٨- نهج البلاغة : ص 298 .
٩- نهج البلاغة : ص 194 ، 298 .
١٠- نهج البلاغة : ص 56 ، 108 ، 185 ، 198 ، 329 ، 361 .
١١- نهج البلاغة : ص 108 ، 198 .
١٢- انظر مثلا نهج البلاغة : ص 107 ، 194 ، 225 ، 329 ، 197 ، 198 .
١٣- نهج البلاغة : ص 20 .
١٤- والتقيد بكونه مرسلا اشارة الى انه لا بد من كونه صاحب شريعة وكتاب وذلك لا يكون الا في المرسلين ، دون الانبياء فقط ، او الانبياء في الحقيقة كانوا مروجّين لشرايع المرسلين . ينظر : الخراساني : مفتاح السعادة : 1 / 371 – 372 .
١٥- نهج البلاغة : ص 262 .
١٦- نهج البلاغة : ص 117 .

وقد اتفق المسلمون واكثر الملل [1] على ضرورة بعثة الانبياء الى الناس ، بمعنى ان حكمة الله تقتضي ارسال الرسل لهداية البشر وارشادهم الى مسالك السعادة ، وتجنيبهم مهاوي الضلال والشقاء[2].

لكن ما الادلة على ذلك؟

الدليل الأول: حكمته تعالى وتنزهه عن العبث واللغو في فعله.

لو لم يرسل الانبياء الى الناس حاملين نظم الحياة الاجتماعية الصحيحة ، ومبينين لهم سبل العبادات المقربة اليه تعالى ، لاضمحل المجتمع الانساني ، ولضل البشر في متاهات الشرك والفساد ، وهذا مبطل لغرضه تعالى من الخلقة ، ومستلزم للغو والعبث في فعله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبير

الدليل الثاني: النبوة طريق الى سعادة الآخرة .

إن الهدف من خلق الإنسان تحليه بالكمالات المعنوية ، وتهذيب النفس وتطهيرها من الشوائب ، لبلوغ أعلى درجات القرب من الله تعالى ، ونيل السعادة الأبدية ، قال تعالى: ﴿ وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] ، وهذا لا ينال إلا بالوقوف على المعارف الحقة ، وطرق الأعمال العبادية الصالحة ، ومدارج نبذ التعلق بالأغراض الدنيوية الزائلة ، فلابد حينئذ تحقيقا لحكمة الله تعالى في خلق البشر من إرسال شخص ، لم يحصل له ذلك التعلق المانع ، فيعلمهم المعارف الحقة ، ويزيل عنهم ما علق من شبهات في عقولهم ، ويعضد ما اهتدت إليه عقولهم بهدي الله وفطرته التي فطر الناس عليها ، ويبين لهم مالم يهتدوا إليه ، ويذكرهم بالنعيم الموعود ، ويحذرهم من العقاب وسوء المآل [4]. وهذا ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مما نصطلح على تسميته (وظائف الأنبياء).

١- ما عدا البراهمة والاشاعرة ، أما البراهمة : فانكروا النبوات ضرورة وحسنا ، واما الاشاعرة فأنكروا ضرورتها ، ولكن لم ينكروا حسن البعثة . الطوسي : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد : ص245- 249. المقداد السيوري: النافع يوم الحشر: ص333 . العاملي: بداية المعرفة : ص197، 203 - 206 .

٢- العاملي: بداية المعرفة : ص 197. وعن فلسفة النبوة ينظر: السيد محمد باقر الصدر: المرسل، الرسول، الرسالة : ص59 - 61 .

٣- سورة الذاريات الآية 56 .

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر: المقداد السيوري : النافع يوم الحشر: ص 333 - 335 . الشيرازي: المقدمة العقائدية: ص14- 15. حسن مكي العاملي: بداية المعرفة : ص 197 -201 . طارق محمد علي: عقائدنا (الحلقة الاولى والثانية) : ص66 - 71.

المبحث الاول

وظائف النبوة

يمكن أن نستشف من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مجموع الوظائف التي انيطت بالأنبياء والرسل عليهم السلام:

أولا: إداء ميثاق الفطره الإلهية [1]:

هنا الأنبياء طالبوا بأداء ميثاق الفطرة ، وهو ميثاق التوحيد ، إذ يقول الله سبحانه : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2]. فالدين والتوحيد له وجود نقي خالص من كل شائبة داخل نفس الإنسان ، وأما الانحرافات فأمر عارض ، ووظيفة الأنبياء إزالة هذه الأمور العارضة ، وفسح المجال لفطرة الإنسان في الإشراق [3] . ويشهد بذلك أنه لما سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذه الآية ، قال: " فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته انه ربهم " [4]. وفي رواية أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام ، فقال: " هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال: ألست بربكم؟ وفيهم المؤمن والكافر" [5] .

وما عبر عنه الإمام هنا وفي مواضع أخرى من خطب وتوج يهات هو تعبير عن حقيقة كبرى من الحقائق القرآنية ، ورد التنبيه عليها أو الإشارة إليها في عدة آيات ، منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّاعَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[6] .

١- اشارة لقوله عليه السلام : " **لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه** " . نهج البلاغة : ص 20 .

٢- سورة الروم الآية 30.

٣- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : 12 / 380 .

٤- ينظر: الصدوق: التوحيد : ص 330. ابن سليمان الحلي: مختصر بصائر الدرجات : ص 160. الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى : 959/2، 132/4. البحراني : البرهان في تفسير القرآن : 344/4 . المجلسي: البحار: 64/ 44 . نعمة الله الجزائري : نور البراهين : 214/2.

٥- الكليني: الكافي : 12/2. الفيض الكاشاني: الوافي :58/4 . الحر العاملي: الفصول المهمة : 423/1 . المجلسي: مرآة العقول : 56/7. الحويزي: نور الثقلين :95/2 . المشهدي: كنز الدقائق : ص233 .

٦- سورة الأعراف الآية 172- 173 .

ويذهب باحث معاصر الى إن نفس الإنسان خلقت صحيفة بيضاء لا شيء فيها ، ولا توحي بشيء على الإطلاق ، ولكنها تقبل كل ما يكتب فيها ويرسم ، سواء أكان وحيا من الرحمن أم كان تضليلا من الشيطان ، وبالبداهة إن الوحي من خالق الفطرة ، وهو وحده الذي يجب أن يرسم فيها ما يرسم ، وأن تؤمن به وتعمل [١].

ويضيف قائلا : ويدلنا على صحة هذا التفسير إن الإنسان يولد ، ولا يولد معه شيء إلا حواسه الخمس ، ومعدة تطلب الطعام والشراب – لما هو مشاهد – بالحس والوجدان ، ثم يكتسب معارفه مما يحيط به شيئا فشيئا عن طريق هذه الحواس ، وفي أقوال أهل البيت ما يعزز ذلك ويدل عليه ، إذ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : كان الناس قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله ، لا مهتدين ولا ضالين ، فبعث الله النبيين [٢]. وبهذا فالمراد من قول الإمام عليه السلام : " **لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه** " أي إن الأنبياء طلبوا من الناس أن يؤمنوا ، ويعملوا بما أوحاه الله سبحانه إلى الفطرة على لسان أنبيائه ، وليس معناه – كما يظن – إن الأنبياء طلبوا من الناس أن يؤمنوا بما توحيه الفطرة نفسها . كلا ، لأنها صحيفة بيضاء لا توحي بشيء على الإطلاق [٣].

أشار عليه السلام إلى السبب الرئيس الذي استوجب بعثة الأنبياء ، فقال عليه السلام : " **لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ ، فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه ، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه ، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه** " [٤] .

إذن هناك عهد لله قد تبدل ، وحق لله قد جهل من المخلوقين ، مما أدى بهم في أودية الشرك والضلال ، وتلقفتهم الشياطين ، فصدتهم عن معرفة الله وطاعته ، أما عن ماهية هذا العهد ، فيظهر إن المراد به ميثاق عالم الذر والمشار إليه في الآية القرآنية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾[٥]. ويظهر إن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد والكفاءات ، وعهد الفطرة والتكوين والخلق ، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات ، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية ، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس

١– مغنية: في ظلال نهج البلاغة : 1 / 58 – 59 .

٢– المشهدي: كنز الدقائق 2/ 317. مغنية: الكاشف : 317/1. لمزيد من التفاصيل عن المراد بالآية ينظر المحمداوي : الاسلام قبل البعثة المحمدية : ص 21 – 80 .

٣– مغنية: في ظلال نهج البلاغة : 1 / 59 .

٤– نهج البلاغة : ص19– 20.

٥– سورة الأعراف الآية 172 .

داخلي ، كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية بنفسها. و بناءً على هذا ، فان جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد ، وما أخذه الله من عهد منهم أو سؤاله إياهم : ألست بربكم ؟ بلسان التكوين والخلق ، وما أجابوه كان باللسان ذاته [1] !

إن هذا العهد هو "عهد فطري" ، وهو ما يعبر عنه علماء النفس بـ " الشعور الديني" الذي هو من الإحساسات الأصيلة في العقل الباطني للإنسان . وهذا الإحساس يقود الإنسان على امتداد التاريخ البشري إلى طريق معرفة الله ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[2].[3] ولما كان الغالب على الخلق حب الدنيا ، والإعراض عن مقتضى الفطرة الأصيلة التي فطرهم الله عليها ، والالتفاف عن القبلة الحقيقية التي أمروا بالتوجه إليها ، وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية المتنازعة إلى كمالاتها ، لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص أن يبدل أكثرهم عهد الله سبحانه إليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾[4]. وان يجهلوا حقه للغفلة بحاضر لذاتهم عما يستحقه من دوام الشكر ، وأن يتخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم ، وان تجتذبهم الشياطين عن معرفته التي هي ألذ ثمار الجنة ، وان تقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة إلى اقتطاف تلك الثمرة . ولما كان من شأنهم ذلك وجب في الحكمة الإلهية أن يختص صنفا منهم ب الكمالات الشريفة التي يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة ، وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم ، وهم صنف الأنبياء عليهم السلام ، والغاية منهم ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام : ليستأدوهم ميثاق الله فطرته ، أي ليبعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله وفطروا عليه من الإقرار بالعبودية لله ، ويجذبوهم عما التفتوا إليه من إتباع الشهوات الباطنة واقتناء اللذات الوهمية الزائلة [5].

يبدو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام إن العهد التاريخي للإنسانية بدأ بظاهرة وجود النبوات في المجتمع البشري , هذه النبوات التي تقود مجتمعاتها نحو حياة أفضل ، ووجود إنسان أكمل [6]. إذ يشير عليه السلام في معرض حديثه عن قصة آدم " ... **وأَهْبَطَه إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ و تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ ، واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللَّه إِلَيْهِمْ ،**

١- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : 5 / 196 .
٢- سورة الروم الآية 30.
٣- ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : 5 / 197 – 198 .
٤- سورة يس الآية 60.
٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 349 – 350 .
٦- شمس الدين: حركة التاريخ: ص 72 .

فَجَهِلُوا حَقَّه واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَه ، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه ، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه... " [1]

هذا النص يوقفنا على عدة نقاط ستبحث في محلها ، لكن الذي يهمنا هنا إشارته عليه السلام الى كيفية بدء ظاهرة النبوة وإرسال الرسل ، ولو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا في آياته ما يشير إلى هذا المعنى، إذ يقول تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2].

فالآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتكليف النوع الإنساني به ، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان: إن الإنسان– وهو نوع مفطور على الاجتماع ، والتعاون– كان أول اجتماعه امة واحدة ، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية ، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة ، والمشاجرات في لوازم الحياة، فألبست القوانين الموضوعة لباس الدين ، وشفعت بالتبشير والإنذار بالثواب والعقاب ، وأصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين ، وإرسال المرسلين ، ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدأ والمعاد ، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية ، وظهرت الشعوب والأحزاب ، وتبع ذلك الاختلاف في غيره ، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغيا من الذين أوتوا الكتاب ، وظلما وعتوا منهم بعدما تبين لهم أصوله ومعارفه ، وتمت عليهم الحجة ، فالاختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم وغريزتهم ، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين ، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه بإذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [3] .

ان ظاهر الآية يدل على إن هذا النوع قد مر عليهم في حياتهم زمان كانوا على الاتحاد والاتفاق ، وعلى السذاجة والبساطة لا اختلاف بينهم بالمشاجرة والمدافعة في أمور الحياة ، ولا اختلاف في المذاهب والآراء ، وما يدل على نفي الاختلاف قوله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[4]، فقد رتب بعثة الأنبياء وحكم الكتاب في مورد الاختلاف على كونهم امة واحدة ، فالاختلاف في أمور الحياة ناشئ بعد الاتحاد والوحدة ، والدليل على

١– نهج البلاغة : ص19–20 .

٢– سورة البقرة الآية 213.

٣– الطباطبائي: الميزان في تفسير القران : 2 / 104 .

٤– سورة البقرة الآية 213 .

نفي الاختلاف الثاني قوله تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا﴾ [1] ، فالاختلاف في الدين إنما نشأ من قبل حملة الكتاب بعد إنزاله بغياً [2] .

ثانيا: تذكيرهم بالمنسي من نعم الله [3]:

هنا يقصد بالنعمة ، ما يمنّ الله بها على العباد في عالم الذر والميثاق ، أو لعله يقصد جميع النعم المغفول عنها ، والرأي الأول هو الظاهر نظرا إلى ظاهر لفظ النسيان [4] . إذ إن الإنسان ينطوي على نعم مادية ومعنوية جمة ولو استغلها كما ينبغي فانه سيشيد صروح سعادته وفلاحه ، في حين سيفقد مثل هذه السعادة إذا ما نساها وتجاهل استعمالها واستغلالها [5]. ثم إن هذا التذكير تارة يكون بالترغيب فيما عقده سبحانه مما أعده لأوليائه الأبرار، وتارة بالترهيب مما أعده لأعدائه الظالمين من عذاب النار ، تارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار، وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار [6] .

ثالثا: احتجاجهم بالتبليغ [7]:

إتمام الحجة على الناس من خلال الأدلة العقلية – إلى جانب المسائل الفطرية – وإرشادهم إلى الكمال في ظل التعاليم السماوية والأوامر والأحكام الشرعية [8] .

رابعا: إثارتهم دفائن العقول [9]:

هذه القضية تعني بعث القوى العقلية والنفسية في الإنسان لانجاز عملية التقدم الصحيح والتغيير الايجابي في المجتمع عن طريق الحركة التاريخية المستبطنة للوعي الإيماني المستقيم [10] . إذ إن الناس قد يستطيعون فهم أمور بصورة مبهمة ونصف واعية ، لكن استكمال فهمها ، والارتفاع إلى مستوى

١- سورة البقرة الاية 213 .
٢- الطباطبائي: الميزان : 2 / 116 – 117 .
٣- اشارة الى قوله عليه السلام : " **وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ** " . نهج البلاغة : ص 20
٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 2/ 121.
٥- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 141 .
٦- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 1 / 350 . الآملي: تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم : 306/2.
٧- اشارة الى قوله عليه السلام : " **وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ** " . نهج البلاغة : ص 20
٨- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 1 / 142 .
٩- اشارة الى قوله عليه السلام : " **وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ**" . نهج البلاغة : ص 20
١٠ . شمس الدين: حركة التاريخ: ص 80 .

الوعي التام بها يحتاج إلى مذكر يخرجهم من حالة الغفلة التي كانوا عليها ، إذ يلاحظ إن القرآن في كثير من الموارد يسمي نفسه أو سائر الكتب السماوية بأسماء يكون طابعها الذكر والتذكرة ومن هذه الاسماء : الذكر[١] ، ذكرى[٢] ، تذكرة[٣] ، وهذه التسمية ناشئة من تلك الملاحظة . فعملية التذكر تعني إن إن إنسانا يعرف شيئا ثم نسيه أو غفل عنه أي أصبحت معرفته له نصف واعية ، ولا يؤثر العلم في انتخاب الإنسان إلا إذا التفت إليه . وقد تنحط بعض المجتمعات – نتيجة لعوامل مختلفة – لتعم الغفلة كل حياتها ، فيصاغ الجو الاجتماعي بشكل لا تكون فيه هذه المسائل مطروحة للبحث ، والطريق للناس إلى معرفتها ، ها هنا يبرز دور الأنبياء في إخراج الناس من هذه الغفلة إلى حالة الوعي [٤] .

إن استعمال كلمة (الدفائن) في كلام امير المؤمنين عليه السلام في نصه السابق إنما هو استعارة لطيفة ، فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار موجودة في النفوس بالقوة فأشبهت الدفائن ، فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ، ولما كان الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافة إثارتها إليهم[٥] . إذ إن مهمة الأنبياء تكمن في أن يكشفوا للناس كنوز العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم ، فقد أودع الله هذه العقول كنوزا عظيمة قيمة ، لو ظهرت واستغلت لشهدت العلوم والمعارف نهضة عظيمة وجبارة غير إن هذه الكنوز استترت اثر هذه الغفلة والتعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلوث الأخلاقي ، فبعث الأنبياء لإزالة هذه الحجب وإثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف [٦] .

خامسا: يريهم آيات المقدرة [٧] :

أي جعل الطبيعة موضوعا للبحث والتأمل ، فإن مراقبة الطبيعة لفهمها والتعامل معها واكتشافها تعزز قضية الإيمان ، لأنها تقدم مزيدا من الأدلة التجريبية على ما أدركته الفطرة السليمة من قضايا الالوهية . كذلك يعين التعامل مع الطبيعة بصورة مباشرة على انجاز عملية التقدم ، بل شرط أساسي لانجاز التقدم المادي ، وإذ تتحد قضية الإيمان في ذات الإنسان مع حركته التاريخية في الطبيعة والمجتمع فيكون

١- كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر الآية 9 .

٢- كما في قوله تعالى﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ . سورة الأنعام آية 90 .

٣- كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ سورة المدثر الآية 54.

٤- محمد تقي مصباح: النبوة في القرآن : ص 29.

٥- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 350 – 351 . الآملي: تفسير المحيط الأعظم : 306/2.

٦- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 1 / 142.

٧- اشارة الى قوله عليه السلام : " **وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ** " . نهج البلاغة : ص 20

تقدماً على هدى الإيمان ، وأخلاقيات الروح والعقل ، ويكون إيماناً يستجيب للحياة الدنيا ولا يقف منها موقف الرفض والعداء [١].

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ست آيات من تلك الآيات ، وبينها بقوله : " **منْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ** "[٢].

فالأنبياء يرشدونهم إلى التأمل في آيات القدرة الإلهية من سقف فوقهم موضوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم ، ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون ، ومعائش بها يكون قوام حياتهم الدنيا ، وبلاغ لمدة بقائهم لما خلقوا له ، وآجال مقدرة بها يكون فنائهم ورجوعهم إلى بارئهم ، وأعظم بالأجل آية رادعة وتقديرا جاذبا إلى الله تعالى ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أكثروا من ذكر هادم اللذات" [٣]. إلى غير ذلك من الأمراض التي تضعف قواهم وتهرمهم ، والمصائب التي تتابعت عليهم ، فإن كل هذه الآثار موارد احتجاج الأنبياء على الخلق ينبهونهم بصدورها عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق الذي له الخلق والأمر، ليقروا في أذهانهم صورة ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم في الفطرة الأصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العبادة ، والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[٤]. وقوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[٥]. وقوله تعالى : ﴿ وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٦] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بألسنة رسله ، وتراجمة وحيه ،

١- شمس الدين: حركة التاريخ عليه السلام : ص 80.

٢- نهج البلاغة : ص20.

٣- أبو طالب المكي: قوت القلوب : 42/2. الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 75/2. ابن سلامة: مسند الشهاب : 391/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق 34/ 42. ابن قدامة: المغني : 2/ 302. ابن أبي جمهور الأحسائي: عوالي اللئالي :1/ 247.

٤- سورة الأنبياء الآية 32 .

٥- سورة البقرة الآية 164 .

٦- سورة الذاريات الآيات 47 – 49 .

وجذبهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزته ، والوصول إلى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ[1] ﴾ [2]

سادسا: التبشير و الإنذار:

من مهام الانبياء التي وردت الاشارة اليها في كلمات امير المؤمنين عليه السلام مهمة " التبشير والانذار" ، وهما من اهم م هام الانبياء والرسل وضرورتها محسوسة جدا، لما لها من آثار في تحريك رغبات الناس ببيان الوان العذاب الالهي، وألوان النعم الالهية. وقد وردت ذكر هاتين الصفتين في اكثر من مقطع من كلامه الشريف اذ يقول عليه السلام في معرض حديثه عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، " **بَلَّغَ عَنْ رَبِّه مُعْذِراً، ونَصَحَ لأُمَّتِه مُنْذِراً، ودَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً** " [3]، وقوله عليه السلام : " **أَمِينُ وَحْيِه، وخَاتَمُ رُسُلِه، وبَشِيرُ رَحْمَتِه، ونَذِيرُ نِقْمَتِه** " [4]، " **شَهِيداً وبَشِيراً ونَذِيراً** " [5] ، وقوله عليه السلام : " **فَإِنَّ اللَّه جَعَلَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَلَماً لِلسَّاعَةِ ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ** " [6] ، وقوله عليه السلام : " **وأَنْذَرَكُمْ وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ** " [7]، وقوله : " **أَرْسَلَه لِإِنْفَاذِ أَمْرِه، وإِنْهَاءِ عُذْرِه، وتَقْدِيمِ نُذُرِه** " [8]، وقوله: " " **إِنَّ اللَّه بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ** "[9].

إن إشارات الامام امير المؤمنين عليه السلام في أعلاه ، وان كان قد عنى بها عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا انها لا تختص به وحده ، فان الانذار والتبشير من ميزات جميع الانبياء عليهم السلام ، ومن اهم المهام المناطة بهم عليه السلام وهذا ما نجده ماثلا في آيات الذكر الحكيم [10].

١- سورة إبراهيم الآية 34.

٢- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 1 / 351 – 352 .

٣ – نهج البلاغة : ص210 .

٤ – نهج البلاغة : ص329.

٥ – نهج البلاغة : ص193 – 194.

٦ – نهج البلاغة : ص300 .

٧ – نهج البلاغة : ص137.

٨ – نهج البلاغة : ص117 .

٩ – نهج البلاغة : ص56 .

١٠ – يقول الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ البقرة 213، وقوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سورة سبأ 28، وقوله: ﴿ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ سورة ص الآية70، وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ سورة فاطر الآية24 .

ومع أن البشير والنذير وصفان متقارنان في الآيات اعلاه ، وفي كلمات امير المؤمنين عليه السلام ، الا ان بعض الايات تذكر النبي بعنوان انه " نذير" فحسب ، ولا نجد هذا الحال ينطبق على " البشير" ، اذ لم يرد في آيات القرآن وفي كلام الامام عليه السلام كما هو واضح اعلاه ، ذكر " البشير" وحده اطلاقا.

ولهذا سر يتعلق بالمجال النفسي والتربوي ، فهو يدل على ان الانذار اهم من التبشير في مجال التربية الانسانية ، وبعبارة اخرى فان لعامل " الخوف " تاثيرا اكبر في نفس الانسان من عامل " الامل " لا سيما اذا اردنا ايجاد تغيير في حياته ليكف عن سلوكه السابق بارادته ، ويختار ما يقترحه عليه المربي ، فالانذار مؤثر اكثر من التبشير. ولعل هذه الملاحظة هي وراء ذكر القرآن " النذير " وحده صفة للمبعوث من قبل الله ، دون ان يفعل ذلك في " البشير" [1].

وهذا ما نلمسه بوضوح ايضا في كلمات امير المؤمنين عليه السلام كما هو بين في أعلاه ، وذلك لان الامام عليه السلام سائر على نهج القرآن في أدق تفصيلاته . وقد خص عليه السلام النذارة بالذكر واختارها على البشارة اذ المقصود في هذا المقام التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الغلظة والفظاظة، ولا ريب ان الانذار اقوى في الترقيق والردع ، وذلك لان عامة الخلق الا قليلا منهم انظارهم مقصورة على زخارف الدنيا وشهواتها غافلون عن نعم الاخرة ولذاتها ، فلا يرغبون عن النعم الحاضرة بما يبشرون بها من النعم الغائبة ، ولا يقابلون اللذائذ الموجودة بلذائذ موعودة ، لكون هذه عندهم نقدا وتلك نسيئة ، وكان السبب الاقوى في الردع والالتفاف الى الله انما هو الانذار والتخويف، فاختار كونه نذيرا على كونه بشيرا [2] .

وهنا ينبغي الا ننسى بان انذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشمل كافة الكائنات الامر الذي يدل على عالمية الدين الاسلامي وخلوده، لان العالمين مفهوم واسع يشمل كافة افراد البشرية في كل عصر ومصر[3].

١ – مصباح : النبوة في القرآن : ص 166.
٢ – حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 3 / 315.
٣ – ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 2 / 72.

المبحث الثاني

علامات النبوة

أولا: شرف النسب و طهارة المولد :

انبياء الله صفوة عباده وخير خلقه ، ولولا ذلك لما كلفهم بلقيام بحقه ، وقد استخلصهم من اكرم العناصر ، وامدهم بأوكد الاواصر ؛ حفظا لنسبهم من قدح ، ولمنصبهم من جرح ، لتكون النفوس لهم اوطأ ، والقلوب لهم اصفى ، فيكون الناس الى اجابتهم اسرع ، ولأوامرهم اطوع [1] .

لقد كان من مصاديق الاجتباء الالهي لهذه الصفوة من عباده ان " **اسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ** " [2] وهو اصلاب الآباء " **و أَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ** " [3]، أرحام الامهات ، كما قال سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[4]. ثم استرسل عليه السلام قائلا : " **تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ**" [5] ، وتناسخ الاصلاب لهم الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا ، وكرائم الاصلاب ما كرم منها ، وحق لاصلاب سمحت بمثلهم ان توصف بالكرم . ومطهرات الارحام ما طهر منها وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامزجة وقبولها ان تكون طاهرة من كدر الفساد [6] .

١- الماوردي: أعلام النبوة : ص185.
٢- نهج البلاغة : ص175.
٣- نهج البلاغة : ص175 .
٤- سورة الأنعام الآية 98.
٥ - نهج البلاغة: ص 175 .
٦- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 2/ 525.

فاصول الانبياء من جهة الاباء والامهات مطهرة عن الشرك ، وعن اي دنس- وسنأتي على ذلك تفصيلا- وقال النبي الاعظم ﷺ : " نقلنا من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الزكية " [1] .

وفي رواية ان احدهم سأل النبي الاعظم ﷺ عن كيفية خلقه ﷺ فقال: " لقد سألت عن امر جسيم ، لا يحتمله الا ذو حظ عظيم ، وان الانبياء والاوصياء مخلوقون من نور عظمة الله جل ثناؤه ، يودع الله انوارهم اصلابا وارحاما طاهرة ، يحفظها بملائكته ، ويربيها بحكمته ويغذوها ، فلأمرهم يجل عن ان يوصف ، وأحوالهم تدق عن ان تعلم ، لانهم نجوم الله في أرضه ، وأعلامه في بريته ، وخلفاؤه على عباده ، وأنواره في بلاده ، وحججه على خلقه ، هذا من مكنون العلم ومخزونه ، فاكتمه إلا من اهله" [2] .

وهذا ما خص الله به انبياءه الكرام على مر الزمان ، اذ اودع انوارهم في الاصلاب والارحام الطاهرة حتى افضت كرامة الله وانتهت نبوته الى الحبيب محمد ﷺ ، فبلغت بوجوده الشريف سلسلة النبوة والرسالة الغاية ، واشرق وجه الارض بنوره ،...

بلغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله [3]

١- ابن معد: الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب : ص 56. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 63/7، 67/14 . ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين : ص 235. العلامة الحلي: أجوبة المسائل المهنائية : ص127.

٢- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 7/ 82 .

٣- تكملة البيت:

بلغ العلـــى بكمـاله كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله صلُّوا عليه و آله

وهي للشاعر أبي محمد مصلح الدين عبد الله بن مشرف بن مصلح بن مشرف المعروف بالشيخ سعدي الشيرازي ت 691 هـ/ 1290 م ، أديب، شاعر، صوفي ، ولد بشيراز في أوائل العشر الأول من القرن السابع ، وأقام ببغداد ، وتفقه بالمدرسة النظامية ، وعين معيدا بها، وسافر إلى الشام وارض الروم ، ثم رجع إلى شيراز، وتوفي بها. من آثاره باللغة العربية: ديوان شعر صغير. ومؤلفات ورسائل في الأدب والأخلاق، ينظر: البغدادي: إيضاح المكنون 170/1، 71/2، 691، هدية لعارفين 319/1، 293/2، 434، 462 . الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة : 105/3 . كحالة: معجم المؤلفين : 6/ 151.

وقد كان النبي الاعظم ﷺ في " عالم المعنى والاصلاب الشامخة والارحام المطهرة قشورا لذلك اللب احاطت به احاطة الاشعة بالسراج ، فهو مفارق لتلك المحال الشريفة في التقدير وان كان مقارنا لها في التدبير " [١] .

فكان مما خص به ﷺ ان: " **أَخْرَجَه مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً ، وأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً ، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَه ، وانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَه** " [٢]، ف" **مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ** " [٣] .

وقد بين امير المؤمنين عليه السلام في هذه المقاطع كرامة الله لنبيه في طهارة جذوره العريقة ، كما اشار الى ذلك الذكر الحكيم ، اذ يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [٤].

وقال النبي الاعظم ﷺ : (نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح ، كلنا بنكاح) [٥] . وإلى ذلك أشار القرآن قال تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[٦]. يقول النبي ﷺ : " لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات " [٧].

ومما يلفت النظر ويدعو اللبيب للتأمل في النص السابق تشبيه الامام امير المؤمنين عليه السلام للاصل النبوي بـ " الشجرة " ، ومن هذا المورد ونظائره التي ستأتينا يمكن ان نستقي بضعة ايحاءات وجبت

١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 7/ 82.
٢- نهج البلاغة: ص 176 .
٣- نهج البلاغة: ص178.
٤- سورة التوبة الآية 128.
٥- القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى : 15/1. السيوطي: الخصائص الكبرى: 1/ 38 ، الدر المنثور:3/ 294. الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد 236/1. الحلبي: السيرة الحلبية : 68/1. القندوزي: ينابيع المودة :61/1. الشوكاني: فتح القدير: 2/ 420.
٦- سورة الشعراء الآية 219 .
٧- الفخر الرازي: مفاتح الغيب : 39/13 . الحلبي: السيرة الحلبية :1/ 45 . الجزائري: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين : ص108 . الآلوسي: روح المعاني : 195/7.

الاشارة اليها والوقوف بشيء من التأمل عندها لعلنا نستبين مقصد الامام من تعدد الاشارة الى ذلك اذ يقول في اكثر من موضع :

- " **اخْتَارَه مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ ، ومِشْكَاةِ الضِّيَاءِ ، وذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ ، وسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ ، ومَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ ، ويَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ** " [١] .
- " **أُسْرَتُه خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وشَجَرَتُه خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ** " [٢] .
- " **عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ ، وثَمَرٌ لَا يُنَالُ** " [٣] .
- " **نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ** " [٤]

والإيحاءات التي يمكن استظهارها من هذه النصوص هي :

اولا: إن الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المواضع – وهو ربيب القرآن – وجريا على منهج الذكر الحكيم قد ضرب الامثال للناس ؛ لما للامثال من اثر في " تقريب المراد ، وتفهيم المعنى ، وايصاله الى ذهن السامع ، واحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به ، فقد يكون اقرب الى تعقله ، وفهمه ، وضبطه ، واستحضاره له باستحضار نظيره ، فان النفس تـأنس بالنظائر والاشباه ، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الامثال من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق امر لا يجحده احد ولا ينكره ، وكلما ظهرت الامثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا ، فالامثال شواهد المعنى المراد ، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته " [٥] ، والمعلوم ان الامثال القرآنية تدور بين كونها تمثيلا قصصيا او تمثيلا طبيعيا كونيا [٦] .

١- نهج البلاغة: ص 200- 201 .
٢- نهج البلاغة: ص 302 .
٣- نهج البلاغة: ص 176.
٤- نهج البلاغة: ص 210 .
٥- ابن الجوزي: إعلام الموقعين 291/1، نقلا عن: السبحاني: الامثال في القرآن: ص 12 . ونقل الشنقيطي كلام ابن الجوزي دون الاشارة إليه: ينظر: أضواء البيان: 4/ 203 .
٦- السبحاني: الامثال في القرآن: ص21.

ويمكن القول : ان امير المؤمنين عليه السلام في هذا المقام استعمل النوع الثاني وهو" التمثيل الطبيعي " الذي عرف بانه : " عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس ، والمتوهم بالمشاهد ، شريطة ان يكون المشبه به من الامور التكوينية " [1] . فهو عليه السلام استعار هذا المحسوس " الشجرة " للتشبيه بغير المحسوس " الاصل النبوي " ، وذلك لما في " الشجرة " من خصائص يمكن ان تنطبق على المشبه به من جهة المقومات التي تمتلكها الشجرة من : العرق المتجذر في الارض ، والاصل القائم ، والاغصان ، والفروع والثمار. مع التنبيه على ان هذه هي صفات الاشجار الطيبة القوية الاصيلة وليست كغيرها من الشجر غير الجيد كما سيأتي بيانه .

ثانيا: لو تأملنا بدقة في اشارات الامام امير المؤمنين عليه السلام لوجدنا التشبيه مطابقا للتشبيه المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * ﴾ [2]. ويمكن ان يقارب مثالا آخر في كتاب الله حين يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [3]. ففي الاشارات القرآنية في أعلاه تتحقق المطابقة ما بين المثال القرآني والمثال في كلمات امير المؤمنين عليه السلام ، فالشجرة الموصوفة في القرآن لها ميزات تتناغم مع ميزات الشجرة الموصوفة في كلامه عليه السلام ، فقد وصفت الشجرة في القرآن بعدة صفات :

الصفة الأولى : إنها " شجرة طيبة " و " مباركة "، اي كريمة المنبت ، وفي قول: طيبة المنظر، والصورة ، والشكل ، طيبة الرائحة ، طيبة الثمرة ، يعني ثمارها المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة ، وكونها طيبة حسب المنفعة يعني انها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها ، ويجب حمل قوله : " شجرة طيبة " على مجموع هذه الوجوه ، لان باجتماعها يحصل كمال الطيب [4] .

١- السبحاني: الامثال في القرآن: ص 20- 21.
٢- سورة إبراهيم: الآيتان 24 .25.
٣- سورة النور الآية 35 .
٤- الفخر الرازي: مفاتح الغيب: 19 / 116 .

الصفة الثانية : (أصلها ثابت) : أي ضارب في الارض بعروقه القوية ، راسخ باق آمن الانقطاع والزوال والفناء ؛ لان الشيء الطيب اذا كان في معرض الانقراض والانقضاء فهو وان يحصل الفرح بوجوده الا انه يعظم الحزن بسبب الخوف من زواله وانقضائه ، اما اذا علم من حاله انه باق دائم لا يزول ولا ينقضي فانه يعظم الفرح بوجوده ، ويكمل السرور بسبب الفوز به [١] .

ونجد في كلام امير المؤمنين عليه السلام إشارات مجازية يمكن ان تقارب هذا المعنى القرآني في هذا الجانب ، اذ يقول عليه السلام : " **مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُه أشْرَفُ مَنْبِتٍ** " [٢] ، وقوله: " **نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ**"[٣]، وقوله:" **فاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ** "[٤]. إن هذه الإشارات تعطي دلالة على الاصل الطيب الثابت.

الصفة الثالثة: (فرعها في السماء) ، يقول الفخر الرازي [٥] : " هذا الوصف يدل على كمال حال هذه الشجرة من وجهين: **الاول:** ان ارتفاع الاغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق . و**الثاني:** انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض ، وقاذورات الابنية ، فكانت ثمرتها نقية ظاهرة طيبة من جميع الشوائب ". والى هذا المعنى ما يماثله في وصف امير المؤمنين عليه السلام اذ يقول عن تلك الشجرة " وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ " [٦]، وبسق الشيء : اذا علا وارتفع [٧] ، واراد عليه السلام ان كرمها عال على غيرها [٨] .

١- الفخر الرازي: مفاتح الغيب: 19 / 117.
٢ - نهج البلاغة :ص178.
٣ - نهج البلاغة : ص 176.
٤- نهج البلاغة: ص 175 .
٥- مفاتح الغيب: 19 / 117.
٦- نهج البلاغة: ص176 .
٧- الفراهيدي: العين 85/5 . الحربي : غريب الحديث : 3/ 1122- 1123 . الجوهري: الصحاح : 1450/4. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة : 248/1 . ابن منظور: لسان العرب :20/10. الزبيدي: تاج العروس : 13/ 38.
٨- الحسيني: الديباج الوضي: 777/2.

ثم يصف تلك الفروع والاغصان بصفات عدة: " **لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وثَمَرٌ لَا يُنَالُ** " [١] . وذلك لعلوها واستطالتها وكرم اصلها [٢] . وفي موضع آخر يقول عليه السلام :" **أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ** "[٣] اي متدلية لثقلها وكثرة حملها [٤]، وهذا ما يوافق قوله تعالى : في الصفة الرابعة ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [٥]﴾ ، وعلق ابن ابي الحديد [٦] على قوله عليه السلام : " وثمرها لا ينال " ان ليس المراد منه ان ثمرها لا ينتفع به ؛ لان ذلك ليس بمدح ، بل يريد ان ثمرها لا ينال قهرا ، ولا يجنى غصبا ، ويجوز ان يريد بثمرها نفسه عليه السلام ، ومن يجري مجراه من اهل البيت لانهم ثمرة تلك الشجرة .

لقد أثير جدل حول طبيعة الشجرة ونوعها فهل هي المؤمن [٧] أم النخلة [٨] ام شجر جوز جوز الهند[٩]، أم هي شجرة في الجنة [١٠]، أم هي أي شجرة طيبة الثمار كالتين والعنب والرمان وغيرها [١١] ؟ وقد اختار الغرناطي[١٢] انها " شجرة غير معينة الا انها كل من اتصف بتلك الصفات " ، وكان للفخر الرازي[١٣] تعليق لطيف حول اختلاف المفسرين في ماهية الشجرة الموصوفة في القرآن اذ يقول : " هؤلاء وان اصابوا في البحث عن مفردات الفاظ الآية ، الا انهم بعدوا عن ادراك المقصود ، لانه تعالى وصف هذه الشجرة بالصفات المذكورة ، ولا حاجة بنا الى ان تلك الشجرة هي النخلة ام غيرها ، فانا نعلم بالضرورة ان الشجرة الموصوفة بالصفات الاربع المذكورة شجرة شريفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في

١- نهج البلاغة: ص176.
٢- الحسيني: الديباج الوضي: 777/2.
٣- نهج البلاغة: ص302 .
٤- الحسيني: الديباج الوضي: 1314/3 .
٥- سورة إبراهيم الآية 25 .
٦- شرح نهج البلاغة: 7 / 51 .
٧- والشجرة الخبيثة الكافر. ينظر: ابن أبي حاتم: تفسير القرآن 2241/7. السيوطي: الدر المنثور: 4/ 75.
٨- والشجرة الخبيثة: الحنظلة. ابن أبي حاتم: تفسير: 2242/7- 2243. السيوطي: الدر المنثور: 76/4 .77 . وينظر: الترمذي: سنن الترمذي : 358/4 .
٩- السيوطي: الدر المنثور : 77/4.
١٠- ابن أبي حاتم: تفسير: 7/ 2244. السيوطي: الدر المنثور: 4/ 77.
١١- الآلوسي: روح المعاني: 214/13.
١٢- التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 142.
١٣- مفاتح الغيب: 19/ 120 .

تحصيلها وتملكها لنفسه، سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن ، لان هذه الصفة امر مطلوب التحصيل ".

في الوقت الذي اشارت بعض التفاسير وكتب الحديث الى ان المراد بهذه الشجرة الطيبة " اهل البيت عليهم السلام " : فالشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونسبه ثابت في بني هاشم ، أما فرع الشجرة فهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وغصن الشجرة هي السيدة فاطمة عليها السلام ، أما ثمرها فهما الإمام ان الحسن والحسين عليهما السلام والائمة من ولد الإمام علي والصديقة فاطمة عليها السلام ، وشيعتهم ورقها [1] .

وقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[2]. فقال " رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصلها، وامير المؤمنين فرعها ، والائمة من ذريتهما اغصانها ، وعلم الائمة ثمرتها ، وشيعتهم المؤمنون ورقها " [3].

يقول الطباطبائي [4] في تعليقه على هذه الرواية : ان هذه " الرواية مبنية على كون المراد بالكلمة الطيبة هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اطلقت الكلمة في كلامه على الانسان كقوله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[5]. ومع ذلك فالرواية من باب التطبيق ومن الدليل عليه اختلاف الروايات في كيفية التطبيق" .

وفي قول امير المؤمنين عليه السلام : " **نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ** ... "[6] ما قد يتناغم مع هذا التفسير، اذ " كانه جعل النبوة كثمرة اخرجتها شجرة بني هاشم " [1] .

١- ينظر : الصفار: بصائر الدرجات ص 79. الكليني: الكافي 428/1، فرات الكوفي: تفسير فرات : ص 220. الحاكم الحسكاني : شواهد التنزيل : 406/1. ابن مردويه : المناقب: ص 269 . المازندراني: شرح أصول الكافي : 102/7. البحراني: البرهان في تفسير القرآن : 297/3. الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى : 617/1. المجلسي: البحار : 143/24، 38/64، مرآة العقول 104/5. الحويزي: نور الثقلين : 535/2. المشهدي: كنز الدقائق: 51/7 . الآلوسي: روح المعاني : 215/13. الشيرازي: تقريب القرآن إلى الأذهان : 126/3.

٢- سورة إبراهيم الآية 24 .

٣- الصفار: بصائر الدرجات: ص79 . الكليني: الكافي:428/1. المجلسي: مرآة العقول : 5/ 104 .

٤- الميزان: 12 / 56-57 .

٥- سورة آل عمران الآية 45 .

٦- نهج البلاغة: ص210 .

وفي مقابل هذا نجد من يذهب الى ان المقصود بتلك الشجرة الطيبة الموصوفة بالقرآن بان التي أصلها ثابت ، وفرعها في السماء هي قريش ، فاصلها كبير وفرعها في السماء في الشرف فقد شرفهم الله بالاسلام الذي هداهم الله له ، وجعلهم من اهله [٢] . مستدلين برواية عن رسول الله ﷺ : " ان الله قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا فكان خير العرب قريشا وهي الشجرة المباركة التي قال تعالى في كتابه ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [٣] .

إذن التفسير الاول يخص المعنى بإهل البيت النبوي ، والتفسير الثاني يعممه على قريش كلها ، فتطلب هذا منا الوقوف للتأمل :

1 يقول السيد الطباطبائي[٤] متعجبا من تفسير الشجرة المباركة بـ " قريش " : " وهو عجيب ، فان كون أمة أو طائفة مباركة بحسب طبعهم لا يوجب كون جميع الشعب المتشعبة منها كذلك ، فالرواية على تقدير تسليمها لا تدل الا على ان قريشا شجرة مباركة ، واما ان جميع الشعب المتشعبة منها مباركة طيبة كبني عبد الدار مثلا ، او كون كل فرد منهم كذلك كابي جهل وابي لهب فلا قطعا ، فاي ملازمة بين كون شجرة بحسب اصلها مباركة طيبة وبين كون بعض فروعها التي انفصلت عنها ونمت نماءً فاسدا مباركا طيبا ". وقد ساق السيد الطباطبائي أمثلة تدلل على فساد بعض بطون قريش وافرادها منها:

- ان عائشة قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول لابيك وجدك " انكم الشجرة الملعونة في القرآن " [٥].

١- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 7 / 176.

٢- ابن أبي حاتم: تفسير القرآن : 2244/7 . السيوطي: الدر المنثور: 4/ 77 ، 6 / 18. 19. وينظر: الهيثمي: مجمع الزوائد 24/10.

٣- السيوطي: الدر المنثور: 18/6-19 . الآلوسي: روح المعاني: 215/13. وانظر تعليق الطباطبائي على ذلك: الميزان : 64/12 .

٤- الميزان : 12 / 57.

٥- ابن مردويه: المناقب : ص164. العيني: عمدة القارئ : 19/ 30 . السيوطي: الدر المنثور : 4/ 191. الشوكاني: فتح القدير : 240/3. الآلوسي: روح المعاني : 107/15.

- وروى سهل بن سعد وعبد الله بن عمر ويعلى بن مرة والحسين بن علي وسعيد بن المسيب: ان بني امية هم الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [1]، ولفظ سعد: رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات ، وانزل الله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا﴾ [2].
- وعن امير المؤمنين عليه السلام وايضا عن عمر في تفسير قوله ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾[3] انهم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية [4] .

ثانيا : مر بنا ان امر الاجتباء منوط بارادة الله تبارك وتعالى ، فهو الذي حبى نبيه الكريم وخصه بما لا يمكن لمخلوق ان يضاهيه في مقاماته السامية ، ومن تلك المقامات : اصطفاء اصله وعلو نسبه وكرامة حسبه ، اذ خصه بان " اختاره من شجرة الانبياء ، ومشكاة الضياء ، وذؤابة العلياء ، وسرة البطحاء ، ومصابيح الظلمة ، وينابيع الحكمة " [5] . وقد حمل عدد من الشراح على ان المراد " من شجرة الانبياء "

١- سورة الاسراء الآية 60.

٢- أبو يعلى: المسند: 11/ 348 . الطبري: جامع البيان : 141/15. الثعلبي: الكشف والبيان: 111/6 .السمعاني : تفسير :3 /255. ابن العربي : العواصم من القواصم : ص235. ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: 468/3. الفخر الرازي: مفاتح الغيب : 20/ 236. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 220/9. القرطبي: الجامع: 282/10. النويري: نهاية الإرب : 288/20. أبو حيان: تفسير البحر المحيط : 53/6. الذهبي: تاريخ الإسلام: 3/ 366 . الغرناطي: التسهيل: 500/2 . ابن كثير: تفسير: 52/3 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 5/ 244. القلقشندي: مآثر الأنافة: 167/1. العيني: عمدة القارئ :30/19. السيوطي: تاريخ الخلفاء : ص16. المناوي: الفتح السماوي : 777/2 .

٣- سورة إبراهيم الآية 28.

٤- الثوري: تفسير سفيان الثوري : ص 157. الصنعاني: تفسير عبد الرزاق : 242/3. أبو جعفر الإسكافي: المعيار والموازنة : ص299 . الطبري: جامع البيان : 287/13. العياشي: تفسير: 2/ 229. الحاكم: المستدرك: 352/2. ابن مردويه: المناقب: ص 165. الثعلبي: الكشف والبيان : 319/5. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن : 294/6. البغوي: معالم التنزيل : 35/3. الطبرسي: جوامع الجوامع :283/2. أبو الفتوح الرازي: روض الجنان في تفسير القرآن :249/10 . ابن الجوزي: زاد المسير: 266/4. البيضاوي: أنوار التنزيل : 199/3. الذهبي: ميزان الاعتدال : 295/3. ابن كثير: تفسير: 558/2. المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وهاشم : ص 72 . ابن حجر: فتح الباري : 235/7. المتقي الهندي: كنز العمال : 444/2.

٥- نهج البلاغة: 200- 201.

هنا هو النبي ابراهيم عليه السلام واولاده لان اكثر الانبياء منهم [1] . وهو المعبر عنه في موضع آخر من كلامه الشريف بـ " خير مستقر " و " اشرف منبت " و " اعز الاورومات مغرسا "

وتوالت العناية الالهية تكتنف الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم باعز اصطفاء اذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم : " بعثت في خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى بعثت في القرن الذي كنت فيه " [2]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم : " إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم " [3] .ويقول عليه السلام " **كُلَّمَا نَسَخَ اللَّه الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَه فِي خَيْرِهِمَا ، لَمْ يُسْهِمْ فِيه عَاهِرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيه فَاجِرٌ** " [4]، والى المعنى ذاته يشير صلى الله عليه وآله وسلم : " ما افترقت فرقتان منذ نسل آدم ولده الا كنت في خيرهما " [5].

ففضلا عن دلالات هذه النصوص والاحاديث الشريفة على طهارة اصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دنس الشرك والشك في النسب فانه يتبين لنا ان الاصطفاء الالهي قد اختص بآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاهر بعد طاهر، وطيب بعد طيب حتى اخرجه من ابوين طاهرين ، وان هذا الاصطفاء قد حدد بسلسلة متصلة تميزت بانها الافضل والاكرم ، وما لفظة " الافتراق " في الحديث اعلاه إلا دلالة على ان التشعب قد حدث في ذلك الاصل ، فمن نسل آدم كان اصطفاء ابراهيم عليه السلام ومن ولد ابراهيم كان اصطفاء اسماعيل ومن ولد

١- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 7/ 148 . الحسيني: الديباج الوضي: 777/2. مغنية: في ظلال نهج البلاغة :134/2 . حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 283/7.

٢- ابن حنبل: المسند : 417/2.

٣- البخاري: التاريخ الصغير : 35/1، التاريخ الكبير 4/1 . مسلم: الصحيح: 58/7 . الترمذي: السنن: 245/5. أبو يعلى: امسند: 13/ 469. ابن حبان: الثقات : 21/1. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 65/13. ابن عبد البر: الاستذكار: 614/8، الأنباه على قبائل الرواة : ص 40. ابن عساكر: الأربعين البلدانية : ص 143. ابن قدامة: الشرح الكبير: 467/7 . ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد : 151/3. السيوطي: الجامع الصغير: 1/ 256. الأنصاري: فتح الوهاب : 67/2. الشربيني: مغني المحتاج : 7/1.

٤- نهج البلاغة : ص447- 448 . وينظر: البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص316.

٥- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 9/ 326. وينظر: ابن حبيب: المنمق : ص 19. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 408/3. الكلاعي: الاكتفاء : 7/1. السيوطي: الخصائص النبوية : 37/1، الدر المنثور: 294/3. المتقي الهندي: كنز العمال : 428/11. الألباني: إرواء الغليل : 332/6.

اسماعيل كان الاصطفاء قد خص كنانة ، ومن كنانة خص قريش ، ومن بطون قريش خص بني هاشم ثم من بني هاشم خص بنو عبد المطلب ، ومن بني عبد المطلب اختص بعبد الله وابي طالب .

اذ يقول ﷺ : " كنت انا وعلي نورا بين يدي الله مطيعا يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل ان يخلق آدم باربعة عشر آلف عام فلما خلق الله ادم ركز ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء انا وجزء علي " [١].

ولتحديد مسار العناية الالهية في دائرة الاصطفاء بشكل ادق لنتأمل كلمات امير المؤمنين عليه السلام إذ يقول : " **عِتْرَتُه خَيْرُ الْعِتَرِ، وأُسْرَتُه خَيْرُ الأُسَرِ، وشَجَرَتُه خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ ، وثَمَرٌ لَا يُنَالُ**" [٢] ، وفي مورد آخر يقول : " **أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، و شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ ، وثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ**" [٣] . ويظهر أن المراد بالشجرة هنا أما ابراهيم او اسماعيل او هاشم عليهم السلام[٤] . واحتمل البعض ان يراد بها نفسه الشريفة على كون الاضافة بيانية [٥] . فلذا كان المراد بالشجرة ابراهيم او اسماعيل فالمراد بالفروع الانبياء من ذريتهما ، واذا كان المراد بها هاشم او النبي ﷺ فالمراد بها الائمة عليهم السلام[٦] .

ولرب قائل يقول : ان حديث النبي ﷺ الذي ورد فيه : " واصطفى قريشا من كنانة " قد يبدو فيه للوهلة الاولى امكان قبول تطبيق عنوان " الشجرة الطيبة " الموصوفة في القرآن على " قريش " لشمول ها بالاصطفاء واختصاصها من كنانة دون باقي البطون؟ ! وهذا مما يقود بشمول كل فروع قريش بالاصطفاء!

ويرد هذا عدة امور ، هي :

١- ابن عساكر: تاريخ دمشق : 67/42. وينظر: ابن مردويه: المناقب : ص286.
٢- نهج البلاغة : ص176 .
٣- نهج البلاغة: ص302.
٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 84/7 ، 87-88 .
٥- حبيب الخوئي : منهاج البراعة: 87/7 .
٦- حبيب الخوئي : منهاج البراعة: 88/7 .

اولا : أسلفنا ان ورود لفظة " النسخ " و" الافتراق " في تلك الاحاديث الشريفة تدلل على حدوث التشعب في كل اصل اصطفاه الله تعالى ورغم ان قريش مرت في مسار التدرج الاصطفائي الا ان كلام النبي صلى الله عليه وآله واضح في انه قد خص من قريش فرعا واحدا او مسارا بعينه دون باقي الفروع، فالمعلوم ان قريشا يتفرع منها عدة بطون ولكن الاصطفاء قد خص منها " بني عبد مناف " " هاشما " و " عبد المطلب " يقول ﷺ : " الناس من اشجار شتى، وانا وانت يا علي من شجرة واحدة "[1].

يقول ﷺ : " ان جبرائيل قال لي: يا محمد قد طفت الارض شرقا وغربا ، فلم اجد فيها اكرم منك ولا بيتا اكرم من بني هاشم " [2] . وذكر الترمذي[3]: " ان الله خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا ، فجعلني في خيرهم بيتا ، وخيرهم نفسا ".

ثانيا: ان التأمل في كلمات امير المؤمنين عليه السلام الذي قادنا الى الوقوف عند اس تعماله للتمثيل بـ " الشجرة الطيبة " التي بانت في مظان كلامه صفاتها وميزاتها كما مر بنا ، ها هو يوقفنا ثانية عند مقاطع من كلماته الشريفة يمكن ان نستوحي منها صفات الضد لتلك الشجرة الطيبة الثابتة المتعالية المتدلية الثمار. وكأن كلامه عليه السلام في مقام المقابلة بينها وبين نقيضها ، وما ذاك الا جريا على نهج القرآن الكريم الذي نعت الشجرة الطيبة بأفضل الصفات،وأشار الى الشجرة الخبيثة واهم سماتها بقوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾[4]. وابرز مصداق في كلام امير المؤمنين عليه السلام على ذلك ، حين وبخ عليه السلام أحد مناوئيه وهو المغيرة بن الاخنس [5] قائلا له : " **يَا ابْنَ**

١- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : 68/2 . ابن مردويه: المناقب: ص 265. الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل : 375/1. السيوطي: الدر المنثور: 44/4.

٢- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 7 / 51.

٣- السنن : 244/5. وينظر: الهيثمي: مجمع الزوائد : 216/8.

٤- سورة إبراهيم الآية 25 .

٥- هو المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زهرة، وأمه عمة عثمان بن عفان ، قتل الإمام علي عليه السلام أخاه أبا أبا الحكم يوم أحد ، ومن هنا كان يحقد على أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد عده النبي ﷺ من المؤلفة قلوبهم ، وكان يشير على عثمان بعدم الاستجابة لمطالب الثائرين ، قتل يوم الدار مع عثمان. الضبي: الفتنة ووقعة الجمل : ص 69- 71. ابن أبي شيبة: المصنف : 680/8. ابن سعد: الطبقات : 66/3. بن خياط: تاريخ خليفة : ص 133 . ابن عبد البر:

اللَّعِينِ الأَبْتَرِ! والشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا ولَا فَرْعَ " [1]. وذلك كناية عن وضاعة اسرته وبعدها عن القيم ، والملاحظ ان كلامه عليه السلام ها هنا ، انما هو اقتباس من الآية الكريمة في أعلاه ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ ، فشجرة الانسان قبيلته التي يعزى اليها ، واراد عليه السلام انه لا اصل له ، فيعرف ولا فرع له فيثمر ويورق [2].

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد ان امير المؤمنين عليه السلام يشير الى ان الاصل الواحد قد ينتج فرعا طيبا تتجلى فيه سمات الاصالة ، في الوقت نفسه قد ينتج فرعا آخر مغايرا للاول في خصائصه . وهذا ما سبقت الاشارة اليه ، ومن مصاديق ذلك ما ورد في نهج البلاغة :

انه لما سئل عن قريش قال عليه السلام وقد انتخب منها ثلاث بيوت : " **أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ والنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ ، وأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً ، وأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا ، وأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا ، وهُمْ أَكْثَرُ وأَمْكَرُ وأَنْكَرُ، ونَحْنُ أَفْصَحُ وأَنْصَحُ وأَصْبَحُ** " [3].

وعلى الرغم من تباين اراء الشراح حول مراد الامام عليه السلام من وسم بني مخزوم وبني عبد شمس بتلك السمات وهل هي في مقام المدح او الذم [4] ، الا ان الذي يهمنا هنا ولا خلاف فيه ان بني هاشم هم الافضل والاسمى ما بين الفروع القرشية .

ولمزيد من التوضيح واستجلاء الامر نقف عند مساجلة امير المؤمنين عليه السلام مع معاوية حين ارسل اليه الاخير كتابا حاول فيه ان يموه ويخادع بان لا فضل للامام عليه السلام عليه ما دامو ا من اصل واحد يجمعهم ، فأجابه عليه السلام بالقول: " **وأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ ، ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ،**

الاستيعاب : 3/ 1047، 4/ 1444. ابن الأثير: أسد الغابة : 4/ 405. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 301/8 – 306. ابن حجر: الإصابة : 6/ 155. التستري: قاموس الرجال : 186/10 .

١– نهج البلاغة: ص253 .

٢– الحسيني: الديباج الوضي: 3 / 1105 . ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 5 / 321– 322 .

٣– نهج البلاغة : ص677 – 678 . وينظر: الزمخشري: ربيع الأبرار: 217/4.

٤– ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 18/ 285 . 309. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص 607، شرح نهج البلاغة :5/ 369 – 370 . حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 21 /208 –210 . مغنية: في ظلال نهج البلاغة: 291/4 – 292 .

ولَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ولَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ ، ولَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ ، ولَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ، ولَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ ، ولَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ، ولَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، ونَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ" [1].

فعلى الرغم من ان بني هاشم وبني أمية من اصل واحد وهو عبد مناف الا ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد فصل وفرق ما بين الفرعين باوضح الفوارق ، وقطع على معاوية تمويهاته الخداعة ، اذ بين عليه السلام ان الاصطفاء قد عرج من عبد مناف الى ولده هاشم ، وهذا فيه دلالة على انه افضل كما مر بنا سابقا في اشارته " كلما نسخ الخلق فرقتين جعله في خيرهما " ، وفي موضع آخر نجد امير المؤمنين عليه السلام يرسم الفاصل بين بني هاشم وبني امية بحدود واضحة قوية ، إذ يقول عليه السلام :

" **أَمَّابَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ ، تَذْكُرُ فِيه اصْطِفَاءَ اللَّه مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِه ، وتَأْيِيدَه إِيَّاه لِمَنْ أَيَّدَه مِنْ أَصْحَابِه ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً ، إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّه تَعَالَى عِنْدَنَا ، ونِعْمَتِه عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ [2]، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِه إِلَى النِّضَالِ [3]، وزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ فُلَانٌ وفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّه ، وإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُه ، ومَا أَنْتَ والْفَاضِلَ والْمَفْضُولَ والسَّائِسَ والْمَسُوسَ ؟! ومَا لِلطُّلَقَاءِ وأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ ، والتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ ، وتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ ، وتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ ، هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا [4]، وطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْه الْحُكْمُ لَهَا ، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ ،وتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ، وتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ ولَا ظَفَرُ الظَّافِرِ**" .

١- نهج البلاغة : 511 – 512.

٢- هجر مدينة في البحرين كثيرة النخل، والمثل قيل في رجل من اهل البحرين قدم البصرة وانفق اموالا لشراء التمر لينقلها الى هجر لكنها فسدت ، فقيل هذا المثل. البيهقي : معارج نهج البلاغة : ص 372 . ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة :188/15 . الحميري: الروض المعطار: ص592. الغروي: الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة : ص 363 – 365 .

٣- المسدد: معلم رمي السهام ، والنضال: المراماة أي كمن يدعو أستاذه في فن الرمي إلى المناضلة. ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 15/ 188– 189. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص 499 . المازندراني: شرح أصول الكافي: 425/6. محمد عبده: نهج البلاغة (الشرح): ص361 .

٤- يضرب مثلا للرجل يدخل نفسه في القوم وهو ليس منهم . ابو هلال العسكري: جمهرة الامثال: 370/1. ابن نباتة : سرح العيون: ص296.

" وإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيه رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ ، أَلَا تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، ولَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّه أُحَدِّثُ ،أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ – ولِكُلٍّ فَضْلٌ – حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ، وخَصَّه رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِه عَلَيْه ، أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّه – ولِكُلٍّفَضْلٌ – حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ، قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وذُو الْجَنَاحَيْنِ ، ولَوْلَا مَا نَهَى اللَّه عَنْه مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَه ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، ولَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ ، فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِه الرَّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا ، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا ، ولَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا ، فَنَكَحْنَا وأَنْكَحْنَا ، فِعْلَ الأَكْفَاءِ ولَسْتُمْ هُنَاكَ ، وأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ ! ومِنَّا النَّبِيُّ ومِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ [1]، ومِنَّا أَسَدُ اللَّه ومِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ [2] ، ومِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ومِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ [3] ، ومِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ومِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ [4] ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا و عَلَيْكُمْ ، فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ وجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ ، وكِتَابُ اللَّه يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا ، وهُوَ قَوْلُه سُبْحَانَه وتَعَالَى : ﴿ وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى

١- يقصد بالمكذب: أبو سفيان والد معاوية. ينظر: ، ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 15/ 196. وقال ابن ميثم انه ابا جهل. ينظر : اختيار مصباح السالكين : ص 500. وهذا لايصح لان ابا جهل من مخزوم والامام بصدد الرد على قول معاوية (انا بنو عبد مناف) وابي جهل ليس من عبد مناف.

٢- يقصد باسد الله حمزة بن عبد المطلب، أما أسد الاحلاف فلعله عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه، البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص373. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 15/ 196، وقيل هو أبو سفيان ، وهذا لايصح لأن أبو سفيان لم يعرف بالشجاعة ، والأصح أنه عتبة فهو قائد النفير الى بدر واول من دعا الى البراز يوم بدر ، فدعا النبي صلى الله عليه وآله حمزة لمبارزته فقتله حمزة .

٣- هم أولاد عقبة بن أبي معيط، ومنهم الوليد بن عقبة الذي نزل فيه قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ سورة الحجرات الاية 6. ينظر: ابو الفرج: الاغاني :49/1 . البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص 374. ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 197/15. الصفدي: الوافي بالوفيات: 20/ 59.

٤- هي أم جميل بنت حرب بن امية أخت أبي سفيان عمة معاوية ، وقد سماها القرآن (حمالة الحطب) قال تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ سورة المسد الآيات 1 – 5، ينظر: الطبري: جامع البيان: 441/30 . ابن ابي حاتم: تفسير القرآن: 10/ 3473 . ابن ابي الزمنين: تفسير ابن ابي الزمنين: 171/5 . السمعاني: تفسير: 6/ 300 . ابن عربي: تفسير: 437/2 . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 197/15. ابن ميثم: اختيار مصباح السالكين: ص500.

بِبَعْضٍ فِي كِتابِ الله ﴾ [1]، **وقَوْلُه تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوه وهذَا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا واللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾**[2]، **فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ وتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ ، ولَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ، يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه آله فَلَجُوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِه ، فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِه فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ، ...**"[3]

ان كلامه عليه السلام لا يحتاج الى تعليق ، إذ بدا فضل بني هاشم واضحا على سواهم ، وفضل اهل البيت عليهم السلام على سائر بني هاشم ، ولنا وقفة مع المقطع الاخير من النص واشارته عليه السلام الى احتجاج المهاجرين على الانصار يوم السقيفة اذ سأل عليه السلام : " **بما احتجت قريش على الانصار؟ فقالوا : " قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله ، فَقَالَ عليه السلام احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ** " [4] . فالامام عليه السلام لم ينكر عليهم هنا بان يكونوا ورسول الله من شجرة واحدة ، لكن الله اختص بحكمته ذاك الفرع الذي انتج اهل بيت النبوة عليه السلام ، فاذا كانت الشجرة ذات اثر فإن ثمرها اعظم اثرا . ثم ياتي حديثه مع معاوية ، ليزيد الامر وضوحا ، اذ يقول : " فان يكن الفلج به " الظفر بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " فالحق لنا دونكم " لانه اقرب الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل انه في موضع آخر قد ادلى بقوله : " **إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، ولَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ**" [5].

فها هو كلامه عليه السلام يفسر بعضه بعضا ، فآل محمد هم صنائع الله المختصون بفضله بان جعل النبوة والامامة فيهم و ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[6].

١- سورة الانفال الآية 75.

٢- سورة آل عمران الآية 68.

٣- نهج البلاغة: ص 526- 529 . وينظر: المنقري: وقعة صفين: ص 88 . ابن حمدون: التذكرة الحمدونية: 164/7 . النويري: نهاية الارب : 234/7 . القلقشندي: صبح الاعشى: 274/1.

٤- نهج البلاغة: ص102-103 .

٥- نهج البلاغة: ص 263.

٦- سورة الأنعام الآية 124.

وفي كلمات الامام عليه السلام وخطبه مصاديق أخرى تقوي دلالة اختصاص الاصطفاء بالفرع الهاشمي دون غيره ، فها هي مواقف قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وآله تخرجهم من دائرة الاصطفاء الى دائرة العداء للدعوة الالهية وحملتها ، اذ كان بنو هاشم اهلا لهذه الدعوة ومن ذلك نذكر:

- ما جرى في حصار الشعب حسبما ورد في كلمات امير المؤمنين عليه السلام " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ ، وَفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ...**" [1].

أَبَعْدَ هذه الفعال يمكن ان يقال : ان كل قريش كانت بمجرى ومقام واحد ؟! بل لم يقف الامر عند هذا الحد ، حتى ان اهل البيت عليهم السلام قد ورثوا هذا الموقف من شرار قريش بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله ولنعم قوله عليه السلام عنهم : " **وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ** " [2] وقد وصف مواقفهم منه عليه السلام في مواضع عدة منها ، قوله مخاطبا اخيه عقيل : " **فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً ، وتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ ، وتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ ، وجِمَاحَهُمْ فِي التِّيه ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي ، كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي ، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي** " [3] . وفي نص آخر يقول: " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ ، وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي** " [4]. وفي موضع آخر يقول: " **مَالِي و لِقُرَيْشٍ ! واللَّه لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ ، ولأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ، وإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ**" [5]. ثم نراه يوضح سر هذا العداء من قبلهم فيقول: " **واللَّه مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللَّه اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ ، فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا** " [6].

١- نهج البلاغة: ص502 .

٢- نهج البلاغة : ص512.

٣- نهج البلاغة: ص 561.

٤- نهج البلاغة: ص 328 .

٥- نهج البلاغة: ص 71 .

٦- نهج البلاغة: ص 71. ورغم هذا الموقف الممتلئ حقدا من قبل القرشيين تجاه امير المؤمنين عليه السلام واهل بيته عليهم السلام نجد اخلاقه المحمدية ماثلة دائما ، فها هو يتاسف على قتلاهم بعد حرب الجمل اذ يمر فيرى طلحة بن عبيد الله وعبد

من هنا يتضح صعوبة التسليم للتفسير الذي منح مثلية الشجرة الطيبة لقريش كلها ، وبعد ان تبين ما تبين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن هناك هوة واسعة ما بين المسارين : اهل البيت عليهم السلام وهم ثمرة الفرع الهاشمي وأعداؤهم من بني امية وغيرهم . و للاديب العقاد كلاما لطيف يرسم لنا جانبا من هذا التباين بين المسارين ، اذ يقول: " الهاشميون والامويون من ارومة واحدة ترتفع الى عبد مناف ثم الى قريش في اصلها الاصيل ، ولكن الاسرتين تختلفان في الاخلاق ، فبنو هاشم في الاغلب مثاليون اريحيون ، ولا سيما ابناء فاطمة الزهراء ، وبنو امية في الاغلب الاعم عمليون نفعيون ، ولاسيما الاصلاء منهم في عبد شمس من الاباء والامهات ، ... فكان الهاشميون سراعا الى النجدة ونصرة الحق والتعاون عليه ، ولم يكن بنو امية كذلك " [1] .

وعودا على بدء نقول: قد اتضح كيف ان امير المؤمنين عليه السلام شبه الاصل النبوي بالشجرة الطيبة وقد شبه اعداءهم ومناوئيهم بالشجرة الخبيثة ، وان تناغم هذا التشبيه مع التشبيه القرآني امر لا محذور فيه لا سيما وان بعض التفاسير وكتب الحديث قد ايدت هذا الجانب ؛ من ذلك – فضلا عما سبقت الاشارة اليه – حديث ورد بالفاظ شتى في المصادر المختلفة اذ روى ميناء بن ابي ميناء [2] مولى عبد الرحمن بن عوف قال : " خذوا عني قبل ان تشاب الاحاديث بالاباطيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: انا الشجرة ، وفاطمة فرعها ، وعلي لقاحها ، والحسن والحسين ثمرتها ، وشيعتنا ورقها ، واصل الشجرة في جنة عدن ، وسائر ذلك في سائر الجنة " [3]. وجاء في بعض التفاسير ان المراد من الشجرة الخبيثة في

الرحمن بن عتاب فيقول : " **أَمَا واللَّه لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَه أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ** ". نهج البلاغة : ص 456.

١- ابو الشهداء : ص23- 24 .

٢- هو ميناء بن أبي ميناء الخزاز مولى عبد الرحمن بن عوف، عده الحاكم من الصحابة ، لكن ابن حجر عد ذلك وهما من الحاكم ، فيما ذكر البخاري أنه بلغ الحلم أيام عثمان ، روى عن عبد الرحمن بن عوف والإمام علي عليه السلام وعثمان وابن مسعود وأبي هريرة والسيدة عائشة ، قال عنه ابن حجر: متروك ورمي بالرفض، والغلو في التشيع، ولعل السبب في تركه هو روايته فضائل أهل البيت عليهم السلام كالرواية أعلاه. فيما عده ابن حبان من الثقات . ابن معين: تاريخ ابن معين: 64/1 . البخاري: التاريخ الكبير: 31/8 : ابن حبان: الثقات: 455/5 . الحاكم: المستدرك: 160/3 . الذهبي: المغني: 2/ 488 . ابن حجر: تهذيب التهذيب : 10/ 354- 355 . المباركفوري: تحفة الأحوذي: 304/10.

٣- الحاكم: المستدرك :160/3 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 14 / 168.

القرآن هم بنو امية [1] . فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام : ﴿ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ...﴾ الآيتان قال: هذا مثل ضربه الله لاهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله ، ولمن عاداهم هو مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار[2].

وقد اورد الآلوسي[3] ما نصه : " وروى الامامية وانت تعرف حالهم عن ابي جعفر رضي الله عنه تفسيرها يعني الشجرة الخبيثة ببني امية وتفسير الشجرة الطيبة برسول الله صلى الله عليه وآله وعلي كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنها وما تولد منهما ، وفي بعض روايات اهل السنة ما يعكر على تفسير الشجرة الخبيثة ببني امية ، فقد اخرج ابن مردويه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ان الله تعالى قلب العباد ظهرا وبطنا فكان خير عباده العرب وقلب العرب ظهرا وبطنا، فكان خير العرب قريشا، وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى في كتابه (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) لان بني امية من قريش " . وقد مر بنا ردّ السيد الطباطبائي في محل تعجبه من هذا القول الذي اشرنا اليه سابقا [4] .

ولا يفوتنا الاشارة الى حديث امير المؤمنين عليه السلام الذي يعضد ما اشرنا اليه اعلاه من انطباق التمثيل على اهل البيت عليهم السلام واعدائهم اذ يقول : " سموهم باحسن امثال القرآن ، يعني عترة النبي صلى الله عليه وآله هذا عذب فرات فاشربوا ، وهذا ملح اجاج فاجتنبوا " [5].

وفي حديث للامام الصادق عليه السلام يقول لاحد اصحابه: " ان الله خلقنا ، فاكرم خلقنا ، وفضلنا وجعلنا امناءه وحفظته وخزانه على ما في السموات وما في الارض ، وجعل لنا اضدادا واعداء ، فسمانا في كتابه وكنى عن اسمائنا باحسن الاسماء ، واحبها اليه ، وسمى اضدادنا واعدائنا في كتابه وكنى عن اسمائهم وضرب لهم الامثال في كتابه في ابغض الاسماء اليه وإلى عباده المتقين..." [6].

١- القمي: تفسير القمي: 369/1 . العياشي: تفسير: 225/2. الطبرسي : جوامع الجامع: 282/2- 283. الفيض الكاشاني: التفسير الأصفى: 3/ 86.

٢- العياشي: تفسير: 2/ 225. المجلسي: البحار: 142/24.

٣- روح المعاني: 215/13 .

٤- ينظر من هذا الفصل : 239 - 240 .

٥- العياشي: تفسير : 1/ 13. المجلسي: البحار: 89/ 116 .

٦- الحسيني: تأويل الآيات: 19/1. المجلسي: البحار : 24/ 303.

مر بنا في نصوص النهج ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد اكد على ان التنسيل الذري النبوي قائم على اساس الاصطفاء ، وهذا ما اشارت اليه آيات الذكر الحكيم اذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. اذ اقتضت حكمة الباري ان يكون الانبياء من ذوي الانساب الاصيلة والاقوام العريقة الشريفة . ومن خلال إشارات نصوص نهج البلاغة يمكننا ان نقف على اهم ميزات السلالة الطاهرة للاباء والامهات التي احتضنت النور المحمدي :

الطهارة: مر بنا فيما مضى الاشارة الى طهارة الاصلاب والارحام التي تشرفت بحمل نور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من لدن ادم عليه السلام ، اذ يقول عليه السلام : " **تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ** " [2] . وهذه الطهارة تشمل جانبين :

الاول: الطهارة من دنس الرجس والزنا والسفاح وكل متعلقات وفواحش الجاهلية ، اذ لم يكن في نسبه وشب [3]. وفي هذا يقول امير المؤمنين عليه السلام: " **لَمْ يُسْهِمْ فِيه عَاهِرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيه فَاجِرٌ** " [4] . وفي اشارة ثانية يقول : " **مُسْتَقَرُّه خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ ، ومَنْبِتُه أَشْرَفُ مَنْبِتٍ ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ**"[5]. اذ اذ حمل معنى " مماهد السلامة " ، ها هنا بمعنى : البراءة من العيوب اي في نسب طاهر غير م أفون ولا معيب" [6]. ومن قبله نجد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد هذا الامر بعدة احاديث عدة منها : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما مسني عرق سفاح قط ، وما زلت انقل من الاصلاب السليمة من الوصوم – اي العيوب – والارحام البريئة من العيوب " [7] . وفي قول آخر يقول صلى الله عليه وآله وسلم : " خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح ، من لدن

١- سورة آل عمران الآيتين 33- 34.
٢- نهج البلاغة: ص176.
٣- وشب: اختلاط في النسب يدعو الى الريب. ينظر: الفراهيدي: العين : 291/6.
٤- نهج البلاغة: 448 .
٥- نهج البلاغة: ص178 .
٦- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 7 / 55.
٧- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة :70/11.

آدم لم يصبني سفاح الجاهلية ، ولم اخرج الا من طهر" [1] . وقال ﷺ :" ان الله لم يمسسني بسفاح في ارومتي منذ اسماعيل بن ابراهيم الى عبد الله بن عبد المطلب " [2]. وجاء في تفسير الآية الشريفة ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3]، قال ﷺ : نسبا وصهرا وحسبا ليس من آبائي من لدن آدم سفاح ، كلنا بنكاح. ولقد قال الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة ام ، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه اهل الجاهلية [4].

ومما لا يفوتنا تسجيله ما قد يتبادر للذهن: لماذا هذا التأكيد من النبي الاعظم ﷺ وامير المؤمنين عليه السلام على هذا الجانب ؟ هل طعن في نسب النبي ﷺ فاستلزم الامر رده بهذه الاحاديث ام انها ادراك للامر قبل وقوعه ؟!!

لو تصفحنا مرويات بعض المصادر التاريخية لوجدناها قد روجت لهذه الطعون وباتت الاجيال تتناقلها وكانها من المالوفات التي لا ضير فيها ، ويمكن ان نستقرأ من خلالها رؤية تبين ان النبي ﷺ لا فضل له الا النبوة ، وانه كالاخرين الذين شابت انسابهم شوائب الجاهلية وارجاسها ، لكن هذه الرؤية لا تمثل الجميع فهناك من ذهب الى رأي مخالف واكد على طهارة آباء النبي ﷺ وامهاته من هذه الناحية[5] .

١- ابن سعد: الطبقات: 61/1 . الطبراني: المعجم الاوسط : 80/5 . الرامهرمزي: الحد الفاصل: ص 470. الصدوق: الاعتقادات في دين الإمامية : ص110. الحاكم: معرفة علوم الحديث: ص171. الهيثمي: مجمع الزوائد: 8/ 214.

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 63/7.

٣- سورة التوبة الآية 128.

٤- ابن سعد: الطبقات 60/1 – 61. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 403/3. ابن سيد الناس: عيون الأثر: 36/1. السيوطي: المحاضرات والمحاورات : ص55. القندوزي: ينابيع المودة :61/1.

٥- ينظر على سبيل المثال ما جاء في الرسائل العشر للسيوطي: ومنها : الرسالة الأولى: المقامة السندسية في النسبة المصطفوية : ص 7- 26، الرسالة الثانية: الدرج المنيفة في الآباء الشريفة : ص 27 – 43، الراسالة الثالثة: مسالك الحنفا في والدي المصطفى: ص45-102، الرسالة الرابعة: نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين : ص 103 – 118، الرسالة الخامسة: التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة: ص 119-164، الرسالة السادسة: السبل الجلية في الآباء العلية : ص 165 – 179، الرسالة السابعة : تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء: ص 181-196 إيمان الساعدي: والدي النبي محمد ﷺ، الفصل الثالث، تحت عنوان (عقيدة والدا النبي ﷺ). حيدر إسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ من آدم إلى عبد الله : ص6 – 348 .

الذي يستدعي قوله هنا: انه يتضح وفق ذلك ان الامام امير المؤمنين عليه السلام له رؤية مغايرة لما ألفت عليه تلك المصادر التي اساءت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وانه سبق جميع الباحثين والمؤرخين الذين دفعوا هذه الشبهات بالادلة الوافية ، بل انه عليه السلام قد استبق زمن وضع هذه المرويات ليقول كلمته الفصل في رد كل ما سيضعه الوضاعون للنيل من طهارة نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وللماوردي[1] كلام لطيف في هذا المجال يختصر المقال بقوله : " واما طهارة مولده ، فإن الله تعالى استخلص رسوله من اطيب المناكح ، وحماه من دنس الفواحش ، ونقله من اصلاب طاهرة الى ارحام مطهرة . وقد قال ابن عباس رضي الله عنه في تأويل قوله تعالى- وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ [2]- أي تقلبك من اصلاب طاهرة من أب بعد أب الى أن جعلك نبيا ، وكان نور النبوة في آبائه ظاهرا ، واذا خبرت حال نسبه ، وعرفت طهارة مولده ، علمت انه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ... [وساق نسبه الى عدنان ثم قال]: ليس في آبائه خامل وله مسترذل ولا مغمور مستذل كلهم سادة قادة وهم اخص الناس بالمناكح الطاهرة ".

<u>الثاني: الطهارة من الشرك:</u> قد صرحت كلمات امير المؤمنين عليه السلام السابقة لفظا ومعنىً بطهارة اسلافه صلى الله عليه وآله وسلم من الكفر والشرك بالله الذي الحقته بعض المرويات التاريخية بآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والكافر لا يقال بحقه : انه مختار او كريم ولا طاهر لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[3]. وفي قوله تعالى ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ دلالة لا لبس فيها على طهارة آبائه صلى الله عليه وآله وسلم من كل شرك وكفر. وهنا تنتقي تقولات بعض الرواة الذين نجد في مروياتهم ما يشير الى ان من آبائه صلى الله عليه وآله وسلم من اشرك بالله وعبد الاصنام ، كما هو الحال في الرواية المزعومة التي نسبت الى جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خزيمة بن مدركة [4] انه اول من وضع

١- اعلام النبوة : ص 201- 202

٢- سورة الشعراء الآية 219 .

٣- سورة التوبة الآية 28.

٤- هو خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، فهو الجد الرابع عشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . كان احد حكام العرب ، وصاحب الفضل والسؤدد فيهم، كان من الموحدين ومات على ملة النبي ابراهيم عليه السلام . ينظر : اليعقوبي: تاريخ: 229/1. الصالحي: سبل الهدى: 287/1. الديار بكري: تاريخ الخميس: 150/1.

هبل في الكعبة حتى سمي هبل خزيمة [١] . رغم ان النبي ﷺ كان قد خصه من ضمن آبائه الذين اكد انهم " على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير" [٢] ، وذكر البلاذري ان تسمية عبد مناف جد النبي ﷺ كانت نسبة الى صنم من الاصنام [٣] بينما أصل التسمية يرجع الى انها كانت بمعنى " علا واناف [٤] " واسمه المغيرة بن قصي [٥] .

فلا يمكن قبول ما جاء في تلك الروايات الشائبة التي حاولت ان تلصق بآباء النبي ﷺ الشرك بالله او اي عمل ينافي الشريعة الالهية والثوابت العقلية ، وقد صرح النبي ﷺ بان آباءه واجداده كانوا موحدين وعلى ملة ابراهيم عليه السلام [٦]. وفي مراجعة فاحصة لسير حياتهم نجد ان مَعْ لَمَ التوحيد بارز في ثنياتها ورغم ان هناك من تكفل باستقصاء تلك الشبهات وردها الا اننا انما ألمحنا بشكل موجز لتلك الشبهات دون الخوض في تفاصيلها بغية بيان الفارق بين رؤية امير المؤمنين عليه السلام ومن اهتدى بنوره ، وبين الرؤية السلبية للروايات التاريخية الموضوعة في هذا الجانب[٧].

نخلص إلى القول إن النبي ﷺ تميز بانتسابه الى اعرق واشرف الأنساب إذ قيض له الباري آباء وأمهات طاهرون مطهرون من كل شائبة ودنس رغم تواجدهم في بيئة مشوبة في الاعم الاغلب بالآثام ، إلا ان المسار النبوي الطيب تنزه عن كل ذلك فتسامى طيباً كريماً معافى.

١- البلاذري: انساب الاشراف : 37/1. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 391/5. ابن الاثير: الكامل: 28/2. النويري: نهاية الارب : 12/16. البغدادي: خزانة الادب : 212/7.

٢- ابن حجر: فتح الباري : 125/7. ولقد ناقش إسماعيل هذه الشبهة ودحضها بعدة أدلة . ينظر: آباء النبي محمد ﷺ : ص91 - 94 .

٣- البلاذري: انساب الاشراف :52/1.

٤- مناف : مأخوذ من ناف أي ارتفع ، وجبل منيف ، أي مرتفع ، وجبل عالي المناف، أي المرتقى ، وناف ينوف ، أي طال ، وإمرأة منيفة ، تامة الحسن والجمال. ومنه عبد مناف. الزمخشري: أساس البلاغة: ص 996. ابن منظور: لسان العرب: 9/ 342- 343.

٥- ابن سعد: الطبقات: 55/1. ياقوت الحموي: معجم الأدباء: 41/14. ابن شهر آشوب: المناقب: 134/1. المجلسي: البحار: 15/ 104.

٦- ينظر: إسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ: ص45- 59.

٧- لمزيد من التفاصيل ينظر: اسماعيل: آباء النبي محمد ﷺ (الصفحات جميعها) .وينظر : حسين الصافي : آباء النبي ﷺ في الكتاب والسنة :ص 105 -124 .

لقد تميزت سلالة النبي ﷺ بمكارم ومحامد كثيرة ، لا يتسع المجال للإفاضة فيها، لذا سنقتصر على الاشارات الموجزة التي وردت في مظان كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد اشار الى عدة جوانب ، وخصائص ذاتية ، ومكارم أخلاقية اختص بها آباء النبي ﷺ ، من قبيل وصفه لبني هاشم بالكرم ، والسخاء ، والشجاعة ، والفصاحة ، والهيبة ، اذ يقول عليه السلام : " **وأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، ... ، ونَحْنُ أَفْصَحُ وأَنْصَحُ وأَصْبَحُ** " [1].

ولا يسعنا الاستفاضة في تتبع مصاديق هذه الصفات والسجايا على جميع آباء النبي ﷺ ، بل سنركز الحديث على ثلاث شخصيات خصها الامام أمير المؤمنين عليه السلام بذكره لها في معرض المساجلة بينه وبين معاوية ، إذ قال له : " **ولَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ ، ولَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ ولَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ** " [2].

ففي جانب الكرم والسخاء ، فإنّا نجد هاشماً [3] الذي اسمه " عمرو" [4] شهد له التاريخ بسخاء لا مثيل له ، حتى ان لقبه بـ " هاشم " كان كناية عن جوده وكرمه ، اذ عُرف به لتهشيمه الثريد لبني قومه في ازمة لحقتهم في عهده[5]. وفي ذلك يقول الشاعر (ابن الزبعرى)[6] :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه كانوا بمكة مسنتين عجاف[7]

١- نهج البلاغة: ص677 – 678.

٢- نهج البلاغة : ص511.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر : رياض رحيم الصفراني : هاشم بن عبد مناف دراسة في سيرته الشخصية : (الصفحات جميعها).

٤- سمي عمرو العلا لمعاليه . ينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 15 / 210 .

٥- ابن عساكر: تاريخ دمشق: 3/ 59 . ابن الجوزي: المنتظم : 210/2 . النويري: نهاية الارب : 358/2 . ابن كثير: السيرة النبوية : 164/2. ابن حجر: فتح الباري : 124/7.

٦- هو عبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي من شعراء المشركين، كان يؤذي النبي ﷺ في مكة ، وهو صاحب الأبيات المشهورة يوم أحد ثأرا لقتلى المشركين يوم بدر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

اسلم عام الفتح ، فكان من الطلقاء . ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب : 901/3 . ابن الأثير: أسد الغابة : 159/3.

٧- الازرقي: أخبار مكة 1/ 112، السهيلي الروض الأنف 161/1. وقد نسبه آخرون إلى مطرود بن كعب الخزاعي. ينظر: ابن حبيب: المنمق : ص27. اليعقوبي: تاريخ : 243/1 . ابن عنبة: عمدة الطالب : ص25.

و" كانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويأوي الخائف "[١]

وقد تولى هاشم مهام الرفادة وهي التي تتضمن تهيأة الطعام للحاج ايام الموسم [٢]، وكانت فضيلة اطعام الطعام من اكبر الفضائل التي يمتدح بها العرب ، وينال صاحبها الاحترام العام ، والمنزلة الرفيعة والسمعة الطيبة ، بل كانوا يعتبرون المؤاكلة عقد رباط وجوار [٣]. وكان هاشم قد وصل القمة في الكرم وذاع صيته عند قريش وخارجها، حتى عجز بعض فروع قريش ان يصنعوا صنيعه في الكرم والاطعام كأمية بن عبد شمس في قضية المنافرة المعروفة [٤].

ما أحد كهاشم وإن هشم ولا أمرؤ كحاتم وان حتم [٥]

وقد آلت اليه زعامة مكة ، وساد قومه ، واعاد الى الاذهان سيرة جده قصي بن كلاب ، وقد توفر لديه القدرة على الوفاء بالتزامات الرئاسة من الشجاعة والكرم ورجاحة العقل وبذل المال وغيرها من سمات هيأت له السيادة على قومه ، يقول الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي[٦]:

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بدار عبد مناف[٧]

وكان من احسن الناس وجهاً حتى لقبته العرب لجماله " قدح النضار[٨] " و" البدر" ، وكان له من الهيبة حتى قيل انه لم يكن يراه احد الا احبه واقبل نحوه [٩].

١- الديار بكري : تاريخ الخميس : 1 / 158 .
٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 15/ 209.
٣- الملاح: الوسيط : ص382.
٤- محمد بن ابراهيم آل لطيف: مآثر آل البيت وبني هاشم : ص 52 . النصرالله : شرح نهج البلاغة : ص60-61.
٥- الثعالبي: يتيمة الدهر : 4/ 341.
٦- هو من فحول شعراء الجاهلية ، ارتكب جناية فلجأ إلى عبد المطلب فآمنه ، وبقي عنده في حماية بني هاشم. ينظر: الزركلي: الأعلام : 251/7.
٧- ابن حبيب : المحبر ص163 . البلاذري : انساب الاشراف :59/1 . الشريف المرتضى: الامالي : 178/4.
٨- هو شجر الاثل الورسي اللون. الزمخشري: الفائق في غريب اللغة: 3/ 305. وقيل هي الاقداح الحمر الجيشانية . ابن منظور : لسان العرب: 5 /214.
٩- الصالحي الشامي: سبل الهدى: 270/1.

وقد ورث ولده عبد المطلب من أبيه من صفات الكمال والجمال والسخاء ما فاق فيه من سواه، إذ كان سيدا من سادات العرب ومقدميهم، فصيحاً ، عاقلاً ، ذا اناة ونجدة ، ومن الاربعة الذين وطد الله بهم قريش وبنو مكة ونظموها وتعاهدوا البيت الحرام[١]. فمن صفاته الشخصية انه كان اوسم العرب شكلا، شكلا، واعظمهم مهابة ، واجملهم صفاتا ، واطولهم قامة ، واحسنهم وجهاً [٢].

وكان من حلماء قريش وحكمائها ، وكان مجاب الدعوة محرماً الخمر على نفسه ، وهو اول من تحنث بحراء ، وقد دأب على اطعام المساكين ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، ولذلك كان يقال له مطعم الطير ، ويقال له الفياض [٣]

وله من الهيبة التي ما رآه ملك قط إلا اكرمه وشفعه [٤]، وقد روي عن النبي الاعظم ﷺ: "ان الله يبعث جدي عبد المطلب أمة وحده في هيئة الانبياء وزيّ الملوك " [٥]. ومما شرف به عبد المطلب عبادته عبادته ، وزهده ، وفصاحته ، وموقفه الشجاع في مواجهة ابرهة صاحب الفيل ، فكان ان لقبته قريش بابراهيم الثاني [٦]. وكان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشريفهم وسيدهم كمالا و فعالا [٧]. وكان مقراً بالتوحيد ، مثبتا للوعيد وتاركاً للتقليد [٨]. اما شعرهوفصاحته فاشهر من ان يذكر، وله ديوان شعر مطبوع [٩] .

١- آل لطيف: مآثر آل البيت وبني هاشم ص 55 .

٢- لقد وصفه دغفل النسابة قائلا: " كان عبد المطلب ابيض، مديد القامة، حسن الوجه، في جبينه نور النبوة، وعز الملك، يطيف به عشرة من بنيه، كأنهم أُسد غاب". ينظر: أبو الفرج الاصفهاني : الأغاني : 45/1.

٣- احمد بن زيني دحلان : السيرة النبوية : 1 /22 . وينظر : اسماعيل : آباء النبي محمد ﷺ: ص 158- 165 .

٤- ابن سعد : الطبقات : 1 / 85 .

٥- اليعقوبي: تاريخ 2/ 14.

٦- اليعقوبي: تاريخ 2/ 11. ولمزيد من التفاصيل عن موقفه المتميز في مواجهة ابرهة ينظر : النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 61 – 65 .

٧- دحلان : السيرة النبوية : 1 / 22 .

٨- المسعودي : مروج الذهب : 2/ 103 .

٩- ينظر : اسماعيل : آباء النبي ﷺ : ص 164 – 165 .

كان بنوه ممن اشتهر بصفات ندر وجودها ، حتى قيل : " لم يكن في العرب عدة بني عبد المطلب ، اشرف منهم ولا اجسم ، ليس منهم رجل الا اشم العرنين ، يشرب انفه قبل شفتيه ، ويأكل الجذع ، ويشرب الفرق "[١]. وكان لكل واحد من ولد عبد المطلب شرف وذكر وفضل وقدر ومجد [٢] قال ابو حيان التوحيدي[٣]: " انصرف العباس بن مرداس السلمي من مكة فقال: يا بني سليم ، اني رأيت أمراً، وسيكون خيراً، رأيت بني عبد المطلب كأن قدودهم الرماح الردينية [٤]، وكأن وجوههم بدور الدجنة، وكأن عمائمهم فوق الرجال ألوية، وكأن منطقهم مطر الوبل على المحل ؛ وإن الله إذا أراد ثمراً غرس له غرساً ، وإن أولئك غرس الله؛ فترقبوا ثمرته، وتوكفوا غيثه ، وتفيئوا ظلاله ، واستبشروا بنعمة الله عليكم به".

وعن الكلبي: " فلم يكن في العرب بنو اب مثل بني عبد المطلب أشرف منهم ولا اجسم شم العرانين تشرب انوفهم قبل شفاههم " [٥]. وفي اعلام النبوة للماوردي [٦]: " وصار عبد المطلب سيداً عظيم القدر مطاع الامر نجيب النسل حتى مر به اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالأُسد فقال: إذا احب الله إنشاء دولة خلق لها امثال هؤلاء. فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد بها ذكرهم ورفع لها قدرهم حتى سادوا الانام وصاروا الاعلام وصار كل من قرب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من آياته أعظم رياسة وتنوها وأكثر فضلا وتألها ".

وممن برز من ولده وحاز سيادة قومه بعد ابيه ولده ابو طالب عليه السلام الذي اشتهر بالكرم والشجاعة والفصاحة والهيبة والجمال. فاما كرمه، فقد كان كآبائه سخياً كريماً معطاءاً، حتى قيل فيه: " الجواد بما يملك من غير منة ، والسمح بما يستطيع بلا طلب " [٧] ، وقد بلغ من جوده ان اعترف اعدائه له بهذه

---

١ – ابن حبيب: المنمق: ص34.

٢– اليعقوبي : تاريخ : 2 / 11 .

٣– الامتاع والمؤانسة : 1 / 76 .

٤– الرماح الردينية: نسبة لأمراة تدعى ردينة كانت تسوي الرماح بخط هجر، الجوهري: الصحاح 2122/5 ، ابن منظور: لسان العرب 13/ 178، الزبيدي: تاج العروس : 232/18.

٥– ابن سعد : الطبقات: 94/1 . ابن عساكر: تاريخ دمشق: 3 / 117.

٦– ص 215.

٧– المسعودي : اثبات الوصية : ص 135.

المكرمة.[1] اما دليل شجاعته فانه لا يحتاج الى بيان، اذ يكفي موقفه من نصرة النبي ﷺ ووقوفه بوجه اعتى عتاة قريش، وقد عبر هو عليه السلام عن شجاعته بقوله[2]:

انىّ تضام ولم أمُت وانا الشجاع العربد

وقد قيل عنه ﷺ : " لو ولد الناس ابو طالب لولدهم شجعاناً " [3] وقد جعلته هذه السمات السيد المطاع في قومه والافضل بين رجالات قريش وهذا ما اشارت اليه وفود قريش لما وفدوا عليه يشكون اليه امر رسول الله ﷺ لانه عاب دينهم وسفه احلامهم فخاطبوا ابو طالب بقولهم " انت سيدنا وافضلنا في انفسنا "[4] .

ثانيا: الميثاق:

وردت هذه المفردة " الميثاق " في ثلاث مواضع من كلامه الشريف في نهج البلاغة:

1 - " **واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ** "[5]

2 - قوله عليه السلام في معرض حديثه عن النبي ﷺ : " **مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُه ، مَشْهُورَةً سِمَاتُه** "[6].

3 - الذي يختص بوظيفة النبوات إذ يقول عليه السلام : " **لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه** "[7].

١- روي ان احدهم دخل على معاوية في مجلسه فقال : " جئتك من عند الآم العرب وا بخل العرب واعيا العرب واجبن العرب ، قال ومن هو ... قال علي بن ابي طالب " فلما اختلى به وبخه قائلا : " ويحك يا جاهل كيف يكون الأم العرب وابوه ابو طالب وجده عبد المطلب " . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 48 . وينظر : المحمداوي : ابو طالب : ص 23 .

٢- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 14/ 77.

٣- الإربلي: كشف الغمة 235/2.

٤- ابن سعد : 202/1 . وينظر : المحمداوي : ابو طالب : ص 24 – 25 .

٥ – نهج البلاغة : ص19.

٦ – نهج البلاغة :ص20 . 21.

٧ – نهج البلاغة: ص20 . ينظر من هذا الفصل ص : 222 – 226

إن هذه المقاطع تنبئ عن ميثاق مأخوذ ، ففي المقطع الأول ، إن الذي أخذ الميثاق هو الله تعالى على أنبيائه وهذا ما أشار إليه في كتابه الكريم بقوله جلا وعلا: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[1].

والمعنى في كلام الإمام عليه السلام انه تعالى أخذ الميثاق عليهم بان يبلغوا الناس ما أوح ى إليهم الله سبحانه ، فقد أعطى الرسالة وأخذ الأمانة ، فان بلغوا الرسالة رد إليهم الأمانة ، فهم ذوو أمانة ، وان لم يبلغوا الرسالة لم يرد إليهم الأمانة [2].

إذ حكمت الحكمة الإلهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحي في ألواح قواهم ، وجذب سائر النفوس الناقصة إلى جناب عزته بحسب ما أفاء لهم من القوة على ذلك الاستعداد له ، وما منحهم من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم . ولما كانت صورة العهد ، وأخذ الأمانة في العرف أن يوعز الإنسان بأمر، ويؤكد عل ى القيام به بالإيمان وإشهاد الحق سبحانه ، وكان مداد الحكم الإلهي جاريا بإرسال النفوس البشرية إلى هذا العالم ، وكان مداد العناية الإلهية من ذلك البعث أن يظهر ما في قوة كل نفس من كمال أو تكميل إلى الفعل ، وكان ذلك لا يتم إلا بواسطة بعضها للبعض كان الوجه الذي بعث عليه مشبها للعهد والميثاق المأخوذ والأمانة المودعة كل لما في قوته وما اعد له [3].

يبدو من كلامه أعلاه في النص الأول إن هذا الميثاق كان عاما للأنبياء جميعا ، كما هو واضح أيضا في مراد الآية أعلاه ، وان كانت خصت فيما بعد بخمسة من الأنبياء هم أولو العزم وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعظمته وشرفه وتقدم مكانته ، مما يدلل على إن المسؤولية عليهم اشد وان لهم خصوصية ولا سيما في هذا المجال.

أما المقطع الثاني " مأخوذا على النبيين ميثاقه ، مشهورة سماته " ، فهنا رأيان:

الأول: إن الله اخذ ميثاقه وهو الدعاء إلى توحيده والإقرار بربوبيته.

---

١ – سورة الأحزاب الآيتان 7 . 8.

٢– الشيرازي : توضيح نهج البلاغة : 36/1 .

٣– ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 1 / 348 .

الثاني: إن الله اخذ ميثاق النبي محمد ﷺ وتصديقه والاعتراف بنبوته [1].

والى مثل هذا المعنى أشار القرآن إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

ومحصل معنى الآية: إن الله اخذ الميثاق من الأنبياء وأممهم إن لو أتاهم الله الكتاب والحكمة وجاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن بما أتاهم وينصرن الرسول وذلك من الأنبياء تصديق من المتأخر للمتقدم والمعاصر، وبشارة من المتقدم بالمتأخر وتوصية الأمة ، وعلى الأمة الإيمان والتصديق والنصرة ، ولازم ذلك وحدة الدين الإلهي [3] . وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله اخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته ، ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه [4] . وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال: لم يبعث الله نبيا آدم فمن بعده إلا اخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا : (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة). من هنا حصلت به البشائر من الأنبياء اجمعهم قبل إخراجه إلى العالم بالوجود ، وإنما أراد جل اسمه بذلك إجلاله وإعظامه وان يأخذ العهد له على الأنبياء والأمم كلها...)[5].

أما في قول أمير المؤمنين عليه السلام : " مشهورة سماته"، إشارة واضحة إلى وضوح صفاته وعلاماته في الكتب المنزلة والصحف السماوية السابقة ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[6]. أي أنهم ليسوا مطلعين على أصل ظهوره ودعوته فحسب ، بل ويعرفون أيضا إشاراته وخصوصياته وجزئياته، حتى قال تعالى في ذيل الآية التي جاءت في سورة البقرة: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [7]﴾[8] ، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ

١- الحسيني: الديباج الوضي: 1 / 165.
٢ - سورة آل عمران الآية 81 .
٣- الطباطبائي: الميزان: 3 / 323 .
٤- الطبرسي: مجمع البيان: 334/2. المجلسي: البحار :176/15.
٥- المفيد: المسائل السروية: ص 41 .
٦ - سورة البقرة الآية 146 ، سورة الأنعام الآية 20 .
٧ - سورة البقرة الآية 146 .
٨- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 8 / 288.

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [1] وروي عن الإمام الباقر عليه السلام :" يعني اليهود والنصارى صفة محمد واسمه " [2].

إن اللافت للنظر: إن القرآن لا يقول: (يجدون علائمه ودلائله) بل يقول (يجدونه) أي يجدون نفس ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل ، وهذا التعبير الذي يعني حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم هو تأكيد على منتهى وضوح الأمر [3] .

وروى عن الإمام الباقر عليه السلام : " لما أنزلت التوراة على موسى بشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال: فلم تزل الأنبياء تبشر به حتى بعث المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فبشر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك قوله (يجدونه) ، يعني اليهود والنصارى ، (مكتوبا) ، يعني النبي محمد (عندهم) يعني في التوراة والإنجيل ، وهو قول الله عز وجل يخبر عن عيسى: ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [4]﴾ " [5] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[6]. إذ لما ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهضوا لمخالفته ووقفوا ضده ، رغم إن مسألة ظهوره كانت واضحة في كتبهم[7].

والنقطة الجديرة بالتأمل إن عبارة (مصدق لما معهم) أو ما يشابهها من تعبير وردت في القرآن الكريم مرات عدة [8]، وليس مفهومها إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤيد كتبهم السماوية مع ما حدث فيها من تحريف ، بل المقصود إن أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافقة ومتطابقة مع العلامات والإشارات التي في أيديهم ، وبتعبير

---

١ – سورة الأعراف الآية 157 .

٢– أبو حمزة الثمالي: تفسير أبي حمزة: ص176. البحراني: البرهان: 594/2. المجلسي: البحار: 227/15.

٣– ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية : 8 / 290..

٤ – سورة الصف الآية 6.

٥– الكليني : الكافي 117/8. المجلسي: مرآة العقول : 25/ 280.

٦ – سورة البقرة الآية 89 .

٧– ينظر: هادي عبد النبي التميمي: الدور اليهودي في الدولة الاسلامية حتى نهاية عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ص 40 –53.

٨ – ينظر مثلا: سورة البقرة الآيتان 89، 146، سورة الأنعام الآية 20، سورة الأعراف الآية 157، سورة الصف الآية 6.

آخر إن للنبي ﷺ وكتابه السماوي نفس الأوصاف التي كانوا يعرفونها من قبل ، وكان هذا تصديقا لكتبهم السماوية من ناحية تطابقها تماما مع صفاته ﷺ[1].

والى اليوم فان علاماته وسماته ﷺ موجودة في الكتب التي في متناول أيدينا (التوراة والإنجيل) وبالإمكان الوقوف عليها إذا ما تم استقصاؤها بدقة [2].

ثالثا: الاختصاص بالوحي:

ومن جملة المزايا التي اختص بها الأنبياء والمرسل ون ، إن الله سبحانه خصهم بالإيحاء الإلهي ، الذي كان اتصالا غيبيا خفيا بين الله وأصفيائه ، الذين اجتباهم لتأدية رسالاته ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " **بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ**" [3] وهو صدى قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[5]. وجاء في في خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بضعة إشارات إلى ظاهرة الإيحاء الإلهي ، إذ أشار عليه السلام إلى أنها ظاهرة تشترك فيها جميع الأنبياء ، وإنها لازمتهم منذ بدء اصطفائهم إذ ائتمنهم الله سبحانه على وحيه ، وتبليغ رسالته ، وتعهدوا هم بأداء الأمانة على أكمل وجه وأتمه ، يقول عليه السلام : " **واصْطَفَى سُبْحَانَه مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ**" [6] فمقام تلقي الوحي والرسالة ليس من صنف المقامات المتاحة للجميع ومن دون مؤهلات واستحقاق لها ، فهو مقام لا يعطى إلا لمن توفرت فيه مقدمات الكمال وشروطه و ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[7]. وهنا لا بد من وقفة تعريفية مع مفردة (الوحي) التي نحن بصدد الحديث عنها:

١- ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : 8 / 292.

٢- ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: 8 / 293 – 302 .وينظر عودة مهاوش : الكتاب المقدس تحت المجهر : ص138-153 .

٣- نهج البلاغة: ص262.

٤- سورة الشورى الآية 3.

٥- سورة الزمر الآية 65 .

٦- نهج البلاغة : ص19 .

٧- سورة الأنعام الآية 124 .

الوحي– لغة – إعلام في خفاء ، وقيل: الإشارة السريعة ، وكل ما ألقي إلى آخر فهو وحي من إشارة أو كتابة أو رسالة أو الهام أو كلام خفي [١]، ومن خلال تقصي استعمالات مفردة " الوحي" في القرآن الكريم يمكن أن نقف على نوعين للوحي الإلهي :

الوحي التشريعي: ما كان ينزل على الأنبياء ويمثل العلاقة الخاصة بينهم وبين الخالق ، فقد كانوا يستلمون الأوامر الإلهية والحقائق عن هذا الطريق.

الوحي التكويني: وهو في الحقيقة وجود الغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينية الخاصة التي أوجدها الخالق في أعماق جميع الكائنات في هذا العالم [٢].

إن الذي عليه مدار بحثنا هو النوع الأول الذي اصطلح على تسميته بالوحي الشرعي أو التشريعي ، وفيه يشترك جميع الأنبياء والرسل ، وإن مصدره الله تعالى ، ولا يتلقاه منه أو من الملك المخصص إلا نبي أو رسول لرب العالمين ، فهو متميز إرسالا عمن سواه من طرق الوحي ، ومتميز بمستقبله الذي يجب أن يكون حائزا على شرف النبوة أو تكليف الرسالة [٣]. فالوحي من لوازم النبوة ، وهو نوع تكليم الهي تتوقف عليه النبوة [٤] .

للوحي صور متعددة يمكن الوقوف عليها من خلال مراجعة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والمقطوعات الروائية ، ولكن سنقتصر على صور الإيحاء الخاصة بالنبوة والإرسال التي يمكن إيجازها بالآتي :

أ –**الوحي المباشر**: وهي حالة إلقاء الكلمة الإلهية إلى الرسول بدون وساطة ملك ، كما خاطب الله نبيه محمدا ﷺ في معراجه إلى السموات العلى[٥] ، وكما خاطب الله نبيه موسى عليه السلام في قوله

١– الجوهري: الصحاح: 6 / 2519–2520. ابن فارس: المعجم : 6 / 93 . ابن الأثير: النهاية: 5 / 163. الرازي: مختار الصحاح : ص 365 . ابن منظور: لسان العرب: 15 / 379– 382 .

٢– ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 15 / 421.

٣–اقبال بن عبد الرحمن ابداح: الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين: ص 22 – 24.

٤– الطباطبائي: الميزان: 2 / 135.

٥– سورة النجم الآيات 13 . 18 .

تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى* إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [1].

ب **<u>عن طريق الملك جبرئيل</u>** عليه السلام : قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [2].

ج- **<u>الإيحاء بواسطة الرؤيا</u>** :كما في قضية رؤيا النبي إبراهيم عليه السلام [3]، وكما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ...﴾ [4].

د – **<u>إلقاء المعنى في قلب النبي أو نفثه في روعه</u>** بصورة يحس بأنه تلقاه من الله تعالى. قال صلى الله عليه وآله وسلم : " يا أيها الناس انه قد نفث في روعي روح القدس..." [5] .

وهناك تفصيلات وتفرعات أخرى تخص الوحي وصوره وخواصه لا مجال لبحثها هنا [6].

لقد كانت أوضح صور الإيحاء بيانا في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام هو ما كان عن طريق الملائكة ، وفيما عداها تبدو إشاراته عليه السلام عامة عن ظاهرة الوحي. ففي معرض حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن مهام الملائكة ، قال عليه السلام : " **ومِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِه وأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِه** "[7]، وفي قول آخر: "**جَعَلَهُمُ اللَّه فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِه** " [8] فالأمانة من ابرز سمات رسل الله- الملائكة – وقد

١- سورة طه الآيتان11. 12 .

٢- سورة الشعراء الآيتان 193- 194.

٣- ينظر سورة الصافات الاية 102 – 107.

٤- سورة الفتح 27.

٥- الشافعي: المسند: ص 233. الصنعاني: المصنف: 11 / 125. ابن أبي شيبه: المصنف: 8 / 29. الصفار: بصائر الدرجات: ص 473 . الكليني: الكافي: 2 / 74 ، 5 / 80 . الاسكافي: التمحيص: ص 52 . الحراني: تحف العقول : ص 40 . الطوسي: تهذيب الأحكام: 6 / 321 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 4 / 71 . المتقي الهندي: كنز العمال: 4 / 19 ، 22 – 23 .

٦- لمزيد من التفاصيل عن ظاهرة الوحي وما قيل فيها، يراجع: ابداح : الوحي القراني :ص 17 –136 .الآملي :الوحي والنبوة :ص143- 153 .الحكيم :علوم القران : ص26 ،148 -164 . .

٧- نهج البلاغة: ص 17 .

٨- نهج البلاغة: ص157 .

أشار القرآن في وصف جبرئيل عليه السلام ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1] . فالملائكة هنا أمناء على إيصال الوحي للرسل والأنبياء ، والأنبياء والرسل أمناء على إيصاله للناس ، يقول عليه السلام في نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " أَمِينُ وَحْيِه "[2]، وخصه الله تعالى بأن" وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ "[3].

وأشار الإمام عليه السلام في موضع آخر إلى إن بعض الملائكة لها دور خاص في التسديد الإلهي لنبيه الكريم إذ " ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه صلى الله عليه وآله وسلم ، مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه ، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه"[4].

وتدلل إشارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النصوص التي ورد فيها ذكر مفردة " الوحي " – على قلتها– على إرتباط الوحي بالله وأنه واسطته إلى أنبيائه ، يبلغون أحكامه وشرائعه السماوية إلى العباد، فهو عبارة عن نوع علاقة وارتباط ووحي غيبي خارج عن إطار المادة والطبيعة يحصل بين الله عز وجل وبين من اصطفاه لهذا المقام.

ويقودنا مزيد من التأمل في تلك الموارد إلى أن نستوحي حقيقة مفادها: إن الوحي هو حصيلة الاتصال بعالم الغيب ، وإنه لا يصح تحليله بأدوات معرفية معتادة ، وليس هو نتاج الحس ، ولا العقل، ولا الغريزة ، وليس وليد نبوغ الأنبياء وتفكيرهم الخاص ، كما ذهب إلى هذا القول ثلة ممن تعرضوا لبيان ماهية الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم – حتى بلغ بهم فهمهم القاصر الم ستند على روايات نسجتها مخيلة بعض الرواة في إطار مادي إلى محاولات صب الحقائق الغيبية في قوالب حسية لتفسير هذه الظاهرة الإلهية ، ولذا خلصوا إلى النتيجة التي تقول ان الأنبياء من نوابغ البشر، والوحي ما هو إلا حصيلة تفكرهم العميق ونتيجة لفعاليات حواسهم الباطنية ، وإن حقيقة " الروح الأمين " في تصور هؤلاء

١– سورة التكوير الآية 21. هناك من يرى بان المراد بهذه الآية هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليس جبرئيل عليه السلام ينظر: السيد محمد الصدر: ما وراء الفقه : 6 / 64 – 65.

٢– نهج البلاغة : ص329 .

٣. نهج البلاغة : ص. 251 .

٤– نهج البلاغة: ص406 .

هي روح هؤلاء النوابغ الزكية ، ونفوسهم الصافية النقية ، وان الكتب السماوية كذلك ليست سوى أفكارهم السامية وتصوراتهم الراقية [1] .

وفي نص آخر يبين أمير المؤمنين عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله كان بمستوى عال من الإدراك والاستيعاب والحفظ لوحي الله المنزل إذ يقول عليه السلام : " **وَاعِياً لِوَحْيِكَ** "[2]. وخلافا للانطباع الذي يعطيه مفهوم" الوعي" في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه نجد الروايات تعكس انطباعا يبدو في أحد أبعاده مشوشا بخصوص حالة تلقي الوحي السماوي [3]، وقد ساقنا التقصي السريع لمعظم الروايات– التي تناولت بيان حالة التلقي للوحي من قبل النبي صلى الله عليه وآله – إلى ترسيخ طابع الشك والريبة فيما ذكروه عن هذه المسألة! إذ يسأل أحدهم النبي صلى الله عليه وآله كيف يأتيك الوحي ؟ فيقول صلى الله عليه وآله: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" [4].

فهل هذا تعدد أم تناقض؟ في الأولى يبدو عنيفا يتكلف النبي صلى الله عليه وآله شدة حتى يبلغ درجة الوعي، وفي الثانية يكون لينا فيعي منه صلى الله عليه وآله مباشرة؟! وقد علل باحث ذلك بقوله: " ولعل حكمة ظهوره على الصورة البشرية واضحة الدلالة على معناها من حيث كونها أكثر إيناسا وتأمينا للمخاطب [5].

١– سبحاني: العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ص 127.

٢– نهج البلاغة: ص107.

٣– لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الجبار ناجي : نقد الرواية التاريخية : ص 201– 300 .

٤–الإمام مالك: الموطأ: 1 / 202. الحميدي: المسند: 1 / 125. ابن راهويه: مسند ابن راهويه : 252/2. ابن حنبل: المسند: 6 / 158. البخاري: الصحيح: 1 / 2–3، 4 / 80. خلق أفعال العباد: ص84.83. مسلم: الصحيح: 7 / 82. الترمذي: السنن: 5 / 258. النسائي: السنن: 2 / 146 – 147 . الطبراني: المعجم الكبير: 3 / 259 – 260. الحاكم : المستدرك : 3 / 279. البيهقي:السنن الكبرى: 7 / 53 . ابن عبد البر : التمهيد : 1 / 284 ، 22 / 112. ابن شهر آشوب: المناقب : 41/1. المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 458 – 459، 12 / 447. السيوطي: تنوير الحوالك : ص 213.

٥– ابداح: الوحي القراني: ص 84 .

لكن نجد في رواية أخرى ما يناقض هذه الحالة بشكل تام إذ يروى عنه ﷺ : " كان الوحي يأتيني على نحوين يأتيني به جبرئيل ، فيلقيه علي كما يلقي الرجل على الرجل ، فذلك يتفلت مني ، ويأتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي ، فذاك الذي لا يتفلت مني" [١].

هنا ترد حالة أخرى! فهل من معلل لما جاء فيها؟ وهل من مرشد لنا أي الحالتين هي الأصح ومن هي التي وقعت فعلا ؟ وما معنى قوله ﷺ فذلك يتفلت مني؟ ولا يعيه النبي ﷺ ؟

وفي نص آخر يُسأل النبي ﷺ : هل تحس بالوحي ؟ فيجيب : " أسمع صلاصل ثم اسكت [٢] عند ذلك – فما من مرة يوحي إلي إلا ظننت إن نفسي تفيض [٣] " [٤] . إذن حسب ظاهر الروايات فإن هناك " شدة ومكابدة " يعانيها النبي ﷺ عند تلقيه الوحي ، وهذا ما نجد مثيله في روايات أخرى ، فإنه " إذا نزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه " [٥] و" وأغمض عينيه " [٦]، وهنا الصحابة يسمعون " منه دويا كدوي النحل" [٧]، بل " يكاد يغشى عليه " ، فقد كان ﷺ " يجد ثقلا عند نزول الوحي ، ويتحدر جبينه عرقا في في البرد كأنه الجمان ، وربما غط كغطيط البكر، محمرة عيناه " [٨] . و" كان إذا أوحي إلى رسول الله ﷺ

١– ابن سعد: الطبقات : 1 / 197. ابن حجر: فتح الباري: 1 / 18 . المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 459.

٢– في مورد " اثبت " . ابن كثير: البداية والنهاية: 3 / 31. وفي مورد " أسبت " . المقريزي : إمتاع الأسماع: 3 / 8.

٣– في مورد " تقبض " ابن كثير: تفسير: 4 / 115، 464. ودل نقله عن ابن حنبل قوله " تفرد به احمد ".

٤. ابن حنبل: المسند: 2 / 222. المتقي الهندي : كنز العمال: 11 / 458. السيوطي : الإتقان في علوم القرآن: 1 / 127 ، الدر المنثور: 6 / 278.

٥. مسلم: الصحيح: 5 / 115 ، 7 / 82 . البيهقي: السنن الكبرى: 53/7 . ابن حزم: المحلى: 11 / 185 . ابن حنبل: المسند: 5 / 318 . النسائي: السنن: 5 / 3 . السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 322 . المتقي الهندي: كنز العمال: 7 / 151 . المناوي : فيض القدير: / 579.

٦. ابن كثير: البداية: 3 / 30 ، السيرة النبوية: 1 / 422. الصالحي الشامي : سبل الهدى: 2 / 257.

٧. ابن حنبل : المسند : 1 / 34 . الترمذي: السنن: 5 / 8 . النسائي: السنن: 1 / 450 . الحاكم : المستدرك: 1 / 535. ابن حجر: فتح الباري: 18/1 ، 11 / 120.

٨– الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 415.

وقذ [1] لذلك ساعة كهيئة السكران " [2]. ولما " نزلت عليه سورة المائدة ، فإندق عنق الراحلة من ثقلها " [3] [3] ، وحينما سئل كيف يأتيك الوحي؟ قال ﷺ : " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد علي، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما يقول ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول"[4] .

فهل يفهم من ذلك أن هناك تعددا في هيئات نزول الوحي ، وكيفيه تلقي النبي ﷺ له أم هناك تناقض ؟ ففي الحالة الأولى يبدو الوحي عنيفا يتكلف معه النبي ﷺ شدة حتى يعي ما يلقيه إليه.

ولكن ما المقصود بالصلصلة ؟ إنها صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أطلق على كل صوت له طنين ، وقيل الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي ، وقيل: بل هو صوت حفيف أجنحة الملائكة ، وبالمحصلة فلن يخرج المعنى عن كونه ذلك الصوت الذي يرافق الوحي قدوما أو إيحاءً [5]. وفي تأويل آخر للصلصلة بأنها تلقي القرآن يسمعه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه ويعيه بعد ذلك [6]. أما في الحالة الثانية يبدو الوحي هينا عليه ، لينا معه حتى انه ليعي ما يتلقاه منه دون تكلف .

فان كانت المشكلة في تمثل الملك بالصورة البشرية ، لإنها أكثر إيناسا للمخاطب ، فلماذا نجد ما يلقيه يتفلت منه ﷺ ، ولا يعيه بتمامه. ففي الرواية الأولى تتسبب " الشدة في التنزيل " بتأخر إدراك النبي ووعيه لما يلقيه الوحي! ولا ندري هل تعني الرواية إن الإيحاء كان دون وساطة الملك فكان كمثل

---

١. وقذ اي ضعف ووهن من الخوف ، والوقذ شدة الضرب ، والموقوذة المقتولة ضربا . الفراهيدي: العين 201/5. ابن قتيبة: غريب الحديث: 164/2. الجوهري: الصحاح: 2/ 572. الزمخشري: أساس البلاغة: 1035. الفائق 86/2 . ابن الأثير: النهاية : 212/5 . ابن منظور: لسان العرب : 519/3.

٢- ابن سعد: الطبقات: 1 / 197. السيوطي : الجامع الصغير: 2 / 323. المتقي الهندي : كنز العمال: 7 / 151 . المناوي فيض القدير : 5 / 142.

٣- ابن كثير : البداية : 3 / 31 ، تفسير : 2 / 3 .

٤- الامام مالك: الموطأ: 1 /202. الحميدي: المسند: 1 / 125. ابن راهويه: المسند : 252/2. ابن حنبل: المسند: 6 / 158. البخاري: الصحيح: 1 / 2-3، 4 / 80. خلق أفعال العباد ص 83-84 . مسلم: الصحيح: 7 / 82. الترمذي: السنن: 5 / 258. النسائي: السنن: 2 / 146 – 147 . الطبراني: المعجم الكبير: 3 / 259 – 260. الحاكم : المستدرك : 3 / 279. البيهقي :السنن الكبرى: 7 / 53 . ابن عبد البر : التمهيد : 1 / 284 ، 22 / 112. ابن شهر آشوب : المناقب : 41/1. المتقي الهندي: كنز العمال: 11 / 458 – 459، 12 / 447. السيوطي: تنوير الحوالك : ص 213.

٥- ابن حجر : فتح الباري: 1 / 19.

٦- ابن حجر: فتح الباري: 19/1. المباركفوري: تحفة الأحوذي: 79/10.

الصوت العنيف ، لا يعي النبي ما يوحى إليه إلا بعد انقطاعه عنه ، وقد علله البعض بالمقدمة التي تسبق الوحي إيذانا بتعظيمه والاهتمام به لأن الكلام لا بد له من تهيئة وتقديم [١].

أما في الرواية الثانية نجد الصورة مغايرة فمجيء الوحي بهيئة ذلك الصوت يخالط قلب النبي ﷺ ويعيه بتمامه إذ كما يصور يخالط قلبه فلا يتفلت منه !! فأي الحالتان أصح ؟ ومن أين جاء هذا الخلط والتباين ؟ مع إننا نجد إشارة أمير المؤمنين عليه السلام واضحة الدلالة إن النبي ﷺ كان واعيا لوحي الله بشكل مطلق وتام ، إذ يقول عليه السلام : " وَاعِياً لِوَحْيِكَ "[٢].

أما عن " الشدة " التي يعالجها النبي ﷺ عند التنزيل كما صرحت بذلك عدة روايات ، فإنها محل تأمل.. فان كنا لا نستبعد ما يلازمه ﷺ من حالة معينة أثناء تلقيه الوحي كالغشية أو السكينة ، أو حال التعرق الشديد أو السبته ، كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام " إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا انزل عليه السكينة والوقار فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه " [٣].

وحين سئل عليه السلام عن سر هذه الغشية أو السبته قال: " كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرئيل يقول: هو ذا جبرئيل ، وقال لي جبرئيل ، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبته ، ويغشاه منه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز وجل" [٤].

١- ابن حجر: فتح الباري: 19/1 .

٢- نهج البلاغة : ص107.

٣- العياشي: تفسير: 2 / 201. المجلسي: البحار : 18 / 262. الفيض الكاشاني : التفسير الصافي: 3 /55.

٤- البرقي: المحاسن: 2 / 338 . المجلسي: البحار: 18 / 256.

وفي رواية إن زرارة [1] سأله: " جعلت فداك ، الغشية التي كانت تصيب رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي؟ فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ، ذلك إذا تجلى الله له . قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة واقبل متخشع" [2].

ولعل حصول السبتة وعروض الغشية له ﷺ إذا كان الوحي بلا واسطة ، لعلها من جهة رؤيته ﷺ عظمة الله وجلاله ، فتلك الغشية إنما هي إذا تجلى الله تعالى للنبي ﷺ أي ظهر أمره وجلاله وعظمته لا انه ظهر بنفسه ، فان رؤيته محال وليس هذا إلا على حد قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [3] أي تجلى بنوره [4].

وان كنا نرى إن مقام النبي ﷺ قد تسامى فوق كل مقام ، ودنا من حضيرة القدس الإلهي بمكان لم يدانِه فيه احد ، إذ انفرد في عروجه فكان في مقام قاب قوسين أو ادنى [5] ، ولم ينقل عنه أي مكابدة أو شدة يعانيها عند اقترابه من ساحة القدس الإلهي ، في اعلى مقاماته ، فكيف يقال إن سر تلك الحالة يعود لتقريب طبيعته البشرية من الجو الملائكي![6] ، وهو الذي قد اعتاد الجو الملائكي وألفه منذ طفولته ، ، بل ان معراجه خير دليل على أن طبيعته البشرية قد تسامت فوق الملائكية ، ونالت من القرب ما لم ينله ملك مقرب أو نبي مرسل !!

١- هو زرارة بن أعين بن سنسن الشيباني ، مولى بني شيبان، يعد من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، له إلمام بعلوم القرآن والفقه والكلام والآدب والشعر، له من الكتب الاستطاعة والجبر والعهود، له مكانة متميزة عند الإمام الصادق (ع)، مات سنة 150 هـ . ينظر: النجاشي: الرجال : ص175. الطوسي: اختيار معرفة الرجال: 345/1، رجال الطوسي: ص 136، 210، 327، الفهرست : ص 133 - 134. ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ص 88 . العلامة الحلي: خلاصة الأقوال : ص 152. ابن داود: رجال ابن داود: ص 96. السيد الخوئي: معجم رجال الحديث 225/8 - 267 .

٢- الصدوق: التوحيد: ص 116. المجلسي: البحار: 18 / 256. النمازي: المستدرك:10 / 265.

٣- سورة الأعراف الآية 143 .

٤- زرندي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه: ص 40 – 41.

٥- ينظر سورة النجم الآيات 8 - 18.

٦- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون : 100/1.

وإننا لنقف بتحفظ شديد أمام تلك النصوص التي أظهرت النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه: تارة كربا حزينا يتربد وجهه ، ويتغير لونه ، وكأنه غاضب [١]، فلماذا هذا الغضب ولماذا الحزن والكرب ؟ وتارة تظهره روايات بهيأة السكران [٢]، وأخرى يكاد يغشى عليه أو يغلبه النعاس وتأخذه السبل [٣] ، أو يغط كغطيط البكر محمرة عيناه [٤] ، بل إننا لنجد تناقضا ما بين نصوص الروايات ما بين اللين والشدة كما مر سابقا وما بين احمرار وجهه [٥] أو اسوداده [٦] ، وما بين إغماض عينيه [٧] أو شخوص بصره [٨] . فلا فلا ندري أي الحالات أصح ؟ والأدهى من ذلك إن ينسب الى النبي ﷺ انه قال: " فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت نفسي تفيض" [٩].

والغريب أن يأتي من يؤول هذه الشدة في التنزيل قائلا : " وإنما كان ذلك ليبلو صبره ، ويحسن تأديبه ، فيرتاض لاحتمال ما كلفه من أعباء النبوة" [١٠]. ويأتي آخر ليقول : إن سبب الشدة هيبة الملك وما جاء به من ثقل الوحي[١١]. بل إن عددا من الروايات تجعل من ثقل الوحي ثقلا ماديا محسوسا ، فقد روى زيد بن ثابت " أنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي ، فثقلت علي حتى خفت أن ترض

١- وذلك إشارة لما نقل عنه ﷺ انه كان يتربد و جهه، يقول ابن منظور: وإذا غضب الإنسان تربد وجهه ، كأنه يسوء منه مواضع ، وأربد وجهه إذا تغير. ينظر: لسان العرب: 3 / 170.

٢. ابن سعد: الطبقات : 1 / 197. السيوطي: الجامع الصغير: 2 / 323 . المتقي الهندي: كنز العمال: 7 / 151. المناوي: فيض القدير: 5 / 142.

٣. ابن حجر: : فتح الباري: 8 / 365. العيني: عمدة القاري: 19 / 85 . الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 259.

٤- السيوطي: الخصائص الكبرى: 119/1. الحلبي: السيرة الحلبية : 1/ 415.

٥- النسائي : السنن : 4/5.

٦- الإشارة أعلاه من تربد وجهه أي اسوداد مواضع منه.

٧- الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 407.

٨- ابن كثير: البداية: 3 /31. المقريزي: إمتاع الأسماع: 3 / 47.

٩- ابن حنبل: المسند :2/ 222. المتقي الهندي: كنز العمال 458/11.

١٠- العيني: عمدة القاري: 3 / 43.

١١- النووي: شرح صحيح مسلم: 4 / 166.

فخذي " [1]. ولا يبعد أن هذه الرواية أرادت خلق منقبة لزيد بن ثابت ، ولعلهم أرادوا الأشارة الى قرب زيد وسرعة تدوينه للقرآن .

وفي رواية عن عائشة أنها قالت: " كان ليوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وهو على راحلته فتضرب بجرانها [2] فما تستطيع إن تتحرك حتى يسري عنه ، وتلت قوله عز وجل ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [3]﴾ " [4] . بل إن هذه الراحلة لترغو وتفتل يديها حتى تكاد ذراعها إن تنفصم ، فربما بركت وربما قامت موتدة [5] يديها [6]. بل لما نزلت سورة المائدة ، وكان النبي على بغلة ، فثقل عليها عليها الوحي حتى وقفت ، وتدلى بطنها حتى تكاد سرتها أن تمس الأرض[7]. أو يكاد ينكسر عضدها من من ثقل سورة المائدة [8] .

لقد شكك السيد الطباطبائي [9] في هذه الروايات قائلا : " إن صحت الرواية كان ظهور اثر ثقل الوحي على الناقة أو البغلة من قبيل تجسيم المعاني ، وكثيرا ما يوجد مثله فيما نقل من المعجزات وكرامات الأولياء ، وأما اتصاف الوحي وهو كلام بالثقل المادي فغير معقول ".

١- البخاري: الصحيح: 1 / 97، 3 / 212، 5 / 182. الترمذي: السنن : 4 / 309، النسائي: السنن: 6 / 10 . ابن الجارود: المنتقى من السنن المسندة: ص 259. الزيلعي: تخريج الأحاديث والآثار: 1 / 349.

٢- الجران: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره . ينظر: الطريحي: مجمع البحرين: 1 / 365.

٣- سورة المزمل الآية 5.

٤- الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 257. وينظر: ابن حنبل:المسند: 6 / 118. الطبرسي: مجمع البيان: 1 / 163. الهيثمي: مجمع الزوائد: 8 / 257. السيوطي: تنوير الحوالك: ص 213.

٥- موتدة: بضم الميم من الوتيد، صوت شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوي من بعد. ينظر: الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 / 261 . ولكنه ورد عن ابن منظور بـ " الوئيد " . ينظر لسان العرب: 3 / 442.

٦- ابن سعد: الطبقات: 1 / 197. الصالحي الشامي: سبل الهدى: 2 /257.

٧- العياشي: تفسير: 288/1 . الطبرسي: مجمع البيان: 3 / 257 . الفيض الكاشاني: التفسير الصافي : 7 / 322.

٨- ابن كثير: البداية : 3 / 31 ، تفسير : 3 / 31، السيرة النبوية : 1 / 424. الهيثمي: مجمع الزوائد : 7 / 13.المقريزي : إمتاع الأسماع: 3 / 49.

٩- الميزان: 20 / 71.

رابعا: المعجزة:

إن إتمام الحجة على الناس بواسطة الأنبياء بحاجة إلى علامة إلهية يفهم الناس من خلالها ارتباط هؤلاء الأنبياء بالله فتثبت لديهم مصداقية دعواهم.

إذن ادعاء النبوة يستلزم علامة دالة على صدق هذا الادعاء ومن هنا جاءت الضرورة لتزويد الأنبياء بالمعجزة التي تعني " فعل شيء على خلاف المجرى العادي للطبيعة يتم بالاعتماد على القدرة الإلهية، وطريق معرفتها أمران :

1 -إنها لا تحصل عن طريق التعليم والتعلم.
2 -لا يتغلب عليها أي عامل آخر " [1] .

وقد زخرت آيات القرآن الكريم بأمثلة وافية عن المعاجز التي أظهرها الأنبياء لأقوامهم لإثبات نبواتهم ، ولكن الذي يمكن ملاحظته على تلك الآيات التي تناولت الجانب الاعجازي في سيرة الأنبياء مع أقوامهم إن حدوث المعجزة لا ينحصر في موارد إثبات النبوة فقط ، بل جرت أفعال خارقة للعادة على أيدي عدد من الأنبياء تخرج عن نطاق إثبات النبوة [2].

إن لكل نبي معجزة تدل على صدقهِ، وتتناسب مع الظرف الذي يعيشه ، كما هو الحال في انبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام [3].

١- مصباح: النبوة في القرآن: ص 46

٢- لمزيد من التفاصيل راجع: مصباح: النبوة في القرآن: ص 75- 82 .

٣- مكتبة الروضة الحيدرية : القرآن في نهج البلاغة : ص 11 ويؤيد ما رواه ابن السكيت، قال سألت أبي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر ؟ وبعث عيسى بآلة الطب ؟ وبعث محمدا – صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء – بالكلام والخطب ؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله ، وما أبطل به سحرهم ، وأثبت به الحجة عليهم ، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب ، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله ، وبما أحيى لهم الموتى ، وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله ، وأثبت به الحجة عليهموإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال : الشعر فأتاهم من عند الله من واعظه وحكمه ما أبطل به قولهم ، وأثبت به الحجة عليهم ، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط

1 . القرآن الكريم.

كانت لرسول الله ﷺ عدة معجزات ، لكن الميزة التي اختص بها في جانب الإعجاز ، هو إن الله قد زوده بمعجزة خالدة ألا وهي (القرآن الكريم) ، فلما كان ﷺ لم يبعث لامة معينة في زمان او مكان معينين ، وجب أن تتبعه البشرية منذ بعثته والى يوم القيامة ، لذلك اقتضت الحكمة الإلهية تزويده بمعجزة خالدة على خلاف معاجز الأنبياء ، ويمكن إيجاز ميزات هذه المعجزة كما أشار أحد الباحثين . بأنها كانت معجزة " ناطقة " و" خالدة " و" عالمية " و" معنوية" [1].

أما كونها " **ناطقة** " ، فإن معاجز الأنبياء السابقين لم تكن كذلك أي إنها كانت بحاجة إلى وجود النبي . أما القرآن فمعجزة ناطقة ، لا يحتاج إلى تعريف ، يدعو لنفسه بنفسه ، ليتحدى بنفسه المعارضين ويدينهم ويخرج منتصرا من ساحة التحدي ، وهو يتحدى اليوم جميع البشر كما كان يتحداهم في عصر الرسالة . انه دين ومعجزة ، وهو قانون ووثيقة تثبت إلهية القوانين التي ضمها [2].

ويمكن أن نلمس ذلك في كلام أمير المؤمنين عليه السلام عن القرآن الكريم إذ يقول: " **ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُه ، وسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُه ، وبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُه ، ومِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُه ، وشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُه ، وفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُه ، وتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُه** "[3] . وقال عليه السلام : " **وكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ – نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ – وبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ – وعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُه ... كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ – وتَنْطِقُونَ بِهِ وتَسْمَعُونَ بِهِ – ويَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ – ويَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ – ولَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ – ولَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ**" [4]

فما الحجة على الخلق اليوم ؟ قال : فقال عليه السلام : العقل ، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه ، قال : فقال ابن السكيت : هذا والله هو الجواب . ينظر: الكليني: الكافي 24/1 .25. الطبرسي: الاحتجاج: 225/2. البحراني: البرهان: 1/ 65. السيد الخوئي: البيان في تفسير القرآن : ص39. وللمزيد عن معجزات النبي ﷺ ينظر: ابن برىال: تاريخ ابن برىال :1/ 273 . 283.

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 1 / 93 – 94 .

٢- ناصر مكارم الشيرازي: الامثل : 1 / 93 – 94.

٣- نهج البلاغة: ص 428 .

٤- نهج البلاغة: ص 250 – 252.

وأما **خلود القرآن وعالميته** ، فارتبط بتحطيمه سدود " الزمان والمكان " فتعالى عليهما ؛ لان معاجز الأنبياء السابقين– وحتى معاجز النبي الخاتم غير القرآن – مسجلة على شريط معين من الزمان ، وواقعة في مساحة معينة من المكان ، وأمام جمع معدود من الناس ، مثل معاجز النبي عيسى عليه السلام كحديثه في المهد ، وإحياءه الموتى ، وواضح إن الأحداث المقيدة بزمان ومكان معينين تمسي صورتها باهتة كلما ابتعدنا عن ظروفها الزمانية والمكانية . وهذا من خصائص الأمور الزمنية . لكن القرآن لا يرتبط بالزمان والمكان ، فهو يطلع علينا اليوم كما طلع على عرب الجاهلية قبل قرون ، بل إن مرور الزمن و ازدياد البشرية قدرة في العلم والإمكانات لتستفيد منه أكثر من ذي قبل ، وما لا يرتبط بزمان أو مكان فانه يحوي عناصر الدوام والخلود و تتسع دائرته العالمية ، وبديهي إن الدين العالمي الخالد بحاجة إلى مثل هذه الوثيقة العالمية الخالدة [1] . يقول أمير المؤمنين عليه السلام : "**وإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُه أَنِيقٌ وبَاطِنُه عَمِيقٌ ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُه ، ولَا تَنْقَضِي غَرَائِبُه ، ولَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِه** ".[2] وقال عليه السلام أيضا: " **وفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وحُكْمُ مَابَيْنَكُمْ** " [3] وقال عليه السلام أيضا: "**وبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ،وعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ ، ومَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ ، ومَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ ، وأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ ، جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ،...**"[4].

أما الصفة " **المعنوية** " للقرآن فنفهمها حين ننظر إلى معاجز الأنبياء السابقين ، ونرى إنها كانت غالبا " جسمية " مثل : شفاء الأمراض الجسمية المستعصية ، وتحدث الطفل في المهد... وكانت تتجه نحو تسخير الأعضاء البدنية . أما القرآن ، فيسخر القلوب والنفوس ، ويبعث فيها الإعجاب والإكبار، انه يتعامل مع الأرواح والأفكار والعقول البشرية ، وواضح امتياز مثل هذه المعجزة على المعاجز الجسمية[5].

ويمكن أن نلمس هذه الميزة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في معرض حديثه عن آثار القرآن في هذا الجانب ، قائلا عليه السلام : " **واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، والْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ،**

١- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 1 / 94.
٢- نهج البلاغة: ص 47 .
٣- نهج البلاغة: ص721.
٤- نهج البلاغة : ص 428 – 429 .
٥- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل: 1 / 94 .

والْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ ، ومَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْه بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى ، واعْلَمُوا أَنَّه لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ، ولَا لأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوه مِنْ أَدْوَائِكُمْ ، واسْتَعِينُوا بِه عَلَى لأْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ فِيه شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ ،وهُوَ الْكُفْرُ والنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ".[1] وفي موضع آخر يقول عليه السلام خير واعظ : " **وإِنَّ اللَّه سُبْحَانَه لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّه حَبْلُ اللَّه الْمَتِينُ ، وسَبَبُه الأَمِينُ ، وفِيه رَبِيعُ الْقَلْبِ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، ومَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُه**"[2]. ويقول عليه السلام أيضا زاد العباد : " **جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ، ورَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، ومَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، ودَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، ونُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وحَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، ومَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وهُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ ، وعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ ، وبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ، وحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، ومَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ ، وعِلْماً لِمَنْ وَعَى ، وحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى ، وحُكْماً لِمَنْ قَضَى**"[3]. وقوله عليه السلام : " **وتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّه أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وتَفَقَّهُوا فِيه ، فَإِنَّه رَبِيعُ الْقُلُوبِ، واسْتَشْفُوا بِنُورِه ، فَإِنَّه شِفَاءُ الصُّدُورِ**" [4].

2 . **معجزة الشجرة:**

جدير بالملاحظة هنا ان نشير الى ان القرآن بوصفه معجزة اتى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابتداء ، في حين ذكر الامام عليه السلام معجزة أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم انما جاءت بناء على مطالبة الاخرين بها كما هو في حادثة دعوته صلى الله عليه وآله وسلم للشجرة :

" ولَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً ، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ و رَسُولٌ ، وإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

---

١. نهج البلاغة : ص335 .
٢- نهج البلاغة: ص 339 .
٣- نهج البلاغة: ص 429 – 430 .
٤- نهج البلاغة: ص 211 .

فَقَالَ صلى الله عليه وآله : ومَا تَسْأَلُونَ قَالُوا : تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا ، وتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله : إِنَّ الله عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ ، وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ ، ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ ، ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله : يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ ! إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الْآخِرِ وتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ،فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ، والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً ، وأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صلى الله عليه وآله ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ ، قَالُوا عُلُوّاً واسْتِكْبَاراً ، فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا ويَبْقَى نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا ، كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، فَقَالُوا كُفْراً وعُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صلى الله عليه وآله فَرَجَعَ ، فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي..." [1] .

وجاء في أقوال بعض الشراح عن هذه الحادثة إن أمرها مشهور مستفاض قد ذكره المحدثون والمؤرخون في كتبهم[2]، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول ﷺ ، وقد روي الخبر على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصرا انه دعا شجرة فأقبلت تخد إليه الأرض خدا[3].

ولاحد الباحثين [4] ثمة ملاحظات قيمة حول هذه الحادثة التي يرويها الامام أمير المؤمنين عليه السلام سنوجزها بنقاط :

١- نهج البلاغة: ص 407- 408 .

٢- مسلم: الصحيح :8/ 234. البيهقي: السنن : 94/1. ابن عبد البر: التمهيد: 1/ 222. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: 1/ 378.

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13 / 167 . ابن ميثم : شرح نهج البلاغة: 41 / 374.

٤- الفحام : بلاغة النهج : ص 52 -53 .

اولا : ان روعة تصوير الامام عليه السلام لتفاصيل هذه الحادثة ينبع من كونه شاهدا فيها ، فضلا عن قدرته التصويرية البلاغية في اسلوب عرضها .

فالامام عرض هذه الحادثة بمشهد يضم ثلاث صور يجمعها جامع واحد :

الصورة الاولى : رسمت تحدي النبي لهم في اصرارهم وبقائهم على الكفر برسالته ، وذلك في قوله متيقنا باسلوب التوكيد " **فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ** " .

الصورة الثانية : الامعان في التفصيل بامر الشجرة واغصانها وامرها بالسجود . فاول الامر انقلاع الشجرة بعروقها ، والثاني امرها بانشقاقها الى نصفين ومجيء نصف منها الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وبقاء النصف الاخر ، والثالث امرها بالالتحام كما كانت .

الصورة الثالثة : المؤثرات ، واعني بها حرص الامام على تصوير التفاصيل الدقيقة والمؤثرة للشجرة من حركة وصوت ، مثل قوله : " **والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وجَاءَتْ ولَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً** " فالدوي والقصف والرفرفة تصوير دقيق للصوت والحركة تحيل السامع الى مشاهد ، وتلك سمة اسلوبية عامة في بلاغة الامام في كلامه . وهي هنا – لا ريب – لا تتاح الا لمن شهد هذه المعجزة بنفسه .

اما الجامع لهذه الصور كلها فهو الغرض الذي ساق الكلام من اجله ، وهو تصوير منزلته من الله تعالى ورسوله ، وهذا يمكن ملاحظته :

أ –في تأكيده بقربه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان عن يمينه . ب– وان الشجرة قد القت ببعض اغصانها على منكبه . ج – فضلا عن قوة التصريح في القول الاخير على لسان طغاة قريش " **وهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْنُونَنِي** "

ثانيا: في هذه الحادثة ثمة معجزات اخر تعزز صدق الرسالة المحمدية ، فقد انبأ الرسول بعواقب طغاة قريش في غيب من علم الله تعالى اطلعه عليه فذكر مسبقا عنادهم واصرارهم على الكفر وحكم بانهم " **لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ ، وإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ ، ومَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ**" .

ويمكن عد تنبؤاته التي اشار اليها الامام أمير المؤمنين عليه السلام من باب الاعجاز ايضا ، والتي ستأتي الاشارة اليها بايجاز في الفصل الخامس .

المبحث الثالث

سمات النبي الأعظم ﷺ وسجاياه الخلقية

أولا: السمات الخاصة:

جاء في بعض خطب الامام عليه السلام وكلماته الاشارة الى سمات اختص بها النبي ﷺ ، وهي كالاتي :

أ -**مقام الشهادة:**

مما اختص به النبي الاعظم ﷺ بان له مقام " الشهود " يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1]، وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام واصفا النبي الاعظم ﷺ : " **شَهِيداً وبَشِيراً ونَذِيراً** "[2]، وفي قول " **شَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ** "[3]. وقد تعددت مواطن هذه الشهادة ، فمنها ما انفرد به ، ومنها ما شاركه فيه غيره من الانبياء كما سيتبين الان:

1 -الشهادة على نبوة الانبياء: اذ اشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام إلى اختصاصه ﷺ بهذا المقام إذ جعله الله سبحانه " **مُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ** "[4]، والمهيمن: الشاهد والرقيب، أي شاهداً على إيمان من آمن، وكفرْ من كفر، وقيل يشهد بصحة نبوة الانبياء من قبل هـ[5]. فكل زيادة او نقيصة في دينهم – مما حرّفه الناس – يبين هـ النبي ﷺ ، حتى يُرجع دين المرسلين كما جاؤوا به، لا كما فعلته اقوامهم من بعدهم[6].

١- سورة الاحزاب الآية 45.
٢- نهج البلاغة ص193 -194.
٣- نهج البلاغة ص225.
٤- نهج البلاغة ص626.
٥ - ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 17 / 151 .
٦- الشيرازي : توضيح نهج البلاغة: 4 / 216 .

2 -الشهادة على الخلق يوم القيامة: يقول عليه السلام : " **وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ** " [1] . وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[2] وقوله ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾[3]، فكل نبي سيشهد على امته ، والشهادة توجب ان يكون الشاهد عالماً بحقائق الاعمال التي يشهد عليها، ولا يكون هذا الا بان يستوي عنده الحاضر والغائب، ولا يتصور هذا المقام الا لنبي كل امة[4].

اما خصوص النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيقول الحق ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[5]. وفي آية آخرى ان الامة الاسلامية ستكون شاهدة على الناس، والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد بدوره عليهم ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[6].

ب -مقام الخاتمية[7]:

ما ان حل القرن السابع الميلادي ، حتى كأن البشرية قد وصلت الى درجة من التكامل في التعامل مع الطبيعة، وتعامل الانسان مع الانسان اينما كان ، لذا وصل الانسان الى الدرجة التي تؤهله ليكون خليفة الله في الارض ، فالمعروف ان الانبياء السابقين كانوا انبياء قوميين، فكلٌ ارسل الى قومه، والكتب السماوية كانت متباينة، وخاضعة لعنصر الزمن، ومختصة بقوم دون قوم، فما تلبث ان تنسخ لانها لم تعد ملائمة لتطور الانسان[8].

وبعد ان واتر الله بعث انبيائه ، وادى كل منهم ما اوكل اليه من مهام، جاء دور النبي الخاتم الذي قفى به الرسل وختم به الوحي ، فعمر في قومه ازمانا ، حتى اكمل الله لهم ولجميع البشرية فيما انزل من

١- نهج البلاغة ص108.
٢- سورة النحل الآية 89.
٣- سورة القصص الآية 75.
٤- سبحاني : محاضرات في الالهيات: ص 443.
٥- سورة النساء آية 41 .
٦- سورة البقرة اية 143 .
٧ - الختم هو بلوغ آخر الشيء، يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة، والختم هو الطبع على الشيء فذلك من هذا الباب ايضاً، لان الطابع على الشيء لا يكون الا بعد بلوغ آخره. ينظر: ابن فارس : معجم : 245/2.
٨- النصر الله : شرح نهج البلاغة : ص 120 .

كتابه ، دينه الذي رضي لنفسه. وكأنه قد جاء الدور الختامي للرسالات السماوية ، فالدين الذي سيسود العالم هو الدين الاسلامي، والدستور الذي ينظم جميع شؤون البشرية هو" القرآن الكريم" ، الذي ستتناسب احكامه طردياً مع كل متغيرات الزمان والمكان. والنبي الخاتم للانبياء هو النبي محمد ﷺ فلا نبي بعده.

وقد وردت في آيات الذكر الحكيم اشارات واضحة الى مسألة الخاتمية ، اما بتصريح لفظي كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[1]، او بما يدل عليه من قبيل الايات التي منها اشارة الى عالمية الدعوة المحمدية وشموليتها لكل الناس حتى يرث الله الارض ومن عليها، ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[2]، فان سعة مفهوم تعبير ﴿ ومن بلغ ﴾ توضيح رسالة القرآن ونبي الاسلام العالمية من جهة ومسألة الخاتمية من جهة أخرى. وقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3]، وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[4]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [5]. وايضاً هنا سعة دلالة لفظة " العالمين " و " الكافة " تؤيد هذا المعنى الشمولي لرسالة النبي محمد ﷺ .

وقد ورد في كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام الاشارة الى مسألة خاتمية النبي ﷺ في عدة مواضع من نهج البلاغة ايضاً اما بشكل صريح باللفظ كقوله عليه السلام : " **خَاتَمُ رُسُلِه** "[6]، وفي موضع " **خَتَمَ بِه الْوَحْيَ** "[7]، وقد جاءت ايضاً اشارات تدلل على هذه القضية – الخاتمية – كما في قوله عليه السلام : " **بَعَثَ اللَّه سُبْحَانَه مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله لِإِنْجَازِ عِدَتِه وإِتْمَامِ نُبُوَّتِه** " [8]، وفي موضع آخر "

١- سورة الاحزاب الآية 40.
٢ سورة الانعام آية 19.
٣- سورة الفرقان آية 1
٤- سورة سبأ الآية 28.
٥- سورة الاعراف آية 158 .
٦- نهج البلاغة ص329.
٧- نهج البلاغة ص 251.
٨- نهج البلاغة ص20.

" **أَرْسَلَه لِإِنْفَاذِ أَمْرِه، وإِنْهَاءِ عُذْرِه، وتَقْدِيمِ نُذُرِه** " [1]، وقد خاطب رسول الله ﷺ راثياً بما يدل على هذا المعنى ايضاً إذ يقول: " **لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ والإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّمَاءِ** " [2].

ج- النبي الأمي

أطلق القرآن على النبي محمد ﷺ نعوتا وألقابا عدة من بينها نعت (**النبي الأمي**)، وهو من النعوت التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام للنبي ﷺ ولأهمية هذا النعت استلزم الوقوف عنده.

لقد تباينت الآراء في معنى كلمة الأمي، التي نُعت بها النبي ﷺ :

الرأي الأول: عدم المعرفة بالقراءة والكتابة[3].

قيل إن الأمي لغة الذي على خلقة الأمة ، لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته . فالإنسان حينما يولد لا يعرف القراءة والكتابة ، فإذا كبر واستمر على ذلك يوصف بأنه أمي نسبة للخلقة التي ولدته أمه عليها [4]. وهذا هو التفسير اللغوي الوحيد لمعنى الأمية ، وهو تفسير مضطرب ، والظاهر أن علماء اللغة لم يجدوا لمعنى الأمية أصلا، ووجدوا عند عرب قبل الإسلام لذا لجأوا إلى هذا التفسير، ولو كانت لفظة الأمية معروفة عند مجتمع قبل الإسلام بهذا المعنى لاستشهدوا عليها بشعر شعراء قبل الإسلام أو المخضرمين، إذ إن عدم استشهادهم بالشعر كعادتهم في الألفاظ الغريبة دليل على إن هذه اللفظة بهذا المعنى من الألفاظ التي ولدت في الإسلام[5].

لقد اختلفت الآراء في حقيقة ذلك ، فهل أن العرب كانت لديهم معرفة بالقراءة والكتابة أم لا ؟ [6] وتبعا لذلك هل كان النبي ﷺ يعرف القراءة والكتابة أم لا ؟ في الواقع إن هناك شبه إجماع بين مفكري

---

١ – نهج البلاغة ص117 .

٢– نهج البلاغة ص486.

٣ – الزمخشري : الكشاف : 4 / 530 . الرازي : مفاتح الغيب : 2 / 631 ، 8 / 202 .

٤ – الرازي : مفاتح الغيب : 2 / 717 ، 8 / 202 . ابن منظور : لسان العرب : 1 / 105 . وهذا يلزم أن الذي يولد أعمى ويكبر ويبقى أعمى يسمى أمياً ، وكذلك لو ولد أعرجاً أو أصماً أو غيرها من الصفات !! ينظر: النصرالله: الجاهلية : ص5.

٥ – جواد علي : المفصل : 8 / 105 – 106 .

٦ – هناك من الأدلة التي تفيد أن القراءة والكتابة كانت موجودة عند العرب قبل الاسلام وبنسبة لا باس بها حيث وجود عدد من المتعلمين، وأماكن للدراسة، ووعي بأهمية القراءة والكتابة. إذن فتفسير تسمية العرب قبل الإسلام بالأميين لعدم معرفتهم بالقراءة والكتابة. تفسير لا يطابق الواقع. لمزيد من التفاصيل ينظر: هاشم يونس عبد الرحمن : الحياة الفكرية في الجزيرة العربية ص 116 ، 118 – 123، 129– 133. النصرالله: الجاهلية: ص5 – 8.

الإسلام من لغويين ومفسرين ومؤرخين ومتكلمين وغيرهم على انه ﷺ لم يكن يعرف القراءة والكتابة قبل بعثته ﷺ، بدليل قوله تعالى ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [1]. فالحكمة من عدم معرفته ﷺ بالقراءة والكتابة لئلا يشك المشركون بصحة القرآن الكريم. ولكن المفكرين اختلفوا في حاله بعد البعثة على اتجاهين:

الاتجاه الأول : يرى انه ﷺ استمر على عدم معرفته كالرازي والقرطبي والذهبي وغيرهم . إذ يرى الرازي[2] انه لو تعلم الخط لصار م تهماً ، ثم انه ﷺ لم يجالس العلماء ، وما غاب عن مكة فترة طويلة . أما الذهبي [3] فيقول : " والله تعالى من حكمته لم يلهم نبيه تعلم الكتابة ولا قراءة الكتب حسماً لمادة المبطلين " . ويقول القرطبي[4] : " والصحيح في الباب انه ما كتب حرفاً واحداً ، وإنما أمر من يكتب ، وكذلك ما قرأ ولا تهجى " .

الاتجاه الثاني : فيرى أن النبي ﷺ قد تعلم القراءة والكتابة بعد البعثة ، وكان من أصحاب هذا الاتجاه . الجاحظ ت 255 هـ ، والمفيد ت 413 هـ ، والباجي ت 474 هـ ، فالجاحظ يرى إن عدم إلمام الرسول ﷺ بالكتابة لا يعني عدم معرفته بها[5] .

وقال الشيخ المفيد [6] : " إن الله تعالى لما جعل نبيه . صلى الله عليه وآله وسلم . جامعاً لخصال الكمال كلها وخلال المناقب بأسرها ، لم تنقصه منزلة بتمامها يصح له الكمال ويجتمع فيه الفضل ، والكتابة فضيلة من منحها فضل ومن حرمها نقص . ومن الدليل على ذلك : أن الله تعالى جعل النبي ﷺ حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه ، فلا بد أن يعلمه الحكم في ذلك ، وقد ثبت أن أمور الخلق قد يتعلق أكثرها بالكتابة ، فتثبت بها الحقوق وتبرأ بها الذمم وتقوم بها البينات ويحفظ بها الديون وتحاط بها الأنساب ، وإنها فضل يتشرف المتحلي به على العاطل منه . وإذا صح أن الله جل اسمه قد جعل نبيه بحيث وصفناه من الحكم والفضل ، ثبت انه كان عالماً بالكتابة محسناً لها ، وشيء آخر وهو قول الله سبحانه : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾ ومحال أن يعلمهم الكتاب وهو لا يحسنه . . . ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**

---

١ – سورة العنكبوت الآية 48 . الرازي: مفاتح الغيب : 4 / 441. الذهبي: سير أعلام :14/190–191.
٢ – مفاتح الغيب : 4 / 441 .
٣ – سير أعلام : 14 / 190 – 191 .
٤ – الجامع: 13 / 353 .
٥ – البيان والتبيين : 4 / 32 – 34 .
٦ – أوائل المقالات : ص11– 113 .

﴿ فنفى عنه إحسان الكتابة وخطه قبل النبوة خاصة ، فأوجب بذلك إحسانه لها بعد النبوة ، ولولا إن ذلك كذلك لما كان لتخصيصه النفي معنى يعقل . ولو كان حاله ﷺ في فقد العلم بالكتابة بعد النبوة كحاله قبلها لوجب . إذا أراد نفي ذلك عنه . أن ينفيه بلفظ يقيده . . فيقول له وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذ ذاك ولا في الحال ، أو يقول لست تحسن الكتابة ولا تأتي منك على كل حال . كما انه لما أعدمه قول الشعر ومنعه منه نفاه عنه بلفظ يعم الأوقات ، فقال الله تعالى ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ** ﴾[1] وإذا كان الأمر على ما بيناه ثبت أنه ﷺ كان يحسن الكتابة بعد أن أنبأه الله تعالى على ما وصفناه. وهذا مذهب جماعة من الامامية ، ويخالف فيه باقيهم. وسائر أهل المذاهب والفرق يدفعونه وينكرونه " .

أما أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي [2] ت 474 هـ. فهو أحد علماء الأندلس ، ألف رسالة في إثبات أن النبي ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة أسماها (تحقيق المذهب من أن النبي . ص لى الله عليه وآله وسلم . كتب) [3] . مستدلاً على ذلك بما جاء في صحيح مسلم [4] أن النبي ﷺ لما كتب كتاب الصلح يوم الحديبية مع المشركين قال له سهيل بن عمرو: لو نعلم أنك رسول الله ﷺ لأتبعناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله ، فقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام أرني مكانها ، فأراه فمحاه وكتب (ابن عبد الله)[5] . وأيضاً استدل الباجي بما ذكره الشعبي بأن النبي ﷺ ما مات حتى كتب ، وروى ابن كبشة السلولي أن النبي ﷺ قرأ صحيفة لعينية بن حصن وأخبر بمعناها [6] .

---

١ – سورة يس الآية 69 .

٢ – ينظر ترجمته : ابن بشكوال: الصلة: 2 / 317 . الضبي: بغية الملتمس : ص629. ابن الأبار: الحلة : السيراء : 2 / 98 . ابن خلكان : وفيات الأعيان : 2 / 492.

٣ – القرطبي : الجامع : 13 / 352– 3 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 249 .

٤ – 174/5. وورد عند البخاري " ثم قال لعلي: امح رسول الله. قال : لا والله لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله الكتاب ، فكتب : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله . . . " الصحيح : 3 / 168، 71/4، وانظر النسائي : خصائص أمير المؤمنين : ص 150 .

٥ – القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : 13 / 352 .

٦ – القرطبي : الجامع 13 / 352 . ولمزيد من الأدلة ينظر: محمد حسن آل ياسين : في رحاب الرسول ﷺ ص121 – 122 . عبد الرحمن : الحياة الفكرية في الجزيرة العربية : ص139 . النصرالله: الجاهلية: ص 10.

الرأي الثاني : ان تسمية الأمي والأميين نسبة لأم القرى[1] (مكة المكرمة) حيث كانت مركزاً لمدن الجزيرة العربية حيث الكعبة البلد الحرام ، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ﴿ **وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾[2] ، ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً** ﴾[3]

لقد جاءت هذه النسبة على اعتبار أن النسبة في الكلمات المركبة تكون للجزء الأول . وهذا موضع خلاف بين اللغويين إذ إن من الكلمات من تنسب إلى الجزءين مثل بعلبك تكون بعلبكي ، أو عبد الدار تكون عبدري .

الرأي الثالث : الأمي هو الذي لم يكن مرتبطا بديانة سابقا .

حينما نستعرض الآيات القرآنية الواردة فيها لفظة الأمية لا نجد فيها ما يشير إلى إنها تعني عدم المعرفة بالقراءة والكتابة، أو الإشارة لأم القرى، كقوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ** ﴾[4] ، فهي تشير لمجموعتين الأولى : أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ، والثانية : الأميين ، الذين ليس لديهم كتاب سماوي[5] ، ويؤكد ذلك الآية : ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ** ﴾[6]، حيث تصف جماعة من اليهود بعدم فقه التوراة[7] ، فيما تأتي آية ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾[8] ، التي تشير لاعتقاد اليهود في الأقوام الذين ليس لديهم ديانة سماوية ، وأسموهم (أميون) ولذلك كانوا يرون جواز أخذ أموالهم[9] .

وتأتي آية ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ** ﴾[10] ، فلو كان العرب لا يجيدون القراءة والكتابة كما وصفوا بالأميين لوجب أن يكون هدف الرسول ﷺ من رسالته تعليمهم القراءة والكتابة ، ولكن نجد هدفه أسمى من ذلك ، ألا وهو بيان الآيات الدالة على وجود الله ووحدانيته وعظمته ﴿ **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ** ﴾ ويطهرهم من الرذائل ﴿ **وَيُزَكِّيهِمْ** ﴾ ، ثم يعلمهم أحكام القرآن والسنة الشريفة ﴿ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

---

١ . الطوسي : التبيان : 10 / 4 . الرازي : مفاتح الغيب : 2 / 717 . الطبرسي : مجمع البيان : 2 / 487 .
٢ . سورة الأنعام الآية 92 .
٣ . سورة القصص الآية 59 .
٤ . سورة آل عمران الآية 20 .
٥ . الزمخشري : الكشاف : 1 / 347 .
٦ . سورة البقرة الآية 78 .
٧ . الزمخشري : الكشاف : 1 / 157 .
٨ . سورة آل عمران الآية 75 .
٩ . الزمخشري : الكشاف : 1 / 357 .
١٠ سورة الجمعة الآية 2 .

وَالْحِكْمَةَ ﴾ لأنهم كانوا بلا منهج سماوي ﴿ **وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ لأنهم يسيرون على أعراف وتقاليد ابتدعوها .

ومن هنا جاء وصف النبي ﷺ بالنبي الأمي أي الذي لم يكن مرتبطاً بديانة سماوية سابقاً فليس هو يهودياً ولا نصرانياً ، ولعله رد على من ادعى أخذ النبي ﷺ عن أهل الكتاب[1].

ثانيا : السجايا الخلقية :

تمهيد (صفات الكمال)

التحلي بالركائز الاخلاقية العالية هو ما ميز رسول الله ﷺ وكانت اولى دعائمه في صدحه بامره من النبوة الالهية ، وقد وصفه الله بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [2] ، وهذا الوصف يقتضي تفاوت في في مراتبه ؛ اذ ان للبشر درجات وصفات تتفاوت فيما بين الخلق ، ومن المعلوم ان الانبياء هم صفوة الخلق حتى إن القرآن قد اشار الى حقيقة تفاوت الانبياء في ما بينهم فهم ليسوا بمقام واحد ، قال تعالى: ﴿ ولَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ ﴾[3]، اما قوله تعالى على لسان نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4]. " انها مثلية قاصرة على تلك المشتركات التي تجمع بني الانسان، ولكنها وبكل تاكيد ليست مثلية مطلقة بل مثلية الصورة الخارجية، وشتان ما بين من اختاره ربه واصطفاه على الانبياء والمرسلين وجعله حجة على العالمين، وهو من باب أولى على رأس عالم الابرار المقربين وبين من يقطن على السفح المقابل ، ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾[5]، رغم انهم انهم يشتركون جميعا في مثلية الصورة التي لا يمكن لها ان تنفي التناقض المطلق بين العالمين عالم الحقيقة الممتدة من الارض صعودا الى اعلى عليين وعالم الانحطاط الممتد سقوطا الى اسفل سافلين"[6].

---

١ – النصر الله : الجاهلية : ص12 .

٢– سورة القلم الاية 4

٣– سورة الإسراء الآية 55.

٤– سورة الكهف الآية 110.

٥– سورة المائدة الآية 60.

٦– راسم النفيس: النبوة في نهج البلاغة: ص36.

إن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ، الأول: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا ، والثاني: مكتسب ديني ، وهو ما يحمد فاعله ، ويقرب إلى الله تعالى زلفى. فالضروري المحض مما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته، وجمال صورته ، وقوة عقله ، وفصاحة لسانه ، وشرف نفسه ، وكرم أرضه وغيرها ، وأما المكتسبة الأخروية ، فسائر الأخلاق العلية ، والآداب الشرعية ، من الدين ، والعلم ، والحلم ، والعدل ، والزهد ، والتواضع ، والجود ، والشجاعة ، والرحمة وغيرها التي جماعها حسن الخلق[1].

ومن لطف الله تعالى وفضله أن هيأ لنبيه المصطفى ﷺ جميع أسباب الشرف ، والرفعة ، وعلو المنزلة ، وأسبغ عليه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى التي اصطفاه من اجلها واختاره لها.

إن صفات الكمال غير المكتسبة التي هي جبلة الخلقة قد حازها جميعا ، وأحاط بشتات محاسنها ، وقد استفاضت الأخبار في بيانها والحديث عنها [2].

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل من اتصف بها ، وتعظيم من نالها ولو بالخلق الواحد منها ، فضلا عما فوقه ، وأثنت الشريعة الغراء على جميعها ودعت إليها ، وهي المسماة بحسن الخلق ، فقد توافرت في شخصية النبي الكريم ﷺ حتى بلغ فيها أسمى المقامات ، إذ لم ينل أحد من البشر ما نال النبي الأعظم ﷺ من سمو و تكامل في هذا الجانب، حتى إن القرآن حين أثنى عليه ﷺ لم يجد أرفع ، ولا ابلغ من قوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، إذ كان ﷺ آية من آيات الله في معالي أخلاقه.

---

١. القاضي عياض: الشفا: 1/ 59.

٢- لقد أفاضت مؤلفات عدة في دراسة أوصاف النبي ﷺ وسجاياه وأخلاقه ، ونقل الكثير الطيب من هذه الأخلاق الكريمة ، انظر مثلا الترمذي: الشمائل المحمدية: ص271 . 297.

٣- سورة القلم الآية 4 .

وقد أولى الإسلام مكارم الأخلاق عناية فائقة ، لأنه في جوهره ، " رسالة أخلاقية " بكل ما تحمله هذه الكلمة من عمق وشمول ، وقد لخص النبي الأعظم ﷺ الهدف من رسالته بقوله: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [1] وذلك لما للأخلاق الفاضلة من اثر ايجابي في هداية الأفراد والشعوب.

وقد حث النبي ﷺ على مكارم الأخلاق وجمع بين التقوى وحسن الخلق حتى قال: " أكثر ما يدخل الجنة : تقوى الله وحسن الخلق " [2] وعَدَ حسن الخلق من كمال الإيمان ، فقال ﷺ : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " [3]، وقال أيضا:" إن أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلسا ، أحسنكم خلقا، وأشدكم تواضعا " [4].

وكفى بحسن الخلق شرفا وفضلا أن الله لم يبعث أنبياءه إلى البشرية إلا بعد أن حلاهم بهذه السجيةٍ وزانهم بها فهي رمز فضائلهم وعنوان شخصياتهم . إذ أن " مكارم الأخلاق " من صفات الأنبياء والصالحين بها تنال الدرجات وترفع المقامات ، وقد جعلها الله تعالى" صلة بينه وبين عباده" [5].

وقد أصّل أمير المؤمنين عليه السلام هذه الرؤية القرانية لخلق النبي ﷺ في نهج البلاغة فذكر خصال النبي ﷺ وسجاياه الخلقية ، ما دامت الملازمة جلية بين النبي والخلق العظيم فما يذكر ﷺ في موضع إلا والثناء حليفه ، فكيف إذا كانت مآثره الأخلاقية وكمالاته الذاتية هي عنوان شخصه والمع فضائله!

١- ابن سلامة: مسند الشهاب : 192/2-193. وينظر: الإمام مالك: الموطأ : 904/2. البخاري: الأدب المفرد ص 67. ابن بابويه: فقه الرضا : ص 353. الحاكم ا: المستدرك: 613/2. البيهقي: السنن: 192/10. ابن عبد البر: الاستذكار: 576/8 . التمهيد : 255/16 .المتقي الهندي: كنز العمال : 16/3، 420/11، 425 . الريشهري: ميزان الحكمة :3008/4 .

٢- ابن حنبل: المسند: 442/2. البخاري: الأدب المفرد: ص 70. الترمذي: السنن: 245/3. ابن أبي الدنيا: الورع ص93. ابن حبان: صحيح ابن حبان: 224/2. الصدوق: الخصال: ص 78، عيون أخبار الرضا: 41/1 . االمفيد: الاختصاص: ص 228. المتقي الهندي: كنز العمال:801/15.

٣ - الغازي: مسند الرضا عليه السلام : ص65، 125. ابن حنبل: المسند: 250/2 ،472 ،527 ،6 /47 .الدارمي : السنن:2 /323 .الترمذي :السنن :315/2 ،4 /122 .الضحاك : الآحاد والمثاني : 2 /175

٤- الحميري : قرب الإسناد : ص 46 . المجلسي : البحار : ج 68/ 385 , 70 / 231 . البروجردي : جامع أحاديث الشيعة : 13 / 448 . الريشهري : ميزان الحكمة: 800/1.

٥. وهو حديث النبي ﷺ : (جعل الله سبحانه مكارم الأخلاق صلة بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله تعالى). الحلواني: نزهة الناظر وتبنيه الخاطر : ص 52. النوري: المستدرك :192/11- 193. الريشهري: ميزان الحكمة: :804/1.

تلك السجايا التي أشار إلى بعضها الإمام عليه السلام ، فيحتاج تفصيلها وبسط القول فيها إلى مباحث ، لا يتسع المجال ها هنا لذكرها جميعا ، بل سنقتصر على ما ورد ذكره في مضامين خطبه وكلماته الشريفة الواردة في نهج البلاغة . وبدءً لابد من الوقوف عند المؤهلات التي أشار اليها الإمام عليه السلام التي هيأت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لاكتساب الفضائل والمراتب العالية من الأخلاق المتجلية في شخصه باسطع صورها النورانية.

أشار عليه السلام إلى دور السماء في ذلك بقوله : " **ولقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه ، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه** " [1] ، وقد اثر عنه صلى الله عليه وآله قوله : " أدبني ربي فأحسن تأديبي" [2]، وقريب منه ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام لما سئل عن قول الله عز وجل ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[3]، فقال عليه السلام : " يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليه بتبليغهم الرسالة ، ووكل بمحمد صلى الله عليه وآله ملكا عظيما منذ فصل عن الرضا ع ، يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق " [4].

إن ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيه بينة واضحة على التسديد الإلهي والرعاية الربانية لشخص النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وما لها من اثر فعال في رسم معالم سجاياه الخلقية. وأشار بالملك الذي قرنه به إلى جبرائيل وهو العقل الفعال في عرف قوم ، واقترانه به إشارة إلى توليه بتربية نفسه القدسية بإفاضة العلوم ومكارم الأخلاق وسائر الطرق المؤدية إلى الله سبحانه من حين صغره صلى الله عليه وآله بحسب حسن استعداد مزاجه وقوة عقله الطفولي [5].

١- نهج البلاغة : ص406 .

٢. الطبرسي: مجمع البيان: 86/10. الثعلبي: الكشف والبيان : 10/10. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 233/11، السيوطي: الجامع الصغير: ا/ 51. الصالحي الشامي: سبل الهدى: 93/2. المتقي الهندي: كنز العمال: 406/11. المناوي: فيض القدير: 290/1.

٣- سورة الجن الآية 27.

٤-ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 207/13. المجلسي : البحار: 362/15. البحراني: حلية الأبرار: 33/1.

٥-ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 366/4.

ثم جاءت إشارة الإمام عليه السلام لتؤكد أثر الجانب الوراثي في شخصية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال " **مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، ومَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، ومَمَاهِدِ السَّلَامَةِ** "[1]. إن من بين ما يحمله قوله : " معادن الكرامة ، ومماهد السلامة " هو ما تقلب عليه من مكارم الأخلاق الممهدة للسلامة إذ كان أباؤه وامهاته إضافة إلى الطهر والإيمان يتحلون بالفضائل الإنسانية والنزاهة من المعايب الأخلاقية[2].

ومن المعلوم إن احد الإبعاد المهمة في شخصية الفرد إنما يبلوره الجانب الوراثي حيث يكتسب الأبناء القدسية من جراء الآباء من أهل الورع والتقوى والصلاح ، والأمهات من ذوي الطهر والنجابة والعفاف ، وبالطبع كل ذلك دون حصول الإجبار، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أنموذجا بارزا في هذا الأمر، فهو ينتهي لآل إبراهيم والأنبياء عليهم السلام الذين انحدروا من نسله ، ومن صلب بني هاشم المعروفين بالشجاعة والكرم والأثرة ، ومن ولد عبد المطلب المشهور بإيمانه وعدله وشجاعته ، فقد تحلى صلى الله عليه وآله وسلم بكل هذه الصفات[3].

ثم نجده عليه السلام في إشارة أخرى يخوض في خلقه الجذاب صلى الله عليه وآله وسلم الذي استقطب القلوب وخطف القلوب ، وشدها إليه ، إذ يقول: " **قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَه أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وثُنِيَتْ إِلَيْه أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ**"[4].

من يقف على أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم يدرك السر وراء انجذاب الناس إليه جيلا بعد جيل ، لان الأخلاق الإلهية المرضية قد تجسدت في شخصه بأروع صورها ، وأجل حالاتها ، وهذه الاخلاق إحسان للآخرين . والنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم : " حسن الخلق يثبت المودة"[5]، فكان لحسن خلقه ومداراته الرفيعة ورحمته الإلهية الأثر الطيب في تثبيت مودته وتمكنها من سوائد القلوب ، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[6] ثم أشار عليه السلام إلى آثار أخرى لبركة الوجود المحمدي بين الناس ، وبما تهيأ له من سمات

١- نهج البلاغة : ص178 .

٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 531/2. المجلسي : البحار : 380/16. ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية :180/4 .

٣-ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية :162/4.

٤- نهج البلاغة: ص178 .

٥- الحراني: تحف العقول: ص 45 .علي الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 138. المجلسي :البحار: 148/74. الريشهري: ميزان الحكمة:805/1.

٦- سورة آل عمران الآية 159.

وسجايا محببة إلى النفوس ، ساهمت بشكل فعال في إصلاح المفاسد وقلب الموازين لما فيه الخير والصلاح ، إذ يقول: " **دَفَنَ اللَّه بِه الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً ، وفَرَّقَ بِه أَقْرَاناً ، أَعَزَّ بِه الذِّلَّةَ ، وأَذَلَّ بِه الْعِزَّةَ** "[1]

فقد أزال الله به الضغائن والأحقاد ، واطفأ نيران الفتن والعدوان ، وألف بين القلوب المتباعدة ، وآخى بين المؤمنين ، وجمع بين المتباعدين ، في حين انه فرق به بين جماعات كانت مجتمعة على الباطل ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[3]. بل إن الله تعالى ببركة الوجود المحمدي رفع المستضعفين وأعزهم بالإسلام ، وأذل المستكبرين بعد ان كانوا أعزة أيام الشرك والضلال . وهكذا استقطب النبي الأعظم ﷺ بخلقه الإلهي ومنهجه السوي كل من حوله وكل من عرفه ، فاستضاءت القلوب بنور هداه ﷺ .

إن المتتبع لكلمات الإمام عليه السلام وخطبه الشريفة ليقف بإجلال عند تلك العبارات اللطيفة الرائعة التي وصف بها خصال النبي الأعظم ﷺ ، والحق انه عليه السلام قد أدى حق الكلام بشأن خصالهﷺ وأماط اللثام عن عظمة خلقه الالهي ، إذ يصفه قائلا: " **أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً** "[4] أي في جميع خصاله الشريفة ، منذ طفولته وحتى آخر لحظات حياته نشأ متجليا بكل خلق كريم ، ومبتعدا عن كل وصف ذميم حتى كان كما وصفه عليه السلام : " **خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا ، وأَنْجَبَهَا كَهْلًا** "[5] ، لقد كان ﷺ قبل بعثته في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة ، كالصدق والأمانة والوفاء والشجاعة والحلم وغيرها ، وكان يحظى بالإجلال والإكبار من حصل على واحدة منها ، فكيف بمن جمعت له وتوفرت فيه كلها ، ولما بعثه الله زاده قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته حتى بلغ الكمال.

١- نهج البلاغة : ص178- 179 .
٢- سورة الأنفال الآيتان 62-63.
٣- سورة آل عمران الآية 103.
٤- نهج البلاغة : ص194 .
٥- نهج البلاغة : ص194 .

فأما شرف النسب: فقد تحدر ﷺ من أكرم المناسب ، وانتمى إلى أطيب الأعراق ، إذ اختاره الله من " **شجرة الأنبياء ، ومشكاة الضياء ، وذؤابة العلياء ، وسرة البطحاء**" [1].

فمن لطف الله به ﷺ أن جعله عريق النسب ، كريم المنبت ، اصطفاه من اشرف قبائل العرب " قريش " وجعل فرع وجوده من شجرة الانبياء التي اصطفى منها أمناء رسالاته . وهذا ما سبق أن تناولناه في مبحث علامات الانبياء .

وقد ألمح الإمام عليه السلام في مضامين كلماته إلى صور موجزة من ملامح شخصية النبي ﷺ وخصاله و كمالاته ، وبعض من جوانب سلوكه الفردي والاجتماعي ، وسنقف عند هذه السجايا والخصال التي ذكرها الإمام عليه السلام .

ومن اهم هذه السجايا :

اولا : **الرحمة** :

تعد الرحمة من الأخلاق الإلهية التي أودعها الله سبحانه في الأنبياء ومنهم نبي ه المصطفى ﷺ الذي كان ارحم الناس بالناس ، فنصح لهم وهداهم إلى الصلاح ، واخذ بأيديهم إلى السعادة في الدارين ، ولقد نوه سبحانه بما جبل عليه نبيه المصطفى ﷺ من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص عليهم ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [2]، وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [3] .

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **وبَعِيثُكَ نِعْمَةً ، ورَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً** [4]" ، وفي موضع آخر قال : " **ورَسُولُ رَحْمَتِهِ** " [5]، فكان ﷺ الرحمة المهداة من الله الكريم إلى عباده ، وسيرته العطرة تشهد بهذه الرحمة التي طبقت الآفاق وشملت جميع الناس ، فكان من أوصافه ﷺ أنه يشق عليه ضر الناس أو هلاكهم ، بل أن رحمته ورأفته شملت حتى المخالفين له.

١- نهج البلاغة: ص200 -201.
٢- سورة التوبة الآية 128 .
٣- سورة الأنبياء الآية 107.
٤- نهج البلاغة ص198 .
٥- نهج البلاغة 423.

وأما قوله عليه السلام : " **وبَعِيثُكَ نِعْمَةً** " [1] فهي إشارة إلى ان بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت نعمة كبيرة من جانب الله سبحانه ، كما كانت أنموذجا بارزا لرحمته الواسعة سبحانه ، فقد اهتدت به الملايين من أفراد البشرية ، وانقادت إلى الحق في ظل تعاليمه السامية ، وهذا الكلام في الواقع من الآيات القرآنية ومنها: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[2] ، و﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ[3]﴾ [4].

سأل الإمام الحسين عليه السلام أبله أمير المؤمنين عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال: كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزءً لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك بالخاصة على العامة ، ولا يدخر عنهم شيئا وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه ، وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسا ءلتهم عنه ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، يقول: ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره. يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ، يخرجون أدلة – يعني على الخير –.

قال الإمام الحسين عليه السلام : فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

قال: كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم قوم ويوليه عليهم ، ويحدر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره وخلقه ، يتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يفضل مخافة أن يفضلوا أو يملو، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه ، يلونه من الناس ، خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

١- نهج البلاغة : ص198 .

٢- سورة آل عمران الآية 164.

٣- سورة الأنبياء الآية 107.

٤- ناصر مكارم الشيرازي:نفحات الولاية: 4/ 312 .

قال الإمام الحسين عليه السلام : فسألته عن مجلسه ، فقال عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا عن ذكر الله ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه . من جالسه أو فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه مجلس علم وحلم وحياء ، وأمانة وصبر لاترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثفلتأته، متعادلين ، بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب "[1].

وفي بيته كان مضرب المثل في القيام بدور رب الأسرة ، فقد قيل لعائشة : " ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في بيته ؟ قالت: كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه "[2].

وعن طريقة تعامله مع جلسا ئه ، قال الإمام الحسين عليه السلام : سألت أبي أمير المؤمنين عليه السلام عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جلسائه؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : " كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب ، ولا فحاش ، ولا عيان ، ولا مشاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه راجيه ، ولا يخيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ، ولا يعيبه ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، وإذا تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته ، حتى إن كان أصحابه ليستجلبوهم . ويقول: إذا رأيتم

١- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص181 .182.

٢- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص185.

طالب حاجة يطلبها فأرفدوه ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام "[1].

ثانيا: العدل:

جاء في مظان كلام الإمام عليه السلام الإشارة إلى اتصاف رسول الله صلى الله عليه وآله بـ " العدل " ، إذ يقول عليه السلام : " **وحُكْمُه الْعَدْلُ** "[2]، والعدل: صفة عظيمة محببة للنفوس، أمر الله بها، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[3]، وحمل به أنبيا ءه، وقد كانت غريزة فطر الله عليها نبيه صلى الله عليه وآله ، الذي كان حريصا على إبراز قيمة (العدل) في الدنيا وعظم أجره في الآخرة ، يقول صلى الله عليه وآله: " إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدي الرحمن بما اقسطوا في الدنيا " [4]، وقد التزم صلى الله عليه وآله بالعدل والقسط منهاجا له ، وامتلأت كتب السيرة بمواقف مشهودة عن عدله ، فقد كان يتحاكم إليه قبل الإسلام [5]، وغدا ممثل العدل الالهي في الأرض بعد بعثته .

ولكن اشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: " أنكم تختصمون إليّ إنما أنا بشر ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما اقضي بينكم بما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا ، فإنما اقطع له قطعة من النار، فلا يأخذه " [6] .

١- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص 189.

٢- نهج البلاغة: ص176 .

٣- سورة النحل الأية 90.

٤- ابن حنبل: المسند : 2 /159. وانظر: ابن ابي شيبة : المصنف : 8 /81 . النسائي: السنن: 3 /460 .الحاكم المستدرك :4 /88 .المتقي الهندي: كنز العمال : 6 /8 .

٥- ابن راهويه: المسند:4/60 -61. وقد ورد باختلافات واضافات قليلة في مصادر اخرى، ينظر: مالك: المدونة الكبرى 4 /365، الموطأ 2 /719. الشافعي: كتاب الام: 215/6. ابن ابي شيبة: المصنف: 425/8 – 426، ابن حنبل: المسند:320/6. النسائي: السنن: 3 /468 ، 472. ابو يعلى: المسند: 12 /303 – 308، 428. الطبراني : مسند الشاميين: 2 /243 . الدارقطني: السنن: 4 /154 -155. البيهقي: معرفة السنن: 379/7. الطوسي: المبسوط: 8 /256.

٦- الشافعي: الأم : 1/ 297: الرسالة : ص150 . الطوسي: الخلاف: 6/ 257 . المرتضى: شرح الأزهار : 119/4 . الشهيد الثاني: مسالك الأفهام : 262/14 . الكاشاني: مفاتيح الشرائع : 275/3.

ومعنى هذا انه قد يقضي بغير الواقع ، فكيف يكون حكمه العدل كما مر في وصف أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال مغنية[1] في جواب ذلك: " الجواب عن هذا السؤال موجود في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : وهو " إنما أنا بشر... أقضي على نحو ما اسمع ... فاحسبه صادقا". أي أن النبي حين يقضي بين اثنين لا ينزل عليه وحي من السماء بان هذا هو الحق ، وذاك باطل ، وإنما يعتمد في الحكم والفصل بين الناس على ما قرره سبحانه لكل قاض من الأصول كالبينات والأيمان وغيرها مما يوجب العلم والوثوق، كما قال: " فأحسبه صادقا ". ومعنى هذا ان العدل في الحكم يرتبط بالأصول المقررة، وإن العالم العادل من عرفها والتزم بها ، وإن من تاه عنها فهو جائر او جاهل ".

ولكن تستوقفنا هنا عدة نقاط:

1 -إن الله تعالى يقول عن نبيه الكريم: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2]، فكيف نحتمل ان ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وآله من حكم للفصل بين متخاصمين أو غيره أن لايصيب الواقع مما يجوز عليه الخطأ في تطبيق الشريعة ، وان كان غير قاصد لذلك! ألا يتنافى هذا مع عصمته صلى الله عليه وآله ؟!

2 -ان النبي صلى الله عليه وآله ممثل الحكم والعدل الالهي ين على الأرض ، ومن شؤون الانبياء فصل الخصومات والقضاء بين الناس بالعدل ، والله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3] . وقال أيضا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾[4]، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام " اتقوا الحكومة ، فان الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين ، لنبي أو وصي نبي" [5] إذ كيف

١- في ظلال نهج البلاغة :2 /64 .

٢- سورة النجم الآيتان 3 . 4.

٣- سورة النساء الآية 65.

٤- سورة الأحزاب الآية 36.

٥- الكليني: الكافي: 406/7 . الصدوق: من لا يحضره الفقيه: 5/3. الطوسي : تهذيب الأحكام: 217/6. الفاضل الهندي: كشف اللثام: 6/10. الفيض الكاشاني : المحجة البيضاء : 194/6. الحر العاملي : هداية الامة : 361/8. المحقق البحراني: الدرر النجفية : 273/1. آل عصفور: الأنوار اللوامع : 7/14. الجواهري: جواهر الكلام :40/ 17.

لا يصيب حكمه الواقع ، وان حدث هذا ولم يتحقق العدل بين الناس بوجود النبي الأعظم ﷺ ، فإلى أين يلجا المظلوم أو المغلوب على أمره إن أعجزه البيان في الحجة ، ولم ينجده عدل النبي الأعظم ﷺ؟!

3 –لا إشكال في أن الله أمر بالحكم والقضاء وفق الأصول المعتمدة كالبينات والأيمان، ولكن مالا يمكن قبوله ان يحتمل عدم مطابقة الحكم الصادر عن النبي ﷺ للحق والواقع ، وان كان البعض أبين في حجته فان ذلك لن يعجز رسول الله ﷺ وهو الذي هيأ الله له من الكمالات الذاتية التي جعلته في قمة الكمال الإنساني ، أن يتوصل للحكم الحقيقي من خلال الأصول المتعارف عليها.

وخير دليل على ذلك نذكر هذه الحادثة: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما ولاه النبي على قضاء اليمن قال : " يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء " ، فقال ﷺ :" إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك " وهذه مقدمة تؤكد سبق التسديد الالهي للوصي عليه السلام في بلوغه الحكم الحق . ثم قال له : " فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فانه أحرى أن يتبين لك القضاء ، قال عليه السلام : فما زلت قاضيا أو ما شككت في قضاء بعد" [1]، وقد روي عن عمر قوله في الإمام : " علي أقضانا [2] " ولم يشهد له التاريخ زللا أو سهوا في حكم قضى به بين الناس ، بل كانت أحكامه تطابق الواقع الحق وتحقق العدل . فكيف الحال برسول الله ﷺ ؟!!

ثم نذكر حادثة أخرى لما أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل قاضيا إلى اليمن ، قال له " وان أشكل عليك أمر فقف حتى تتبينه أو تكتب إليّ فيه"[3].

١– ابن حنبل: المسند : 1/ 83 . أبو داود: السنن : 160/2 . ابن حزم: المحلى : 367/9 . البيهقي: السنن الكبرى : 86/10 . القاضي النعمان: شرح الأخبار : 304/2 . ابن حجر: فتح الباري : 52/8.

٢– ابن سعد: الطبقات : 339/2 . ابن أبي شيبة: المصنف : 183/7 . ابن حنبل: المسند : 5/ 113. وكيع: أخبار القضاة :1 /8 . الحاكم: المستدرك: 305/3 . الدار قطني: علل الدار قطني : 77/1 . ابن عبد البر: الاستذكار 66/2 . الذهبي: تاريخ الإسلام : 3/ 638 ، تذكرة الحفاظ 820/3 . الصفدي: الوافي بالوفيات : 179/21 . ابن حجر: فتح الباري: 60/7 . السيوطي: تاريخ الخلفاء : ص188 . العجلوني: كشف الخفاء : 162/1 . المغربي: فتح الملك العلي : ص71 .

٣– ابن ماجه : السنن: 21/1. المتقي الهندي : كنز العمال : 101/6 . الشنقيطي: أضواء البيان : 173/4.

4 -ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1]، انه ترافع بعض الناس إلى النبي ﷺ ، وكان كل من المتخاصمين يسعى لان يبرئ نفسه ويلقي بالتهمة على الآخر، وكان مع احدهما شهود ، ومع الآخر رجل طليق اللسان حاول ان يخدع النبي ﷺ بإثارة عواطفه على المتهم البريء ، ليقضي بخلاف الحق، وعند ذلك نزلت هذه الآية الكريمة لترفع النقاب عن وجه الحقيقة وتكشف من هو المتهم الحقيقي[2].

لا ريب إن هذه الآية هي بصدد إثبات عصمة النبي ﷺ وعدم خطئه في مجال تطبيق الشريعة ، استنادا إلى سبب النزول الذي ذكره المفسرون فان الخطأ في هذا المجال لا ينفك بحال عن الضلال كما نصت عليه الآية ، وهو مزلقٍ عن الانبياء عليهم السلام بنص القرآن الكريم . ولقائل أن يقول: إن الآية الكريمة مرتبطة بباب القضاء ، وفك الخصومات ، فلعل الانبياء عليهم السلام يخطئون في التطبيق في أبواب أخرى من الشريعة ، فلا يتم الاستدلال على المطلوب حينئذ؟

جواب ذلك: ان الآية قالت: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3]، وهذا التعبير يحدد بيان السبب في عدم وقوع الخطأ في باب القضاء ، وهو فضل الله ورحمته بالنبي ﷺ ، ومن المعلوم ان فضل الله ورحمته بالنبي ﷺ ليس مختصا بباب القضاء بل هو ثابت له في كل شؤونه وأفعاله[4].

١- سورة النساء الآية 113.

٢- ينظر: الترمذي: السنن : 310/4 – 313 . الطبري: جامع البيان : 5/ 360 – 362 . الحاكم: المستدرك 385/4 – 386 . الطبرسي: مجمع البيان :188/3.

٣- سورة النساء الآية 113.

٤- السيد الحيدري: عصمة الانبياء في القرآن: ص169 –170 .

ثالثا : البلاغة :

أما عن منطقه الشريف ﷺ ، فقد وصف الإمام عليه السلام كلامه وسكوته بصفة تعد من مفاخر الصفات وكمالات الذات ، إذ قال عنه : " **كَلَامُه بَيَانٌ ، وصَمْتُه لِسَانٌ** "[١].

والمراد بالبيان: إخراج الشي من حيز الخفاء إلى حيز الوضوح [٢]. فإذا نطق ﷺ تفتق لسانه بأسرار الحكمة ، وبيان حقائق الوحي ، وكشف النقاب عن سبيل النجاة ومهوى الردى ، ومستنقع السقوط[٣] . فهو الذي اصطنعه الله لوحيه ، وخصه بتنزيله ، ونصبه لبيانه ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٤].

فكلامه ﷺ بيان للحق والعدل ، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [٥]، وهذا يعود إلى ان النبي ﷺ نشأ وتقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا ، إذ يقول: " أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش" [٦]، وقد كانت هذه الفصاحة توفيقا له من الله وتوقيفا ، إذ ابتعثه للعرب وهم قوم يقادون من ألسنتهم ، ولهم المقامات المشهورة من البيان والفصاحة [٧]، غير أنهم هذبوا الكلام وحذقوه وبالغوا في إحكامه ، فان ذلك لا يكون إلا عن نظر متقدم وروية مقصودة وتكليف يستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية ، فيشبه أن يكون القول مصنوعا مقدرا ، على أنهم مع ذلك لايسلمون من عيوب الاستكراه والزلل والاضطراب ، ومن حذف في موضع اطناب ، واطناب في موضع ، ومن كلمة غيرها اليق ، ومعنى غير ارد ، ثم هم في باب المعاني ليس لهم الا حكمة التجربة ، والا فضل ما ياخذ بعضم عن بعض ، قل ذلك او كثر ، والمعاني هي التي تعمر الكلام وتستتبع الفاظه ، وبحسبها يكون ماؤه ورونقه ، وعلى مقدارها وعلى وجه تأديتها يكون مقدار الرأي فيه ووجه القطع به [٨].

١- نهج البلاغة: ص179 .

٢- ابن ابي الحديد :شرح نهج البلاغة :69/7.

٣- ناصر مكارم الشيرازي :نفحات الولاية :181/4 .

٤- سورة النحل الآية 44.

٥- سورة النجم الآيتان 3 – 4.

٦- ابن سلام :غريب الحديث: 140/1. ابن قتيبة: المعارف : ص 132. الزمخشري : الفائق في غريب الحديث:126/1. العجلوني : كشف الخفاء:201/1.

٧- الرافعي :اعجاز القران : ص223 .

٨- الرافعي : اعجاز القران : ص222.

بيد ان رسول الله ﷺ كان أفصح العرب ، على انه لا يتكلف القول ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده ... ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي من الهام النبوة ونتاج الحكمة ، وغاية العقل ، وما إلى ذلك مما يخرج به الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد [١] .

وفي مورد آخر وصف الإمام عليه السلام كلام النبي ﷺ بقوله : " وكَلَامُه الْفَصْلُ "[٢] أي الفاصل بين الحق الحق والباطل [٣]، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ [٤] ﴾[٥] ، وقيل مراده عليه السلام : الجد لا الهزل ، ولهذا قال قال ﷺ : " أوتيت جوامع الكلم" [٦]، وأراد بجوامع الكلم انه يتكلم بالكلمات القصيرة وتحتها معان جمة ونكت غزيرة" [٧]. وأما عن قوله عليه السلام : " وصمته لسان " فلا يعني باللسان ها هنا الجارحة نفسها ، بل الكلام الصادر عنها [٨]. واستعار لفظ " اللسان " لسكوته ، ووجه المشابهة أن سكوته ﷺ مستلزم للبيان من وجهين:

احدهما : أن يسكت عما لا ينبغي من القول، فيتعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لايعنيهم.

الثاني: إن الصحابة كانوا إذا فعلو فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم ، ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الإباحة ، فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له ، وأشبه سكوته عنه باللسان المعرب عن الأحكام [٩]. فسكوته يختزن المعنى والمفهوم ، ولم يكن صمتا طبيعيا ، وهو يريد ان صمته بمنزلة قوله ، في كونه شرعا يقتدي به ، هذا من باب ، ومن باب آخر فانه يريد ان صمته حكمة وصواب

١- الرافعي : اعجاز القرآن :ص222-223.
٢- نهج البلاغة: 176 .
٣-ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة:52/7. ابن ميثم: شرح نهج البلاغة:527/2.
٤- سورة الطارق الآية 13.
٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة : 527/2.
٦- ابن أبي شيبة :المصنف :431/7. ابن حنبل: المسند: 250/2، 442. الإيجي: المواقف: 409/3. الهيثمي: مجمع الزوائد: 173/1، 182. المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 371.
٧- الحسيني: الديباج الوضي: 778/2- 779.
٨- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة:7 /55.
٩- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 532/2 .

وليس غفلة ، وذهولا وحصرا وعَيا مثل سكوت غيره" [1]. فمن كمال تلك النفس العظيمة غلبة فكره على لسانه ، فقل كلامه ، وخرج قصدا في ألفاظه محيطا بمعانيه [2].

وحق للإمام عليه السلام أن يفتخر بأنهم – أي أهل بيت النبوة – في محل لا يضاهى من كمال الفصاحة والبلاغة ما لو أراده مريد لعجز عنه ، فيقول عليه السلام : " **إِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلَامِ، وفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُه، وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه**"[3].

رابعا : التواضع:

هو خلق كريم ، وخلة جذابة ، تستهوي القلوب ، وتستثير الاعجاب، والتقدير[4]. ومن موجبات المعرفة المعرفة الحقة للذات الالهية استشعار الفقر في ذات الانسان، يقول امير المؤمنين عليه السلام " **وإِنَّه لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّه أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُه أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَه ، وسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُه أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَه**"[5].

فالانسان بقدر ما يدرك من عظم الله تعالى وجلاله وجبروته ، فانه يستشعر الفقر في نفسه الى الله والحقارة تجاهه ، ويدرك انه لا ينبغي له ان يستعظم ذاته ؛ لان المنزلة والتقدير انما يكون لمن رأى ان العظمة لله وحده سبحانه ، والخاشعون من عباد الله هم اولئك الذين يستشعرون العظمة له عز اسمه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ [6]﴾[7] .

وفي موضع آخر يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " **إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّه سُبْحَانَه فِي نَفْسِه، وجَلَّ مَوْضِعُه مِنْ قَلْبِه، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَه – لِعِظَمِ ذَلِكَ – كُلُّ مَا سِوَاه**" [8]

١- الحسيني: الديباج الوضي: 783/2.
٢- الرافعي :اعجاز القران :ص235 .
٣- نهج البلاغة : ص484 .
٤-مهدي الصدر: أخلاق اهل البيت: ص 36.
٥- نهج البلاغة: ص269 .
٦- سورة فاطر الآية 28 .
٧- عبد المجيد زهادت : التربية والتعليم في نهج البلاغة : ص 89
٨- نهج البلاغة: ص 453 .

فمن عظم جلال الله في قلبه صغر عنده كل ما سواه ، وقد تجلى التواضع بأبهى واكمل صورته في أخص خلق الله واقربهم منزلة منه الا وهم الانبياء ، اذ نجد في كلام الامام عليه السلام وقفة مع هذه الخصلة من خصال انبياء الله اذ يقول عليه السلام : " **فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ ومَلائِكَتِهِ، ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، ورَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ** "[1]، ففي قوله ها هنا استدلال على تحريم الكبر مطلقا وانه لا رخصه فيه لاحد من خلق الله.

إن الكبر نقيض التواضع وأما حقيقته: فهي هيأة نفسانية تنشأ عن تصور الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة وتلك الهيئة تعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ والهزة والتعزز والتعظم والركون الى ما تصورته من كمالاتها وشرفها على غيرها ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " أعوذ بك من نفخة الكبر"[2] ، وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع[3].

وقد ورد ذم هذه الخصلة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم منها قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[4]، ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[5]، وفي الحديث القدسي: " يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي ، والعظمة أزاري ، فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم " [6]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : : " لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر"[7].

١- نهج البلاغة : ص392.
٢- المازندراني: شرح أصول الكافي: 235/1.
٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 275 .
٤- سورة غافر الآية 35 .
٥- سورة إبراهيم الآية 15 .
٦- الحميدي: مسند الحميدي : 486/2 . ابن راهويه: المسند: 305/1. ابن حنبل: المسند: 248/2 . ابن ابي الدنيا: التواضع والخمول : ص3. البيهقي: شعب الإيمان : 281/6 . البيهقي: معارج نهج البلاغة : ص 358 . ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه : ص 232 . المنذري: الترغيب والترهيب : 562/3 . المجلسي الأول : روضة المتقين : 48/4 . الفيض الكاشاني: الوافي : 161/1 . المجلسي: ملاذ الأخيار : 59/5 . النوري: المستدرك : 31/12.
٧- البخاري: التاريخ الكبير: 2/5 . الترمذي: السنن : 244/3 . الكليني: الكافي : 310/2. الصدوق: ثواب الأعمال : ص221 . النووي: الأذكار النووية : ص 350 ، شرح صحيح مسلم : 89/2 . الدميري: حياة الحيوان : 496/1 . الشهيد الثاني: رسائل الشهيد الثاني : 812/2 ، منية المريد ص156. البهوتي: كشف القناع : 1/ 270. الكحلاني: سبل السلام: 200/4. الشوكاني: نيل الأوطار : 108/2.

والى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ والْكِبْرِيَاءَ ، واخْتَارَهُمَا لِنَفْسِه دُونَ خَلْقِه ، وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِه ، واصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِه ، وجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَه فِيهِمَا مِنْ عِبَادِه**" [1].

ومعنى اختياره هنا تفرده باستحقاقهما لذاته ، فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [2] ، والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه [3]. وأما قوله عليه السلام : " **وجَعَلَهُمَا حِمًى وحَرَماً عَلَى غَيْرِه** "[4]، فقد استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار اختياره لهما وتحريمهما على غيره من خلقه كما يحمي الملك المرعى والحرم[5].

ويقول عليه السلام : " **ومَا بَيْنَ اللَّه وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِه هَوَادَةٌ، فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَه عَلَى الْعَالَمِينَ** " [6]، [6]، فليس" بين الله وبين احد من خلقه صلح ، فيخصص باباحة حكم حرمه على سائر خلقه ، فيختلف بذلك حكمه فيهم لان الصلح من عوارض الحاجة او الخوف المحالين عليه تعالى" [7]. وبهذا يتضح لنا مراده من قوله المار الذكر " فلو رخص الله في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه واوليائه ".[8]

اذ إن وجه الملازمة فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعتة ، فلو كان فيه رخصة لم يجعلها الا لهم، وتقدير الاستثناء فيه لنقيض الآتي: لكنه لم يرخص فيه لهم ، فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده ، لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستثنى بعض لوازمه ، وهو تكريهه التكابر عليهم ، وذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر، ثم برضى التواضع لهم ، وذلك بامرهم فيه كما قال تعالى:

١- نهج البلاغة: ص 384 - 385 .
٢- سورة الرعد الآية 9.
٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 277 .
٤- نهج البلاغة: ص385.
٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 277 .
٦- نهج البلاغة ص386.
٧- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 291.
٨- نهج البلاغة: ص292.

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ[1] ﴾ ونحوه [2].

ثم شرع عليه السلام في بيان دلائل التواضع في الأنبياء وسماته اذ يقول : " **فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ**" [3] . امتثالا لما امروا به من التواضع والتذلل للخالق [4] . " وخفضوا اجنحتهم اجنحتهم للمؤمنين ، وكانوا قوما مستضعفين امتثالا لما مروا به من التواضع للخلائق ، قال المجلسي: خفض الجناح كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة "[5].

وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[6]، إن الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه ، واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ، رفعه قول أحدهم:

وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا [7]

ينهاه عن التكبر بعد التواضع [8] . والعرب تقول لمن كان ساكنا وقورا : انه خافض الجناح [9]. وأما قوله عليه السلام : " وكانوا قوما مستضعفين " كونهم متصفين بالضعف والمسكنة في نظر الناس وضيق العيش في الدنيا كما سنقف تفصيلا في محله.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله اشد الناس تواضعا ، وابعدهم عن الكبر ، وان المتتبع لسيرته الشريفة يلمس ذلك بوضوح ، وقد ذكر امير المؤمنين عليه السلام شاهدا على ذلك في حديثه عن نمط معيشته صلى الله عليه وآله فقال: " **ولَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَه،**

١- سورة الحجر الآية 88 .
٢- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 317 .
٣- نهج البلاغة: ص392 .
٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 11 / 266.
٥- البحار: 479/14.
٦- سورة الشعراء الآية 215 .
٧- استشهدت مصادر التراث بهذا البيت كثيرا دون الإشارة لقائله. ينظر: الزمخشري: الكشاف : 131/3. أو حيان الأندلسي: البحر المحيط : 43/7 . الأفندي: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : ص 498 . حبيب الله الخوئي: شرح نهج البلاغة : 315/11 . الآلوسي: روح المعاني : 135/19. الشنقيطي: أضواء البيان : 316/2.
٨- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة: 11 / 267 .
٩- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4 / 317 .

ويَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَه، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَه" [1]، اذ كان ﷺ يتخذ في جلسته هيأة تبعد عن نفس جالسها اي فخر او تكبر ، ولكنها تفرض الهيبة في نفوس الآخرين ، حتى روت احدى الصحابيات وهي قيلة بنت مخرمة [2] انها رأت رسول الله ﷺ في المسجد وهو قاعد القرفصاء [3] قالت : " فلما رأيت رأيت رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) المتخشع في الجلسة ، ارعدت من الفرق[4] " [5].

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: ما أكل رسول الله ﷺ متكئا منذ بعثه الله الى ان قبضه تواضعا لله عز وجل" [6] فالمراد من جلوسه جلسة العبد ، أما أن يجلس على الارض أو يجلس من غير تربع خلاف جلوس الملوك ، أو الجلوس دون شرفه ، إذ كان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل[7].

وتضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر عدة مزايا تشير الى تواضع النبي ﷺ منها:

1- لبس النعل المخصوف ، فهو دليل ظاهر على التواضع ولا سيما اذا كان لابسها هو الخاصف.

2- لبس الثوب المرقع.

3- ركوب الحمار العاري . وإرداف غيره خلفه .

١- نهج البلاغة: ص 299 .

٢- قيلة بنت مخرمة التميمية قدمت على النبي صلى الله عليه وآله وأسلمت وسمعت منه وروت عنه وصلت معه. ابن سعد: الطبقات: 8/ 312. ابن ماكولا: إكمال الكمال: 130/7. ابن الأثير: أسد الغابة : 535/5.

٣- القرفصاء: هو أن يجلس الرجل كجلوس المحتبي ويكون احتباؤه بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بالثوب، تكون يداه مكان الثوب. ابن سلام: غريب الحديث : 211،2/1/ 108. وقال الجوهري: وهو أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، كما يحتبي بالثوب، تكون يداه مكان الثوب. الصحاح 1051/3. الثعالبي: فقه اللغة : ص183. ابن فارس: معجم : 118/5.

٤- الفرق: الخوف والفزع. سيبويه: كتاب سيبويه : 4/ 19. الجوهري: الصحاح :4/ 1541 . ابن سيده: المخصص : 140/2/4.

٥- البخاري: الأدب المفرد ص 251. أبو داود: السنن: 445/2 . الطبراني: المعجم الكبير: 9/25 . البيهقي: السنن الكبرى 235/3. السمعاني: أدب الإملاء والإستملاء : ص 45. النووي: رياض الصالحين : ص 393. المزي: تهذيب الكمال : 278/35. الهيثمي: مجمع الزوائد : 6/ 11. المجلسي: البحار: 32/17 .

٦- الكليني: الكافي : 164/8 .

٧- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة: 9 / 320 .

كل ذلك آية التواضع وهظم النفس ، وآكد في الدلالة عليه[1].

وقال الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه عن النّبيّ صلّى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال: خمس لا أدعهنّ حتى الممات : الأكل على الحضيض مع العبد ، وركوبى الحمار موكفا ، وحلب العنز بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي [2].

وكان فراشه صلى الله عليه وآله وسلم غاية في التواضع ، قالت عائشة : " إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الذي ينام عليه من أدم ، حشوه ليف " [3]. و" سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك ؟ قالت : من أدم ، حشوه من ليف ، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك ؟ قالت: مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه "[4].

ومن مظاهر تواضعه كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله" [5]. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويركب الحمار ، ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف ، وعليه إكاف من ليف" [6]. و" كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب "[7].

"[7].

خامسا: الشجاعة.

١- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: 9 / 320 – 321 .

٢- الصدوق: الأمالي ص 130، الخصال ص 271، علل الشرائع 130/1، عيون أخبار الرضا عليه السلام 87/2، الطبرسي: مكارم الأخلاق ص115، الأشتري: تنبيه الخواطر 475/2، الحر العاملي: وسائل الشيعة 62/12، 256/24، البحراني: حلية الأبرار: 215/1، المشهدي: كنز الدقائق: 63/5، البروجردي: جامع أحاديث الشيعة 307/14.

٣- الترمذي: الشمائل المحمدية ص177.

٤- الترمذي: الشمائل المحمدية: ص178.

٥- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص178.

٦- الترمذي: الشمائل المحمدية: ص179.

٧- الترمذي: الشمائل المحمدية ص180.

تعد الشجاعة من الخصال اللازمة للأنبياء ، إذ جعل الله تعالى " **رسُلَه أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ** " [1]، وهي صفة تتطلبها مهمتهم التبليغية ، إذ ان هذه المهمة تواجه الصعوبات الجمة من التكذيب والتشكيك والترصد وغيره . وقد جمع الله أنواع القوة في رسوله الكريم ﷺ ، جمع له القوة الإيمانية الكاملة ، والقوة البدنية ، فاستعملها ﷺ مجتمعة في عبادة الله وطاعته والسعي الحثيث إلى كل ما يقربه إليه من مجاهدة أعداء دينه ونشر دعوته الغراء في جميع الأصقاع . وقد كانت حياته ﷺ القولية والفعلية أنموذجا متميزا في الشجاعة إذ كان منها بالمحل الذي لايجهل ، فعند التأمل في سيرته الشريفة نجده يتعامل مع كل المواقف بقلب ثابت وشجاعة نادرة ، لذا خاطبه الحق تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2].

وقد سئل الطوسي عن قول الله تعالى حول أمره تعالى نبيه الكريم ﷺ ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ ولم نره ﷺ نازل بطلا ، ولا قاتل ، ولو كان منازلا مقاتلا لكان له قتلى وجرحى كما كان لأمير المؤمنين عليه السلام ، والنبي ﷺ أشجع من أمير المؤمنين عليه السلام إذا كان فئة لإصحابه. فما هذا القتال المأمور.

فأجاب : القتال قد يكون بأن يتولى القتال بنفسه ، وقد يكون بأمر أصحابه وبحثهم عليه كما يقولون : فلان الملك يقاتل فلانا إذا أمر بقتاله أو حضر موضع القتال ، والنبي ﷺ كان حاضرا ، وكان يحث أصحابه ويبعث السرايا ، وكل ذلك منسوب إليه. وقد قتل يوم بدر أبي بن خلف ، رماه بحربته فخدش جسمه فمات منه [3].

بل ذكر الماوردي [4] ان أُبَيّ بْنُ خَلَفٍ [5] هو من دعا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَى الْبِرَازِ يَوْمَ أُحُدٍ فَبَرَزَ إلَيْهِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فَقَتَلَهُ.

١- نهج البلاغة : ص393.

٢- سورة النساء الآية 84.

٣- الرسائل العشر : ص323 .

٤- الأحكام السلطانية : ص 38.

٥- ولنقف عند شخصية (أبي بن خلف) قتيل النبي ﷺ : يعد أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي وأخوه أمية بن خلف ، من أكابر مشركي قريش ، وعتاتهم ، كانت جمح أهل بغي وعوان ، وكان أبي بن خلف يماطل الناس حقوقهم، وكثر ما آذى النبي ﷺ ، وتهدده بالقتل ، فكان يلقى رسول الله صلوات الله عليه بمكة ، فيقول: يا محمد،

وحضر النبي ﷺ المواقف الصعبة، وفر الأشداء من بين يديه، وهو ثابت لايبرح، ومقبل لا يدبر، إذ كان يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله حتى شج وجهه وكسرت رباعيته [1]. ولقد كان متحليا بالشجاعة منذ نشأته الأولى، فهو الذي شارك في حرب الفجار ولم يبلغ الخامسة عشر بعد [2]، وصدع بالدعوة مواجها عتاة قريش بما تنكره عقولهم، ولا تدركه تصوراتهم، فلم يمنعه ذلك من المضي قدما في

والله لان لم تنته عما أنت عليه لأقتلنك ، فنظر رسول الله ﷺ إليه ، وقال: بل أنا والله أقتلك يا أبي ، جاء إلى النبي ﷺ بعظم رميم ففته بيده ، ثم نفخه ، فقال: يا محمد أتزعم أن ربك يحيي هذا بعد ما ترى ؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم ﴾ ونزل فيه : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ ، وكان وأخوه أمية يعذبان بلال بن رباح أشد العذاب ، وكان ممن اجتمع في الدار ليلة الهجرة وأئتمروا على قتل النبي ﷺ ، وذكر عبد الرزاق الصنعاني: " وأما أبي بن خلف فقال : والله لأقتلن محمدا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله ، قال: فانطلق رجل ممن سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بن خلف ، فقيل : إنه لما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ما قلت، قال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فأفزعه ذلك ، وقال: أنشدك بالله أسمعته يقول ذلك ؟ قال : نعم ، فوقعت في نفسه ، لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا كان حقا ، فلما كان يوم أحد خرج أبي بن خلف مع المشركين ، فجعل يلتمس غفلة النبي صلى الله عليه وسلم ليحمل عليه ، فيحول رجل من المسلمين بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : خلوا عنه ، فأخذ الحربة فجزله بها – يقول : رماه بها – فيقع في ترقوته ، تحت تسبغة البيضة ، وفوق الدرع ، فلم يخرج منه كبير دم ، واحتقن الدم في جوفه ، فجعل يخور كما يخور الثور ، فأقبل أصحابه ، حتى احتملوه وهو يخور، وقالوا: ما هذا ؟ فوالله ما بك إلا خدش ، فقال: والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني ، أليس قد قال : أنا أقتله إن شاء الله ، والله لو كان الذي بي بأهل [ذي] المجاز لقتلهم ، قال : فما لبث إلا يوما أو نحو ذلك حتى مات إلى النار فأنزل الله فيه (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) . وقال رسول الله ﷺ بعد قتله: " اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله ". ومات أبي بن خلف بسرف ودفن فيها ، وبقي ولده عبد الله . الذي أسر يوم بدر وأطلق سراحه بفداء . على الشرك حتى فتح مكة ، فكان من الطلقاء ، ثم خرج يوم الجمل محاربا أمير المؤمنين عليه السلام فقتل فيها. ينظر: ابن سعد : الطبقات : 46/2 . ابن حبيب : المنمق : ص54 ، 281 . الطبري : جامع البيان : 23 /37 . القاضي النعمان : شرح الاخبار : 1 / 179 . المفيد : الامالي : ص 247 . الطبرسي : مجمع البيان : 6 / 437 . ابن الاثير : اسد الغابة : 3 / 114 . ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13 / 304 ، 15 / 224 . ابن كثير : البداية: 4 / 36– 37 .

١– ابن سعد: الطبقات : 44/2. الطبراني: المعجم الكبير: 162/6. البيهقي: معرفة السنن والآثار: 75/2. الزيلعي: تخريج الأحاديث 223/1. ابن كثير: البداية والنهاية: 4 /33، السيرة النبوية:3 /57. الحلبي: السيرة الحلبية: 2 /548.

٢– ابن هشام: السيرة النبوية: 119/1. المسعودي: التنبيه والاشراف ص 197. ابن كثير: البداية والنهاية 2 /353 .الذهبي: تاريخ الاسلام: 1 /61 .

مواجهتهم " غَيْرَ نَأكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ" [1] وسجل لنا تاريخه أروع الأمثلة في الجهر بالحق، لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه.

وقد تحدث الإمام عليه السلام عن شجاعة النبي في ميادين القتال ، وفي أحلك المواقف ، إذ يقول: " **كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْه** "[2]. وهي كلمات تنطوي على شجاعة لا مثيل لها ، لا سيما وان الذي يتحدث هو أمير المؤمنين عليه السلام القائل: " **واللَّه لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا**"، [3] **إذ انه عليه السلام** " **آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّه**"[4].

فقد كان إذا عظم الخوف من العدو، واشتد عضاض الحرب ، فزع المسلون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، فينزل الله تعالى النصر عليهم به ، ويامنون ما كانوا يخافونه بمكانه[5]. ويقول عليه السلام : " **فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْه** "[6] يشير بهذا إلى ما أعطاه الله من شدة الجأش وثبوت القلب وقوة العزيمة وشجاعة الجنان[7].

سادسا: الزهد : "

١- نهج البلاغة ص107 .
٢- نهج البلاغة ص709.
٣- نهج البلاغة ص576 .
٤- نهج البلاغة ص 34 .
٥- نهج البلاغة ص 709 .
٦- نهج البلاغة ص 709 .
٧- الحسيني: الديباج الوضي : 6 / 2920 . ومن أروع ما وجدناه حول شجاعة النبي صلى الله عليه وآله ما جاء في المساجلات الفكرية بين قطبين من أقطاب الاعتزال في القرن الثالث الهجري ، وهما الجاحظ وأبو جعفر الاسكافي ، ينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 13/ 277 – 283.

الزهد: لغة خلاف الرغبة ، تقول: زهد في الشيء ، وعن الشيء يزهد زهدا وزهادة [1]. أما اصطلاحا فالزهد : الإعراض عن الظواهر المادية والملذات والمشاغل الملهية التي تفضي الرغبة فيها إلى توقف الحركة التكاملية للإنسان أو بطئها.[2]

وجدير بالذكر أن خطب الإمام عليه السلام في نهج البلاغة تعج بمضامين (الزهد) إذ نجده عليه السلام داعيا له بأساليب شتى تنوعت ما بين الدعوة للاتعاظ والاعتبار أو ذم الدنيا وتهوين شأنها والتحذير من غرورها ، وكان من ألمع نماذجه تقديمه سيرة النبي صلى الله عليه وآله بوصفه أنموذجا متكاملا في هذا الجانب داعيا الى التأسي به واقتفاء أثره ، فيقول عليه السلام : " **لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا**"[3] وعد ذلك من نعم الله تعالى إذ يقول : " **فَمَا أَعْظَمَ أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّه عِنْدَنَا، حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِه سَلَفاً نَتَّبِعُه وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَه**"[4].

لقد كان الزهد معلما بارزا في حياة الانبياء ، وكان محل اختبارهم ، إذ إن إعراضهم عن الدنيا وزهدهم فيها كان شرطا في بلوغهم درجات الوحي والرسالة والتصدي للتبليغ والدعوة ، وهنا يمكن ان نسال : لماذا طلب الله تعالى من الانبياء الزهد في الدنيا ؟ وجوابه: إن من الملازمات العقلية لحب الدنيا هو السيئات والذنوب ؛ للارتباط الوثيق بين حب الدنيا والذنوب ، فكلما ازداد حب الإنسان للدنيا ازدادت ذنوبه ، وقد ورد في الحديث الشريف ان " حب الدنيا رأس كل خطيئة "[5]، فإذا لم يكن حب الدنيا له

١- الجوهري: الصحاح :2 / 481

٢ -الريشهري: القيادة في الاسلام: ص 289 . يخيل للبعض ان الزهد هو ترك ملذات الدنيا، ولبس الخشن من الثياب، وأكل الجشب من الطعام، غير إن ذلك إنما هو من مظاهر الزهد لا من مقوماته ، وحقيقة الزهد هو ما عرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: " الزهد ليس ان لا تملك شيئا، وانما ان لا يملكك شيء" . وحصره أمير المؤمنين عليه السلام بين كلمتين من القرآن اذ يقول: " الزهد بين كلمتين من القرآن، قال سبحانه وتعالى (لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) سورة الحديد اية 23. ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه" . ومعنى كلامه إن فيه " تنفير عن تمني الدنيا والرضا بحصولها وعن الهم بفواتها ودلالة على ان الزهد ليس فقدها بل عدم تعلق القلب بها حيث لا يفرح بحصولها ولا يحزن بفواتها، وبعبارة أخرى يتركها ويغتم بوجودها لعلمه بأنها من أعظم أسباب الغفلة . المازندراني: شرح أصول الكافي 8/ 378.

٣ - نهج البلاغة: ص 297 .

٤- نهج البلاغة: ص 301.

٥- الصدوق: الخصال : ص 25. ابن الفتال: روضة الواعظين : ص 441. الكراكجي: كنز الفوائد: ص 98. الواسطي: عيون الحكم والمواعظ : ص 231. ابن فهد الحلي: التحصين : ص 27. ابن أبي حجمهورالأحسائي: عوالي اللئالي :27/1. السيوطي: الجامع الصغير :1/ 566.المباركفوري: تحفة الأحوذي: 82/6.

وجود في حياة الإنسان فسوف تكون النتيجة مفادها : إن الإنسان سوف يبتعد عن الذنوب بقدر ابتعاده عن حب الدنيا ، وما نحن فيه من أعمال الشرط من الله تعالى على الانبياء بالزهد في حب الدنيا سوف يكون من نتائجه ان يتركوا الدنيا والتعلق بها كذلك ترك الذنوب والمعاصي وبالنتيجة النهائية سيكونون معصومين بالعصمة الذاتية التي تكون ملازمة لهم من جهة لطف الله تبارك وتعالى فضلا عن اقتضاء الضرورة الربانية ذلك [1].

أما لماذا اشترط الزهد في حب الدنيا وما حاجة العصمة للأنبياء ، فهذا ما يكون الاحتياج إليه بصورة ضرورية ومؤكد ولاحتياج الانبياء العصمة في مقام التبليغ للرسالة السماوية بل مطلق العصمة لهم، ولئلا يكون للناس الحجة على الله تعالى، والعصمة لا تأتي مع حب الدنيا . إما الدليل على هذا الكلام ما جاء في القرآن الكريم والروايات الواردة في المقام التي تدل على المطلب بل هناك الدليل العقلي أيضا ، أما الدليل الذي نستطيع به هنا فهو ما جاء في دعاء الندبة[2] الشريف إذ ورد فيه : " اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم جزيل ماعندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد ان شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا وزخارفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلي والثناء الجلي واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك..."[3].

وقد أوضح الإمام عليه السلام علة اختيار الله لأنبيائه حياة الزهد، رغم قدرته جل وعلا على ان يزودهم بكل متع الدنيا وملذاتها وزبرجها، إذ يقول: " **وَلَوْ أَرَادَ اللَّه سُبْحَانَه لِأَنْبِيَائِه حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهْبَانِ، ومَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، ومَغَارِسَ الْجِنَانِ، وأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، ووُحُوشَ الأَرَضِينَ**

١- محمد فاضل المسعودي: الاسرار الفاطمية: ص 77 -78 .

٢- دعاء الندبة: دعاء ينسب للإمام الصادق عليه السلام ، وقيل لم ينسب لأحد من الأئمة عليهم السلام ، يدعى به للإمام محمد بن الحسن المهدي المنتظر (عج)، يفضل الدعاء به في يوم الجمعة، وفي الأعياد الأربعة، عيد الفطر والأضحى والغدير والجمعة، ويدعى به عند زيارة العسكريين في سامراء. أقدم من ذكره محمد بن الحسين بن سفيان البزوفري من مشايخ المفيد، وكان هذا الدعاء موضع اهتمام العلماء فقد شرح كثيرا، فممن شرحه، حسين التربتي السبزواري ت بعد 1300 هـ، وعلي بن علي رضا الخوئي ت 1350 هـ. المجلسي: بحار الأنوار 104/99، الأصفهاني: مكيال المكارم 86/2 . الطهراني: الذريعة : 260/13، الاصفهاني: وظيفة الأنام: 49/1، الحكيم : دور أهل البيت عليهم السلام: 2/ 404، الكوراني: المعجم الموضوعي: ص965. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام : موسوعة طبقات الفقهاء :242/1/14، 429.

٣- المسعودي: الاسرار الفاطمية: ص78 .

– لَفَعَلَ – ولَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ، وبَطَلَ الْجَزَاءُ، واضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، ولَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، ولَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، ولَا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا"[1] ، إذ " لا واسطة بين الله وعباده إلا التبليغ عنه على لسان أنبيائه بهدف الإيمان به والعمل بشريعته عن قناعة لا عن رغبة أو رهبة . وإذا كان هذا هو الغرض من بعثة الانبياء فلا موجب إذن لان يزودهم الله سبحانه بكنوز الدنيا وحدائقها وطيورها ووحوشها (ولو فعل) أي لو زود سبحانه الانبياء بمتاع الحياة يقول: (لسقط البلاء) والاختبار والامتحان لان الناس عبيد الدنيا ، ولمن في يده شيء منها ، وعليه يكون إيمانهم بالأنبياء الأغنياء إيمانا بالمال لا برسالة الله وأنبيائه . (وبطل الجزاء) لأنه لغير الله (واضمحلت الأنباء) والأحاديث عن الانبياء وسيرتهم وعظمتهم وشريعتهم إذ يكون الحديث عنهم والحال هذه حديثا عن الدنيا التي يملكونها لا حديثا عن الله وحلاله وحرامه (ولما وجب للقابلين أجور المبتلين) لان المراد بالمبتلى من أظهره التمحيص على حقيقته ، ولن يكون هذا إلا في الضراء وساعة العسرة (ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين) لان أهل الاحسان يعطون ولا يطمعون في الربح (ولا لزمت الأسماء معانيها) لكل كلمة معنى تدل عليه، ولكل اسم مسمى يفهم منه ، ومعنى الإيمان بالله ورسله هو التصديق به وبهم، ولو اسمينا من آمن طمعا، – مؤمنا – لوضعنا الكلمة في غير مدلولها والاسم في غير مسماه"[2].

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الهيأة اللائقة التي أرادها الله لأنبيائه التي يتجلى فيها مظهر الفقر والفاقة والجوع بشكل لافت للنظر بوصفه معلما من معالم الزهد في الدنيا إذ يقول : " **ولَكِنَّ اللَّه سُبْحَانَه جَعَلَ رُسُلَه أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ والْعُيُونَ غِنًى، وخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ والأَسْمَاعَ أَذًى**"[3] . وليس بخاف عن أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الأعظم زلفة عند الله والمتقدم على جميع الانبياء ، كان المصداق الأول للارادة الإلهية فهو الذي :" **جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ واللَّهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ، وإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ** " [4] إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم " **قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا، وأَهْوَنَ بِهَا**

١– نهج البلاغة: ص 393 .

٢– مغنية: في ظلال نهج البلاغة : 3 /125 –126.

٣– نهج البلاغة: ص 393 .

٤– نهج البلاغة: ص 300 .

وهَوَّنَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللَّه زَوَاهَا عَنْه اخْتِيَاراً، وبَسَطَهَا لِغَيْرِه احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِه، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِه، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِه، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً"[1].

إن تحقير الدنيا وتهوين شأنها ومحو آثارها من القلب إنما كان منهجا قائما في حياة النبي ﷺفهو الذي "**عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا** "[2]، إذ ورد في الأثر انه ﷺ قال: "عرضت علي كنوز الأرض ودفعت إليّ مفاتيح خزائنها، فكرهتها واخترت الدار الآخرة[3]"، وهو ما يوضحه ما روي عنه ﷺ : " **أتاني ملك فقال: يامحمد! إن ربك يقرئك السلام، ويقول لك: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهبا، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: يارب، اشبع يوما فأحمدك ، وأجوع يوما فأسالك**"[4] ، لأنه ﷺ : " **عَلِمَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَه، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَه، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَه** "[5]. وكفى بالدنيا هوانا عند الله " **أَنَّه لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا، ولَا يُنَالُ مَا عِنْدَه إِلَّا بِتَرْكِهَا** "[6] وكذا حال الانبياء عليهم السلام الذين سبقوه ﷺ وقد عرض لنا الإمام عليه السلام نماذج من زهدهم ، بعد ان صدر كلامه بذكر النبي ﷺ : " **ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا ، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْه أَطْرَافُهَا ووُطِّئَتْ لِغَيْرِه أَكْنَافُهَا ، وفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا** "[7].

ثم أشار عليه السلام إلى زهد النبي موسى عليه السلام فقال: " **وإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّه صلى الله عليه وسلم حَيْثُ يَقُولُ ﴿ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[8]، واللَّه مَا سَأَلَه إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُه، لِأَنَّه كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِه، لِهُزَالِه وتَشَذُّبِ لَحْمِه** ".[9]

١- نهج البلاغة: ص 209 -210 .

٢- نهج البلاغة: ص 299.

٣- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة: 230/9.

٤- داود ابن سليمان الغازي : مسند الرضا عليه السلام : ص 99. الكليني :الكافي: 8/ 131. الصدوق :عيون اخبار الرضا عليه السلام:1 /33.

٥- نهج البلاغة: ص 299.

٦- نهج البلاغة: ص 739.

٧- نهج البلاغة: ص 297.

٨- سورة القصص الآية 24.

٩- نهج البلاغة: ص 297.

ثم ذكر عليه السلام نبي الله داود عليه السلام فقال: " **وإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ . صلى الله عليه وسلم . صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِه، ويَقُولُ لِجُلَسَائِه أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا، ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا** " [1].

وأضاف أمير المؤمنين عليه السلام مثالا رابعا لزهد الأنبياء متمثلا بالنبي عيسى عليه السلام ، فقال: " **وإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويَأْكُلُ الْجَشِبَ، وكَانَ إِدَامُه الْجُوعَ، وسِرَاجُه بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وظِلَالُه فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُه ورَيْحَانُه مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، ولَمْ تَكُنْ لَه زَوْجَةٌ تَفْتِنُه ولَا وَلَدٌ يَحْزُنُه، ولَا مَالٌ يَلْفِتُه ولَا طَمَعٌ يُذِلُّه، دَابَّتُه رِجْلَاه وخَادِمُه يَدَاه**"[2].

ولسنا بحاجة لتحليل النص وتأويله مفصلا ، لان أي تفسير له سيكون أدنى من مرتبة بلاغته ، مما يفقده بعضا من فرادة معانيه وخصوبتها ، لكن أيسر فهم يمكن ان يقال بصدده يتلخص في انه كان من نتيجة ذلك السلوك النبوي الزاهد المتقشف ان حاز الانبياء رضى الهي دنيوي ، إذ اختيروا ليكونوا أصحاب رسالات يبشرون وينذرون ، واقتدت الإنسانية بالتعاليم التي جاؤوا بها من السماء ، ونالوا احتمالا بشريا طويل الأمد والمدى ، وفازوا بمكانة رفيعة يوم القيامة ارتضاها الله لهم، وارتضوها هم لأنفسهم "[3].

وبعد أن عرض الإمام عليه السلام لتلك النماذج في الزهد من حياة الانبياء ، عاد إلى الأمر للدعوة بالتأسي بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم " لأنهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقا وفيه الأسوة الكاملة لمن تأسى به ولأنه اقرب عهدا بمن سبق، وحث على التأسي به بكون المتأسي والمقتص لأثره أحب العباد إلى الله ، وذلك من قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [4]﴾[5] فقال عليه السلام في وصفه زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " **أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً ، عُرِضَتْ عَلَيْه الدُّنْيَا ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وعَلِمَ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَه ، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَه ، وصَغَّرَ**

١- نهج البلاغة :ص 297- 298.

٢- نهج البلاغة : ص 298.

٣- كاظم محمد المحراث :تجليات الزهد في نهج البلاغة :ص 173.

٤- سورة آل عمران الآية 31 .

٥- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 3 /357 .

شَيْئاً فَصَغَّرَه ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّه ورَسُولُه ، وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّه ورَسُولُه ، لَكَفَى بِه شِقَاقاً لِلَّه ، ومُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّه "[1] ، ثم أردف ذلك ببيان صور من حياته ونمط عيشه التي تجلى فيها الزهد بأروع مظاهره ، ومن ذلك قوله : " **ولَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ** "[2] ، وهذا ما ورد عنه ﷺ :" آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ، فانما أنا عبد "[3].

ومن مظاهر زهده إنه كان " **يَخْصِفُ بِيَدِه نَعْلَه ، ويَرْقَعُ بِيَدِه ثَوْبَه ، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ ، ويُرْدِفُ خَلْفَه** "[4]، وكان نعل النبي ﷺ لهما قبالان ، مثني شراكهما [5]، وكان يلبس النعال التي ليس فيها شعر [6] شعر[6] .

وبلغ من زهده وتقشفه ﷺ انه " **قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً** " [7] أي لم يتناول منها إلا بقدر الكفاف وما تدعو تدعو إليه الضرورة ، حتى انه كان يقضي الليالي طاويا ، ويربط الحجر على بطنه من شدة الجوع [8] ، وكان يسميه المشبع [9] ، حتى قال أبو طلحة: " شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الجوع ، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين " [10]. بل لم يجتمع عنده صلى الله عليه وآله وسلم غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف [11] . [12]

١- نهج البلاغة: ص299 .

٢- نهج البلاغة: ص 299 .

٣- الصنعاني: المصنف: 415/10. ابن سعد: الطبقات: 371/1. الطبرسي: مكارم الاخلاق: ص 27. المتقي الهندي: كنز العمال: 232/15.

٤- نهج البلاغة :ص 299.

٥- الترمذي: الشمائل المحمدية ص 50.

٦- الترمذي: الشمائل المحمدية ص51.

٧- نهج البلاغة: ص 299 .

٨- ابن سلامة: مسند الشهاب: 308/2. ابن شهر اشوب: المناقب: 127/1. الديلمي: إعلام الدين في صفات المؤمنين: ص239. المتقي الهندي: كنز العمال : 203/7، 217.

٩- المازندراني: شرح اصول الكافي :380/8.

١٠- الترمذي: الشمائل المحمدية :ص77.

١١- قال بعضهم هو كثرة الأيدي. الترمذي: الشمائل المحمدية : ص81.

١٢- الترمذي: الشمائل المحمدية ص81.

وكان جل طعامه ﷺ من خبز الشعير ، وما كان يأكل منه بقدر الشبع [1]. وعن عبد الرحمن بن عوف ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، فلا أرانا أخرنا لما هو خير لنا "[2].

وكانت عائشة تقول: " ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم" [3]. وكان " رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا هو وأهله يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير" [4]. وكان ﷺ أدامه الخل ، ويقول : " نعم الإدام الخل" [5]. وكان يعجبه الدباء[6] .[7]

حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف حال النبي ﷺ وبيان اثر الجوع فيه انه " **أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً** " [8] ويقول الإمام الصادق عليه السلام :" ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعا خائفا "[9]. وقال النعمان بن بشير: " ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟! لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه " [10].

وقد جاءت إليه السيدة فاطمة عليها السلام في غزوة الخندق ومعها كسيرة خبز فأعطتها إليه ﷺ فقال لها: يا فاطمة أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث[11] ". نعم لقد كان في متناول يده أطيب الأطعمة

١- ابن حنبل :المسند : 128/6،98.البخاري :الصحيح : 230/7،180. مسلم :الصحيح : 217/8- 218.ابن ماجة :السنن :1110/2.

٢- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص82.

٣- الترمذي: الشمائل المحمدية : ص84.

٤- الترمذي: الشمائل المحمدية ص85.

٥- الترمذي: الشمائل المحمدية ص87.

٦- الدباء : القرع . الفراهيدي : العين : 8 / 82 . ابن قتيبة : غريب الحديث : 1 / 89 .

٧- الترمذي: الشمائل المحمدية ص91.

٨- نهج البلاغة: ص 299.

٩- الكليني: الكافي: 129/2. المجلسي: البحار: 266/16. الريشهري: ميزان الحكمة: 3230/4 .

١٠- الترمذي: الشمائل المحمدية ص76.

١١- ابن سعد: الطبقات: 400/1. الصدوق: عيون اخبار الرضا عليه السلام: 44/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 122/4. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص 47.

وألذها ولكنه ﷺ اكتفى إلى آخر عمره بخبز الشعير ؛ كي لا يكون طعامه أفضل من طعام اضعف رعيته.

ومن هوان الدنيا على الله ان يجوع فيها حبيبه المصطفى ﷺ مع عظم قدره وعلو مكانته "**وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِه، وزُوِيَتْ عَنْه زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِه** " [1] . وقد عاش ﷺ في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء: " **لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِه، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّه**" [2].

لقد اختار ﷺ لنفسه ولأهل بيته هذا النمط الفريد من حياة الزاهد في الدنيا وزخرفها ، إيمانا بان متاعها قليل فما هو إلا ظل زائل ، فلخرج الدنيا من نفسه وأشخصها عن قلبه، واقبل على الآخرة التي هي دار القرار وليكون بيته أسوة لجميع الناس، يجد فيها الفقير عزاء لما يواجه من ضيق وحرمان، ويجد فيها الغني داعيا للتخفيف من المغريات وعدم الاغترار بالشهوات فيكون ﷺ أسوة لامته في جميع الأحوال كما أراده الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.[3]

ولم يكن زهده وتقشفه بسبب قلة ذات يده، فقد فتح الله له الأرض، وجاءته الغنائم وكثرت لديه الأموال، ولكن أياديه الشريفة قد فاضت بها على المسلمين بكل سخاء، ولم يبق منها شيء لنفسه، حتى فارق الدنيا ولم يترك دينارا ولا درهما ، وكانت درعه مرهونة عند يهودي على عشرين صاعا من شعير اشتراها لقوت عياله [4]." **ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً**[5] " بعد أن " **بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، ونَصَحَ لأُمَّتِهِ مُنْذِراً**" [6].

إن كل ما ذكر إنما كان تجسيدا لزهده الظاهري ، ولكن لا شك ان مفهوم الزهد عند النبي ﷺ لا يتحدد بالملباس الخشن والمأكل الجشب البسيط ، بل ان حدوده تمتد لأبعد من ذلك ، فنراه لا يسمح لمتع الدنيا التحكم في نفسه دون ان يكون له قوة السيطرة عليها ، حتى انه ليشح بنظره عن ابسط مظهر يذكره بزينة الحياة الدنيا حيث " **يَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه، فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ، يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِه غَيِّبِيه عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا**

١- نهج البلاغة: ص300 .
٢- نهج البلاغة: ص 301 .
٣- سورة الأحزاب الآية 21 .
٤- ابن حنبل: المسند: 300/1. الحميري: قرب الاسناد: ص 92. البيهقي: السنن الكبرى: 36/6. الهيثمي: مجمع الزوائد: 123/3.
٥- نهج البلاغة: ص 301.
٦- نهج البلاغة: ص 210.

نَظَرْتُ إِلَيْه ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا "[1]. وفي هذا إشارة واضحة إلى " زهده الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس ، وما قبله من الأوصاف إشارة إلى زهده الظاهري وهو حذف الموانع الخارجة عنه "[2] .

والحادثة التي يذكرها الإمام عليه السلام إنما وقعت . حسب تصريح عدة روايات مع عائشة ، ومن ذلك ما روته بقولها : " كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبلته ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا "[3].

١- نهج البلاغة: ص 299.

٢- ابن ميثم :شرح نهج البلاغة:358/3.

٣- ابن راهويه: المسند 719/3. ابن حنبل: المسند: 49/6، 53، 241. مسلم: الصحيح: 158/6. النسائي: السنن: 8/ 213. المتقي الهندي: كنز العمال : 242/3، 7/ 168. ومن الغريب ان هناك روايات مغرضة قد أشارت بوقوع هذه الحادثة مع السيدة فاطمة عليها السلام، وبعد إخضاع تلك الروايات للنقد والتحليل تبين أنها من الموضوعات التي افرزها خط الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام بقصد الإساءة لمقام السيدة فاطمة عليها السلام . لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ص 484- 498.

الفصل الرابع

مقدمات البعثة النبوية وأحداثها

المبحث الاول : تعبد النبي ﷺ في غار حراء

المبحث الثاني : البعثة النبوية

المبحث الثالث : الدعوة المحمدية

الفصل الرابع

مقدمات البعثة النبوية وأحداثها

المبحث الاول

تعبد النبي ﷺ في غار حراء قبل البعثة

يظهر أن تربية أمير المؤمنين عليه السلام لم تقتصر على وج وده في بيت النبي ﷺ بل كان يتبعه حتى خارج مكة أيام تعبد النبي وتحّنثه ، إذ يشير عليه السلام إلى ذلك صراحة بقوله: " **وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي**"[1] . فيشير الامام امير المؤمنين عليه السلام الى حدث مهم متعلق بحياة النبي ﷺ قبل او قبيل بعثته الشريفة ، وهو دأبه ﷺعلى المجاورة في غار حراء في كل سنة. وهذا ما يتفق مع مرويات التاريخ التي تواترت في ذكر هذه الحادثة[2]. **وحراء:** هو الجبل الطويل الذي بأصل " شعب

١- نهج البلاغة: ص 406 .

٢- الصنعاني: المصنف : 321/5. ابن حنبل: المسند: 6/ 232 . البخاري: الصحيح: 3/1، 6/ 88 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرك : 183/3. السيوطي: الديباج : 182/1.

آل الاخنس[1] " [2] ، بينه وبين مكة نحو ثلاثة اميال عن يسار الذاهب من مكة الى منى [3] . ومن خصائص هذا الغار إن المصلي فيه يرى الكعبة وهي في واد بين جبال ؛ لأن الغار أعلى من الجبال التي حولها، فكأنه مفصل للعبادة مع استقبال الكعبة ومشاهدتها[4].

والجوار – بالكسر – بمعنى المجاورة ، وهي الاعتكاف [5]، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارج المسجد ، ولذلك لم يسم جواره ﷺ اعتكافا ، لان حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم[6] .

١- هو الأخنس بن شريق، اسمه أُبي، أصله من ثقيف وهو من بني زهرة ، كان ممن يغمز النبي في مكة، ورجع ببني زهرة ولم يشاركوا في بدر بعد أن نجت القافلة، لذا سمي الأخنس، من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، لذا يعد من أكابر المنافقين، نزل فيه قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) سورة البقرة الآيات 204–206، وقوله تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ) سورة الهمزة الآية 1–9 . قال الأزرقي: (دار الأخنس التي في زقاق العطارين من الدار التي بناها حماد البربري لهارون أمير المؤمنين إلى دار القدر التي للفضل بن الربيع وهذا الربع لهم جاهلي ولآل الأخمس أيضا الحق الذي بسوق الليل على الحدادين مقابل دار الحوار شراء من بني عامر بن لوي). الازرقي : اخبار مكة: 2 / 288 . وينظر: ابن عبد البر: الدرر ص 105، الطوسي: التبيان 178/2، 79/10، 407، ابن الجوزي: كشف المشكل 402/2، 405. ابن الأثير: أسد الغابة 56/1.ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 301/8، ابن حجر: الإصابة 192/1

٢- الازرقي: اخبار مكة: 2 / 288 .

٣- النووي: شرح صحيح مسلم: 2 / 198 .

٤- الكوراني: السيرة النبوية برواية اهل البيت : ص169 .

٥- الاعتكاف: لغة مأخوذ من عكف: أي الإقبال على الشيء (الفراهيدي: العين: 205/1–206، الجوهري: الصحاح: 1406/4)، وهو من العبادات وفحواه المكوث في المسجد، وعدم الخروج منه إلا لحاجة ضرورية كزيارة مريض أو تشييع جنازة ، ويجب أن يكون صائما وأن لا يقل عن ثلاثة أيام. ينظر: ابن بابويه: فقه الرضا عليه السلام : ص 190، الصدوق: المقنع : ص 180،209، المفيد: المقنعة :ص362. 362، الشريف المرتضى: الانتصار: ص 202، رسائل المرتضى: 60/3، أبو الصلاح الحلبي: الكافي في الفقه : ص 186، الرافعي: فتح العزيز: 420/6، النووي: روضة الطالبين : 255/2، المجموع : 474/6، المحقق الحلي: شرائع الإسلام : 158/1 – 162، الأنصاري: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب : 217/1. السيد السيستاني: منهاج الصالحين : 341/1 وما بعدها. وينظر: الإمام مالك بن انس: الموطأ : 312/1، المدونة الكبرى : 225/1، السيوطي: تنوير الحوالك :ص297، أبو البركات: الشرح الكبير: 541/1، النصرالله: الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة : ص153.

٦- السهيلي : الروض الانف : 2 / 256 .

إن المعتكف في جبل حراء يسمى متحَّنفا ، أي عابد على ملة إبراهيم الحنيفية ، أي المائلة من الشر الى الخير وقال بعضهم : " يتحنث " بالثاء ، كما في رواية ابن هشام [١] الذي اشار بوضوح الى إبدال الفاء بالثاء " التحنث والتحنف ، يريدون الحنيفية ، فيبدلون الفاء من الثاء ". وقد فسر النووي[٢] والسيوطي[٣] التحنث بالتعبد ، وأصل الحنث الاثم، فمعنى يتحنث يتجنب الحنث، فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث ومثل يتحنث يتحرج ويتأثم اي يتجنب الحرج والاثم، وقد تبدل الفاء ثاء في كثير من كلامهم.

اذن كان النبي ﷺ يعتكف لعبادة الله في ذلك الغار، محل اعتكاف أجداده ، اذ كان جده عبد المطلب أوّل من تحنّث فيه فيتعّبد في الليالي ذوات العدد ، فاذا دخل شهر رمضان صعده واطعم المساكين[٤] . يقول ابن حجر[٥]: " وكأنه مما بقي عندهم من امور الشرع على سنن الاعتكاف ... انما لم لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره لان جده عبد المطلب اول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله فكان ﷺ يخلو بمكان جده وسلم له ذلك اعمامه لكرامته عليهم".

وقد اقسم ابو طالب[٦] عليه السلام بالمتعبدين بحراء والزائرين له فقال في لاميته:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل

اعوذ برب الناس من كل ... طاعن علينا بسوء او ملح بباطل

وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ... وراق لحيرى في حراء ونازل

وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله إنّ الله ليس بغافل

١- السيرة النبوية: 154/1 .
٢- النووي: شرح صحيح مسلم : 2 / 198 .
٣- السيوطي: الديباج : 1 / 184 .
٤- زيني دحلان: السيرة الدحلانية :22/1 .
٥- فتح الباري : 12 / 312 .
٦- ديوان شيخ الأباطح أبي طالب : ص21 – 22 . وينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 1 / 176 .

فالخلوة للتعبد هي شأن الصالحين وعباد الله العارفين، وقد حُببت اليه ﷺ الخلوة ؛ فمعها فراغ القلب ، وهي معينة على التفكر ، وبها ينقطع عن مألوف البشر[١].

ولكن ثمة وقفة هامة للدكتور عبد الجبار ناجي [٢] مع احدى الروايات [٣] ورواتها والتي اشارت الى ان عادة التحنث في غار حراء انما كانت عامة وليست عادة خاصة بالنبي ﷺ وبعض الموحدين ، بل ان القرشيين الوثنيين كانوا يمارسونها في الجاهلية ايضا وعلق قائلا : " هو امر لا توافقه المعلومات على اعتزاله عن عادات قريش وتقاليدهم ولم يرد ذكر الى انهم يتحنثون شهريا . ولماذا يتحنثون وهم وثنيون ، والتحنث تعني العبادة لله ؟ فهل كانوا يمارسونها دينيا ام اجتماعيا ام ماذا ؟ " [٤]

ولكن بماذا كان النبي ﷺ يتعبّد ؟ وعلى أي شريعة ؟ لقد اختلف العلماء في ذلك وتعددت آراؤهم: فرأي توقف وآخر قال بتعبده على شريعة من تقدّمه من الانبياء، وثالث خص عبادته بشريعة احد الانبياء: ابراهيم أو نوح أو موسى أو عيسى، ورأي قال بعدم تعبده بشرع أحد[٥] .

وقد تعرض العاملي[٦] لهذه المسألة بايجاز، وخلص الى القول : " ان مما لاريب فيه أنه ﷺ كان كان مؤمنا موحدا، يعبد الله ويلتزم بما ثبت له أنه شرع الله تعالى مما هو من دين الحنيفية شريعة ابراهيم عليه السلام، وبما يؤدي اليه عقله الفطري السليم، وانه كان مؤيدا مسددا، وانه كان افضل الخلق واكملهم خلقا وخُلقا وعقلا، وكان الملك يعلمه ويدله على محاسن الاخلاق.هذا فضلا عن اننا نجدهم ينقلون عنه ﷺ: انه كان يلتزم بامور لا تعرف الا من قبل الشرع وكان لا يأكل الميتة، ويلتزم بالتسمية والتحميد، الى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته ﷺ.".

ويستدرك قائلا: إن هناك آيات ودلائل تشير الى أن ابراهيم الخليل عليه السلام ونبينا الاكرم ﷺ، هما اللذان كان لديهما شريعة عالمية وقد بعثا الى الناس كافة.اما موسى وعيسى عليهما السلام فانما بعثا الى بني

١- النووي : شرح صحيح مسلم: 2 / 198 .
٢- نقد الرواية التاريخية : ص 228 – 243 .
٣- ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 154 – 175 . الطبري : تاريخ : 2 / 48 – 49 . ابن سيد الناس : عيون الاثر : 1 / 115 – 116 . ابن كثير : السيرة النبوية : 1 / 402 – 403 .
٤- عبد الجبار ناجي : نقد الرواية التاريخية : ص 239 .
٥- لمزيد من التفصيل انظر : الماوردي : اعلام النبوة: ص 233 – 234.
٦- الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ : 2 / 90.

اسرائيل، وربما يمكن القول: بأن جميع الانبياء عليهم السلام، منذ آدم والى النبي الخاتم ﷺ كانوا يعرفون جميع احكام الشريعة، ويعملون بها في انفسهم ، وإن كانت دعوتهم للناس لها هذا الشمول والسعة[1].

ويضيف: ان الآيات القرآنية المتعددة قد حرصت على ربط هذه الامة بابراهيم عليه السلام فلاحظ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[2]. وقال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾[3]، وقال سبحانه ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾[4]، وقال جل في علاه:﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا ﴾[5]، وقال تعالى:﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6]. ثم نجد القرآن يصرح أيضا إن النبي الاعظم ﷺ شخصيا كان مأمورا باتباع ملة ملة ابراهيم عليه السلام، فقد قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[7]. وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[8]. وهذا وان كان ظاهره: إنه ﷺ قد امر بذلك بعد البعثة وبعد نزول الوحي عليه ، لكنه يثبت ايضا: انه لامانع من تعبده ﷺ قبل بعثته بما ثبت له انه من دين الحنيفية ، ومن شرع ابراهيم عليه السلام ، وليس في ذلك اية غضاضة ، ولا يلزم من ذلك ان يكون نبي الله ابراهيم أفضل من نبينا ﷺ ، فان التفاضل انما هو في ما هو ابعد من ذلك. هذا كله ، لو لم نقتنع بالادلة الدالة على نبوته ﷺ منذ صغره [9] .

يضاف الى ذلك اشارة الروايات اعلاه الى تحنثه وما دلت عليه هذه اللفظة من تعبده بالحنيفية.

١- الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ : 2 / 90.
٢- سورة الحج الآية 78 .
٣- سورة النساء الآية 125 .
٤- سورة آل عمران الآية 95 .
٥- سورة آل عمران الآية 68.
٦- سورة البقرة الآية 135 .
٧- سورة النحل الآية 123 .
٨- سورة الأنعام الآية 161 .
٩- الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ: 2 / 91 - 92 .

واستنادا الى ذلك تبطل الروايات التي تتنافى مع ايمانه وتسديده الالهي، مما ينسب اليه ﷺ من مخالفة شرائع الله مما هم به او فعله قبل البعثة [1].

وقد دل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على أنه ﷺ قد واظب على تلك الخلوة سنويا، وهذا ما اشارت إليه الرواية ايضا ، ولكنها ذكرت مدة تلك الاقامة في غار حراء ، من انها تدوم شهرا كاملا [2] . بل خصت بعض الروايات انها في الليالي ذوات العدد [3]. وأشارت روايات أخرى الى أن اللقاء بالوحي انما كان اثناء تعبّده في غار حراء في شهر رمضان تحديدا [4]. فهل انتخب النبي ﷺ شهر رمضان لخلوته جريا على عادة جدّه عبد المطلب ؟.

ومن الغريب أن نجد في بعض الروايات يشير إلى انه ﷺ إنما لجأ الى غار حراء فارّا من مشركي مكة بعد أن آذوه ، والاغرب من ذلك ربط توقيت ذلك بنزول الوحي، أي على أثره كان لقاؤه بالوحي. كما في رواية مقاتل حين تعرّض لتفسير آية ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾[5]، إذ قال فيها: يعني النبي "وذلك أن كفّار مكة آذوه ، فانطلق الى جبل حراء ليتوارى منهم ، فبينما هو يمشي اذ سمع مناديا يا محمد..." وساق تفاصيل مضطربة واهية حول لقاء الوحي بالنبي ﷺ الذي تبين منه أنه اول نزول عليه ﷺ[6]. وكذا في إشارة الازرقي[7] في تعريفه لجبل حراء نجده يقول: " وقد كان رسول الله اتاه وأختبأ [8] فيه فيه من المشركين من اهل مكة في غار حراء" .

١- لمزيد من التفاصيل يراجع : العاملي: الصحيح من سيرة النبي الاعظمﷺ: 2 / 94 – 98.

٢- ابن هشام: السيرة النبوية : 1 / 154. ابن سيد الناس: عيون الاثر: 1 /115. ابن كثير : السيرة النبوية: 1 /402 .

٣- الصنعاني: المصنف: 5 / 322. ابن راهويه: المسند: 2 /315 . ابن حنبل: المسند: 6 /233 . البخاري: الصحيح: 1 / 3 ، 6 / 88 ، 8 / 67 . الطبري: تاريخ: 2 / 47 . ابن الاثير: الكامل: 2 / 48 . الذهبي: تاريخ الاسلام: 1 / 117 .

٤- الطبري: تاريخ: 2 / 48 . الذهبي: تاريخ الإسلام: 1 / 131 . المقريزي: امتاع الأسماع: 3 / 24 .

٥- سورة المدثر الآية 1.

٦- تفسير مقاتل: 3 / 413 .

٧- اخبار مكة : 2 / 288.

٨- في الأصل : واختبئ . والتصحيح من المقوم اللغوي.

ولكن لماذا يختبئ النبي ﷺ قبل بعثته ؟ وكيف ؟ ولماذا يؤذيه مشركو مكة ؟ هل أعلن دعوته ليعارضوه ؟ وكيف يسبق ذلك لقاءه بالوحي وتكليفه بالرسالة والتبليغ انما جاء على اثره !؟ إن هذا من شطط القول الذي وقع فيه هؤلاء.

وهل يمكن أن تبيَّن اشارة الازرقي بحدوث ذلك الاختباء بعد البعثة الشريفة ؟ اذ هناك من الروايات ما دل على استخفاء النبي ﷺ واصحابه لاداء صلاتهم بعيدا عن عيون المشركين في شعاب مكة وأوديتها [١] . أو إن الازرقي خلط بين أحداث البعثة والهجرة واختباء النبي ﷺ في غار ثور اثناء هجرته من مكة الى المدينة [٢] .

وتأتي رواية شاذة لتتعارض مع تواتر الروايات وصريح مقولة الامام السابقة على أان تعبّده في غار حراء انما كان من عاداته السنوية ، فتشير هذه الرواية الى أن ذهابه الى غار حراء إنّما كان على وفق نذر نذره هو والسيدة خديجة عليها السلام اذ جاء فيها : " إن رسول الله ﷺ نذر ان يعتكف شهرا هو وخديجة رضي الله عنها بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان فخرج النبي ﷺ ذات ليلة فسمع ..." [٣] . ثم ساق حديثا يدلل على انه في اثناء ذلك تم تنزيل الوحي عليه ﷺ ولم تخلو نفاصيل الرواية من الدس والوضع والاضطراب وما جاء فيها خير دليل على وضعها.

نعود هنا للمقطع الذي تحدّث فيه أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا المفصل الهام من حياة النبي ﷺ قبل البعثة الشريفة ، اذ يشير الى اختصاصه عليه السلام برفقة النبي ﷺ في اعتكافه في ذلك الغار فيقول: " **فَأَرَاه وَلَا يَرَاه غَيْرِي** " [٤] . وجاء ما يعضد ذلك في الروايات وفي كلام امير المؤمنين نفسه في ذات الخطبة[٥].

١- الكوفي: الالمناقب:42/1. الكراكجي: كنز الفوائد : ص125.

٢- ابن سعد: الطبقات: 1 / 228 . الطوسي : الامالي : ص 447 . ابن كثير : البداية البداية: 6 / 204 .

٣- المقريزي: امتاع الأسماع: 3 / 19 .

٤- نهج البلاغة: ص 406.

٥- حين تحدث قائلا: " وقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ والْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِه وأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِه ، ويَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِه ويُمِسُّنِي جَسَدَه ، ويُشِمُّنِي عَرْفَه ، وكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيه ، ومَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ولَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ، ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه – صلى الله عليه وآله – مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه ، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه ، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً ، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه" نهج البلاغة: ص405– 406،.

وقد اشار ابو جعفر الاسكافي [1] ان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خلوته " حيث لا يجد انسا غيره ليله ونهاره، ايام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا، ويتكلف له الحاجة جهرا، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه، ويشفق عليه ويحوطه، وكالولد يبر والده ويعطف عليه". فقد كان عليه السلام يرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتعبد ويحتجب فلا يراه احد الا علي عليه السلام عندما ياتي له بالزاد وقد يعتكف معه.[2]

ولكن هل هذا يتوافق مع رواية التاريخ في هذه المسألة ، أي هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده؟ أم بمعية أحد؟ إن تتبع الروايات يدلنا على وجودعدة آراء:

1 -رأي يشير الى أنه كان وحده ولم يرافقه أحد، كما أوحت بذلك رواية الصنعاني والبخاري [3] ، اذ يقول: " فكان يأتي حراء ، فيتحنّث فيه – وهو التعبد في الليالي ذوات العدد – ويتزود لذلك، ثم يرجع الى خديجة ، فيتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فينزود لمثلها ".

2 -رأي يشير إلى أن السيدة خديجة عليها السلام كانت برفقته كما في رواية المقريزي [4] التي اتضح لنا أنّها رواية شاذة.

3 -رأي يشير بوجود " أهله معه " كما اشار الى ذلك ابن إسحاق [5] ولم يعرف لنا من هو داخل ضمن اطار الاهل وكان بمعيته صلى الله عليه وآله وسلم. ومنهم من يضيف: " ومعه أهله خديجة وعلي بن ابي طالب وخادم"[6].

١- نقض العثمانية : ص 310 . وينظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13/ 253.

٢ – الكوراني : السيرة النبوية برواية اهل البيت عليه السلام :ص 170 – 171 .

٣- على التوالي: المصنف: 5 / 321– 322 . الصحيح: 8 /67 .

٤- امتاع الاسماع: 3 / 19 .

٥- السير والمغازي: ص 121 .

٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 208/13 ، المازندراني: شرح أصول الكافي : 375/6، المجلسي: البحار 363/15: .

وفي رواية لابن دريد[1] عن لقاء النبي بزيد بن عمرو بن نفيل أن : " النبي ﷺقبل الوحي قد حبّب اليه الانفراد ، فكان يخلو في شعاب مكة ، قال: فرأيت زيد بن عمرو بن نفيل في بعض المشاعب وكان قد تفّرد أيضا ، فجلست اليه وقرّبت إليه طعاما فيه لحم ، فقال له: يا ابن اخي لا آكل من هذه الذبائح ".

1 -يبدو من الرواية أن زيد بن عمرو قد التقى بالنبي ﷺ في مدّة تعبده في غار حراء ، وإن كانت أشارت الى عموم المكان – شعاب مكة – لكن حتما أن القصد لا يخرج عن محيط هذه الفكرة . فهل كان زيد قاصدا التعبد والانفراد ايضا كما اوحت بذلك عدد من الروايات التي اشارت الى أذيّة عمِّه الخطّاب[2] ومشركي قريش له حتى اضطروه الى الصعود الى غار حراء ، وكان اشبه ما يكون تحت الاقامة الجبرية ، اذ وضع عليه الحراس لتتبع حركاته [3] . ولو تساءلنا عن سرّ هذا الموقف المتشدد معه فإن الروايات تجيبنا أنه كان على دين ابراهيم، وأنه اول من عاب على قريش عبادتهم الأصنام[4]، ولكن لم نعهد من قريش مثل هذا الموقف مع من تألّه، وكان يتعبّد بشريعة إبراهيم ﷺ ، فهذا عبد المطلب جد النبي ﷺ كان محل اجلال وتعظيم بين قومه على الرغم من اتباعه دين إبراهيم ﷺ، فلم نعهد منهم أي موقف سلبي تجاهه بسبب عقيدته، بل إنهم لم يعترضوا على ديانته! وإن كان موقفهم لأجل ذلك لكان عبد المطلب اولى من زيد بهذا العداء لأنه مما يخاف أن يؤثّر في غيره فيما لو صحّ نسبة الروايات من أنّ القوم قد خافوا من أن يتبع أحد زيدا هذا فيفسد عليهم قومهم.

اما كونه اول من عاب على قريش عبادتهم الاصنام ، فهو مما لا نجد له صدى ظاهراً واضحاً في التاريخ الا في هذه الرواية الشاذة التي حاول رواتها مثل باقي الروايات المتعلقة بسيرة هذا الرجل أن يضفي عليه هالة من التقديس وتنسب إليه ادوار ليس هو باهل لها .

2 -ان المتتبع لتلك الروايات التي تناولت جوانب من حياة زيد بن عمرو بن نفيل ليلحظ دون ادنى جهد – أن الادوار التي نسبت اليه ما هي الا ادوار وفضائل غيره ألصقت به ، ليتبين سبقه او

١- الاشتقاق ص134 .

٢- هو الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي، وأمه صهاك وهو والد عمر . البكري: من حياة الخليفة عمر بن الخطاب :ص13.

٣- الحلبي: السيرة الحلبية: 1 / 202 .

٤- الحلبي: السيرة الحلبية : 1 / 202 .

اشتراكه فيها مع من سلبوها منهم ، ويمكن التركيز – حسبما تدلنا المشتركات في تلك الادوار والفضائل – على شخصيتين : الاولى شخصية عبد المطلب عليه السلام والثانية: شخصية النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وسوف نستعرض بإيجاز محاور تلك الشراكة في الادوار ، تاركين الحكم والتأمل للقارئ الكريم:

اولا: فيما يخص شخصية عبد المطلب عليه السلام وما سلب منه ونسب الى زيد او ما اشركوه معه فيه:... أن زيداً كان على دين ابراهيم عليه السلام بل إنه يدعي انه ليس على هذا الدين غيره[1]، واعتزل الاوثان والذبائح التي تذبح لها ، ونهى عن وأد البنات، وكان يحيي المؤودة، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حقه : " انه يبعث امة لوحده ".[2] وروي أنه كان يصلي مستقبلا الكعبة اذا زالت الشمس ، ويسجد سجدتين ، وأنه لم يستقسم بالازلام ، وكان يحجّ فيقف بعرفة ويلبِّي .

أليست هذه من مزايا عبد المطلب وادواره التي استفاضت بها الروايات ؟! وكيف يدعي انه ليس على دين ابراهيم احد غيره ؟ فاين عبد المطلب واين ابو طالب ؟ وقد شهدت لهم الشواهد الكثيرة على كونهم على دين ابيهم ابراهيم عليه السلام . روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : " والله ما عبد ابي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط ! قيل: فما كانوا يعبدون ؟ قال: كانوا يصلون الى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به "[3].

اما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " انه يبعث امة [4] وحده يوم القيامة " ، إنما قالها في حقِّ جده عبد المطلب عليه السلام [5] ، وهنا ينسب الى زيد وفي رواية الى ابنه سعيد بن زيد[6] وفي رواية الى قس بن ساعدة [1] وفي

وفي

١- الاصبهاني : دلائل النبوة : 2/ 699.
٢- ابن دريد: الاشتقاق : ص134 ، النووي: المجموع : 15/ 206، المتقي الهندي : كنز العمال : 12 / 77 .
٣- الصدوق: كمال الدين: ص 174. الراوندي : الخرائج : 3 / 1075 . المجلسي : البحار : 15 / 144.
٤- الامة : الشخص المنفرد بدين ، أي يقوم مقام جماعة . الصالحي الشامي : سبل الهدى : 2 / 185 .
٥- الكليني : الكافي : 1 / 774 . الشامي : الدر النظيم : ص 40 ، 797 . المجلسي الاول : روضة المتقين : 12 / 216 . الكاشاني : الوافي : 3 / 694 – 695 . المجلسي : مرآة العقول : 5 / 237.
٦- الدميري : حياة الحيوان : 2 / 11 .

اخرى الى سلمان [٢] ولكن لا ندري كم فرداً سيبعث امة في يوم القيامة!

ثانيا: اما فيما يخص مشتركاته مع النبي الاعظم ﷺ بل وتفوقه احيانا عليه ﷺ في بعض الامور التعبدية فإن منها ما يأتي:

نسب إلى زيد أنه " اول من عاب على قريش ما هم عليه من عبادة الاوثان " [٣] ، بل إنه كان يوبخ قريش على هذا الاشراك والمعلوم بدليل القرآن ان النبي ﷺ اول من فعل ذلك علانية وبامر صريح من الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٤]، وان ذلك كان سبب التصادم مع اسياد مكة من المشركين ، فقد تعرض لآلهتهم حتى انهم حاولوا بطرق شتى ان يساوموه بالا يتعرض لذلك دون جدوى فاتخذوا موقفا عدائيا متشددا كما هو معروف بنص القرآن وروايات التاريخ مما لا شك فيه ولا ريب.

والغريب ان هذا الموقف قد اتخذ نفسه من زيد بن عمرو حين تعرض لآلهة قريش ، آذوه اشد الأذى ، والاغرب ان اشدهم عداءً لزيد كان عمه الخطاب ، كما إن عم النبي ﷺ أبا لهب الاشد عداءً له ؟!!

ومثلما اشتدت رقابتهم على النبي محمد ﷺ رصدوا له من يراقبه ، حتى اضطروه ﷺ للهجرة وترك موطنه ، كذلك جرى الحال مع زيد ، فاضطروا زيدا للخروج والجأوه الى التخّفي في غار حراء وكأنه وضع تحت الاقامة الجبرية ، فالعزلة كما كانت ظاهرة واضحة في حياة النبي محمد ﷺ كذلك حال زيد ايضا فهو الآخر اعتزل قومه ، لكن الفارق أن النبي كان باختياره اول الامر، اما زيد فقد اضطروه اليها اضطرارا ، بل الادهى من ذلك – وكما دلت الرواية في صدر البحث – أن زيدا هذا قد جانب أكل ما

١- ياقوت الحموي: معجم البلدان : 8/1 ، الصالحي الشامي: سبل الهدى : 255/1 ، الزبيدي: تاج العروس : 415/8 .

٢- البلاذري : انساب الاشراف : 1 / 488 .

٣- ابن حبيب: المحبر: 170 – 171 .

٤- سورة الحجر الآية 94 .

ذبح لغير الله فيما كان النبي ﷺ يتناوله دون حذر. بل إن بعضهم ليقول :إن النبي قد تأثر بزيد وقد أخذ عنه [1] .

ويمكن القول :إن هذه الامور التي نسبت الى هذا الرجل قد جعلته في مقام يؤهِّله للنبوة باستحقاق اكثر من نبينا محمد ﷺ ، فإن زيداً قد تحمل في سبيل التوحيد والثبات على المبدأ الكثير مما ادلت به تلك الروايات التي كأنما وضعت لتقول : إن هناك من قاسى وعانى في سبيل الله ، كما قاسى وعانى النبي الاعظم ﷺ، فأي فضل له بعد ذلك سوى أن الاختيار الآلهي قد وقع عليه ليكون نبيا دون زيدٍ ؟.

هذا غيض من فيض مما روي وألصق بسيرة هذا الرجل من روايات تبدو سيماء الصنعة واضحة فيها ، وأنها تستحق وقفة من الباحثين للتحقق منها. بل إن قضية الاحناف والمتألهين وشخصياتهم بحاجة إلى دراسة مستفيضة لبيان الصحيح من المختلق[2].

١- ابن دريد: الاشتقاق ص134. ابن حنبل: المسند: 1/ 189، البخاري: الصحيح: 232/4، 225/6.
٢- لمزيد من التفاصيل عن سيرة زيد بن عمرو بن نفيل يراجع: جواد علي: المفصل: 6/ 367- 372.

المبحث الثاني

البعثة النبوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام: " **ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه بِه – صلى الله عليه وآله – مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه ، يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه ، ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً ، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه ، ولَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ ، فَأَرَاه ولَا يَرَاه غَيْرِي ، ولَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا ، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشَمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ**" [1].

يدلّ كلام الإمام عليه السلام على أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان نبيّا منذ ولادته، بل قبل خلق الخلق كما يوافقه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل متى استنبئت؟ فأجاب: " بين خلق آدم ونفخ الروح فيه "[2] . وفي هذه الإشارة ما يعضد هذا ، إذ إن العناية الإلهية تكفّلته فأوكلت به ملكا عظيما يسدده ويحفظه. فهنا الإمام عليه السلام يشير إلى أن علاقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالملائكة بدأت منذ طفولته وأنه قد ألف الأجواء الملائكيّة ، وأنها لم تكن غريبة عليه.

إن هاتين الإشارتين تشكلان رؤية مغايرة لما ألفته المرويات التاريخية التي تناولت هذا الجانب في صورة مضطربة الأبعاد لا تستند الى ركن قويم وهذا ما يتطلب الوقوف على ابرز معالمها بإيجاز لاستبيان موضع الخلاف بين الرؤيتين:

١- نهج البلاغة: ص 406 .

٢- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص 143، ابن حبان: الثقات : 47/1، الحاكم: المستدرك : 609/2، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 3/ 283، 288/5. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 26/ 382، 45/ 488، 142/63. ابن كثير: البداية والنهاية : 375/2 . المتقي الهندي: كنز العمال : 11/ 450، 12/ 426، السيوطي: الدر المنثور : 5/ 184.

بدءاً ولكي تتضح لنا الصورة التي رسمتها المصادر التاريخية في رواياتها عن مفهوم لقائه بالنبي ﷺ أين ومتى كان؟ وكل ما يدور في فلكه من أحداث، لابد لنا من التوقف قليلا عند ملامح تلك الصورة كما تبرزها رؤية المؤرخين وذلك سيكون على وفق استعراض موجز يتمحور في بضعة نقاط:

أولا: متى استنبأ النبي ﷺ ؟ في الحقيقة هناك عدة آراء حول هذه القضية يمكن تلخيصها بالآتي:

الرأي الأول: يرى أن النبي ﷺ كان نبيا منذ خلق الله الخلق بل قبل الخلق، إذ روي عنه ﷺ لما سئل عن ذلك قال: " وآدم بين الروح والجسد "[1] ، وفي رواية عنه ﷺ: " بين خلق آدم ونفخ الروح فيه "[2].

الرأي الثاني: يختزل مجموعة من الروايات – تبدو أنها متواترة [3]– تدفع بمسألة النبوة إلى وقت متأخر من عمر النبي ﷺ ، إذ أصبح نبيا بعد بلوغه سن الأربعين ، وسنقف على أبعاد هذه الرؤية التي صرحت بها الروايات لفظاً ومعنى ، علما بأنها قد اضطربت فيما بينها اضطرابا شديدا في كل جزئية من جزئياتها، حتى غدا التناقض سمتها البارزة ، ويمكن إيجاز هذه الأبعاد عبر :

١– ابن أبي شيبة: المصنف : 438/8 . ابن حنبل: المسند : 4/ 66. الترمذي: السنن : 245/5 . ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني : 5/ 347، الطبراني: المعجم الأوسط : 272/4 ، المعجم الكبير: 73/12، 20/ 353 . الحاكم : المستدرك : 609/2 . الطبرسي: الاحتجاج : 248/2 . الهيثمي: مجمع الزوائد : 223/8.

٢– ابن إسحاق: السير والمغازي : ص 143. ابن حبان: الثقات : 47/1 . الحاكم: المستدرك: 609/2 . الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد : 3/ 283، 288/5. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 26/ 382، 45/ 488، 142/63 . ابن كثير: البداية والنهاية : 375/2، المتقي الهندي: كنز العمال : 11/ 450، 12/ 426 . السيوطي: الدر المنثور : 5/ 184.

٣– التواتر: التتابع. اصطلاحا: أن ينقل الخبر جماعة كثيرة يمتنع اتفاقهم على الكذب. فتح الله: معجم ألفاظ الفقه الجعفري : ص128. عبد المنعم: معجم المصطلحات : ص211.

أولا: مقدمات نبوَّته ﷺ:

اختلفت الروايات في تحديد اولى مقدمات نبوته ﷺ ويمكن بلورة هذه المقدمات بما يأتي :

1 -الرؤيا الصادقة: فأول ما بدأ به من النبوة الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح [1] . لكن اختلفوا فيها ، هل كانت قبل انقطاعه إلى الخلوة بحراء أم بعدها؟ إذ روي أنه حبب إليه الخلوة بعد الرؤيا [2] ، فيما ذهب آخرون " إن الرؤيا جاءته بعد خلوته لأنه خلا على غفلة من أمره " [3].

2 -حبب إليه الخلوة وحده ، فاختار غار حراء ليتحنّث فيه[4] .

3 - إن من علامات نبوته، سماعه الصوت، ورؤيته الضوء ، وتسليم الشجر والحجر عليه[5] .

4 -تطهيره من شوائب الشر بعملية شق صدره ، إذ سئل: كيف علمت بأنك نبي أول ما علمت حتى علمت ذلك واستيقنته ؟ فقال: " أتاني ملكان ، وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع احدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال احدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل ، فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال: زنه بعشرة ، فوزنني بعشرة ، فرجحتهم ، ثم قال: زنه بمائة ، فوزنني بمائة ، فرجحتهم ، فجعلوا ينتشرون علي من كفة الميزان ، قال: فقال احدهما للآخر: لو وزنته بأمته لرجحها . ثم قال احدهما لصاحبه : شق بطنه ، فشق بطني ، ثم قال

١- ابن حنبل: المسند : 6/ 153. البخاري: الصحيح : 3/1، 87/6 . 88، 8/ 67 . مسلم: الصحيح : 97/1، ابن حبان: الصحيح : 216/1. الطبراني: الأوائل : ص42، الحاكم: المستدرك:183/3. البيهقي: السنن الكبرى : 6/9. ابن عبد البر: الاستذكار : 2/ 490.

٢- الصنعاني: المصنف : 321/5 . ابن حنبل: المسند : 6/ 232 . البخاري: الصحيح : 3/1، 6/ 88 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرك: 183/3. السيوطي: الديباج: 182/1.

٣- الطيالسي: المسند : ص 207. الصنعاني: المصنف : 322/5 . ابن سعد: الطبقات: 194/1. ابن حنبل: المسند : 6/ 233. البخاري: الصحيح : 3/1، 67/8. مسلم: الصحيح : 97/1. ابن حبان: الصحيح : 217/1. الحاكم: المستدرك: 3/ 183. البيهقي: السنن الكبرى : 6/9، ابن عبد البر: الدرر : ص32 . الشوكاني: فتح القدير: 467/5 .

٤- الصنعاني: المصنف : 321/5. ابن حنبل: المسند : 6/ 232 . البخاري: الصحيح : 3/1، 6/ 88 . مسلم: الصحيح : 97/1 . الحاكم: المستدرك : 183/3. السيوطي: الديباج : 182/1.

٥- مسلم: الصحيح : ص 89 . البيهقي: السنن الكبرى : 207/6. المقريزي: إمتاع الأسماع : 14/ 547 . العيني: عمدة القارئ : 40/1 . السيوطي: الديباج : 5/ 338 . الصالحي الشامي: سبل الهدى : 461/11.

احدهما: أخرج قلبه ، أو قال: شق قلبه ، فشق قلبي ، فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق دم ، فطرحها ، ثم قال احدهما للآخر: أغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه غسل الإناء – أو اغسل قلبه غسل الملاءة – ثم دعا بالسكينة ، كأنها وجه هرة بيضاء ، فأدخلت قلبي ، ثم قال احدهما لصاحبه : خط بطنه ، فخاط بطني ، وجعلا الخاتم بين كتفي ، فما هو إلا أن وليا عني فكأنما أعاين الأمر معاينة "[1] .

5 – البشرى بالنبوة من ملك قرنه الله به ليتأهّب للوحي .

ونأتي الآن لمناقشة هذه الفقرات تباعا:

أولا: مرّ بنا أن الرؤيا المنامية هي من صور الإيحاء الإلهي ، ومما لا إشكال فيه أن يكون قد خُصّ النبي ﷺ بهذه الصيغة من الإيحاء ، كما حدث مع نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وإن كنا لا نجد في المرويات مصاديق موثوقة لذلك ، إذ لم يحدثنا النبي ﷺ عن مهام أوكلها الله تعالى إليه عن طريق وحي أتاه في المنام ، ولكن مع ذلك فلا إشكال في تبني هذا الأمروقبوله ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، فإن رؤيا النبي ﷺ – حتما – تكون صادقة فهو نبي الله ، ومن دلالات صدق رؤياه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[3].

لكن الإشكال يقع حينما يقال : إن هذه الرؤيا التي وصفت بالصادقة أو الصالحة إنما جاءت تمهيدا للنبوة أو تنبيها للنبي ﷺ ليتقبل نبوته ، وكأنه لم يكن يعلم بنبوته ، فيقول احدهم وهو يجعل الرؤيا الصادقة أول مدارج النبوة حتى علم ﷺ بأنه نبي مبعوث ورسول مبلغ : " الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول إليه أمره ، فكان ذلك إنكارا بها ليروّض لها نفسه ، ويختبر فيها حواسه ، فيقوم بها إذا بعث ،

١– الطبري: تاريخ : 52/2 . وينظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف : ص 19. الأصبهاني: دلائل النبوة : 250/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3/ 461 . ابن كثير: البداية والنهاية : 2/ 337 . المقريزي: إمتاع الأسماع : 20/1 . الهيثمي: مجمع الزوائد : 8/ 255 .

٢– سورة الإسراء الآية 60 .

٣– سورة الفتح الآية 27.

وهو عليها قوي ، وبها ملي "[1] . وقال آخر: " تأنيسا له عليه السلام ، لئلا يفاجئه الأمر مشاهدة ومشافهة ، فلا تحتمله لأول حالة بنيته البشرية "[2] .

بل إن هذه المسألة أخذت حيزا أكثر مما يستوجب، فتعدت مقام التهيئة والتنبيه إلى أن يكون لقاؤه مع الوحي عبر الرؤيا ، فتكون بذلك الصورة الأولى للوحي التي نبئ بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الرؤيا. والملاحظ أنه بدلا من أن تأخذ الرؤيا – حسب زعمهم أعلاه– مهمة التهيئة للنبوة، فإنها جعلته صلى الله عليه وآله وسلم شاكا مرتابا ، واتهم نفسه باتهامات وظنون غير لائقة كما أدلت بذلك بعض الروايات ، مما غدت هذه الرؤى والمنامات من موارد الطعن في نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وثغرة ينفذ منها الخصوم لضرب الإسلام ونبيه العظيم.

ثانيا: أما قضية تحّنثه في غار حراء ، وانعزاله للتعبد ، فقد توضح لنا في محله في المبحث الاول من هذا الفصل.

ثالثا : إن من علامات نبوته أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى الضوء ، ويسمع الصوت ، وأن الشجر والحجر كانا يسلّمان عليه ، وهذا مما لا إشكال فيه ، إلا أنه اختلف في توقيت ذلك : هل كان سابقا للبعثة ؟ كما أشار إلى ذلك جمع من الروايات ، منها ما نسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه قال : " إني لا أعرف حجرا كان يسلِّم علي قبل أن أبعث "[3] ، ورواية عن أمير المؤمنين عليه السلام – الذي لازمه منذ صغره – إذ يقول : " كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله "[4] . وفي رواية أخرى عنه عليه السلام : " لقد رأيتني أدخل معه يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوادي فلا يمر بحجر و لا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا اسمعه "[5] .

١– الماوردي: أعلام النبوة : ص 235.

٢– القاضي عياض: الشفا : 2/ 101 . المقريزي: إمتاع الأسماع : 11/ 196.

٣– ابن أبي شيبة: المصنف : 254/7. ابن حنبل: المسند : 89/5، 95. الدارمي: سنن الدارمي : 1/ 12. مسلم: الصحيح : 58/7 – 59 . الطبراني: المعجم الأوسط : 291/2 . الطوسي: الأمالي : ص 341. الراوندي: الخرائج : 494/2. الأصبهاني: دلائل النبوة : 2/ 427 . الزرندي: نظم درر السمطين : ص 76. السيوطي: الجامع الصغير: 404/1 . المتقي الهندي: كنز العمال :11/ 426 .

٤– الترمذي: السنن : 5/ 253. ابن كثير : البداية والنهاية : 6/ 148، 306 . الصالحي الشامي: سبل الهدى: 509/9.

٥– ابن كثير: البداية والنهاية : 23/3. وينظر: الكراكجي: كنز الفوائد : ص 125. الطبرسي: أعلام الورى : 104/1. المقريزي: إمتاع الأسماع : 2/ 390.

أما سماعه الصوت ورؤيته الضوء فقد روي عن ابن عباس أنه : " مكث النبي ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا "[1].

ففي الروايات أعلاه دلالة على أن ذلك كان يحدث معه قبل بعثته الشريفة . لكن نجد أن الروايات نفسها استبدلت بعض من ألفاظها لتعطي بعدا آخر، وهو أنه ﷺ إنما حدث معه ذلك بعد بعثته الشريفة ، إذ روي عنه ﷺ أنه قال: " كان يسلم علي ليالي بعثت "[2]. وفي رواية: " حين بعثت "[3] .

رابعا : شق صدره الشريف ﷺ : إن من أغرب ما قصه الرواة في علامات نبوته هو حادثة شق صدر النبي ﷺ واستخراج الدنس والشرك ومغمز الشيطان أو غيره [4]، تحت مسمى التطهير من الأدناس " ليصفو فيصفى ، ويخلص فيستخلص "[5] .

وغير خاف على القارئ أن مجريات أحداث رواية شق الصدر تستلزم الوقوف عندها والتأمل فيها ، إذ لا يمكن لمن كان له لب سليم أن يتجاهل سذاجة ما روي فيها ، أو يسلم بما حبكته مخيلة راويها ، ويمكن إجمال الملاحظات عليها بالآتي :

1 ـ عجبا لقلب المصطفى لكرائم رسالات ربه ، والمجتبى من خلائقه ، أن يكون فيه مغمزٌ للشيطان ، أو علقة كما يبرر بعضهم وجودها بالقول: " إن الله تعالى خلق في قلوب البشر علقة قابلة لما يلقيه الشيطان فيها ، فأزيلت هذه العلقة من قلب رسول الله ﷺ ، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي فيه الشيطان شيئا " [6] ، مما يتطلب تطهيره بهكذا عملية جراحية ؟! أليس الله قد تكفل اصطفاءه من خيار خلقه الذين انتجبهم لرسالاته ، وهم الأنبياء الذين وصفهم بقوله ﴿ وَإِنَّهُمْ

١- القاضي عياض: الشفا: 2 / 110 .

٢- الطيالسي: المسند : ص106. ابن حنبل: المسند : 105/5. الترمذي: السنن : 253/5. ابو يعلى: مسند أبو يعلى : 13/ 459 . الطبراني: المعجم الكبير : 231/2. ابن عبد البر: الدرر : ص30 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 4/ 361. ابن كثير: البداية والنهاية : 23/3 .

٣- الكوفي: المناقب: 36/1 . الطبراني: المعجم الكبير : 2/ 238 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 4/ 361.

٤- لمزيد من الدراسة والتحليل عن روايات حادثة شق صدر النبي ﷺ ، ينظر: النصرالله: نشأة النبي ﷺ في ديار بني سعد : ص13 . 23 .

٥- الماوردي: أعلام النبوة : ص 236 .

٦- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3/ 38 .

عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[1] ، إذ طهرهم من الارجاس والأدناس من اجل حمل رسالته [2] ، ثم لمَ لمْ يخلقه الله طاهرا منها ؟ فما الحكمة من وجودها ؟ وهل مصدر الشر في ذات الإنسان شبيها بالغدة المترشحة في الجسم بحيث ؛ إذ لو استأصلت انقطعت المترشحات ؟

وليتأمل القارئ في ادّعاء تلك الرواية، وكيف أن هذين الملكين لم يكونا عارفين لمن أُرسلا فيسأل احدهما الآخر: أهو هو ؟ وما معنى قيامهما بوزن النبي ﷺ ؟ وأي رجل هذا الذي قد قابله في ذاك الميزان ؟ أهو من أهل الدنيا ؟ ثم يتكاثر عدد الرجال إلى الألف ؟ فهل كانوا أحياء فلماذا هم صامتون ؟ ولم يحدثوا عن هذه الحادثة إن كانوا من أهل الدنيا ؟ فأي مخيلة قاصرة قد أنتجت هذا التصوير الساذج ؟ وهل دافع هذا قياس إيمان النبي ﷺ؟ أليس من خلقه واصطفاه يعلم السر وما يخفى؟ وهو اعلم بعباده؟

إن الرؤية المادية التجسيدية ماثلة في مخيلة الرواة فلا تنفك عن مروياتهم ! فنرى عملية الوزن ثم الشق ثم الغسل كغسل الإناء ثم إدخال السكينة بتلك الصفة ثم الخياط ووضع الخاتم بين كتفي النبي ﷺ كلها تصورات مادية.

جدير بالذكر أن هذه القضية كما هو واضح لمن راق له التتبع في المرويات التاريخية لم تحدث مرة واحدة مع النبي ﷺ، بل تكررت عدة مرات ، وفي مراحل عمره المختلفة ، وفي أزمنة وأماكن مختلفة ، ويبدو " التناقض" فيها بارزا إلى الحد الذي يستحيل التسليم بصحتها.

وسنعرض بشكل موجز تلك التناقضات لنقف على حقيقتها:

أولا: من جهة زمان وقوع الحادثة : لقد تباينت الروايات في تحديد تاريخ وقوع حادثة شق الصدر، فالرواية أعلاه لم تحدد تاريخا معينا للحادثة ، بل توحي بوقوعها قبيل تكليفه بالنبوة التي اُختلف في

١- سورة ص الآية 47.

٢- سبحاني: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم : ص 5.

تاريخها أصلا! أو أنها حدثت للنبي في عمر الأربع سنوات [١] . أو ست سنوات [٢] ، أو عشر سنوات [٣] ، أو عند مبعثه [٤] أو عند الإسراء [٥] .

ويلاحظ أيضا التباين في المكان الذي وقعت فيه هل هو ديار بني سعد أم في زمزم [٦] ، أو الحطيم [٧] ، أو حول الكعبة [٨]، أو في بعض بطحاء مكة [٩]، أو في بيت النبي ﷺ [١٠] ، أو في الصحراء [١١]؟ فلماذا هذا التكرار ؟ وما السر في هذا الأسلوب مع النبي وشق صدره مرارا ؟ هل هذا يعني فشل الحالات السابقة ؟ أم إن تلك العلقة السوداء تعاود النمو في قلب النبي مما يستدعي استئصالها من جديد! أم لا يمكن القول بأنها تكررت ، فان الغاية منها واحدة وهي إخراج مصدر الشر في قلب النبي ﷺ؟ فهل تتجدد العلقة حتى يحتاج إلى إزالتها باستمرار؟!!

ثانيا مكان الحادثة: تباينت الروايات أيضا في ذلك! بين وقوعها في ديار بني سعد [١٢]، أم في بطحاء مكة [١٣]، أم في الصحراء [١٤]، أم بعد نزوله من قمة جبل [١٥] ، أم في بيته [١٦].

١- ابن سعد: الطبقات : 53/1.
٢- ابن حبيب: المقتفى من سيرة المصطفى : 38/1.
٣- ابن حجر: فتح الباري : 389/1.
٤- الطبري: تاريخ : 222/2.
٥- الطبري: جامع البيان : 6/15 .
٦- مسلم: الصحيح : 1 / 101. القاضي عياض: الشفا : 1 / 191. السيوطي: الديباج : 1 / 196. المتقي الهندي: كنز العمال : 11/ 385.
٧- ابن حنبل : المسند : 4 / 207 .
٨- ابن حنبل : المسند : 4 / 208 . الطبري : تاريخ : 2 / 54 .
٩- الطبري : تاريخ : 2 / 52 ، ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 461 ، ابن كثير :السيرة النبوية : 1 / 230 .
١٠- مسلم : الصحيح : 1 / 102 . 103 .
١١- ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 463 .
١٢- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص 48-50. ابن سعد: الطبقات : 53/1. ابن معين: تاريخ: 47/1. ابن حنبل: المسند : 184/4. الدارمي: سنن الدارمي : 8/1-9. ابن أبي عاصم: الأوائل : ص 86 . الطبراني: المعجم الكبير : 17/ 131 .
١٣- الطبري : تاريخ : 2 / 52 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 3 / 461 . ابن كثير :السيرة النبوية : 1 / 230 .
١٤- ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3/ 463 .
١٥- ابن شاذان: الفضائل : ص32- 33.
١٦- مسلم : الصحيح : 1 / 102 . 103 .

ثالثا: من قام بالعملية: أما عن الذي قام بمهمة إجراء تلك العملية للنبي ﷺ فكما هو واضح في الرواية أعلاه إنهما ملكان لم تعرفهما الرواية [١]. أو أنه جبرئيل فقط [٢]، أو أنهما طائران أبيضان [٣]، وفي وفي رواية أن الذي قام بذلك هما " رجلان " [٤] . وكأن المهمة قد تنصل منها الملائكة فألقيت على كاهل البشر ؟ أم أن الرجلان هما ملكان بهيئة بشر؟

ثانيا: لقاؤه بالوحي:

يا ترى كيف كان لقاؤه الأول بالوحي ؟ وأين ؟ ومتى ؟ وبأي صورة رآه فيها ؟ وماذا كانت ردة فعل النبي ﷺ ؟ في الواقع من خلال تأمل الروايات يمكن إيجاز أهم ما جاء فيها بوصفها إجابات لهذه للأسئلة :

أ –المكان الذي نزل فيه الوحي لأول مرة: كالعادة تباينت الروايات في تحديد المكان الذي التقى فيه النبي ﷺ بالوحي أول مرة ، فعدد من الروايات يقول انه في حراء لما اعتزل فيه للتحنث، إذ تقول: " حتى فجئه الحق وهو في غار حراء [٥]، فيما تأتي روايات [٦] أخرى لتقول إن اللقاء تم في منطقة أجياد [٧]، وثالثة تقول انه إلتقاه عند خروجه من حراء باتجاه الوادي ، إذ ينسب إلى النبي

١– ابن سعد: الطبقات : 53/1.

٢– مسلم: الصحيح : 101/1 –102 . الحاكم : المستدرك : 527/2 –528.

٣– ابن معين : تاريخ ابن معين : 1 / 47 . ابن حنبل : المسند : 4 / 184 ؛ الدارمي : السنن : 1 / 8 – 9 . ابن أبي عاصم : الأوائل : ص 86 . الطبراني : المعجم الكبير : 17 / 131 .

٤– ابن إسحاق: السير والمغازي: ص48 – 50 .

٥– الطيالسي: المسند: ص 207. الصنعاني: المصنف : 322/5 . ابن سعد: الطبقات : 194/1. ابن حنبل: المسند : 6/ 233. البخاري: الصحيح : 3/1، 67/8. مسلم: الصحيح : 97/1. ابن حبان: صحيح ابن حبان : 217/1. الحاكم: المستدرك : 3/ 183. البيهقي: السنن الكبرى : 6/9، ابن عبد البر: الدرر : ص32 . الشوكاني: فتح القدير: 467/5 .

٦– ابن سعد: الطبقات : 194/1. الطبري: جامع البيان : 61/27. ابن أبي حاتم: تفسير: 10/ 3319 . ابن كثير: تفسير : 4/ 267، السيوطي: الدر المنثور: 6/ 123.

٧– أجياد: موضع بمكة يلي الصفا، .ينظر: الحموي: معجم البلدان : 105/1.

ﷺ أنه قال: " فلما قضيت جواري فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت..." [1] . أو أنه وقع في بطحاء مكة [2] ، أو في بيته [3] وأخرى في طريقه إلى حراء[4].

ب كيف ظهر له الملك في لقائه الأول به ؟ إن المتتبع للروايات التي تناولت هذا الجانب يلاحظ إجماع مؤكد على تصوير أن اللقاء قد حدث فجئة ودون سابق توقع! وبها تؤول حالة الفزع والخوف التي انتابت النبي ﷺ كما سنقف عليه في محله. هذا من جانب ، ومن جانب آخر، فإن هذا الملك لم يعرف نفسه للنبي ﷺ على انه مرسل من الله وانه جبريل الأمين عليه السلام ، بل باغته وأمره بالقراءة مباشرة دون أي تأنٍ " فجئه الملك فيها فقال له اقرأ " [5] . إلى غيرها من الإشارات.

بينما صرحت روايات أخرى بأنه فاجئه بالنداء دون ظهور شخصه فقط يناديه يا محمد! ويختفي ، فلنتأمل معا نص هذه الرواية : " بينما هو يمشي [أي النبي ﷺ] إذ سمع مناديا يقول: يا محمد، فنظر يمينا وشمالا والى السماء ، فلم ير شيئا ، فمضى على وجهه ، فنودي الثانية : يا محمد ، فنظر يمينا وشمالا ومن خلفه فلم ير شيئا إلا السماء ، ففزع ، وقال لعل هذا شيطان يدعوني فمضى على وجهه ، فنودي في قفاه : يا محمد يا محمد فنظر خلفه وعن يمينه ثم نظر إلى السماء ، فرأى مثل السرير بين السماء والأرض... وعليه جبريل عليه السلام ..."[6] .

فلماذا يتعامل جبريل هكذا معه ﷺ لماذا لا يظهر له بوضوح ؟ ما معنى النداء ثم الاختفاء هل في الأمر مزحة ؟ فبأي تأويل يمكن سد هذه الثغرة التي لا يمكن الاعتذار عنها؟!

١- ابن حنبل: المسند : 306/3 . البخاري: الصحيح : 6/ 75. مسلم: الصحيح : 99/1. ابو يعلى: مسند أبو يعلى : 3/ 451 . الطبري: تاريخ : 51/2 . ابن حبان: الثقات : 51/1 . ابن الجوزي: زاد المسير : 120/8. ابن كثير: البداية والنهاية : 24/3. السيوطي: لباب النقول : ص 205، 223 .

٢- الطبري: تاريخ : 52/2، وينظر: ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف : ص 19، الأصبهاني: دلائل النبوة : 250/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق : 3/ 461 . ابن كثير: البداية والنهاية : 2/ 337 . المقريزي: إمتاع الأسماع : 20/1. الهيثمي: مجمع الزوائد : 8/ 255 .

٣- المقريزي: إمتاع الأسماع : 22/3 – 23.

٤- مقاتل بن سليمان: تفسير : 3 / 413.

٥- الزيلعي: نصب الراية : 448/1 .

٦- مقاتل بن سليمان: تفسير : 3 / 413.

بل إن النبي ﷺ في رواية أخرى لما سمع النداء هرب بعيدا ، ولم ينتظر ليتأكد من المنادي ؟ حتى طلب منه ورقة بن نوفل أن " لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فاخبرني"[١] .

بل الأغرب من ذلك إن هذا الملك لم يراع حالة الدهشة والفزع التي انتابت النبي ﷺ بل انه ليعامله بمنتهى القسوة والعنف كما أدلت بذلك النصوص: " فأخذني فغتني- أو غطني- حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني "[٢] ، يفعلها معه ثلاثا " حتى ظننت انه الموت "[٣]، وفي كل مرة يقول له: " اقرأ " ، والنبي لا يعرف ماذا يقرأ ، فيرفض قائلا: " ما أنا بقارئ "[٤]، وتارة يعترف بأنه لا يقرأ ، " ولم أكن قرأت قرأت كتابا قط ، فلم ادر ما اقرأ "[٥]، وثالثة نجده يتساءل : " ماذا اقرأ "[٦] أو " ما اقرأ "[٧] ، ولكن العجيب العجيب إن موقف الوحي واحد في كل الحالات التي تنوعت فيها النصوص ، وهو انه يستخدم العنف مع النبي ﷺ ، بل انه في إشارة من احدى الروايات التي تنسب إلى النبي ﷺ أنه قال : " أخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء "[٨] .

عندها اضطر النبي أن يلبي ما طلبه منه على مضض ، وان يقرأ ما أراد الذي تارة كان مشافهة ، وأخرى قراءة بكتاب ما ، فقرأ " تنجيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي "[٩].

١- ابن إسحاق: السير والمغازي: ص 133 .

٢- ابن حنبل: المسند : 233/6 . البخاري: الصحيح : 3/1، 88/6، 8/ 67. مسلم: الصحيح : 97/1. الحاكم: المستدرك : 183/3.

٣- ابن هشام: السيرة النبوية : 155/1. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 63/ 12. ابن سيد الناس: عيون الأثر : 116/1. ابن كثير: السيرة النبوية : 387/1، 403.

٤- ابن حنبل: المسند : 233/6. البخاري: الصحيح 3/1. مسلم: الصحيح : 97/1. البيهقي: السنن الكبرى : 51/7، 6/9 . العيني: عمدة القارئ : 46/1.

٥- المقريزي: إمتاع الأسماع : 19/3، وفي رواية: قال: (ما قرأت كتابا قط، فلم أدر ما أقرأ). الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث : ص282، وفي رواية ابن عساكر: (ما قرأت كتابا قط ولا أحسن وما أكتب وما أقرأ) . تاريخ دمشق : 63/ 17، وينظر: ابن كثير: البداية والنهاية : 3/ 20،11، السيرة النبوية : 393/1.

٦- الطبري: تاريخ : 48/2، ابن عساكر: تاريخ دمشق : 63/ 12، ابن سيد الناس: عيون الأثر : 1/ 116، ابن كثير: السيرة النبوية : 403/1.

٧- الحارث بن أبي أسامة: بغية الباحث : ص282، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 208/13.

٨- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 19-20. السيوطي: كفاية الطالب : 97/1.

٩- ابن إسحاق: السير والمغازي : ص121 .

أما عن الهيأة التي رأى فيها جبرائيل عليه السلام فقد تباينت الروايات بهذا الخصوص : فرواية غيبت شخص جبريل ليسمع النبي ﷺ مجرد نداء [1] يناديه باسمه ، أو انه يسمع صوتا يسلم عليه (السلام عليك) [2]، وفي روايات يتجسد له جبرائيل في صورة ما قد لا تصفها رواية [3]، ولكن رواية أخرى تقول: " " فرأى مثل السرير بين السماء والأرض وعليه درنوكة [4] قد غطت الأفق، وعليه جبريل عليه السلام مثل النور المتوقد يتلالا حتى كاد أن يغشى البصر".[5]

ولأن جبريل عليه السلام لم يعرف نفسه في هذا اللقاء الأول على رأي اغلب الروايات ، وأنه قد عامل النبي بمنتهى القسوة ، كانت ردة فعله ﷺ سلبية ، فقد ذعر [6] ، وارتجفت بوادره [7]، ورجف قلبه[8] ، وتارة وتارة يقول: " فجثيت منه فرقا – أو رعبا – حتى هويت إلى الأرض " [9]، وفي رواية " فأخذتني رجفة شديدة " [10] ، بل " فهربت منه" ، وفي نص آخر " فجثوت لركبتي ، وأنا قائم ثم زحفت ترجف بوادري " [11] ، بل " ففزع فزعا شديدا ، ثم وقع مغشيا عليه ، ولبث ساعة ثم أفاق يمشي وبه رعدة شديدة ، ورجلاه تصطكان "[12] .

اضطر الوحي للعودة ثانية ، ولكن لماذا ؟ يظهر اراد أن يعرف نفسه ، إذ في هذه المرة صرّح له بأنه جبريل ، وكأن اللقاء الأول كان مجرد فرصة لتخويف النبي ﷺ أو اختبار لقواه البشرية هل تحتمل هذا الجو الملائكي ؟! إذ يؤول البعض ما حدث من حالة الفزع والرعب والخوف في ذات النبي ﷺ أنها

١- مقاتل بن سليمان: تفسير: 3 / 413 .
٢- المقريزي: إمتاع الأسماع : 19/3 .
٣- ينظر : المقريزي : امتاع الاسماع : 3 / 19 – 39 .
٤- مؤنت درنوك وهو البساط أو الثوب، وجمعه درانك. ابن قتيبة: غريب الحديث : 170/2، الزمخشري: أساس البلاغة : ص370، ابن منظور: لسان العرب :10/ 423 – 424.
٥- مقاتل بن سليمان : تفسير : 3 / 413 .
٦- ابن سعد: الطبقات : 194/1.
٧- ابن حنبل: المسند : 223/6. البخاري: الصحيح : 88/6. مسلم: الصحيح : 97/1.
٨- ابن حنبل: المسند : 223/6. البخاري: الصحيح : 3/1. البيهقي: السنن الكبرى : 51/7.
٩- الطبري: تاريخ : 53/2. السمعاني: تفسير السمعاني : 87/6 . ابن كثير: البداية والنهاية : 469/4 .
١٠- مسلم: الصحيح : 99/1 . أبو يعلى: مسند أبو يعلى : 159/4. القرطبي: الجامع : 60/19، النووي: شرح الصحيح : 208/2. السيوطي: الديباج : 1/ 191. المتقي الهندي: كنز العمال : 11/ 460 .
١١- الطبري: تاريخ : 47/2 . ابن الأثير: الكامل: في التاريخ 48/2 .
١٢- مقاتل بن سليمان: تفسير : 3 /413.

حالة طبيعية " وما تأكيدنا لهذه الرهبة والشدة والفزع إلا لنصل إلى حقيقة أن الرسول ﷺ بشر عادي في خصائصه وتركيبته النفسية وأن سلامته من كل عارض تستدعي أن يصدر مثل هذه الانفعالات المتوقعة من أي شخص سليم قد يتعرض لما يشبه هذا الموقف الجلل "[1] .

قد فسّر بعضهم الشدة التي تعتري النبي ﷺ حينما يأتيه الملك الوحي في صورته الملائكية بان منشأها " تقريب الطبيعة البشرية إلى الأوضاع الملكية والجو الملائكي "[2] .

بعد هذا التصوير لننظر إلى ما جاء من كلام أمير المؤمنين عليه السلام حول بعثة النبي ﷺ وعلاقته بالملائكة ، سنجد الحقيقة ماثلة بأنصع صورها بأن النبي ﷺ متآلف جدا مع الجو الملائكي ، وقد اعتاده منذ طفولته ؛ إذ إن العناية الإلهية قد قرنت به ملكا من أعظم الملائكة يتولى أمره، فلم تكن الأجواء الملائكية غريبة عليه ليفزع منها أو يحتاج معها إلى مقدمات حتى يعدها البعض أكثر ضرورة فيقول " لولا تلك المقدمات لكانت نتيجة تأثر النبي بهذا اللقاء أضعاف ما وردنا عنه ﷺ من شدة وجدها في هذه الملاقاة الأولى – كما يحلو لي أن اسميها – لأنني اعتقد أن تعبير المواجهة الذي يوحي بمعاني الندبة والخصومة منتف من أصل الحالة "[3]

فما التأثر الذي كان من الممكن أن يبلغه النبي بأكثر من هذا ؛ بل كما سيتضح لنا أنّه قد حاول قتل نفسه – كما تدّعي الروايات – ؟

نعود لتتبع تفاصيل ما جاء في الروايات ، يأتي الملك ثانية ولكن هذه المرة يتجسد بصور شتى ، أبدعت مخيلة الرواة فيها أيما إبداع ، إذ نسجت تلك الصور بشيء من التصوير المادي الذي لم تتخطاه مخيلاتهم الساذجة!

" فإذا الملك الذي جاءني في حراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه "[4] ، وراو آخر أملت عليه مخيلته أن الملك إنما جاء " في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء ، فوقفت

١- ابداح: الوحي القرآني : ص 77 .
٢- ابن خلدون: مقدمة: ص100 .
٣- ابداح : الوحي القراني : ص 76-77.
٤- ابن أبي الدنيا: كتاب الهواتف : ص17. البخاري: الصحيح : 4/1 . الترمذي: السنن : 100/5 .

انظر إليه " [1] ، وقد احكم احدهم وصف الملك المتبطر بأنه " واضعا إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد : أنا جبريل ، يا محمد أنا جبريل فذعر رسول الله "[2] .

وتعاظمت صورة جبريل في خيال آخرين فوصفوه: " فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب قال: فهلت منه فجئت مسرعا ، فإذا هو بيني وبين الباب، فكلمني حتى أنست به " [3] .

وصورة أخرى قد أعملت فيها الخيالات مبلغا أسطوريا إذ يصفه بلسان النبي ﷺ : " يأتيني من السماء جناحاه لؤلؤ وباطن قدميه اخضر" وانه " له ستمائة جناح " [4] ، وفي نص آخر : " رآه في رفرف اخضر قد سد الأفق " [5]، وفي صورة أخرى: " رأى شخصا بين السماء والأرض باجياد إذ بدا له جبريل فسلم عليه ، وبسط بساطا كريما مكللا بالياقوت والزبرجد "[6] .

يلاحظ التغاير في صور جبريل في الروايات بعدة أشكال ليس في اللقاء الأول فحسب بل حتى في لقائه بالنبي ﷺ في المعراج [7] ، وكلها تصويرات اضفت عليها خيالات الرواة الشيء الكثير ، ولم يحمل يحمل بعضهم هذا الاختلاف محملا سلبيا ، بل راح يؤوله بما يحلو له قائلا : " والروايات تتسع في ترائي جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صور مختلفة ، ووجه ذلك : أن يكون لجبريل ضروب من الصور ، فكل مرة يترائى فيها للنبي ﷺ يثبت الله قلب رسوله لرؤيته فيها بقوة يجددها الله له ، وكل حالة إبقاء

١- الطبري: تاريخ : 49/2 . ابن عساكر: تاريخ دمشق : 13/63. ابن سيد الناس : عيون الأثر: 116/1. ابن كثير: السيرة النبوية : 403/1 . الصالحي الشامي: سبل الهدى: 234/2.

٢- ابن سعد: الطبقات : 194/1.

٣- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 19.

٤- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 39 .

٥- البخاري: الصحيح: 51/6. الطبراني: المعجم الكبير : 216/9. المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 42. ابن حجر: فتح الباري : 470/8 . العيني: عمدة القارئ : 200/19 .

٦- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 22- 23.

٧- انظر مثلا المقريزي : امتاع الاسماع :3 / 33 .

الله تعالى رسوله على جبلته ، ولا يحدث له فيها قوة ، يضعف ﷺ عن رؤيته ، فصعق ﷺ[1] حتى ثبته الله تعالى "[2].

ولنا أن نسأل صاحب هذا الرأي: إن كان قد صح ما قاله بشأن تعدد صور الوحي وإنها في جانب القبول تكون مظهرا من مظاهر قدرة الباري عز وجل ، وإبداعه وأن له في خلقه شؤوناً ، ولكن هل يصح معها القول : إن ذلك كان لتثبيت قلب النبي ﷺ؟ إذن بماذا يفسر – مزاعم تلك الروايات – بردة فعله ﷺ حين كان قد رآه بتلك الصور ، فتارة يقع مغشيا عليه وأخرى يذعر فيها وثالثة يهال منه ويهرب ... الخ من تعدد حالات الفزع والرعب التي مرّ بها ﷺ ، فأي تثبيت حصل لقلبه الشريف ؟! بهكذا وصف غريب؟!

وهل الله سبحانه بحاجة إلى أن يريه جبريل بهكذا شاكلة لترعب حبيبه المصطفى وتفزعه؟! وهو القائل ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾[3] ، هذا من جانب ومن جانب آخر نعاود التساؤول ، أي رواية هي الأصح في تصوير شخص جبريل عليه السلام بالنسبة للقائه الأول بالنبي ﷺ؟ ألم يلحظ أن الحادثة واحدة والحالات متعددة ؟ ثم أين تثبيت قلب النبي ﷺ وقد رجف وارتاب في نفسه ﷺ حتى ظن بها ظنونا شتى ؟ وقد تباينت حالات تلك الظنون تبعا لتباين الروايات أعلاه : فما بين ظنه بأنه مجنون [4] أو انه

١– وذلك إشارة إلى صورة أخرى رأى فيها نبي الله جبريل عليه السلام لما طلب منه أن يراه في صورته، فقال: أدع ربك، فدعا ربه، فطلع عليه سواد من قبل المشرق، فجعل يرتفع ، فينتشر، فلما رآه رسول الله ﷺصعق، فنعشه، فمسح البزاق عن فمه. المقريزي: إمتاع الأسماع : 43/3 .

٢– المقريزي: إمتاع الأسماع: 44/3 .

٣– سورة التكوير الآية 23.

٤– الغريب ما نسبته إحدى الروايات أن النبي ﷺ لما رأى جبرئيل قال: " ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق النظر إليهما، فقلت : إن الأبعد . يعني نفسه . لشاعر أو مجنون" . ينظر: الطبري: تاريخ : 49/2. ابن عساكر: تاريخ دمشق 63/ 13. الذهبي: تاريخ الإسلام : 131/1. المقريزي: إمتاع الأسماع: 26/3 . وورد عند ابن سعد: " أخشى أن يكون في جنن " الطبقات : 195/1 . لكن هل حقا أن النبي ﷺ كان يبغض الشعراء والمجانين؟ فما ذنب الأول وقد حباه الله بهبة عقلية مبدعة قد تسخر لقول ما هو حسن أو قبيح، ولكنها من ملكات الأبداع، وقد مدح الله الشعراء المؤمنون . أما الثاني فهو مسكين لا ذنب له إلا أنه فقد عقله؟ فهل يعقل هذا من نبي الرحمة ، نعم هو قد تأذى من إتهام قريش له بالجنون، ونسبت إليه قول الشعر لما أعجزهم القرآن، ولكن لم يشهد التاريخ أنه ﷺ قد أعلن عداءه أو بغضه للشعراء أو المجانين ؟

كاهن [١] أو به خبل [٢] بل انه قد خشي على نفسه [٣] .وأشفق عليها [٤]. من مغبة هذا الأمر وقد بلغ به الحال أن فكر في قتل نفسه والتردي من شواهق الجبال فاضطر جبريل أن يأتيه فيعرفه بأنه جبريل وانك يا محمد رسول الله [٥] ، بل لم يكف النبي ﷺ عن فكرة قتل نفسه فكان يبادر لذلك كلما فتر عنه الوحي [٦] بعد أن قالوا له : إن ربك قد قلاك [٧]

ولو قارنا بين رؤية هذه الروايات ورؤية القرآن الكريم حول هذه القضية لوجدنا الحق تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ *وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ *وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾[٨]. وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى *مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى *لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.[٩]

فهذه الآيات تتحدث بوضوح عن طبيعة لقاء الوحي بالنبي ﷺ سواء في المعراج أم غيرها ، ونحن نلحظ أن الله سبحانه قد نفى عن نبيه اتهامات " الجنون " و " الشيطنة " و " الغواية " " الكذب " الخ ، ولكن هذه الاتهامات إنما هي اتهامات قومه وليس ظنه بنفسه ويبدو أن الرواة قد استقوها من هذه الآيات

١- ابن سعد: الطبقات : 1/ 195 .

٢- المقريزي: إمتاع الأسماع : 22/3.

٣- الصنعاني: المصنف : 5/ 322. البخاري: الصحيح : 3/1، 88/6 . مسلم: الصحيح: 97/1، البيهقي: السنن الكبرى: 6/9. المقريزي: إمتاع الأسماع: 5/3.

٤- ابن حنبل: المسند: 223/6. الطبري: تاريخ: 47/2. جامع البيان: 318/30. ابن الأثير: الكامل: 48/2.

٥- الطبري: جامع البيان: 30 / 318 .

٦- الصنعاني: تفسير : 3/ 327. السهيلي: الروض الأنف : 272/1.

٧- تباينت الروايات فيمن قال له ذلك فرواية تشير انه هو قد ظن هكذا " خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودعني ، فجاء جبريل بسورة الضحى " . وفي رواية انه لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا، فقالت له السيدة خديجة إن ربك قلاك لما يرى من جزعك فانزل ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ سورة الضحى الاية 3 . ابن إسحاق: السير والمغازي ص135، وفي رواية أن قومه من قال له ذلك، ابن كثير: البداية والنهاية 22/3. وفي رواية امرأة أشارت روايات أنها أم جميل زوجة أبي لهب. ابن حجر: فتح الباري7/3، محمد عزة دروزة: التفسير الحديث551/1.

٨- سورة التكوير الآية 19 – 25 .

٩- سورة النجم الآيات 2- 18 .

ونسبوها إلى النبي ﷺ ، ولا نعلم الغاية من وراء ذلك فهل هي محاولة لتبرئة المشركين أم أن الهدف الوصول إلى نتيجة بان دعوة النبي ﷺالتي كانت قد أثارت دهشة أولئك الكفار فظنوا به الظنون واتهموه بالسحر والشعر والجنون، هي ذاتها الاتهامات التي ظنها هو في نفسه ، فيتساوى معهم من هذا الجانب ! إذ قد أدهشته نبوته ولم يصدق انه قد كلف بها؟!.

حقيقة أنّ العقل ليحار أمام هذه الترهات التي تجنّت على النبي الأعظم ﷺ ، ويقف في تأمل طويل أمام تلك التقولات المتناقضة وفي أدق الجزئيات ؟! وبعد هذاكله ، هل اطمأن قلب النبي ﷺ؟ أم واصل إحساسه بالشك والريبة من أمره حتى طمأنته زوجته التي تحركت ما بين شخصيات يهودية أو نصرانية تستجدي ما تثبت به قلبه الشريف ؟ الذي بدا عاجزا عن إدراك ما أدركته زوجته أو ما أدركه هؤلاء الذين قصدتهم ؟! أليسوا على وفق هذا المبنى هم أحق بالنبوة منه ﷺ ، وإن كان قد ارتاب في أمره، فكيف ينكر ذلك على من ارتاب من سائر الناس وهو قد عاين الأمر معاينة فيما خفي على غيره ؟!

يقول السندي[1] : " مقتضى جواب خديجة والذهاب إلى ورقة: إن هذا كان منه على وجه الشك . وهو مشكل بأنه لما تم الوحي صار نبيا ، فلا يمكن أن يكون شاكا بعد في نبوته ، وفي كون الجائي عنده ملكا من الله ، وكون المنزل عليه كلام رب العالمين " ثم حاول السندي توجيه ذلك بأنه ﷺ أراد اختبار خديجة ، وان يمهد لإعلامها بالأمر. وهو توجيه عجيب فإننا لم نعهد منه ﷺ إتباع مثل هذه الأساليب الملتوية في الوصول إلى مقاصده ونحن نجله ﷺ عن نسبة الكذب إليه على خديجة – معاذ الله – ثم معاذ الله !! ثم كيف يتناسب ذلك مع كونه أراد أن يلقي نفسه من شواهق الجبال [2]. بل الأدهى من ذلك إن هؤلاء جميعا (السيدة خديجة ، وورقة وبحيرا ونسطورا وعداس) قد اضطروا إلى اختبار صدقه فيما يدعيه من رؤية الوحي وانه ليس بشيطان؟ فزوجته خديجة عليها السلام تطمئنه حين سلم عليه الوحي، وفر منه النبي ظانا بأنه قول من الجن، فتقول له " إن السلام خير " [3] ، بل أجمعت الروايات على دورها في تثبيت قلبه الشاك المرتاب . حتى أنها أجرت له عملية اختبار عجيبة إذ طلبت منه أن يخبرها حين

١- حاشية السندي بهامش البخاري، ط سنة 1309 ، 1/ 3. نقلا عن : العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: 21/3 .22.

٢- العاملي: الصحيح في سيرة النبي الأعظم ﷺ: 2 / 298 – 299.

٣- المقريزي: إمتاع الأسماع: 3 / 19 .

يأتيه الوحي ، وحين أتاه ، طلبت من النبي ﷺ أن يجلس إلى شقها الأيمن ثم الأيسر ثم في حجرها وفي كل مرة تسأله هل لا زلت تراه فيقول : نعم حتى كشفت رأسها أو أدخلت النبي بينها وبين درعها ، فاعرض جبريل حياء ، فإذا بها تطمئن رسول الله ﷺ اثبت وابشر ، ما هذا بشيطان إنما هو ملك[١].

وقد حمله القاضي عياض على أنه " حق خديجة لتتحقق من صحة نبوة رسول الله ﷺ ، وأن الذي يأتيه ملك ، ويزول الشك عنها ، لا أنها فعلت ذلك للنبي ﷺ ، وليختبر هو حاله بذلك "[٢].

والغريب انه بعد أن دفع الشبهة عن النبي ﷺ بقوله " ولا يجوز عليه شك فيما أُلقي إليه " [٣] مما يدلل على عدم قبوله بما جاءت به الروايات التي دلت على شكه ﷺ ، وبدلا من دحضه تلك الروايات ورفضها بقوة ، نجده يلجأ حاله حال غيره إلى تأويلها ، ومحاولة سد الثغرات فيها ، وإن كان ضحية ذلك زوجة النبي ﷺ إذ ظهرت ها هنا شاكة بأمر النبي ﷺبل الأدهى من ذلك نسبة ذلك الفعل لها بذلك الاختبار المزعوم .

فيما تأتي رواية أخرى لتنسب فكرة هذا الاختبار إلى ورقة لما حدثته السيدة خديجة ذاكرة له جبريل عليه السلام فقال : " سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد بها الأوثان ، جبريل أمين الله بينه وبين رسله [٤] ، اذهبي به إلى المكان [٥] الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه فتحسري ، فان يكن من عند الله لا يراه ... ففعلت فقالت: فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره "[٦].

عجبا وهل للملك شهوة كشهوة الرجال ، وهل هو مكلف بعدم النظر إلى نساء البشر؟ بل هل فرض الحجاب في ذلك الوقت؟ وكيف أدركت خديجة أو ورقةذلك كله [٧] . وفي رواية إن ورقة سأله عن هيأة

١- ابن سيد الناس: عيون الأثر: 117/1 . ابن كثير: البداية والنهاية : 22/3 ، السيرة النبوية : 410/1 .

٢- الشفا: 2 / 111 .

٣- الشفا: 2 / 111.

٤- ولكن لماذا استنكر ورقة ذكر جبريل في أرض تعبد الأوثان، ألم تكن مهمته إيصال وحي الله لنبيه لأجل الدعوة لوحدانية الله ؟ وإن لم يظهر في أرض كهذه فما تكون مهمته في أرض أسلم أهلها وكيف يسلم أهلها ولم يأتها المرسلون؟ وقد نسبت رواية هذا القول لعداس. ابن كثير: البداية والنهاية 20/3 .

٥- هل يختص جبريل بمكان واحد يلتقي فيه بالنبي ﷺ؟

٦- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 16 .

٧- العاملي: الصحيح من سيرة النبي الاعظم : 2 / 305 .

جبريل عليه السلام فقال ﷺ: " يأتيني من السماء وجناحاه لؤلؤ، باطن قدميه اخضر".[1] ولكن أي دلالة في هذا على كونه جبريل دون غيره ؟ ومن أين علم ورقة بهذه الصفات ؟ هل رأى باطن قدمي جبريل من قبل؟ وإنها ذات لون اخضر ولماذا اخضر؟؟!

وفي اختبار آخر يقول فيه ورقة لخديجة عليها السلام: " اسأليه من هذا الذي يأتيه ؟ فإن كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض والدعة واللين ، وان كان جبريل فقد أتاه بالقتل والسبي . فسألته فقال: جبريل ، فضربت خديجة جبهتها "[2] .

وفي هذا دلالة على يد اليهود في وضع هذه المرويات ، لأنهم يعادون جبريل عليه السلام فنسبوا إليه هذا الأمر، إذ جاء في إحدى الروايات : على لسان اليهود : " عدونا جبريل وسلمنا ميكائيل" [3]، وروي عنهم أنهم قالوا: " لو إن ميكائيل الذي ينزل عليكم اتبعناكم فانه ينزل بالرحمة والغيث ، وان جبريل ينزل بالنقمة والعذاب وهو لنا عدو "[4]

وفي رواية إنه قال للسيدة خديجة عليها السلام : " فأرسلي إلي ابن عبد الله اسأله واسمع من قوله وأحدثه فإني أخاف أن يكون غير جبريل فإنّ بعض الشياطين يتشبه به ليضل به بعض بني آدم ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرضي مدلها مجنونا "[5] .

فلما جاء إليه النبي ﷺ سأله ورقة : " هذا الذي جاءك في نور أو ظلمة ؟ فاخبره رسول الله ﷺ عن صفة جبريل وما رآه من عظمته وما أوحاه إليه . فقال ورقة اشهد أن هذا جبريل..."[6].

١- المقريزي: إمتاع الأسماع : 3 / 38 .
٢- اليعقوبي: تاريخ : 2 / 23 .
٣- ابن شبه: تاريخ المدينة: 3/ 866 . الطبري: جامع البيان : 609/1 . ابن كثير: تفسير : 1/ 135. ابن حجر: العجاب في بيان الأسباب: 1/ 293.
٤- الطبري: جامع البيان : 1/ 611. ابن كثير: تفسير: 136/1.
٥- ابن عساكر : تاريخ دمشق : 63/ 19، ابن كثير: البداية والنهاية: 21/3.
٦- ابن كثير: البداية والنهاية: 3 / 21 – 22 .

ونلاحظ أن هناك تركيزا على موقف ورقة في أحداث البعثة حتى وصف ذلك الموقف: " وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتا ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم "[1] .

نخلص الى القول ان هناك تباينا واضحا بين ما ادلى به الامام امير المؤمنين عليه السلام من حقائق ثابتة ومتوافقة مع القران [2] – فيما يخص الوحي وعلاقته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم – وبين ماجاءت به المرويات التاريخية ، والتي أساءت الى مقامه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم .

وبهذا تتجلى لنا خاصية رؤية الامام امير المؤمنين عليه السلام ؛ وكيف تسامت عن باقي الرؤى التي اظهرت الاساءة لشخصه صلى الله عليه وآله وسلم ومقامه كنبي مرسل .

١– ابن إسحاق: السير والمغازي: ص 122.

٢– لمزيد من التفاصيل عن الرؤية القرآنية للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ينظر : النصر الله : السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية : (الصفحات جميعها)

المبحث الثالث

الدعـــوة المحمديـــة

مراحل الدعوة والتبليغ وبناء الدولة:

دأب المؤرخون على تقسيم دعوة النبي ﷺ الى عهدين متميزين؛ هما العهد المكي والعهد المدني. ويمكن ان نقسم كل عهد منهما الى مراحل وفق ما توحي به نصوص نهج البلاغة التي تحدثت عن سيرة النبي ﷺ في الدعوة والتبليغ، وبناء دولته العظيمة.

أولاً: مرحلة إعداد القاعدة الإيمانية الأولى:

اصطلح على تسمية هذه المرحلة بمرحلة الخفاء او الدعوة السرية [1]. إذ ارتكزت الدعوة المحمدية على قاعدة صلبة مثّلها المسلمون الاوائل الذين كانت لهم فضل السابقة في الاسلام ، وقد مثلوا الاساس الرصين الذي اتكأ عليه الدين الجديد، فلولا تلك القلوب المشبعة بالايمان الحقيقي لما صبروا على أفضع اساليب التعذيب التي استخدمها اعدائهم في محاولة ثنيهم عن عقيدتهم[2].

فبعد ان كُلف النبي ﷺ بتبليغ الرسالة، شرع ﷺ يهيء نفسه للخطوات الآتية في طريق الدعوة الى دين الله، ومن الطبيعي ان يكون الاقربون هم الاولى بهذا الامر [3]، ولم يكن أحد اقرب للنبي ﷺ من

١- ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 168. الحلبي : السيرة الحلبية : 1 / 402 – 403. عباس زرياب خوئي : دراسة تحليلية في السيرة النبوية عصر ما قبل الهجرة : ص 169 . فرحان : دروس من السيرة النبوية : ص 239 – 268 . سبحاني : السيرة المحمدية : ص 65 – 66 .

٢- ينظر: ابن هشام : السيرة النبوية : 1 / 203 – 205 . فرحان : دروس من السيرة النبوية : ص 272 – 277 . سامي البدري : السيرة النبوية : ص 94- 96 .

٣- ينظر : الطبري: تاريخ: 228/2-229، جامع البيان : 149/19 . ابن مردويه:المناقب: ص 290. ابن الاثير: الكامل : 62/2 – 63. ابو الفداء: المختصر: 1/ 117. ابن كثير: البداية والنهاية : 53/3 ، تفسير : 364/3، السيرة النبوية :459/1. المتقي الهندي: كنز العمال: 114/13. الحلبي :السيرة الحلبية: 461/1.

ربيبه، وابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يتكلف صلى الله عليه وآله أي جهد في دعوته، فهو الشاهد على الوحي في أول نزوله على قلبه صلى الله عليه وآله[1]، والاولى بتصديقه[2] بعد ان كان لصيقاً به، ويتبعه اتباع الفصيل اثر امه[3].

كان أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأمثل والأكمل لمؤازرة النبي صلى الله عليه وآله لما توافرت عليه ذاته الشريفة من الطاعة والانقياد والقوة لحمل هذا الامر، اذ كان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله بأمس الحاجة الى الناصر والمؤازر" فكان علي عليه السلام يمثل ذراع النبوة في تبليغ الرسالة منذ انطلاقها، والعين الباصرة ولسان الدعوة الناطقة بها"[4].

ثم تأتي السيدة خديجة عليها السلام[5] بعد أمير المؤمنين عليه السلام لتكون خير ملبٍ لنداء الحق، وفي طليعة من آمن بدعوته صلى الله عليه وآله والى ذلك يشير الامام عليه السلام : " **وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّه، صلى الله عليه وآله، وخَدِيجَةَ وأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه صلى الله عليه وآله**"[6]. والامر الجدير بالالتفات اليه انه رغم مكانة السيدة خديجة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن دعوته، وكونها اول من آمن به صلى الله عليه وآله بعد امير المؤمنين عليه السلام الا انه عليه السلام يقول في النص اعلاه: " ارى نور الوحي" أي أنه وحده كان قد اختص بهذا المقام .

ورغم ما يشاع في الروايات التأريخية بان هناك دعوة سرية تخفى فيها النبي صلى الله عليه وآله ولم يعلم المشركون بامره ومضامين دعوته، وانها استمرت ثلاثة سنوات[7]، فهو محل توقف وتأمل! اذ كيف تتلائم السرية مع

١- وذلك اشارة الى قوله عليه السلام : " **أَرَى نُورَ الْوَحْيِ والرِّسَالَةِ وأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ ، ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه – صلى الله عليه وآله –** " نهج البلاغة : ص 406 .

٢- من ذلك قوله عليه السلام : " **فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه**"، نهج البلاغة ص 105 ، وفي موضع " **فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه** " نهج البلاغة : ص 105 .

٣- اذ يقول عليه السلام : " **ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً ، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه** " نهج البلاغة : ص 406 .

٤- المجمع العالمي : اعلام الهداية : 1 / 88 .

٥- لمزيد من التفاصيل عن شخصية السيدة خديجة عليها السلام ودورها في الاسلام ، ينظر : الشرهاني : السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام : (الصفحات جميعها)، وينظر : اضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله مع السيدة خديجة : ص 191- 249 .

٦- نهج البلاغة : ص 406 .

٧- ينظر: ابن هشام : السيرة : 1 / 168 . الحلبي : السيرة الحلبية : 1 / 402 .

الروايات التي أشارت إلى ان أمر النبي ﷺ كان معروفا، إذ يشار في العلن: " ان ابن عبد المطلب ليكلم من السماء" [1]. فضلا عن ذلك ورد في الروايات انه ﷺ كان يصلي هو و أمير المؤمنين عليه السلام والسيدة خديجة عليها السلام بالقرب من الكعبة المشرفة، فهل يعقل ألا يراهم أحد؟ ولقد ذكر ابن سعد [2] : " دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام سراً وجهراً، فاستجاب لله من شاء من احداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهتهم التي يعبدونها دونه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فشنفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وعادوه ".

فلم يستشرع اكابر قريش من دعوته في باديء الامر، حتى ان امره بالنسبة لهم لا يعدو التأملات والتكهنات، وهم الذين كانوا على دراية بمنهجه التعبدي، ونهجه الخلقي، اذ نبذ صلى الله عليه وآله كل ما هو شين أو سيء من فعالهم وعلى المستويات العقدية والسلوكية كافة فعرف بينهم بـ " الصادق الامين " فلم يتوجسّوا منه خوفاً، ولم يشددوا في محاربته والوقوف بوجه دعوته.

من جانب آخر فقد واصل ﷺ تحركاته الرسالية ، واستطاع في وقت قياسي " ان يصوغ من النفوس التي آمنت برسالته عناصر فعالة تحمل قيم الرسالة لتنطلق بها الى الناس، وهم اشد حرصاً على اسلامهم، واكثر يقيناً بايمانهم، مستنكرين بذلك ما كان عليه آباؤهم من شرك وخلق منحرف حتى تزايد الاستعداد لديهم لتحمل آثار الجهد بالرسالة"[3].

وتتضح دلالات ايمانهم العميق من خلال مواقفهم الجهادية فيما بعد في ساحات الوغى نصرة لعقيدتهم، حتى اضطروا الى مقاتلة اقربائهم من آباء وابناء واخوان ولم يتوانوا عن قتلهم ان تطلب الامر منهم ذلك[4]. وقد عد الامام عليه السلام ذلك من اهم عوامل نجاح الدعوة وتحقيق النصر المؤزر على اعداء الدين في تلك المرحلة الجهادية[1].

١- ابن سعد : الطبقات : 199/1 . اليعقوبي : تاريخ : 2 /24 . ابن الجوزي : المنتظم : 364/2.

٢- الطبقات : 1 /199 .

٣- المجمع العالمي : اعلام الهداية : 89/1 .

٤- وذلك ما اشار اليه عليه السلام بقوله : " **وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وإِخْوَانَنَا وأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وتَسْلِيماً، ومُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وصَبْراً عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ، وجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوّ، ولَقَدْ**

ومن المواقف الهامة في حياة الرسول ﷺ في هذه المرحلة هو التوجه نحو عشيرته ودعوتهم لدين الله ومؤازرته على امره تبعا لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ [٢] ﴾ [٣]، فكانت اولى خطواته انذارهم في مجتمع تسوده الاعتبارات القبلية وقد تباينت الاتجاهات والاستجابات لبني هاشم لدعوته ﷺ اذ انقسموا الى اتجاهين متضادين، فمنهم من قبل الدعوة وانسجم معها ونصرها بكل قوة، وفي طليعة هؤلاء امير المؤمنين عليه السلام واهل بيته، ووقف اتجاه آخر ضد الدعوة ومن آمن بها، ومثيل ذلك ما اشار اليه عليه السلام من مواقف بعض الشخصيات الهاشمية كأبي لهب وقد كان لدعوة بني هاشم الى الدين الجديد اصداؤها في اشاعة خبر النبي ﷺ اذ تبين لهم صدق دعوته وجديتها، هذا من جانب ومن جانب آخر ، فقد دخل فيه الناس " ارسالا ، من النساء والرجال ، حتى فشا ، فذكر الاسلام ، وتحدث به ، ... فأعظمت ذلك قريش وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغي والحسد ، وشخص له منهم رجال فبادؤه العداوة ، وطلبوا اليه الخصومة " [٤] .

ثانياً: مرحلة الإعلان العام للدعوة وبداية المواجهة مع المشركين

وبعد ان تم بناء القاعدة الصلبة للدعوة – متمثلة بأولئك الرواد الاوائل من المسلمين الذين انتموا للاسلام في ايام غربته ، الذين نمت فيهم التجارب المقدّرة على الصمود بوجه الضغوط، وانضجتهم الآيات القرآنية التي كانت تتنزل على مكث حيناً بعد حين – اصدر الله امره الى رسوله الكريم ﷺ ان

كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا والآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا، يَتَصَاوَلانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَه كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا ومَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا " نهج البلاغة: ص92 – 93.

١– اذ يقول عليه السلام : " **فَلَمَّا رَأَى اللَّه صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَه ومُتَبَوِّئاً أَوْطَانَه** " نهج البلاغة : ص93.

٢– سورة الشعراء الاية 214 .

٣– ولم يستجب له في هذا الاجتماع الاول الا امير المؤمنين عليه السلام ، ينظر : ينظر : الطبري: تاريخ : 2/228–229، جامع البيان : 19/149 . ابن مردويه:المناقب: ص290. ابن الاثير: الكامل : 2/62 – 63. ابو الفداء: المختصر: 1/ 117. ابن كثير: البداية والنهاية : 3/53 ، تفسير: 3/364، السيرة النبوية : 1/459. المتقي الهندي: كنز العمال: 13/114.الحلبي: السيرة الحلبية: 1/461 .

٤– البيهقي : دلائل النبوة : 2/175 .

٥– لهذه المواجهة اسباب عديدة يمكن الوقوف على اهمها بمراجعة ما ورد في وحدة تأليف الكتب الدراسية: تاريخ الاسلام : 1 / 115 – 120 .

يتجاوز هذه المرحلة فيجهر بدعوته ، وكان هذا الجهد امراً لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكي تثبت وجودها المنظور في الارض العربية اولاً، وفي العالم المحيط بها ثانياً[١].

اذن فقد جاء الامر الالهي ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ * وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٢]، " **فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالاًّ عَلَيْهَا** "[٣]. وتقدّم إليهم بالإنذار من عذاب الله، ودعاهم لما ينجيهم وما فيه خيرهم ، " **فَبَالَغَ ﷺ فِي النَّصِيحَة، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة** "[٤]، ولكن لم يلاقِ من عتاة قومه سوى التكذيب والعداء السافر.

وكان لعمه أبي طالب دور بارز في مؤازرته في دعوته، فقد دعا بنو هاشم لحفظ رسول الله ﷺ والقيام دونه فاستجابوا له ما خلا ابا لهب[٥].

وقد اتخذت قريش وسائل شتى بغية ثني النبي الاعظم ﷺ وأصحابه عن نشر الدعوة الاسلامية، وبعد فشل مساومتهم المادية، واغراءاتهم بالملك والسلطة والاموال[٦]، اتجهوا نحو اسلوب العنف والتعذيب والقسوة فتعرض النبي ﷺ لشتى انواع العذاب من الاستهزاء، والسخرية، والاتهامات الباطلة بالكذب والسحر والجنون والشعر والكهانة[٧]. ويوثق لنا أمير المؤمنين عليه السلام بعضا مما لاقاه رسول الله ﷺ من التكذيب، اذ ذكر أنهم طلبوا من النبي ﷺ دعوة شجرة لتقف بين يديه، لما اتاه ملأ قريش: " **فَقَالُوا لَه يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً ، لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ** "[٨]. ولما لبى لهم ما طلبوا ازدادوا عناداً واتهموه بالكذب والسحر وهذا ما اشار اليه عليه السلام بقوله: " **فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بَلْ * (ساحِرٌ كَذَّابٌ) * ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيه** "[٩].

١- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 109 – 110.
٢- سورة الحجر الآيتان 94 – 95.
٣- نهج البلاغة : ص361.
٤- نهج البلاغة : ص178.
٥- ابن الأثير: الكامل: 1/ 662.
٦- ابن الأثير: الكامل: 662/1.
٧- ابن الأثير: الكامل: 1/ 667 _673.
٨- نهج البلاغة : ص 406.
٩- نهج البلاغة : ص408.

وبلغ تمادي المشركين الى أن يلقوا العذرة والسلى على باب النبي ﷺ وظهره[1]، ورمي جسده الطاهر الطاهر بالحجارة وادماؤه، الى آخر ما فعلوه معه شخصيا، وهذا ما عبّر عنه امير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّه كُلَّ غَمْرَةٍ وتَجَرَّعَ فِيه كُلَّ غُصَّةٍ، وقَدْ تَلَوَّنَ لَه الأَدْنَوْنَ وتَأَلَّبَ عَلَيْه الأَقْصَوْنَ، وخَلَعَتْ إِلَيْه الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِه بُطُونَ رَوَاحِلِهَا**"[2].

ناهيك عما تعرّض له أصحابه من التعذيب الجسدي حتى القتل [3]، لكن النبي الاعظم ﷺ واصل طريق دعوته المحفوف باقسى انواع الشدائد والمكاره فـ " **دَعَا إِلَى طَاعَتِه وقَاهَرَ أَعْدَاءَه جِهَاداً عَنْ دِينِه، لَا يَثْنِيه عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِه، والْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِه** "[4].

ولما أدرك ﷺ بعد عامين من الجهر بدعوته أن لا قدرة له على حماية المسلمين من العناء الذي يصيبهم من طغاة قريش ، بعد اشتداد العنف بأصحابه من المستضعفين، حثّهم ﷺ على الهجرة الى الحبشة ؛ ليعطيهم بذلك استراحة ليستعيدوا نشاطهم فيعودوا ثانية لمواصلة مسيرة الرسالة الاسلامية، أو يفتحوا جبهة جديدة للصراع مع قريش بعد أن جعلوا لهم مركزا من خارج الجزيرة للضغط على مواقع قريش " وعسى الله أن يحدث – خلال ذلك – أمر كان مفعولا اذ اخبرهم ﷺ: " أن في الحبشة ملكا لا يُظلم عنده احد " فاستجاب المسلمون لذلك وهاجروا وقد أمّر عليهم جعفر بن ابي طالب عليه السلام[5].

وفشلت مساعي قريش في استرداد المسلمين بعد أن بعثوا الوفود محمّلة بالهدايا الى ملك الحبشة، إذ نجح جعفر بن ابي طالب في مهمته المنوطة به، وحقق لأصحابه المؤمنين داراً يؤمّنون فيها على أرواحهم في دولة النجاشي بعد أن اقنعه بالحوار والحجج الدامغة[6].

ولما ايقنت قريش ألا جدوى من محاولتها، إذ عاد وفدها خائبا، فقرر زعماؤها ان يضيّقوا على من عندهم من المسلمين بالمأكل والمشرب، وأن يحظروا كل انواع التعامل الاجتماعي معهم، لم يتخل ابو

١- ابن الأثير: الكامل : 667/1.
٢- نهج البلاغة : ص414.
٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير: الكامل : 1/ 663 _667.
٤- نهج البلاغة : ص376.
٥- المجمع العالمي : اعلام الهداية: 1 / 100.
٦- ابن الاثير: الكامل: 1/ 676_ 678، ولمزيد من الدراسة عن دور جعفر بن أبي طالب في الحبشة ينظر: محسن مشكل: جعفر بن أبي طالب: ص 115- 147 .

طالب عليه السلام وبنو هاشم عن نصرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، فكتبوا صحيفتهم بالمقاطعة الشاملة في البيع والشراء والمخالطة والزواج، ووقعت الصحيفة من قبل اربعين زعيما من زعماء قريش[1].

الحصار في شعب ابي طالب :

يصوّر لنا أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الحصار في شعب ابي طالب قائلاً : " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا، وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه، مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الأَجْرَ ، وكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الأَصْلِ، ومَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيه بِحِلْفٍ يَمْنَعُه، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَه فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ**"[2].

يكشف لنا الامام امير المؤمنين عليه السلام عن المحنة التي واجهت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبني هاشم، إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم معرّضا للقتل بعد اجماع القرشيين على ذلك، فنجد امير المؤمنين عليه السلام يشير الى ذلك قائلا: " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا** "، ويذكر الشراح[3] حادثة تختص بهذه الاشارة منه عليه السلام ، إذ روي " ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، وتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لو قد رأينا محمدا قمنا اليه قيام رجل واحد، فلا نفارقه حتى نقتله. قال: فأقبلت فاطمة عليها السلام حتى دخلت عليه صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بقولهم، وقالت له: لو قد رأوك لقتلوك ، وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنيتي ! أريني وضوءا ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه غضوا ابصارهم ثم قالوا: هو ذا ، ثم لم يقم اليه منهم احد، فأقبل صلى الله عليه وآله وسلم حتى قام على رؤوسهم ، فاخذ قبضة من تراب ، فحصبهم بها ، وقالت: شاهت الوجوه ! فما أصاب رجلا منهم شيء منه إلا قتل يوم بدر كافرا "[4].

ان هذه الحادثة ما هي الا نموذج ومثال لما تعرّض له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمحاولة القتل، والمعلوم أنه قد تعرّض لذلك عدة مرات، وإن اشارة الامام امير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا** " هي إشارة اجمالية ربما عنى بها كل تلك المحاولات التي رامت قتله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنها ما جرى في شعب ابي طالب،

١- ابن الأثير: الكامل: 1/ 682.

٢- نهج البلاغة: ص 502.

٣- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 430-431 . حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 17 / 302.

٤- ينظر: ابن حنبل: المسند : 1/ 303 . الحاكم: المستدرك : 163/1. الهيثمي: مجمع الزوائد: 228/8.

فقد كان ﷺ عرضة للقتل في كل ليلة، حتى روي " فلما اجمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا الصحيفة القاطعة ، جمع ابو طالب بني هاشم ، وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر في الكعبة، لئن شاكت محمدا شوكة لاثنين عليكم، او لاتين عليكم، و أدخله في "الشعب" وكان يحرسه بالليل والنهار قائما على رأسه بالسيف "[1].

ويروى أن ابا طالب عليه السلام كان يعمد الى تغيير محل مبيت النبي ﷺ الى عدة أماكن في الليلة الواحدة، ويأمر ابنه امير المؤمنين عليه السلام بالمبيت في فراشه ﷺ يفديه بنفسه حفاظا على سلامته ﷺ.[2]

واما عن اشارة امير المؤمنين عليه السلام إلى حادثة حصارهم في شعب ابي طالب فظاهر في قوله :" **وهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وفَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِيلَ، ومَنَعُونَا الْعَذْبَ وأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ**" فقد هموا بايقاع الشرور بهم ، ومنعوهم طيب العيش " فضاق الامر ببني هاشم، وعدموا القوت، الا ما كان يحمل اليهم سرّاً وخفية. وهو شيء قليل لا يمسك ارماقهم، واخافتهم قريش، فلم يكن يظهر منهم احد، ولا يدخل اليهم احد، وذلك اشد ما لقي رسول الله ﷺ واهل بيته بمكة"[3].

وعن قوله عليه السلام " **واضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ** " فقد يحمل على معنين:

<u>الاول:</u> كان مثلاً ضربه عليه السلام لخشونة مقامهم، وشظف منزلهم ، أي كانت حالهم فيه كحال من اضطر الى ركوب جبل وعر.

<u>الثاني:</u> يجوز أن يكون حقيقة لا مثلا، لان الشعب الذي حصروهم فيه مضيق بين جبلين[4].

هنا سؤال جدير بالطرح : هل المشركون هم من اختار الشعب مكانا لحصار بني هاشم؟

في الواقع ان اختيار الشعب تم بارادة الداخلين فيه ، ولم يكونوا مرغمين على ذلك. ونحن أمام رأيين هما في من اختار المكان من بني هاشم:

١- القمي: تفسير القمي : 1/ 380 . ابن شهر آشوب:المناقب: 57/1.

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر : المحمداوي : ابو طالب : ص 295-296

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : 14/ 59.

٤- ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة : 48/14. المجلسي: البحار: 115/33.

الأول: <u>النبي محمد ﷺ</u>:[1] إن النبي ﷺ هو من اختار مكان الشعب، بعد عزم المشركين على قتله ﷺ، فأشار على عمه ابي طالب عليه السلام في دخول الشعب فوافق على ذلك [2]. وما يؤيد ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام ، وهو يحاجج احد اليهود في دخول نبي الله يوسف عليه السلام السجن قائلا:" لئن كان يوسف عليه السلام حبس في السجن فقد حبس نبي الله ﷺ نفسه في الشعب ثلاث سنين..." [3] .

الثاني: <u>أبو طالب</u>: جاء في رواية " ... فلما بلغ ذلك ابا طالب جمع هاشماً ودخل الشعب ... فحلف لهم بالكعبة ... والحرم والركن والمقام لئن شاكت محمد ﷺ شوكة لاتين عليكم يا بني هاشم وحصن الشعب ... " [4]. ويظهر نسبة الرأي لأبي طالب لأنه كان كبير بني هاشم والقائم بأمورهم، وهو كبير المحاصرين.

وفي هذه المرحلة العصيبة برز دور ابي طالب عليه السلام في اروع المواقف الايمانية الصلبة التي كانت ذات اثر فعال في اجتياز المحنة وتثبيت أركان الدعوة الاسلامية[5].

ولعل اشارة الامام امير المؤمنين عليه السلام السابقة: " ، **فَعَزَمَ اللَّه لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِه، والرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِه** " ، ينطبق على موقف ابيه وموقفه هو عليه السلام في تلك المحنة – اذ فدى النبي ﷺ بنفسه في مبيته في تلك الليالي في محل مبيت النبي ﷺ معرض نفسه للقتل في اية لحظة، كما أشرنا إلى ذلك سابقا ، وفي هذا الموقف الفدائي منه وما عداه من مواقف على طول الخط الرسالي الى جانب النبي ﷺ تتجسد معاني من مقولته الشهيرة : " **أَمَا واللَّه إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا عَجَزْتُ ولَا جَبُنْتُ** "[6].

١- المحمداوي: ابو طالب: ص 294.
٢- المفيد: الفصول المختارة : ص 58.
٣- الطبرسي: الاحتجاج: 1 / 215.
٤- القمي: تفسير القمي: 1/ 380 . ابن شهر آشوب:المناقب: 57/1.
٥- لمزيد من التفاصيل ينظر : المحمداوي : ابو طالب عليه السلام : ص 293-303.
٦- نهج البلاغة : ص70 _ 71.

وفي قول آخر يقول عليه السلام: " **ولَقَدْ وَاسَيْتُه بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ ، الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ ، وتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّه بِهَا** "[1]. وما مواقفه الا صورة مجسدة لشجاعته النادرة في دفاعه عن حياض الاسلام وشخص النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد اشار الامام امير المؤمنين عليه السلام إلى أن موقف بني هاشم كان متميزا في دفاعهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنهم وكافرهم، اذ يقول مبينا دافع كل منهم في مواقفه الدفاعية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " مؤمننا يبغي بذلك الاجر، وكافرنا يحامي عن الاصل ". وفي هذا دلالة على ان بني هاشم الذين حصروا في شعب ابي طالب كانوا صنفين: مؤمنين وكافرين ، وقد اختلف الشراح في بيان شخوص كل صنف [2]. فاما الصنف الاول وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حق الايمان، فانما هم يطلبون الاجر من الله في الصبر على تلك المحنة ومواساة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم والدفاع عنه . واما عن دافع الصنف الثاني وهم الذين بقوا كافرين على دين قومهم، ولكنهم يذبون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحامون عنه ويدافعون عنه لا من حيث العقيدة، بل من حيث الحمية للنسب الواحد والاصل المشترك.

ومن الطريف ما ورد في احدى الروايات حول موقف لأعدى اعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابو لهب الذي لم ينضم الى بني هاشم في هذا الظرف بل ظاهر عليهم، ولكن في موقف نجده يحامي عن اصله، اذ روى ابن اسحاق قائلا: " فلم يُؤثَر عن ابي لهب خير قط، الا ما يروى أن ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي[3]، لما وثب عليه قومه ليعذبوه، ويفتنوه عن الاسلام هرب منهم، فاستجار بابي طالب، وام ابي طالب مخزومية وهي ام عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجاره، فمشى اليه رجال من بني مخزوم، وقالوا له: يا ابا طالب! هبك منعت منا ابن أخيك، فما لك ولصاحبنا تمنعه منا، قال: أنه استجار بي وهو ابن اختي وان انا لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي، فارتفعت اصواتهم واصواته ، فقام ابو لهب ، ولم ينصر ابا طالب قبلها ولا بعدها ، فقال: يا معشر قريش! والله لقد اكثرتم على هذا الشيخ ، لا تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه! اما والله لتنتهُن عنه او لنقومن معه، فيما قام فيه حتى يبلغ ما اراد. فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا ابا عتبة ، فقاموا فانصرفوا ، وكان وليا لهم ومعينا على رسول الله

١- نهج البلاغة : ص422.

٢- ينظر: ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 4 / 432 . حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 17 / 305- 316.

٣- هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، وأمة برة بنت عبد المطلب، اسلم بعد عشرة من المسلمين، وتزوج أم سلمة وهاجر بها إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ومات بعد بدر أو احد. ابن عبد البر: الاستيعاب 2 / 338، ابن حجر: الإصابة : 335/2.

وابي طالب، فاتقوه وخافوا ان تحمله الحمية على الاسلام، فطمع فيه ابو طالب حيث سمعه قال ما قال، وامل ان يقوم معه في نصرة رسول الله ﷺ فقال يحرضه على ذلك:

وإن امـــرأ ابـو عُتيـبـة عـمُه لفى معزلٍ من ان يُسام المظالما

ولا تقبلنّ الدهر ما عشت خطةً تُسبّ بـــها اما هبطت المواسـما

أقـول لـه وايـن مـنه نصيحتي ابـا عُتبـة ثـبّـت سـوادك قـائما[1]

وفي معرض التميز لموقف اهل بيت النبي ﷺ عمن سواهم في تلك الفترة القاسية يقول امير المؤمنين عليه السلام: " ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه، او عشيرة تقوم دونه، فهو من القتل بمكان آمن ". فتفريقه بين الصنفان قائم على أن بعضهم كانوا على حلف وعهد من الكفار، فمن أجل ذلك كانوا آمنين، وبعضهم الآخر لم يكن لهم العهد لكنهم كانوا ذوي عشيرة تقوم دونهم وتمنعهم الاعداء، فالمراد ان البلية انما كانت متوجهة اليه عليه السلام والى سائر بني هاشم وبني المطلب لم يكونوا على عهد، ولم يكن لهم من يقوم دونهم، وبذلك يعلم فضيلتهم في حماية رسول الله وذبه عن كيد الاعداء[2] .

ثم إن الله تعالى سلّط على صحيفتهم التي كتبوها الارضة ، فلم تدع الا (باسمك الله فاغفر) ، فاخبر الله عز وجل بذلك رسوله ﷺ ، فاخبر رسول الله ﷺ عمه ابا طالب عليه السلام ، فخرج ابو طالب في جماعة من رهطه ، حتى وقف على قريش وطالبهم باخراج الصحيفة، واراهم صنيع الله بها وصدق رسوله ﷺ فبهتوا وخابوا واخزاهم الله سبحانه وتعالى[3].

وفي السنة العاشرة من البعثة خرج النبي ﷺ وبنو هاشم من الحصار، وهم اصلب عودا، واغنى تجربة ، واكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذي آلوا على انفسهم أن لا يتخلوا عنه رغم كل الصعاب، وكان من اثر الحصار، أن اشتهر ذكر الاسلام والمسلمين وانتشر في كل ارجاء الجزيرة

١- ابن ابي الحيد: شرح نهج البلاغة : 14/56-57.
٢- حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 17 / 316 .
٣- ابن الأثير: الكامل: 1/ 684.

العربية، وكانت امام رسول الله ﷺ مهام صعبة منها ، الانفتاح بصورة اوسع خارج نطاق مكة ، ومحاولة ايجاد اكثر من مكان آمن تتحرك من خلاله الرسالة الاسلامية[1] .

اذن استتبع اعلان الدعوة العام المواجهة من قبل رموز الجاهلية الذين عبر عنهم عليه السلام بـ " الملأ "، وكانت قريش[2] ببطونها هي المخاطب الاول لدعوة النبي ﷺ، وكانت استجابتها – وهي في الموقع الاجتماعي والسياسي المرموق عند عرب الجزيرة – تشكل منعطفا كبيرا في تقدم الرسالة، كما كان احجامها وتلكؤها يشكل عقبة كؤود امام حركة الرسالة وتطورها [3] وتمخضت دعوتهم الى الايمان بالدعوة عن مرحلتين من المواجهة:

اولا: <u>المواجهة السلمية او الحرب النفسية</u> : المتمثلة بالتعجب والتشكيك وطلب المعجزة والسخرية واتهامه ﷺ بالكذب والسحر كما مر بنا.

ثانيا: <u>التهديد</u> بشتى اشكاله الذي كان تعبيرا عن اخر السهام التي اطلقها الملأ القرشي لضرب النبي ﷺ ودعوته للانتقال من المواجهة السلمية الى المواجهة الساخنة، التي بدأت بإي ذاء وتعذيب المسلمين، ثم انتهت بقرار التصفية الشاملة والسريعة المتمثلة في قتل القيادة وانهاء وجودها وتحركها بشكل تام[4]. وهذا ما اشار اليه عليه السلام بقوله : " **فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا واجْتِيَاحَ أَصْلِنَا**"[5].

كانت ردود فعل النبي ﷺ في كل مرحلة من مراحل المواجهة تتناسب مع اهدافه العليا ومثله وقيم الرسالة التي يريد ارساءها في وجدان ذلك المجتمع، فكان البلاغ المبين والصبر والمقاومة هو الشعار الاول، والهجر الجميل الذي تمثل بالامر بالهجرة حلا للازمة كما كان استمرار المقاومة والدعوة هو الشعار الثاني، وقد خرج النبي ﷺ من المقاطعة الشاملة منتصرا ظافرا بالحماية الالهية، واستمر يبحث

١- المجمع العالمي : اعلام الهداية:103/1.

٢- كان موقف قريش تجاه دعوة النبي ﷺ اتجاها مضادا ومناهضا لدعوته ظنا منهم ان الملك سوف يؤول الى آل عبد المطلب ، ومن ثم ينصاعون تحت زعامته ، وهو ﷺ من ولد عبد المطلب ، وهذا ما اتضح من مقولة ابي سفيان بن حرب للعباس بن عبد المطلب عند فتح مكة : " يا ابا الفضل ، لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما " . القريشي : آل عبد المطلب : ص 108 .

٣- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 111 .

٤- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 112 .

٥- نهج البلاغة : ص 502 .

عن القلوب الواعية حتى امره الله بالهجرة الشاملة ليعد العدة اللازمة لصد العدوان القرشي الذي اخذته العزة بالاثم، وراح يخطط لاطفاء نور الله في الارض ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون[١].

ولكن فجع النبي ﷺ ورسالته الغراء بمضة شديدة اثر فقد حاميها وسندها القوي المنيع ابو طالب عليه السلام ، وكذلك وفاة السيدة خديجة عليها السلام ثاني سندي الرسول الاعظم ﷺ ولشدة اثر فقدهما على النبي ﷺ روي أنه سمى ذاك العام بـ "عام الحزن" [٢]، وقد صرح ﷺ قائلا: " ما زالت قريش كاعة عني حتى مات ابو طالب" [٣]، بل جاء الامر الالهي بوجوب الخروج من مكة ، والبحث عن مأوى آمن بعد غياب ابي طالب[٤].

ثالثاً : مرحلة الهجرة وبناء الدولة

تعد الهجرة ظاهرة من الظواهر ذات العلاقة بالرسالات الإلهية ، وبالتحولات الكبيرة في هذه الرسالات ، ليس باعتبارها راحة، أو تحولا إلى مكان أفضل للاستقرار، والعيش الهني المطمئن ، بل هي من ظواهر المعاناة والابتلاء الذي خص الله سبحانه به من اجتباه لمثل هكذا مهمات وادوار[٥] .

إن ما يبدو من تاريخ الرسالات الإلهية أن الهجرة كانت ظاهرة مهمة لازمت أنبياء كثر، ولا سيما أولوا العزم منهم ، إذ كانت ذات اثر فعّال في تطور البشرية ، وقد مثلت منعطفا مهماً جدا في تاريخ الإسلام تحديدا ، فقد أقامت مجتمعاً ودولة إسلامية . وهذا يعد من خصائص الرسالة الإسلامية التي تميزت بها عن جميع الرسالات الإلهية ، وهو أحد المؤشرات على تكامل هذه الرسالة، إذ إن كل الرسالات السابقة التي جاء بها الأنبياء كان لها دور في تطوير حركة التوحيد، والوصول إلى مستويات كبيرة ومهمة في ترسيخ دعائمه في تاريخ البشرية ، إلا أنها لم توفق إلى إقامة دولة في ظل صاحب الرسالة كما هو حال الرسالة الإسلامية ، التي رسخت دعائم الوحدانية بين الناس ، وتمكنت من إقامة

١- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 112

٢- الزمخشري: ربيع الأبرار: 62/1. الطبرسي: إعلام الورى: 53/1. المقريزي: إمتاع الأسماع: 45/1 .

٣- ابن معين: تاريخ : 1/ 38، الحاكم: المستدرك: 622/2، ابن عساكر: تاريخ دمشق: 339/66.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 29/1.

٥- الحكيم: الرسول الأعظم ﷺ: ص 174.

مجتمع إسلامي ودولة إسلامية ، استمرت فترة طويلة وكان العنوان العام للحكم فيها هو حكم الله رغم كثرة الانحرافات في مسيرتها إلا أنها حافظت على الإطار العام للإسلام [١].

لقد اضطر النبي ﷺ إلى ترك موطنه والهجرة مرارا في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فبعد أن ضيق المشركون عليه ﷺ والمسلمين أذن الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ وأتباعه بالهجرة من مكة بعد أن ضاق الحال بهم ، إذ أوذوا في سبيل الله، ونشر دعوته ، وأصبح لا بد لهؤلاء المعذبين من الفرار بدينهم ، واللجوء إلى مكان آمن يخلصهم من سطوة عتاة قريش ، ولما رأى النبي ﷺ إن دعوته تتعرض لضغوط قوية تمنع من انتشارها ، ومن دخول الآخرين فيها ، فكان لا بد من تحرك جديد، يعطي للدعوة دفعة جديدة، ويجعلها أكثر حيوية وأكثر قدرة على مواجهة الأخطار المحتملة [٢].

هنا كانت الهجرة هي المخرج الوحيد الذي يكفل لهذه الدعوة أن تتنفس الصعداء بعيدا عن مضايقات المشركين ، فكانت الهجرة إلى الحبشة ، إذ هاجر جماعة من المسلمين الأوائل إلى خارج الجزيرة العربية ، وتمكنوا من إيجاد حصن آمن لهم قبالة ضغوط أعدائهم ، ثم كانت هجرة النبي ﷺ والمسلمين إلى المدينة المنورة التي كانت ذات أثر فعال في نشر الدعوة الإسلامية، وتثبيت أركان الدولة الإسلامية.

لا نجد في نهج البلاغة تفاصيل عن هجرته ﷺ الا فيما يخص الاشارة الواردة عن هجرته عليه السلام إلى المدينة والتحاقه بالنبي الأعظم ﷺ بعدما تخلف عنه في مكة بأمر منه ﷺ لـ (يبيت على فراشه، يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه ، حتى تبعد المسافة بينهم وبينه، وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي عنده للناس" [٣]. إذ يقول عليه السلام: " **جَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله ، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ** " [٤] ، فهنا يحكي الإمام عليه السلام ما جرى من حاله في خروجه من مكة إلى المدينة، وقوله : " **جَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله ، فَأَطَأُ ذِكْرَه حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ**"[٥].

١- الحكيم: الرسول الأعظم ﷺ: ص 171- 172.
٢- العاملي: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ: 3 / 265 .
٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13 / 304.
٤- نهج البلاغة: ص 486-487 .
٥- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 3/ 381.

ولو تتبعنا معه عليه السلام ذلك الطريق – كما ذكرته مصادر السيرة – لوقفنا على تلك المنازل والمحال التي سار فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام والذي أبى إلا أن يستتبع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في كل خطوة من خطواته الشريفة، كيف لا وهو القائل :" **وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه** " [1] وقد كان لهذا القول أبعاد أخرى أكثر عمقا وقفنا عليها سابقا

جاء في الروايات : " فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرقط[2] ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل، حتى عارض الطريق أسفل من عسفان[3]، ثم سلك بهما على أسفل أمج[4] ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديدا [5] ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار [6] ، ثم سلك بهما ثنية المرة [1] ، ثم سلك بهما لقفا [2]، ويقال لفتا [3]، ثم أجاز بهما

١- نهج البلاغة: ص406.

٢- هو عبد الله بن أريقط وقيل ابن أرقد الليثي أو الديلي، الشخص الذي استأجره النبي صلى الله عليه وآله وسلم كدليل في هجرته الى المدينة، وقيل بعد ذلك أعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة لنقل من بقي من أهل بيته والمستضعفين، مع أنه كان كافرا ، ولم تشر المصادر هل أسلم فيما بعد، وهل شارك في حروب المشركين ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومتى مات؟. ينظر: ابن سعد: الطبقات : 229/1، 173/3، 62/8. الطبراني: المعجم الكبير: 25/23. ابن عبد البر: الاستيعاب: 4/ 1937. ابن قدامة: المغني: 6/ 39، ابن حجر: الإصابة: 4/ 5 ، فتح الباري186/7. العيني: عمدة القاري: 81/12.

٣- عسفان: لغة من عسفت المفازة ، أي قطعتها بلا هداية ولا قصد، بين مكة والمدينة، وعلى مرحلتين من مكة، وسميت عسفان لتعسف السبل فيها، وهي أحد مناهل الطريق بين مكة والجحفة. الحموي: معجم البلدان : 121/4. الحميري: الروض المعطار: ص421.

٤- أمج: الأمج في اللغة يعني: العطش، يقال : صيف آمج، أي شديد الحر، وقد ورد ذكرها في الشعر العربي. وهي بلد من أعراض المدينة المنورة، وغدت قرية جامعة كثيرة المزارع والنخيل. ينظر: الجوهري: الصحاح 298/1 . البكري: معجم ما استعجم : 190/1 . الحموي: معجم البلدان: 250/1. ابن منظور: لسان العرب: 208/2 . الحميري: الروض المعطار: ص30.

٥- موضع قرب مكة، وهي تصغير قد، وهو مأخوذ من قولهم قددت الجلد، أو هو بالكسر، وهو جلد السخلة، ينسب إليها بعض أهل العلم. ينظر: الحموي: معجم البلدان: 313/4. ابن الأثير: اللباب : 20/3. السيوطي: لب اللباب : ص204.

٦- الخرار: من خرير الماء، أي صوته، وادي في الحجاز، فيه ماء لبني زهير وبدر أبني ضمرة، البكري: معجم ما أستعجم: 2/ 492. ابن منظور: لسان العرب: 234/4. الزبيدي: تاج العروس: 337/6 .

مدلجة لقف[٤] ، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج [٥] ، ويقال مِجَاح [٦] ، ثم سلك بهما مرجح مجاج [٧]، ثم

تبطن بهما مرجح من ذي الغضوين [٨] ، ويقال العضوين ، ثم بطن ذي كشر [٩] ، ثم أخذ بهما على الجداجد [١] ، ثم على الاجرد [٢] ، ثم سلك بهما ذا سلم [٣] من بطن اعدا[٤] مدلجة تعهن [٥] ،

١- ثنية المرة: بفتح الميم، وتخفيف الراء، كأنه تخفيف المرأة من النساء، وهي احدى المحطات التي مر بها النبي ﷺ في طريقه الى المدينة، وهي الى مكة اقرب. الحموي: معجم البلدان : 85/2. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية : 9/ 367 .

٢- لقفا: بفتح اللام أو كسرها، من لقف لقفا، أي تناول الشئ بسرعة، موضع ما بين مكة والمدينة، مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، وقد وردت الإشارة إليها في الشعر العربي. البكري: معجم ما أستعجم : 1161/4. ابن سيده: المخصص : 63/1/4. السهيلي: الروض الآنف : 244/2. الحموي: معجم البلدان: 85/2.

٣- لفتا: الكلام يرسل على عواهنه، أو صرفه صرفا، أو هي التي عن الجهة، أي الإلتفات، وهي ثنية بين مكة والمدينة، ويرى البكري أنهما لقفا ولفتا موضعان متقاربان. البكري: معجم ما أستعجم: 1161/4. الزمخشري: الفائق: 207/3. السهيلي: الروض الآنف : 244/2. الحموي: معجم البلدان : 20/5 . ابن منظور: لسان العرب: 2/ 84 . الفيومي: المصباح المنير: 555/2 .

٤- مدلجة لقف: أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في طريقه إلى المدينة. ينظر: الحموي: معجم البلدان : 55/5 . النويري: نهاية الإرب : 238/16. الذهبي: تاريخ الإسلام : 323/1 .

٥- مجاج: هو وادي بين مكة والمدينة ، قريب من الجحفة، فيه ماء لبني عبدالله بن الزبير أعطاه لأخيه عروة بن الزبير. البكري: معجم ما أستعجم: 1161/4. ابن الأثير: النهاية : 21/2.

٦- مجاح: موضع من نواحي مكة، مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة ، وقد رجح السهيلي والحموي انها مجاح بالحاء وليس مجاج بالجيم. السهيلي: الروض الآنف: 244/2. الإدريسي: نزهة المشتاق: 142/1.الحموي: معجم البلدان: 55/5،

٧- مرجح مجاج: لم تذكر في المصادر إلا في نص ابن هشام وغيره الذي يشير اليها كأحد المواضع التي نزلها النبي ﷺ في طريق هجرته الى المدينة. ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 340/2 . ابن سعد: الطبقات : 232/1 . ابن كثير: السيرة النبوية: 255/2.

٨- ذو الغضوين: بفتح الغين، والضاد، وهي تثنية الغضا، ويقال: العصوين: بالعين والصاد،موضع بين الحجاز والشام، مر به النبي ﷺ أثناء هجرته الى المدينة، وقد وردت الإشارة إليه في الشعر العربي. ينظر: الحموي: معجم البلدان : 206/4.

٩- جبل بين مكة والمدينة، وهو أحد المواضع الذي مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة. الحموي: معجم البلدان :462/4. وينظر: الطبري: تاريخ : 389/2 .

، ثم على العبابيد [٦]، ويقال العبابيب [٧] ، ويقال العيثانة ، يريد: العبابيب ، ثم أجاز بهما الفاجة ، ويقال: القاحة[٨] ، ثم هبط بهما العرج ، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية العائر [٩]، عن يمين

ركوبه، حتى هبط بطن رئم[١٠]، ثم قدم بهما قباء[١١]، على بني عمرو بن عوف"[١].

١- الجداجد: لعلها جمع جدجد، وهي آبار مر بها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة، ويقال بئر جد، أي قديمة، السهيلي: الروض الآنف: 244/2.

٢- الاجرد: الموضع الذي لا نبات فيه، وهو اسم جبل بين مكة والمدينة . البكري: معجم ما استعجم: 1/ 112 . الحموي: معجم البلدان: 101/1-102.

٣- وادي ينحدر على الذنائب، وسوق الذنائب : قرية دون زبيد من أرض اليمن، وبه قبر كليب وائل. ينظر: البكري: معجم ما استعجم: 3/ 749 . الحموي: معجم البلدان: 8/3 .

٤- بطن أعدا: البطن: الغامض من الأرض، وجمعه: بطنان، مثل: عبد وعبدان، موضع بين مكة والمدينة مر به النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، الحموي: معجم البلدان: 448/1.

٥- تعهن: بفتح التاء أو كسرها أو ضمها، عين ماء، على ثلاثة أميال من السقيا، بين مكة والمدينة، وفيها أمرأة يقال لها أم عقى، عندها عين ماء، استسقاها النبي ﷺ فلم تسقه، قيل فتحولت العين إلى صخرة. ينظر: السهيلي: الروض الآنف:244/2، الحموي: معجم البلدان: 35/2 .

٦- العبابيد: جمع عباد، أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في هجرته إلى المدينة، السهيلي: الروض الآنف 245/2. الحموي: معجم البلدان: 73/4.

٧- العبابيب: جمع عباب من عببت الماء عبا، فكأنه مياه تعب عبابا، وهو أحد المواضع التي مر بها النبي ﷺ في هجرته الى المدينة. السهيلي: الروض الأنف: 2/ 245. الحموي: معجم البلدان: 73/4.

٨- اختلف بها بين القاحة (بالقاف والحاء) أو الفاجه (بالفاء والجيم) ، وهي على ثلاث مراحل من المدينة، وقيل هي جبل، بين الجحفة وقديد، وقيل فيها بئران عذبتان، مر بها النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة. الحموي: معجم البلدان: 290/4.

٩- ثنية العائر: العائر يقال هو الرمد ، وقيل هو المتردد ، وقيل الغائر: سهم عائر: هو الذي لا يعرف من رماه؟ واختلف هل هو جبل في المدينة أو لا؟ الحموي: معجم البلدان: 73/4.

١٠- رئم: لغة مفردة آرام ، وهي الضباء البيض ، هو وادي لمزينة قرب المدينة المنورة على بعد ثلاثة أميال عنها، الفراهيدي: العين 295/8. الحموي: معجم البلدان: 114/3، .

١١- قبا أو قباء: قرية على ميلين من مكة على يسار القاصد إلى مكة، فيها مسجد التقوى الذي بناه المهاجرون الاولون والانصار وكانوا يصلون فيه إلى بيت المقدس حتى هاجر النبي وصلى فيه النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة. وينسب إليها عدد من طلبة العلم. الحموي: معجم البلدان 302/4. ابن الأثير: اللباب: 3/ 12.

وفي رواية عنه عليه السلام: " لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدي ودائع كانت عنده للناس ، وإنما كان يسمى الأمين، فأقمت ثلاثا وكنت اظهر، ما تغيبت يوما واحدا، ثم خرجت فجعلت اتبع طريق رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله صلى الله عليه وآله مقيم، فنزلت على كلثوم بن الهدم [٢] وهنالك منزل رسول الله صلى الله عليه وآله"[٣]. وعن قوله عليه السلام: " فأطأ ذكره " قال الشريف الرضي: " من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد إني كنت أعطي خبره صلى الله عليه وآله من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة "[٤] .

أما ابن ميثم[٥] فيرى أن أمير المؤمنين عليه السلام" استعار وصف (الوطيء) لوقوع ذهنه على ذكره صلى الله عليه وآله وخبره من الناس في تلك الطريق كوقوع القدم على الأرض ، ووجه المشابهة إن الخبر عنه صلى الله عليه وآله وذكره طريق حركات قدم عقله إلى معرفة حسه صلى الله عليه وآله كما أن المحسوس طريق لحركات قدمه إلى الوصول إليه ، وقيل: أراد بذكره ما ذكره لي ووصفه من حال الطريق، والأول أسبق إلى الفهم ".

في حين قال ابن منظور في معناه: " أراد: إني كنت أغطي خبره من أول خروجي إلى إن بلغت العرج... فكنى عن التغطية والإيهام بالوطء، الذي هو ابلغ في الإخفاء والستر "[٦].

ويستوقفنا هنا إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى موضع " العرج " الذي انتهى إليه في مسيره بأثر رسول الله صلى الله عليه وآله: فلماذا خص أمير المؤمنين عليه السلام هذا الموضع (العرج) بالذكر؟ فكما ظهر لنا إن هذا

١- ابن هشام: السيرة النبوية : 2/103-104. ابن بريال: تاريخ ابن بريال: 1/401- 404، الذهبي: تاريخ الإسلام: 1 / 322- 323 .

٢- ابو قيس كلثوم بن الهدم بن أمرؤ القيس الأنصاري احد بني عمرو بن عوف، أسلم قبل هجرة النبي صلى الله عليه وآله، وكان شيخا كبيرا، اقام عنده النبي صلى الله عليه وآله أربعة أيام إبان هجرته إلى المدينة، يعرف بصاحب رحل رسول الله، ونزل عنده عدد من المهاجرين وهم في طريقهم إلى المدينة ، وهو أول الصحابة موتا، مات قبل بدر بيسير . ينظر: ابن سعد: الطبقات :623/3. ابن عبد البر: الاستيعاب : 42/1، 1327/3. الذهبي: سير أعلام النبلاء: 1/ 242.

٣- ابن سعد:الطبقات: 3 / 22. ابن عساكر : تاريخ دمشق: 42 / 69 . المتقي الهندي: كنز العمال: 16 / 685 .

٤- نهج البلاغة: ص 487.

٥- شرح نهج البلاغة: 4 / 381.

٦- لسان العرب: 1 / 196.

المكان لا يزال يبعد عن المدينة، أو عن موضع نزول رسول الله ﷺ في قباء وقد وردت الروايات انه ﷺ أبى دخول المدينة قبل وصول أمير المؤمنين عليه السلام إليه، وبالفعل فقد دخلاها معا[1].

ولكن لم أشار الإمام عليه السلام إلى موضع " العرج " هل ثمة أمر قد حصل فيه استوجب منه هذا التوقف فيه ولو إن الشريف الرضي قد أتم لنا نقل ذلك الخبر بالتمام لاتضحت لنا أمور أخرى، إذ إن الشريف الرضي – وكما هو ظاهر– قد اقتطع هذا النص من حديث طويل ، كما أشار بقوله" في كلام طويل"، لأنه انتقى منه ما اشترطه في منهجه بانتخاب ما كان في قمة البلاغة فقط.

لقد كانت البيئة المكية غير صالحة لاقامة الدولة الاسلامية عليها ، فضلا عما لاقاه اتباع الدين الجديد من اضطهاد مرير من قبل عتاة مكة ، فكان على القيادة الحكيمة ان تبحث عن ارض صالحة لتحقيق هذه المهمة تتكفل تجسيد الرسالة الاسلامية في الحياة الانسانية ، وتقديم النموذج الذي يريده الله للاسلام على يد رسوله الامين ﷺ ، ومن هنا لاحظنا اهتمام النبي ﷺ بالهجرة الى الطائف ، وطلب النصرة والحماية لاقامة دين الله في الارض ، وحين احجمت الطائف عن تقديم النصرة لرسول الله ﷺ والدفاع عنه امام قريش ، اخذ يبحث عن بيئة اخرى فكانت يثرب خياره الوحيد في هذا المضمار .

وقد كانت " يثرب " بما توافر فيها من مقومات اقامة الدولة هي العاصمة الاسلامية للدولة المحمدية ، اذ اجتمعت فيها القاعدة الشعبية التي لمس منها النبي ﷺ قبولا لدعوته بعد البيعة [2]، وشكلت مع من هاجر اليها " شعباً " مؤمناً برسالته ﷺ ، فضلا عن وجود قيادة إلهية حكيمة تدير الامور وترعى عملية نشر الدعوة، الى جانب وجود دستور إلهي يحكم وفق أساسياته، وبهذا اجتمعت اهم عناصر تكوين الدولة من " شعب " و " سلطة " و " دستور " .

١– قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِعَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ حِينَ أَقْبَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَيْنَ فَارَقَه؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِلَى قُبَا فَنَزَلَ بِهِمْ يَنْتَظِرُ قُدُومَ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ لَه أَبُو بَكْرٍ: انْهَضْ بِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ فَرِحُوا بِقُدُومِكَ وهُمْ يَسْتَرِيثُونَ إِقْبَالَكَ إِلَيْهِمْ فَانْطَلِقْ بِنَا ولَا تَقُمْ هَاهُنَا تَنْتَظِرُ عَلِيّاً فَمَا أَظُنُّه يَقْدَمُ عَلَيْكَ إِلَى شَهْرٍ. فَقَالَ لَه رَسُولُ اللَّه ﷺ: كَلَّا مَا أَسْرَعَه! ولَسْتُ أَرِيمُ حَتَّى يَقْدَمَ ابْنُ عَمِّي وأَخِي فِي اللَّه عَزَّ وجَلَّ وأَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ فَقَدْ وَقَانِي بِنَفْسِه مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قَالَ: فَانْطَلَقَ أبا بكر حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، وتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِقُبَا يَنْتَظِرُ عَلِيّاً عليه السلام. ينظر: الكليني: الكافي 340/8. ابن بريال: تاريخ ابن بريال : 1/ 404 . ابن سليمان الحلي: المحتضر :ص106. البحراني: حلية الأبرار: 159/1. المجلسي: مرآة العقول: 26/ 499.

٢– عن تفاصيل بيعة العقبة الاولى والثانية ينظر ابن هشام : السيرة النبوية :57/2– 85 .العاملي : الصحيح من سيرة النبي الاعظم :127/4 –147 .

اذن في المدينة قد تكاملت ملامح الخطوط العامة للدولة ، والنظام السياسي والاجتماعي ، وتكوّن اول مجتمع سياسي اسلامي ولاول مرة في التاريخ ، اذ قام ﷺ بعد دخوله المدينة بوضع اسس مقومات دولته وعمل على تنظيم ادارة الجهاز الحكومي وتطبيق النظريات المثالية وتنزيلها منزلة الواقع ، باسلوب فريد اوحدي لم تعهده أي دولة .

كان ﷺ نبياً ومبلغاً عن الله تعالى ، كما كان حاكما وقائدا محنكا يمارس رئاسة الدولة وقيادة الجيش ومسؤولية القضاء ، وادارة شؤون المسلمين في المجتمع الجديد الذي بُني على اسس فريدة ويمكن ايجاز ابرز سمات الدولة المحمدية:

1 -تقرير العبودية لله وحده ، فلا يعبد سواه من آلهة البشر والمال والاصنام . ومن ثم صناعة النظام الاجتماعي المتعاون والمتكامل الفاضل .
2 -اعطي النبي ﷺ كافة الصلاحيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وذلك لقوله تعالى ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [1] وقوله ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [2]﴾ الى غيرها من الآيات القرانية التي تنضوي تحت هذا المضمار الذي تحظر فيه الفواحش والمنكرات، ومجتمع الاخوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعدل اساس المجتمع ، ولا يكون التفاضل على اساس العصبية والجاه والمال بل على اساس التقوى ومن ابرز الخطوات التي انتهجها النبي ﷺ في بناء دولته الالهية ووفق ما وردت الاشارة اليه في مظان كلام الامام عليه السلام :

- **-التشريع :**

يعد التشريع (السياسي والمالي والقضائي والاداري والمدني) من اهم مقومات الدولة والمجتمع الانساني المتحضر، وقرر القرآن للبشرية ان مجتمعهم مجتمع قانوني، وان ما انزله الله هو كتاب شامل ودائم ولم يترك شيئا تحتاجه الامة الا بينة او ثبت اساسه، واحال على الرسول ﷺ ايضاحه وتفصيله[3]. يقول الامام امير المؤمنين عليه السلام : " **وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّه أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَه ولَكُمْ ، فِيمَا**

١- سورة الاحزاب الاية 6 .
٢- سورة النساء الاية 59 .
٣- سالم الصفار : سيرة الرسول ﷺ في القيادة والمناهج الانسانية : ص27.

أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِه دِينَه الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِه، وأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِه مَحَابَّه مِنَ الأَعْمَالِ ومَكَارِهَه، ونَوَاهِيَه وأَوَامِرَه " [1] .

قامت الدولة الاسلامية في المدينة على التشريعات القرآنية، فنزلت آيات العبادات والجهاد والعقوبات والخمس والزكاة والمواريث والعلاقات الاجتماعية كالزواج والطلاق والنفقة والعلاقة بغير المسلمين وشؤون المال والتجارة وغيرها من التشريعات التي لبت حاجة المجتمع الجديد في ظل حاكمية الله تعالى المتمثلة بشخص النبي ﷺ واغنت السنة النبوية التشريع الاجتماعي بالفعل والممارسة التطبيعية والاقدار، اضافة الى البيان اللفظي للاحكام والقوانين والاجتماعية اللازمة لتنظيم المجتمع، ولقد اصبحت تلك الاحكام والاسس مصدراً للفقه والاجتهاد في هذا المجال فيما بعد [2].

- **المؤاخاة:**

في اشارة للامام امير المؤمنين عليه السلام عن دور النبي ﷺ في تأليف المجتمع وفق نظام الهي جديد يقول عليه السلام: " **وأَلَّفَ بِه الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ ، والضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ** " [3] وفي موضع آخر قال عليه السلام : " **دَفَنَ اللَّه بِه الضَّغَائِنَ، وأَطْفَأَ بِه الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِه إِخْوَاناً، وفَرَّقَ بِه أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِه الذِّلَّةَ، وأَذَلَّ بِه الْعِزَّةَ** "[4]، ويمكن ان يفهم من هذا النص في احد ابعاده التآخي الذي اقره الدين الاسلامي بين المسلمين بعد تلك الخلافات والحروب الدامية فيما بينهم. اذ كان له ﷺ الدور الريادي في تحكيم اواصر المسلمين في مجتمعهم الجديد وذلك من خلال المؤاخاة التي عقدها بين المسلمين التي الف فيها بين القلوب المتنافرة وأزال البغضاء ، لتنطلق الدولة على اسس وقواعد متينة ، وبناء اجتماعي راسخ متماسك يقوم على اساس التعاون والتأخي والحب والايثار ، وهذا ما اشار اليه الباري عز وجل في محكم كتابه اذ يقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [5] .

- **بناء القوة العسكرية:**

١- نهج البلاغة : ص137.

٢- الصفار: سيرة الرسول ﷺ : ص 27 . وينظر: وحدة تاليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام: 1 / 163 – 164 .

٣- نهج البلاغة : ص 483 .

٤- نهج البلاغة: ص178– 179.

٥- سورة الحشر الاية 9 .

ومن اهم خطواته ﷺ في طريق بناء الدولة تكوين الجيش عملا بالاذن الالهي ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[1] وانطلاقا من قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2]، وانتصارا للدهوة الفتية التي بشر الله تعالى بانها ستكون ظاهرة على كل الشرائع ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [3] ، خاض النبي ﷺ معارك ضد المشركين، وقد شارك ﷺ في قيادة جيش المسلمين، وكان قائدهم الذي لايجارى في شجاعته [4] وحنكته وسياسته العسكرية [5] التي اذهلت العقول ، وبفضل كل ذلك كان النصر حليف المسلمين في اغلب تلك المعارك.

ولم ترد الاشارة في نهج البلاغة الا في غزوة بدر [6] واحد[7] وسرية مؤتة[1]، وقد مر بنا بضعة صور من من جهاد المسلمين في المعارك التي خاضوها [2].

١- سورة الحج الاية 39- 41 .

٢- سورة الانفال الاية 60 .

٣- سورة التوبة الاية 33 .

٤- ومثيل ذلك اشارة الامام عليه السلام بقوله : " **كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْه** " نهج البلاغة: ص503.

٥ – لمزيد من التفاصيل عن المنهج النبوي في الجانب العسكري ينظر: الصفار: سيرة النبي في القيادة: ص 49 – 82 . جابر: الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول ﷺ : (الصفحات جميعها) .

٦- وذلك في كتابه عليه السلام الى معاوية: " **فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ – قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ** " وايضا حول مقتل عبيدة بن الحارث : " **فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ**".

٧- ذكر ذلك عليه السلام في محادثة له مع رسول الله ﷺ يظهر تشوقه عليه السلام للشهادة : " **فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ، حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، ولَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ**" **نهج البلاغة: ص289.** وأيضا اشارته لمقتل الحمزة عليه السلام : " **وقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ**" نهج البلاغة : ص503.

ومن اشاراته القيمة عليه السلام حول بعض معالم سيرته صلى الله عليه وآله الحربية:

أ -اشار عليه السلام انه كان اقرب المسلمين الى العدو وانه كان ملاذهم اذا احمر البأس واشتد الضراب. وان منهجه كان يقوم على تقديم اهل بيته عليهم السلام قبل غيرهم للجهاد ومبارزة الاعداء. وقد " جاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر" وقد كان في جهاده النموذج الامثل الذي تخطى المقاييس والامثلة، اذ تفانى في مقارعة اعداء الله، و" **وقَاهَرَ أَعْدَاءَه جِهَاداً عَنْ دِينِه، لَا يَثْنِيه عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِه، والْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِه**" لان الله أبى الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

ب -ان سيرته الحربية لم تبتن على التغلب والتسلط بل كانت لنجاة الانسان من الضلال: " **فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، ويُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ**"[3].

ج -مراعاته للجند وحرصه على تتبع امورهم ومعاملتهم بانسانية ملؤها الرحمة والشفقة " **يَحْسِرُ الْحَسِيرُ ويَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْه حَتَّى يُلْحِقَه غَايَتَه، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيه، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، واسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ** "[4] .

اساليب النبي صلى الله عليه وآله في دعوته

لقد كانت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله رسالة تغييرية اجتماعية، فلا بد ان تنفذ الى اعماق الفكر والنفس الانسانية وتستخرجها من ظلمات الوهم والجاهلية والعصبية الى نور العلم والمعرفة والايمان واليقين ، والى نور القيم الرفيعة السامية[5]. لذا في عدة مواضع من كلام الامام عليه السلام نجده واصفا النبي صلى الله عليه وآله بصفات تعكس اثر وجوده الطيب المبارك الذي اصلح حال المجتمع ونقله تلك النقلة النوعية الفريدة، إذ يصفه قائلا: " **أَضَاءَتْ بِه الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، والْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ والْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ** "[6]

١- اذ اشار عليه السلام الى مقتل جعفر عليه السلام فيها: " **وقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ** " نهج البلاغة : ص503.

٢ - ينظر الفصل الثاني: ص 169 - 170.

٣- نهج البلاغة : ص 198.

٤- نهج البلاغة : ص198.

٥- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 122 .

٦- نهج البلاغة : ص 275.

وفي موضع آخر نراه يقول : " **حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ ، وأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ**" [1] " **سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُه ، وشِهَابٌ سَطَعَ نُورُه ، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُه**" [2] الى غيرها من النصوص التي تناثرت في طيات هذا البحث.

وكان من الطبيعي ان تختلف منطلقات و أساليب وألوان المواجهة من قبله ﷺ تجاه قومه وسائر من شملته دعوته الى الايمان بنبوته، والتي يمكن تقسيمها الى محاور ثلاث:

المحور الاول: اسلوب النصح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

يقول عليه السلام : " **فَبَالَغَ – صلى الله عليه وآله – فِي النَّصِيحَةِ، ومَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، ودَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** "[3] . هذا النص يتضمن الاشارة الى منهجين من مناهج النبي ﷺ في دعوته:

الاول: المبالغة في النصيحة: النصح: تحري فعل او قول فيه صلاح صاحبه، ونصحت له الود، أي اخلصته. والنصح هو الخلوص من الغش، فهو يقابل الغش سواء كان في قول او عمل او أي امر آخر، واما الخلوص : فيلاحظ فيه التصفية عن الشوب، فهو انما يتحصل بعد التنقية والتصفية، ومن مصاديقه: في العمل: كالخدمة والتبليغ في الله بخلوص وصدق . وفي القول: كإبلاغ الاحكام وذكر الحقائق الالهية[4].

وقد تحدث القران الكريم عن مواقف الانبياء في مقام النصح لاقوامهم في آيات عدة [5] ، وكان من وظائفهم ابلاغ ما امروا به في مقام الرسالة، والعمل الناصح الخالص المؤدي الى السعادة . وهذه حقيقة قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾.[6]

١- نهج البلاغة : ص 197.
٢- نهج البلاغة : ص 176.
٣- نهج البلاغة : ص 178.
٤- حسن مصطفوي : التحقيق في كلمات القران الكريم : ص 137.
٥- منها قوله تعالى : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ الاعراف 62 . وقوله ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ الاعراف 79 ، وقوله ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ هود 34 .
٦- سورة الجمعة الاية 3 .

وكلام امير المؤمنين عليه السلام عن دور النبي صلى الله عليه وآله في هذا المجال واضح في انه قد ادى ذلك على اتم وابلغ وجه ، بدليل قوله " فبالغ " في النصيحة أي اخلص تمام الاخلاص . وتجدر الاشارة الى ان من آداب النصح اخذ المنصوح بالرفق ولين الكلام وعدم التقريع [1]. وهذا قد تحقق في منهج النبي صلى الله عليه وآله وطريقة تعامله بالرأفة والرحمة والمداراة لمن حوله حتى استجلب القلوب والعقول اليه ، بدلالة قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [2] وقد مر بنا الاشارة الى سجية من سجاياه صلى الله عليه وآله وهي " الرحمة " [3] التي من مصاديقها هذه الاساليب الرحيمة مع من حوله صلى الله عليه وآله .

الثاني: دعا الى الحكمة والموعظة الحسنة: امتثالا لأمر الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[4]. الحكمة هنا بمعنى العلم والمنطق والاستدلال ، فاول خطوة على طريق الدعوة الى الى الحق هي التمكن من الاستدلال وفق المنطق السليم ، او النفوذ الى داخل فكر الانسان ومحاولة تحريك وايقاظ عقولهم، كخطوة اولى في هذا الطريق[5].

وقيل في معنى الحكمة هنا وجوه عدة : القرآن ، وسمى القرآن حكمة لانه يتضمن الامر بالحسن والنهي عن القبيح ، واصل الحكمة المنع ، ومنه حكمة اللجام ، وانما قيل لها حكمة لانها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي ان يختار، وقيل: ان الحكمة هي المعرفة بمراتب الافعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد ، لانه بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الافعال والاقوال[6].

اذ كان من اهم اساليب النبي صلى الله عليه وآله المحاججة بالبراهين والادلة المنطقية والعقلية ، وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: " **أَرْسَلَه بِوُجُوبِ الْحُجَجِ**" [7]، **وقوله:** " **أَرْسَلَه بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ومَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ**

١- ابن ميثم : شرح مئة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام : ص 150 .
٢- سورة آل عمران الاية 159 .
٣- ينظر الفصل الثالث : ص 287 – 289 .
٤- سورة النحل الاية 125 .
٥- ناصر مكارم الشيرازي : الامثل : 8 / 269 .
٦- الطبرسي : مجمع البيان : 6 / 210 – 211 . وينظر : حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة : 7 / 92 .
٧- نهج البلاغة : ص 361.

ودَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ" [1] التي توافرت في كتاب الله " القران الكريم " وهو الناطق الذي لا يعيا لسانه كما وصفه عليه السلام [2] .

وبين عليه السلام انه من اهم ادوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التغيير والاصلاح: " **ابْتَعَثَه بِالنُّورِ الْمُضِيءِ والْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، والْمِنْهَاجِ الْبَادِي والْكِتَابِ الْهَادِي**" ، وفي قول: " **إنَّ اللَّه بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وأَمْرٍ قَائِمٍ**" ويقول عليه السلام : " **ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْه الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُه**".

كان القران الكريم باسلوبه المنطقي ومنطقه الرائع وبلاغته الفائقة يجيب على التساؤلات ويقدم الحجج والبراهين للعقل الانساني ويبشر وينذر ويرسم للانسان آفاق المستقبل الذي ينتظره بعد هذه الحياة الدنيا[3].

وقد كان الهدف الاول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو البناء العقيدي على اساس متين ، وقد سعى لتحقيقه بشتى الطرق ، وقد افلح في ذلك حينما قرن حججه الدامغة بالحلم والصبر والجهاد المستمر في الدعوة مهما قست الظروف عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

اما الخطوة الثانية فاستخدام اسلوب " الموعظة الحسنة " وهو نداء وحث روحاني يعلو بالانسان نحو الكمال ، ويدعوه الى ترك ما عليه من سوء وغفلة، وعدم الخروج عن الغاية والهدف من الخلقة[4]. ولاهمية ولاهمية هذه الطريقة في الهداية، امر الله تعالى نبيه بان تكون دعوته مقترنة بالموعظة الحسنة، وذلك لما لها من اثر فعال ودقيق على تحريك وجدان وعاطفة الانسان. وان تقييد " الموعظة " بقيد " الحسنة " لعله اشارة الى ان النصيحة والموعظة انما تؤدي فعلها على الطرف المقابل اذا خليت من اية خشونة ، او استعلاء وتحقير التي تثير فيه حس العناد واللجاجة وما شابه ذلك [5]. فالدعوة بالحكمة تعني الدعوة

١- نهج البلاغة : ص302.

٢- اشارة الى قوله عليه السلام: " **وكِتَابُ اللَّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُه** " نهج البلاغة :ص250.

٣- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 /122 .

٤- مكتبة الروضة الحيدرية : الموعظة في نهج البلاغة : ص 5 .

٥- الامثل : 8 / 269 – 270 .

بالبرهان والدعوة بالموعظة تعني الدعوة بالخطابة [1] و" الحكمة " تستثمر البعد العقلي للانسان ، و" الموعظة الحسنة " تتعامل مع البعد العاطفي له[2] .

المحور الثاني: استخدام القوة والمواجهة العسكرية.

لما اسس النبي ﷺ دولته المباركة على قاعدة ايمانية صلبة استخدم الى جانب المنطق سلاح القوة دفاعا عن كيانه الفتيّ، ومقابلة السلاح بالسلاح والقوة بالقوة بعد ان يئس من جدوى سائر الوسائل التي استخدمها في العهد المكي إذ تمادى المشركون في العناد واللجاج ، فكانت القوة هي الاداة الوحيدة التي يفهمها العدو، حتى استطاع ان يرفع الحواجز المادية التي كانت تكبل كثيرا من العقول والنفوس وتمنعها من العود الى فطرتهما النقية واختيار طريق الاسلام الزقي.[3] يقول عليه السلام: " **فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَه مَنْ عَصَاه** " [4] " غَيْرَ نَأكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ " [5] و" **فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّه ، غَيْرَ وَانٍ ولَا مُقَصِّرٍ، وجَاهَدَ فِي اللَّه اللَّه أَعْدَاءَه ، غَيْرَ وَاهِنٍ ولَا مُعَذِّرٍ**"[6].

وقد كان ﷺ باساليبه العسكرية الفذة قد اعطى النموذج القيادي الامثل في استخدام القوة مع العدو.

١- ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : 2 / 530 .
٢- الامثل : 8 / 269 .
٣- وحدة تأليف الكتب الدراسية : تاريخ الاسلام : 1 / 123 .
٤- نهج البلاغة : ص 192.
٥- نهج البلاغة ص107.
٦- نهج البلاغة : ص 225 – 226.

الفصل الخامس

السنة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الاول : مفهوم السنة النبوية ومكانتها :

المبحث الثاني : السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الثالث : دور أمير المؤمنين عليه السلام في إحياء السنة النبوية .

الفصل الخامس
السنة النبوية في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الاول
مفهوم السنة النبوية ومكانتها

- معنى السنة ، لغة ، واصطلاحا.

السنة لغة : مأخوذة من (سنّ) ، السين والنون أصل واحد مطرد ، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة ، والأصل قولهم : سننت الماء على وجهي ، أسنهُ سناً ، إذا أرسلته إرسالا [1] . إن الذي يبدو من معاجم اللغة أن هناك شرحين لهذه المفردة يختلفان سعة وضيقا:

الأول: تعني الطريقة ، دون تقييد هذه الطريقة كونها محمودة أو مذمومة أونحوهما.

الثاني: خصوص الطريقة المحمودة المستقيمة[2].

يبدو إن إطلاق معنى السنة لغة وتجريده من قيد التحسين والذم هو الأصح ، وإن اقتران مفهوم الحسن بالسنة إنما جاء وليدا للثقافة الإسلامية في ثنائيتها التي قدمتها تحت عنوان: السنة والبدعة ، وإلا فتحرير المفردة من الثقل الإسلامي الذي حملته بعد البعثة النبوية يستدعي فهم السنة على أنها مطلق الطريقة[3].

أما السنة اصطلاحا: هي ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولا، أو فعلا ، أو تقريرا . وهي ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم . أو نهى عنه ، أو ما ندب إليه ، والمندوب ينطق به الكتاب العزيز[4].

١- ابن فارس: المعجم : 3/ 60.

٢- الزبيدي: تاج العروس : 9 / 244. وينظر: الجوهري: الصحاح : 5/ 2138 -2139. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 2/ 54 . سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص184.

٣- حيدر حب الله: حجية السنة: ص 27- 28.

٤- ابن الأثير: النهاية :2 / 409. وينظر: سبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء :88/1، الحديث النبوي بين الرواية والدراية : ص5 ، 9 .

أما مدلول السنة الاصطلاحي ، فلها تحديدات تضيق وتتسع بحسب تعريف المصطلحين، فهي في عرف الفقهاء: الطريقة الشرعية . فتكون أعم من الواجب والمندوب، وقد تطلق كثيرا على الفروض [١]. وتطلق أيضا على ما يقابل البدعة، و يراد بها كل حكم يستند إلى أصول الشريعة في مقابل البدعة ، وربما استعملها الكلاميون بهذا الاصطلاح [٢]. أماالأصوليون فقد اختلفوا في مدلولها سعة وضيقاً مع اتفاقهم على صدقها على (ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير)[٣]. ويضيف أهل الحديث (أو صفة)[٤].

ويلحق بالسنة قول الصحابي [٥] و أئمة أهل البيت عليهم السلام[٦].

□ -مكانة السنة النبوية

تعد السنة النبوية ثاني مصدر للتشريع في الإسلام بعد القرآن الكريم ، وحجيتها من أكبر ضروريات الدين عند المسلمين[٧]. وقد جاءت الحاجة إلى السنة النبوية لأن الكتاب العزيز ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[٨]، كما أن القرآن ليس متكفلاً بيان جميع الأحكام ، ولا بخصوصيات ما تكفل بيانه من العبادات كالصلاة والصوم والحج والزكاة فلم يتعرض لبيان الأجزاء والشرائط والموانع [٩]. والموانع[٩]. ولذا قال سبحانه مخاطبا رسوله الكريم : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

١- أبو حبيب: القاموس الفقهي: ص 184.

٢- محمد تقي الحكيم: الأصول العامة للفقه المقارن: ص 121.

٣- الطريحي: مجمع البحرين : 2 / 436. لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية : ص8 _ 20. الجواهري: بحوث في الفقه المعاصر: 13/1، قلعجي: معجم لغة الفقهاء: ص177.

٤- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص6. الباجي: التعديل والتجريح 14/1. عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: 57/1- 556 . قلعجي: معجم لغة الفقهاء : ص140 – 177. مركز المعجم الفقهي: المصطلحات : ص957.

٥- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية : ص6، المناوي: فيض القدير :171/1، ان نظرة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد سنجد أن هناك آلاف من الاحاديث تنتهي إلى الصحابة لذا تعد من السنة الملحقة بسنة النبي صلى الله عليه وآله. ولمزيد من التفاصيل عن سنة الصحابة ينظر: محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية : ص21_ 29 .

٦- ينظر: المجلسي: ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار : 20/1. محمد تقي الحكيم: السنة في الشريعة الإسلامية : ص29- 75. سنة أهل البيت عليهم السلام : ص5. غفاري: دراسات في علم الدراية: ص12.

٧- لمزيد من التفاصيل ينظر: . محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ص 199 – 251. حب الله: حجية السنة : ص9 وما بعدها .

٨- سورة آل عمران الآية 7.

٩- السيد الخوئي: معجم رجال الحديث: 1/ 20.

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[2]

إن ظاهر الكتاب لا يغني الأمة عن السنة ، وهي لا تفارقه حتى يردا الحوض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحاجة الأمة إلى السنة لا تقل عن حاجتها إلى الكتاب ، وأنها في مجالات الاستدلال صنو الكتاب وفي رتبته ، بل هما واحد من حيث انتسابهما إلى المشرع الأول وهو الله عز وجل ، ولا يمكن الاستغناء به عنها [3]، بل ذهب الاوزاعي [4] للقول:" الكتاب أحوج إلى السنة ، من السنة إلى الكتاب"، وذلك لأنها تبين المراد منه. ولما سئل ابن حنبل عن الرأي الذي يذهب إلى أن السنة قاضية على الكتاب، قال: " ما أجسر على هذا أن أقوله ، ولكن السنة تفسر الكتاب ، وتعرف الكتاب وتبينه" [5]، وروي أن جبرائيل كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن [6]. وليس القول بأهمية السنة النبوية وحجيتها وتبيينها للقرآن من القول الجزاف ، وبلا دليل يركن إليه ، فقد دلت نصوص قرآنية وأحاديث نبوية على ذلك كما سيأتي بيانه إجمالا:

أولا : في القرآن الكريم:

إن منزلة السنة النبوية وأهميتها نابعة من منزلة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهميته ، لأنها ثمرة من ثمرات وجوده المقدس، وعليه فلا يمكن معرفة أهميتها إلا إذا تعرفنا على منزلة نفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهميته، وهذا الأمر قد تكفلت به الآيات القرآنية على أكمل وجه، فقد تحدثت كثير من آيات الكتاب العزيز عن الموقعية الدينية التي يمثلها شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعن قداسة كل ما يصدر عنه من

١- سورة النحل الآية 44.

٢- سورة النساء الآية 83.

٣- محمد تقي الحكيم: الأصول العامة: ص 250- 251.

٤- الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو، من قبيلة الأوزاع، ولد في بعلبك سنة 88 هـ، ونشأ في البقاع، ثم سكن بيروت حتى توفي فيها سنة 157 هـ، يعد إمام الديار الشامية في الفقه، له عدة مؤلفات في الفقه حتى دان أهل الأندلس بمذهبه إلى أيام الحكم بن هشام. ينظر: ابن سعد: الطبقات : 7/488. ابن خياط: طبقات: ص577. ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار : 285-286. السمعاني: الأنساب : 1/ 227. ابن عساكر: تاريخ دمشق :35/147- 229. ابن خلكان: وفيات الأعيان :3/127 – 128. الذهبي: تذكرة الحفاظ :1/178 _ 183. سير أعلام النبلاء 7/ 107 – 134 . الزركلي: الأعلام: 3/320. بالنثيا: تاريخ الفكر الاندلسي: ص465.

٥- ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله :2 / 191- 192.

٦- الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية: ص 27.

قول أو فعل أو تقرير، وهذا ما نتلمسه من الآيات القرآنية الدالة على وجوب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم[1]، كذلك دعت الآيات القرآنية إلى ضرورة التأسي بكل حركات هذه الشخصية العظيمة وسكناتها والاقتداء بها ، إذ وصفته بأكمل أنواع الوصف وبما لم يوصف به نبي ولا رسول قبله. فقد وصفه الله تعالى في كتابه بأنه على خلق عظيم في قوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2]، وبالسراج المنير الذي يمد الناس بالهداية في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [3]. ولم يكتف عز وجل بهذا التعظيم والتبجيل لشخصه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن بل اوجب على المؤمنين تعظيمه وتبجيله وتوقيره، رافضا التعامل معه على انه فرد مثل بقية الافراد ، ومن ذلك ما أمر به سبحانه المؤمنين أن لا يخاطبوه كمخاطبة بعضهم لبعض وألزم عليهم أن يوقروه [4]، وأمرهم أن لا يرفعوا أصواتهم أصواتهم فوق صوته ، ثم هدد من يرفع صوته بحبط العمل وضياع الإيمان [5]، وألزم الأمة بضرورة

١- كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ سورة النساء الآية 61، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ سورة النساء الآية 136 ، وقوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ سورة الاعراف الآية 158، وقوله: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ سورة التوبة الآية 91، ، ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ *وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمَ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾سورة النور الآية 62، وكذلك قوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ . سورة الفتح الآيتان 8 –9 ، وقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ سورة الحجرات الآية 15.

٢- سورة القلم آية 4 .

٣- سورة الأحزا ب 45 – 46.

٤- قال سبحانه ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سورة النور الآية 63 .

٥- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ سورة الحجرات الآية 2 .

الإيمان به، على أساس أن الإيمان به يعني التصديق به والإذعان برسالته وبما جاء من عند الله سواء جاء في الكتاب أم لا، ولا اقل من أن عدم إتباعه ينافي الإيمان به والتصديق[1].

لقد أكدت الآيات القرآنية على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإن طاعته من طاعة الله [2]، وتؤكد على الإيمان بكل ما جاء به وبكل ما قاله ، وإلا لا يكون التصديق تاما ، ولا الإيمان كاملا ، ومن الواضح إن إطلاق لزوم الإيمان والتصديق معناه الأخذ بكل ما صدر عنه صلى الله عليه وآله وسلم. فيما تأتي آيات أخرى تدل على مدح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في خلقه ووظائفه والأوامر الإلهية التي وجهت إليه ، وإذا رصدناها وجدناها التوكل على الله [3]، والهداية إلى الصراط المستقيم والدعوة إليه [4]، والحكم بين الناس بما انزل الله [5]، وعدم وعدم إتباع أهواء الكافرين [6] وتبليغ ما نُزل إليه [7]، وانه على شريعة من الأمر [8]، وغيرها من الدلالات المنضوية تحت هذه المفاهيم التي يتبين منها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو معيار الهداية والرشاد [9]. ولذا أوجب الله تعالى على الأمة طاعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بشكل مطلق[10]. وقرن الله طاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما يوجب الإلزام

١- من ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ سورة التغابن الآية 8 ، وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ سورة الفتح الآية 13.

٢- كما ورد في الآيات التالية: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية 32. ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ سورة الأنفال الآية 46، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ، سورة الأنفال الآيتان 20 . 21، وقوله﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ سورة المائدة الآية 92، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ سورة النساء الآية 59، وقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ سورة التغابن الآية 12 ، وقوله : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ سورة الأحزاب الآية 66.

٣- سورة النمل آية 79 .

٤- سورة المؤمنون آية 73 ، سورة يس آية 3- 4 ، سورة الشورى آية 52 - 53.

٥- سورة المائدة آية 48- 49.

٦- سورة الآحزاب الآيتان 1- 2.

٧- سورة المائدة آية 67 .

٨- سورة يوسف آية 108 ، سورة الجائية آية 18 .

٩- حب الله: حجية السنة: ص 70 - 71.

١٠- إذ يقول تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ آل عمران الآية 132، و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ ، سورة محمد الآية 33 ، وانظر ما يماثلها: سورة النساء 13 - 14 ، 64 ، 69 ، 79 - 80 ، سورة الأحزاب الآية 36 ، سورة النور الآية 54، وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ سورة الأحزاب الآية 71.

بحجية كل ما يصدر عنه ﷺ، ومما يعزز هذا المعنى إفراد الأمر بطاعة الرسول ﷺ في بعض الآيات عن طاعة الله سبحانه مما يؤكد انه ليس المراد واحدا، وان رجعت طاعة الرسول بعنوانها إلى طاعة الله تعالى[١]، وبلوغ النبي ﷺ منتهى الكمال ، اهله لإن يكون منهجا يتأسى الخلق به فيسيروا على على خطاه [٢].

وهناك مجموعة أخرى من الآيات تبين إن من أهم وظائف النبي الأعظم ﷺ انه مبين للقرآن ومفسر له[٣]، وتدل على إن النبي ﷺ سيتولى أمر بيان القرآن وبتوضيحه آياته وذلك لا يكون إلا من خلال سنته وعمادها الأول أحاديثه الشريفة [٤] . وضمن إطار وظائفه الشريفة أيضا أوكل القرآن له ﷺ مهمة تعليم الكتاب والحكمة[٥]، وكانت هذه الآيات – الدالة على تعليم الكتاب والحكمة – من ابرز ما ذكره الإمام الشافعي (ت 204 هـ) في كتابه (الرسالة) [٦] تأسيسا لمبدأ حجية السنة ، ولعله أقدم بحث نظري أصولي إسلامي وصل إلينا، لذلك عد بعضُ نقاد السنة إن الشافعي هو مؤسس نظرية حجية السنة في تاريخ المسلمين[٧] . وسيأتي مناقشة هذا الرأي فيما بعد.

لما بلغ النبي ﷺ من صفات الكمال ارقاها، بعد أن صنع على عين الله ورعايته ، وبعد أن أدبه ربه فأحسن تأديبه، إذ وصل إلى مرتبة ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[٨]، فصار خلقه ﷺ إلهيا ، ومنطقه إلهيا وتفكيره إلهيا ، فكيف لا يقتدى به ويسار على أثره [٩]. فيكون كل ما أتى به إنما

١– حب الله: حجية السنة ص 88 ، كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ سورة النساء الآية 8 ، و﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ سورة النساء الآية 64.

٢– قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ سورة الأحزاب الآية 21 . ومن هذه الايات التي تدعو إلى التأسي وإتباع النبي ﷺ: سورة البقرة الآيات 142 – 144، سورة آل عمران آية 31 ، سورة الأنعام الآية 155، سورة الأعراف الآية 157 – 158، سورة الأحزاب آية 21 – 37.

٣– كقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة النحل الآية 44 . وقال أيضا ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة النحل الآية 64.

٤– ينظر مثلا: سورة البقرة الآيتان 129 – 231 ، سورة آل عمران الآية 164 ، سورة النساء آية 113 ، سورة الأحزاب آية 34.

٥– كقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة الآية 151 . وقال أيضا: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . سورة الجمعة الآية 2 .

٦– ص78 .

٧– حب الله: حجية السنة: ص 79.

٨– سورة النجم 3 – 4 .

٩. البلداوي : فضائل أهل البيت : عليهم السلام ص25.

إنما هو وحي من الله وانه ﷺ غير قادر على أن يأتي بشيء من عنده أو يتقول على الله سبحانه [1]، ففي الآيات دلالة واضحة على وحيانّية السنة النبوية . وإن القرآن من خلال هذا الكم من آياته الشريفة أسس لحجية السنة النبوية ، وفيه دلالة واضحة على وجوب التعبد المحض بكل ما يصدر عن النبي الأعظم ﷺ .

ثانيا: في الحديث النبوي:

دلت الاحاديث النبوية على عظيم مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي ومرجعيتها الدينية الملازمة للقرآن ، وتقع الروايات الواردة في هذا المجال ضمن عدة مجموعات أهمها:

أولا: ما دل على أن النبي ﷺ أوتي غير القرآن وانه يشرع منه ، وقد شكل هذا الفرع الالهي امتدادا طوليا في تشريع الاحكام وبيانها مع القرآن الكريم وهذا مايشير أليه قول النبي المصطفى ﷺ: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله ، ألا وإني أوتيت القرآن ومثله ، ألا يوشك رجل شبعانا على أريكته ، يقول: عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم حلالا فأحلوه ، وما وجدتم حراما فحرموه " [2]، وقال ﷺ: " يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مثل ما حرم الله" [3]، وقال ﷺ: " أيحسب أحدكم متكئا على أريكته ، قد يظن إن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن ؟ ألا وإني والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء ، أنها مثل القرآن أو أكثر ، وهذه الاكثرية هي ما في تفصيله مجملات القران وغيرها..."[4]

---

١. قال تعالى:﴿ ولَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ * لأَخَذْنا مِنْه بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْه الْوَتِين﴾ سورة الحاقة الآيات 44 – 46.

٢– الأشيب البغدادي: جزء أشيب: ص73. ابن حنبل: المسند: 4 /131. أبو داوود: السنن :392/2 . ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث: ص182. الطبراني: المعجم الكبير :283/20. الدار قطني: سنن الدارقطني : 191/4. البيهقي: السنن الكبرى:332/9. ابن عبد البر: التمهيد:150/1. المتقي الهندي: كنز العمال:174/1.

٣– ابن حنبل: المسند: 132/4. الدارمي: السنن:144/1. ابن ماجة: السنن:6/1. الترمذي: السنن: 145/4. الطبراني: المعجم الكبير:275/20. مسند الشاميين:3/ 138. الدار قطني: السنن:190/4. البيهقي: السنن الكبرى:76/7. الخطيب البغدادي: الكفاية : ص 23. المتقي الهندي: كنز العمال:173/1.

٤– أبو داود: السنن :2/ 45. البيهقي: السنن الكبرى :204/9. ابن عبد البر: التمهيد :149/1. السيوطي: الجامع الصغير:468/1. المتقي الهندي: كنز العمال :174/1.

ثانيا: ما دل على أن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بما أمره الله كقوله ﷺ : " لا يسألني الله عن سنة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها، ولكن اسألوا الله من فضله " [1] ، وقال ﷺ:" يا أيها الناس إني ما آمركم إلا ما أمركم به الله، ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه " [2].

ثالثا: ما دل على الإلزام بطاعة النبي ﷺ كقوله ﷺ: " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله" [3] . وقوله ﷺ : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى[4]".

رابعا: ما دل على إتباع سنته ﷺ وإحيائها، كقوله ﷺ: " من تمسك بسنتي في اختلاف أمتي " [5]، وفي رواية عند فساد أمتي [6] فله اجر مائة شهيد " ، وقوله : " إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا ، فطوبى فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي" [7]، وقوله ﷺ : " من أحيا سنتي من بعدي ، فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة " [8]، وفي لفظ آخر: من أحيا سنتي ، فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة [9]، وقوله ﷺ: " لكل عمل شره ، ولكل شره فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك" [10]، وقوله ﷺ: " إن الله تعالى يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها" [11]، وقوله ﷺ: " من أحيا سنة من سنة الله أميتت بعدي فان له من الأجر مثل اجر من عمل بها من الناس لا ينقص من أجور الناس شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله

١- ابن الأثير: أسد الغابة: 63/3. الهيثمي: مجمع الزوائد:100/4. المتقي الهندي: كنز العمال:103/4.

٢- الطبراني: المعجم الكبير:85/3 . ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة:120/14.

٣- ابن حنبل: المسند: 2 / 253 . البخاري: الصحيح: 4/ 8 . مسلم: الصحيح: 6/ 13 .

٤- البخاري: الصحيح: 8/ 139. ابن حبان: الصحيح: 1/ 197. الهيثمي: موارد الضمآن: ص573.

٥- البرقي: المحاسن:27/1- 224 . علي الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 256 . المجلسي: البحار:2/ 262 .

٦- الطبراني: المعجم الأوسط :5 /315. الهيثمي: مجمع الزوائد :172/1. الذهبي: تاريخ الإسلام : 15/ 119. المتقي الهندي: كنز العمال :175/1. السيوطي:الجامع الصغير :2/ 664 . الشعراني: لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية: ص 18.

٧- الترمذي: السنن :129/4. وانظر ابن ابي شيبة: المصنف : 8/ 134. ابن حنبل : المسند : 389/2. الطبراني : المعجم الأوسط:156/3. ابن سلامة: مسند الشهاب :137/2-138.

٨- الترمذي: السنن:151/4. المتقي الهندي: كنز العمال:7/ 504.

٩- الطبراني: المعجم الأوسط: 125/6. الهيثمي: مجمع الزوائد: 272/1. السيوطي: الجامع الصغير: 2/ 558. المتقي الهندي: كنز العمال:1/ 184.

١٠- ابن خزيمة: الصحيح: 294/3. وينظر: ابن حنبل: المسند : 158/2- 210/2. ابن حبان: الصحيح: 187/1. الطبراني: المعجم الكبير: 285/2. الهيثمي: مجمع الزوائد: 259/2. السيوطي: الجامع الصغير: 371/1. المتقي الهندي: كنز العمال:41/3، 670، 16/ 276.

١١- القاضي عياض: الشفا : 2/ 12 .

ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا " [١] ، وقوله ﷺ: " ستة لعنتهم ولعنهم الله ، وكل نبي مجاب الدعوة – ذكر منهم – والتارك لسنتي " [٢]. وقوله ﷺ : " فمن رغب عن سنتي فليس مني" [٣].

خامسا: ما دل على الحث على الاستماع إلى كلام النبي وحفظه ونقله وعدم جواز الكذب عليه أو كتم حديثه ، كقوله ﷺ: " ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع " [٤]. وعن أبي ذر: " أمرنا رسول الله ﷺ ... ونعلم الناس السنن" [٥] ، وقوله ﷺ : " نضر الله عبدا ، سمع مقالتي فحفظها ووعاها واواها " [٦] ، وقوله ﷺ: " اللهم ارحم خلفائي" قيل من خلفاؤك ؟ قال: " الذين يأتون من من بعدي ويروون أحاديثي وسنتي، فيعلمونها الناس من بعدي " [٧] ، وقوله ﷺ: " من أدى إلى أمتي حديثا تقام به سنة أو تثلم به بدعة فله الجنة " [٨]. وقوله ﷺ: " بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عني ولا تكذبوا ، فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" [٩] .

إن هذه النصوص تدلل على حجية السنة ، وإلا لماذا يأمر النبي ﷺ بنشرها ، ويدعو إلى حفظها، وينهى عن الكذب فيها؟ فهذا الكلام يؤكد إن كلامه يمثل مرجعية في الفكر الإسلامي ؛ تلك المرجعية التي اثبتها له الله سبحانه .

١- ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص23 . الترمذي: السنن: 4/ 150 – 151 . السيوطي: الجامع الصغير: 1/ 180.

٢- ابن أبي عاصم: كتاب السنة: ص24 . الكليني: الكافي: 2 / 293 . الحاكم: المستدرك :2/ 525.

٣- الكليني: الكافي :5/ 496 . الطبرسي: مكارم الأخلاق: ص115 . الكحلاني: سبل السلام :2 / 173.

٤- ابن حنبل: المسند: 5/ 45 . البخاري: الصحيح :2/ 191.

٥- ابن حنبل: المسند :5/ 165 . الدارمي: السنن: 1/ 136 .

٦- الشافعي: مسند الشافعي: ص240 . الطبراني: المعجم الكبير 2/ 127.

٧- الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: 1/ 40.

٨- البرقي: المحاسن: 2 / 297 . ابن عساكر: الأربعين البلدانية: ص44 . ابن حجر: لسان الميزان :1 / 433 .

٩- البخاري: الصحيح: 1/ 35 . ابن ماجه: سنن : 1/ 13.

المبحث الثاني

السنة النبوية ومكانتها في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام

وقبل أن نأتي إلى مكانة السنة النبوية في نهج البلاغة لنقف على رؤية أمير المؤمنين عليه السلام لها، ولا بد لنا أولا الوقوف قليلا عند الإشكال الذي طرحته بعض المؤلفات في تناولها لموضوع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما يتعلق بـ " مصطلح السنة النبوية "، فهل كان معروفا في القرن الأول الهجري بالمعنى الذي بتنا نفهمه اليوم وهو شمول المصطلح (السنة النبوية) كل ما صدر عن النبي من قول او فعل او تقرير، واكتسابها سلطة تشريعية تلي القرآن الكريم في المنزلة ؟ إذ نلاحظ تغيب مصطلح – السنة النبوية – عن آيات القرآن الكريم ، على الرغم من ورود لفظة " السنة " في ست عشرة آية ، ولكن افاد معناها أمرين:

أ . استعملت كلمة سنة في صلة مع الله كي تعني الكيفية المعهودة للتعامل مع الشعوب التي ظلت على جهالتها كما في قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[2].

ب . استعملت لفظة السنة مقرونة بـ " الأولين " مثل الآية: ﴿ وإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾ [3] ، والآية ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا[4]﴾[5].

إذن القرآن على الرغم من إشارته الى لفظة (السنة) إلا انه لم يعقد الصلة بينها وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أي انه لم يربط بين السنة في مفهومها العام وأقوال الرسول وأفعاله وتقريراته، لاقتصاره على بيان سنة الله المخالفة لبقية السنن وعلى الحديث عن سنة الأولين السابقين [6].

١- سورة الأحزاب الآية 38.
٢- سورة فاطر الآية 43.
٣- سورة الأنفال الآية 38.
٤- سورة الكهف الآية 55.
٥- محمد حمزة: الحديث النبوي: ص23.
٦- حمزة: الحديث النبوي: ص23.

إن عدم ورود المصطلح (حرفيا) في كتاب الله لا يعني إلغاء وجوده ومعناه ، فقد مر بنا أعلاه كيف إن القرآن قد أصل مبدأ حجية السنة النبوية من خلال مجموعة من الآيات التي يستفاد منها وجوب إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته في كل ما يصدر عنه قولا اوفعلا اوتقريرا ، وان طاعته ملازمة لطاعة الله ، و ما يأتي به إنما هو عن الله تعالى . ورغم ورود لفظة " سنتي " في أحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الآنفة الذكر، إلا إن من بحثوا في هذا الإشكال تجاهلوها عمدا ، فلم تخضع لأي تحليل سندي أو دلالي يبرر تجاهلها، إذ إن وجودها – نصا – في تلك الأحاديث يستوجب عدم تجاوزها ، أو على الأقل التثبت من صحتها، لإن ذلك سيسهم في حل الإشكال المطروح حول تاريخ ظهور المصطلح كما سبق .

لقد ذكر باحث معاصر: " أما السنة في مفهومها الإسلامي الأصيل فان لها دلالة سياسية أكثر من دلالتها الشرعية ذلك أنها ترتبط بسياسة الخليفة وإدارته ، من ذلك إن مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ت (35 هـ) حف به اتهامه بأنه حاد عن سياسة الخليفتين أبي بكر وعمر وفي هذا الظرف بالذات ظهر مفهوم " سنة النبي" الذي لم يأخذ بعد مفهوما تشريعيا محددا بقدر ما كان مرتبطا بسنة الخليفتين أبو بكرٍ وعمر "[1] .

ولكن تفحص نصوص نهج البلاغة يقدم لنا رؤية مغايرة لهذه الرؤية ، فانه يقدم السنة على انه ذات بعد تشريعي شامل في مفهومها . واما غلبة الصبغة السياسية على السنة النبوية لارتباطها بسياسة الخلفاء ، فهذا يعود الى من تولى السلطة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان توليهم سياسيا مفرغا من الجانب التشريعي، إذأنهم لم يستندوا إلى الشرع المقدس ، فكما هو معلوم أنهم جانبوا النص الإلهي والتوصية النبوية ، وكان اعتلائهم سدة الحكم اعتمادا على القهر والغلبة والتحايل السياسي . أما عن القول بان مفهوم سنة النبي لم يأخذ بعده التشريعي لارتباطه بسنة الخليفتين أبي بكر وعمر ، فهذا من اثر ما استنه الأخيران من سنة لم تتساو او تتوافق مع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل نشأت في قبالتها .

إن القول بان – سنة النبي– ارتبطت في ذلك الوقت بسنة الخليفتين ، فهو تفسير قد يبدو صحيحا من جانب ظهور ما يسمى " بسيرة أو سنة الشيخين " إلى جانب كتاب الله وسنة النبي، وقد نشأت أجيال على الاعتقاد والتسليم بهذا الأمر، ولكن لا يمكن تضييق فهم المجتمع برمته للسنة النبوية من هذا

١– حمادي ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص 24.

المفهوم، ولا سيما ان الإمام علياً عليه السلام وأتباعه كانت لهم رؤية خاصة ومفهوم مغاير لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما سيأتي بيانه .

وقد جاءت الإشارة لدى احد النقاد إلى إن هذا المصطلح بمفهومه التشريعي الشامل قد ظهر في نهاية القرن الأول الهجري ، اعتمادا على وثيقتين استخدمتا تعبير " سنة النبي " والوثيقتان هما :

الأولى: رسالة عبد الله بن أباض الخارجي [1] إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، إذ وردت الإشارة فيهاإلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ست مرات [2] . يقول ذويب [3] : " ومع إن هذا التواتر لافت للنظر في حد ذاته ، فالواضح إن لفظ " سنة " لم يتمخض بعد للدلالة على سنة الرسول فحسب ذلك أن الرسالة تضمنت عبارة سنة المؤمنين وسنة أبي بكر وعمر". ويقول أيضا: " ونجد في هذه الرسالة ما يوحي أن ملابسات ظهور عبارة سنة النبي تقترن بفترة حكم عثمان في نفس الفترة تجد كلمات الإمام عليه السلام تطلق هذا المصطلح حسبما وردت الروايات ونهج البلاغة: " فولوا عثمان ففعل ما شاء الله ... ونفاهم في أطراف الأرض من اجل أن ذكروه بكتاب الله وسنة نبيه وآثار من كان قبله من المؤمنين" ، لقد ركز ابن أباض في رسالته هذه على أن الخليفة عثمان (ت 35 هـ) أدخل بعض البدع وإهمل القرآن وسنة النبي وسنة الخليفتين السابقين عنه أبي بكر وعمر، ويتساوق هذا الموقف مع غاية الرسالة وهي تبرير الموقف الاباضي من عثمان"[4] .

الثانية: رسالة الحسن البصري (ت 110 هـ) إلى عبد الملك بن مروان أيضا، أرسلت في المدة نفسها " [5] أرسلها لينافح عن موقفه المناقض للجبر والمؤيد لحرية الإرادة والمسؤولية الإنسانية، وهكذا اقتران مفهوم سنة النبي في هذه الرسالة بمعنى حاف كلامي اتصل بنموذج السلف " [6]، إذ يقول الحسن

١- هو عبدالله بن إباض من بني مرة بن عبيد بن تميم، زعيم احدى فرق الخوارج في العصر الاموي، كانت له مواقف سياسية وعسكرية وفكرية في العصر الأموي، اختلف هل مات في أيام عبد الملك أم أنه عاش إلى أيام الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد؟ وانتشر مذهبه في المغرب الاسلامي. ينظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص 70 . الشهرستاني: الملل والنحل : ص108. الزركلي: الاعلام: 4/61.62.

٢- حمزة: الحديث النبوي: ص24 . ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص44.

٣- السنة بين الاصول والتاريخ:ص44.

٤- ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص44.

٥- القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال: ص 215- 216.

٦- ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ: ص 44- 45.

البصري في رسالته : " وقديما أدركنا السلف الذين قاموا بأمر الله واستنوا بسنة الرسول فلم يبطلوا حقا... "[1]

ثم نجد هذا الباحث يخلص إلى : " إن الموطن الأصلي لعبارة سنة النبي هو العراق ، وإنها كانت اقرب إلى العراقيين منها إلى المدنيين... وهكذا ينبغي أن ننتظر " المحدث الشافعي " ورسالته في أصول الفقه حيث فرض السنة بكونها مجموعة الأحاديث النبوية الصحيحة وبصفتها المصدر "الموضوعي" الثاني أو الأصل الثاني للشريعة بعد القرآن " وقد استدل على اعتبار الشافعي هو المؤسس لنظرية حجية السنة النبوية وأنها ثاني مصادر التشريع إلى جانب القرآن بـ :

1 – التواتر غير المعهود قبله لعبارة سنة النبي والأقوال العديدة التي ضمنها ضرورة إتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

2 – ذكره للسنة –أي الشافعي– ضمن مصادر التشريع الأخرى.

3 – إن السنة حسب قوله قد اكتسبت هذه المنزلة الأثيرة ، اثر اعتبار الشافعي لها وحيا من نمط يختلف عن وحي الكتاب [2] .

وقد كان لحيدر حب الله [3] رؤية مغايرة لما طرح ، سنذكرها إتماما للفائدة ، ومن ثم ستكون لنا وقفة لتسجيل الملاحظات ، إذ جاء في قوله وهو في معرض الاستدلال على حجية السنة النبوية من خلال أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي ذكرناها فيما مضى وتضمنت مصطلح " سنة النبي " : " وهذه الروايات العديدة واضحة في دلالتها على وجود سنة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وان المطلوب إحياؤها دوما ، وحفظها والمحافظة عليها ، وليس لهذه المفاهيم أي معنى إذا لم تكن سنة النبي حجة ومعتبرة في الدين " ، ويمكن ان يلاحظ على هذه النصوص جملة ملاحظات :

<u>الملاحظة الأولى</u>: إن كلمة " السنة " لغة ، كما تطلق على السيرة مطلقا، كذلك تعني السيرة الحسنة المستقيمة ، إذا فمن المحتمل جدا أن تكون هذه الروايات تشير إلى ضرورة إتباع السنة الصالحة ، والسيرة النقية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لا يدل على حجية سنته ، بقدر ما يرشد إلى إتباع محاسن أفعاله التي يعلم في مرحلة مسبقة – كما عن طريق القرآن – أنها أمور حسنة ، فسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تطبيقه القرآن تسمى سنة أيضا، لا سيما ان هذه الروايات لا إطلاق فيها يدل على سنة النبي غير القرآن ، بمعنى

١– القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال: ص 216.

٢– ذويب: السنة بين الاصول والتاريخ : ص 45– 46.

٣– حب الله: حجية السنة : ص 142– 145.

أنها تفترض وجود سنة للنبي، ولكنها لا تؤكد أنها غير تطبيق القرآن ، كما أنها ليست بصدد الحديث عن ذلك حتى نقول : إنها تشمل سنن النبي التي لا تعبر عن الموجود – سلفا – في النص القرآني . من هنا نفهم المنطلق الذي ذهب إليه بعضهم بالقول : إن الحجة في السنة هو خصوص السيرة العملية (السنة العملية) التي بلغتنا بالتواتر، ومرجع هذه النظرية إلى مقطعين:

الأول: واقعي ، يفهم السنة بمعنى السيرة العملية ، ومن ثم لا يقال عن قول الرجل: هو سنته ، إذ لا يطلق تعبير السنة لغة على القول ، بل على السيرة العملية .

الثاني: ظاهري، وهو شرط التواتر الذي مرجعه إلى إنكار حجية خبر الآحاد، وان فهم السيرة والسلوك العام من كلمة السنة هو الأصح لغويا ، فلا تكون السنة شاملة للقول إلا قليلا. وعليه تترتب ملاحظة تعمق في واقعها هذه الملاحظة وهي .

الملاحظة الثانية: إن استخدام مصطلح " السنة " بالمعنى الذي نفهمه اليوم ، لا يحرز عوده إلى القرن الأول الهجري، بل المؤكد هو المعنى اللغوي للكلمة ، وان النبي ﷺ كان رمزا للأدب والأخلاق والصفات السامية الحميدة ، كما كان ملتزما بكتاب الله تعالى، وهذا الخط الذي حكم حياة النبي ﷺ هو سيرته وسنته ، ومعنى ذلك إن هذه الروايات لا تزيد في الدلالة على آية الأسوة والإتباع ونحوها، وقد دللنا ... على أن جعل شخص أسوة لا يعني حجية قوله وفعله وتقريره .

ومن هذا المنطلق يؤيد حب الله استنادا الى تحليله اللغوي – المقولة التي ترى إن كلمة " السنة " بمعناها الاصطلاحي قد ولدت متأخرة عن القرن الأول الهجري ، ويقول ايضا : لا نريد إن نبت الآن بالنظرية القائلة إن الشافعي (204هـ) هو أول من أسس هذا المصطلح الجديد ونحته في التراث الإسلامي مع كتاب " الرسالة ". ويضيف: نعم لا تعني الولادة المتأخرة لمصطلح السنة بمعناه الجديد إن مقولة حجية السنة كانت متأخرة كذلك ، كما توحيه كلمات بعض النقاد ، فهذا خلط بين أمرين:

احدهما: واقع رؤية المسلمين لقول النبي وفعله وتقريره ، وهل كانوا ينظرون بعين التقديس والمرجعية لهذه الثلاثة أم لا ؟ سواء كانوا يسمون ذلك سنة النبي أو السنة النبوية أم كانوا يطلقون على ذلك اسما آخر، أو لم يكن قد ولد بعد مصطلح يختزل ويختزن هذا الثلاثي النبوي .

وثانيهما: مصطلح " السنة " الذي ورد في طائفة معتد بها من الروايات وهل يعني هذا المصطلح في الثقافة الإسلامية ما قبل الشافعي ما بتنا نفهمه اليوم منه أم لا ؟

ويقول حب الله[1]: وإذا لم يكن بأيدينا دليل على الأمر الثاني ، فان هذا ما يضيق فرص الاستفادة الاستدلالية من النصوص التي استعملت كلمة " سنة " مثل الطائفة من الروايات التي نحن بصددها لكن ذلك لا يعني إن فكرة السنة – بواقعها – مهما كان المصطلح الذي يستوعبها، لم يكن لها وجود في القرن الأول، وبهذا نضع ملاحظة على بعض النقاد المتأخرين الذين خلطوا بين الأمرين (القرآن والسنة) عندما ادعوا أن الشافعي أو غيره هو أول من أسس فكرة حجية السنة [2]، دون أن يقيموا شواهد تؤكد ذلك على المستويين معا ، فإن قيام الشافعي بتأسيس نظرية السنة بما هي رؤية أصولية على أساس جعلها جزءا من بنية النص القرآني لا مجرد الشارح كما يقول نصر حامد أبو زيد [3]، لا يعني إن أصل اعتبار السنة والاستناد إليها لم يكن ولو بالصورة الاولية الساذجة غير المعقدة نظريا والمدونة في عصر الشافعي الذي يعد أول عصور التدوين الاساسية في التراث الإسلامي لم يكن حاضرا في ذهن المسلمين وفكرهم .

– السنة النبوية ومكانتها في نهج البلاغة.

لقد وردت الإشارة إلى السنة النبوية لفظا ومعنى عدة مرات في نصوص نهج البلاغة . و يتضح جليا من خلال تأمل هذه النصوص واستقرائها، إن لأمير المؤمنين عليه السلام نظرة خاصة تميزه عن غيره في تعامله مع سنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، كما إن تلك النصوص تؤرخ لنا عن تلك المرحلة التي مرت بها السنة في تاريخها بعد رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وكيف تعاملت الأمة معها؟ حتى تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة نهاية سنة (35 هـ). ويمكن تلخيص أبعاد رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للسنة النبوية في ضوء نهج البلاغة بالنقاط الآتية:

أولا: يلاحظ إن أمير المؤمنين عليه السلام قد نعت سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يدل على تقديسها واجلالها ، إذ يقول واصفا إياها: " **وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ ، وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ** "[4]، وقال عنها: "**وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ**" [5]، ولعل ذلك متأت من تقديسه لذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكل ما يصدر عنه ، وان سنته هي الطريق إلى معرفة أحكام الله، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " **وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً ،حَتَّى**

١– حجية السنة: ص144.

٢– لم يذكر حب الله من هم أصحاب هذا الإدعاء؟.

٣– الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية: ص117 – 118.

٤– نهج البلاغة: ص 211.

٥– نهج البلاغة: ص176.

أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ . [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُم عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ "[1] كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2]، لذا نجده عليه السلام قد دأب على الدعوة إلى التأسي به صلى الله عليه وآله وسلم وإتباع سنته الشريفة وعدم تضييعها، كما هو واضح في أقواله الواردة في خطب النهج وكلماته : " **فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى** " [3] ، ونجده حتى آخر لحظات حياته يوصي الأمة قائلا: " **وَصِيَّتِي لَكُمْ : أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ، وَمُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ ، أَقِيمُوا هذَيْنِ الْعَمُودَينِ ، وَأَوْقِدُوا هذَينِ المِصبَاحِينِ وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ** "[4]، إذ انه عليه السلام في هذا المقطع يجعل اتباع السنة وحفظها دليلا على الإيمان بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرينه لتوحيد الله جل في علاه .

ثانيا: نلاحظ تأكيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ملازمة السنة للقرآن الكريم في عدة إشارات وردت واضحة في مطاوي كلامه الشريف كقوله عليه السلام : "**إِنَّ اللهَ تَعالَى بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَاب نَاطِق وَأَمْر قَائم**"[5]، وكقوله في أمر الصدقات : "... **لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (صلى الله عليه وآله) فَإِنَّ ذلِكَ ذلِكَ أَعْظَمُ لأَجْرِكَ ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ ، إِنْ شَاءَاللهُ** "[6]، وقوله في وصيته لعامله على مصر مالك الأشتر: " " **وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْم أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ : الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ : الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ** " [7].وقوله عليه السلام إبان تسلمه مقاليد الحكم وهو يتعهد أمام الأمة راسما معالم سياسته وحقيقة منهجه: " **وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تعالى وَسِيرَةِ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وآله – وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ ، وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ** " [8]. وأيضا قوله في عهده لواليه على مصر مالك الاشتر بعد أن عد جميع أصناف المجتمع وبين ما لهم وما عليهم، فأشار إلى إن أحكام الجميع وارد في الكتاب والسنة: "

١- نهج البلاغة: ص137.
٢- سورة الحشر آية 7.
٣- نهج البلاغة: ص298.
٤- نهج البلاغة: ص516.
٥- نهج البلاغة: ص324.
٦- نهج البلاغة: ص521.
٧- نهج البلاغة: ص599 . 600.
٨- نهج البلاغة: ص325.

وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَةِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ – صلى الله عليه وآله – عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً "[1].

ان لهذه النصوص ابعاد دلالية ، يشكل الوقوف عليها بيانا لابعادها ، وهو ما يمكن بلورته في جملة من النقاط ، وهي :

أ . أن للسنة ما للكتاب من شأن ومكانة في التشريع الإسلامي ، ولولا أن السنة مصدر ديني فلا موجب لذكرها إلى جانب القرآن ، فكلاهما مصدره واحد ألا وهو الله سبحانه وتعالى ، فهو الذي أنزل القرآن وأمر فيه بإتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2]، فكانت مهمته صلى الله عليه وآله غاية في الخصوصية والأهمية لتبيين هذا القرآن وتوضيح ما جاء فيه، وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام في حديثه الآنف الذكر" وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لكل شيء " ، " **وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً ،حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ . [دِينَهُ] الَّذِي رَضِيَ لِنفْسِهِ ، وَأَنْهَى إِلَيْكُم عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ ، وَنَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ** "[3]. وقوله عليه السلام : " **فَالْقُرآنُ... حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ،...أَتَمَّ نُورَهُ ، و أكمل[أَكْرَمَ] بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ – صلى الله عليه وآله – وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحكَامِ الْهُدَى بِهِ** "[4] . وقال عليه السلام في مقطع آخر استنكاري: " **أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ– صلى الله عليه وآله – عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ؟ وَ اللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ**"[5].

ب . إن هذا التلازم بين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله هو الذي أقرته السماء بجعلها النظام الإلهي يرتكز على ركنين أساسيين هما كتاب الله المنزل ونبيه المرسل وهو المصطفى محمد صلى الله عليه وآله بقوله وفعله ، وبتقريره ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : " **وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَل ، أَوْ كِتَاب مُنْزَل** "[6] . فالنظام الإلهي لا يعمل إلا بالاثنين معا، ولا يعطي أكله إلا بركنيه ، إذإن هناك وحدة عضوية بين القرآن المنزل والنبي المرسل، فالقرآن معجزة النبي ودليل نبوته، والنبي هو الشاهد الأوحد على أن القرآن

١- نهج البلاغة: ص596.
٢- سورة الحشر آية 7.
٣- نهج البلاغة: ص137.
٤- نهج البلاغة: ص356.
٥- نهج البلاغة: ص46 – 47.
٦- نهج البلاغة: ص20.

من عند الله ، وان مهمته هي بيان ما انزل للناس من ربهم[1]. وهذا ما سبقت إشارة الإمام إليه في النص الآنف الذكر أعلاه إذ يقول: " **وَ اللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ** "[2].

وقد جرت محاولات من قبل الطامعين في السلطة قبيل رحيله صلى الله عليه وآله وسلم لهدم هذه الوحدة العضوية ، تمهيدا لتفكيك النظام الإلهي، فادعوا تمسكهم بالقرآن وحده وانه لا خلاف عليه ، بإطلاقهم بدعة " حسبنا كتاب الله "[3]، وعزلوا النبي ، وقد وجهت نحوه سهام تشكيكهم وطعنهم في قداسته وعصمته ، فنالوا من سنته واتهموه بالهجر والهذيان[4].

إن تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على تلازم القرآن والسنة تأتي ضمن خطواته للتصدي لتلك المؤامرة الرامية للنيل من سنته صلى الله عليه وآله وسلم ، وما تركته من آثار وخيمة جعلت السنة معطلة مهملة ، وهذا ما جاء في أقواله عليه السلام المؤكدة والدالة على أن السنة قد عطلت والبدعة قد أحيت.

ثالثا: نلحظ منه عليه السلام تأكيدا مباشرا أو ضمنيا على وجوب التسليم المطلق والتعبد المحض لكل ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أقوال وأفعال، إذ نجده يقول: " **وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيما جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَحِيصَ عنه** "[5] ؛ لان قوله إنما هو وحى من الله لا يخالفه قيد أنملة قط ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[6]، و نلمح ما يتساوق مع هذه الآية في كلماته عليه السلام إذ يقول: " **وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ ، إِنَّ أَحَدا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله وسلم فارض بِهِ رَائِداً** "[7]، ونجد في إشارة أخرى دالة على عصمة مقالته صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في معرض حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن أصناف رواة الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : " **وَآخَرُ رابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلا عَلَى رَسُولِهِ** "[8]، والسؤال الذي يمكن أن يطرح هنا على هذا المقطع : إن الموضوع الذي أطلق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

١- يعقوب: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الاسلامية: ص 431- 432.

٢- نهج البلاغة: ص46 . 47.

٣- قاله عمر في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما طلب النبي دواة وكتفا ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده أبدا. فقال عمر: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجع. ينظر: ابن حنبل: المسند 325/1-336. البخاري: الصحيح:138/5_ 9/7. مسلم: الصحيح: 5/ 76. النووي: شرح صحيح مسلم:90/11 .

٤- ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم: 11/ 89.

٥- نهج البلاغة: ص281.

٦- سورة النجم آية 3 .4.

٧- نهج البلاغة: ص541 _ 542.

٨- نهج البلاغة: ص 442.

في ضوءه هذه الكلمات إنما يتعلق بكلام وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله ولا ذكر لكلام الله هنا ، إذ . كما سيمر بنا . انه قد سأله سائل عن علل اختلاف أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بين الناس فما وجه قول الإمام عليه السلام هنا: لم يكذب على الله؟ لعلنا هنا نتفق مع الحسيني [1] بقوله: " انه عليه السلام لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول ما يقول إلا عن وحي من الله تعالى وعصمة فيما يقوله وتأييد، فهو في الحقيقة مخبر عن الله، فالكذب عليه في الحقيقةهو كذب على الله تعالى، كما أن الطاعة له طاعة لله تعالى كما قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ[2]﴾. أليس في إشارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه إثبات لحجية قول النبي صلى الله عليه وآله؟

ويمكن أن تدلنا شواهد أخرى وردت في نهج البلاغة على حجية فعل النبي صلى الله عليه وآله أيضا برؤية أمير المؤمنين عليه السلامفسعى لتطبيقه والدعوة للعمل به حرفيا، وسنشير لها هنا إجمالا،لأننا سنذكرها تفصيلا في محل آخر لاحق من هذا البحث [3]: منها حادثة استشارة عمر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قضية حلي الكعبة ، إذ قال له عليه السلام: " **فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** " [4]، واحتجاجه على طلحة والزبير لما عاتباه على أمر التسوية بالعطاء ، إذ خالف بذلك عليه السلام من سبقه ، فقال عليه السلام : " **وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيه بِرَأْيِي ، ولَا وَلِيتُه هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِه رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله – قَدْ فُرِغَ مِنْه** "[5]. وكذلك ما أوصى به من كان يستعمله على الصدقات في حكومته كما مر بنا، ولما احتج على الخوارج احتج بسنة النبي صلى الله عليه وآله " **ولَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ ، إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ ، لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ ، عَنْ كِتَابِ اللَّه سُبْحَانَه وتَعَالَى ، وقَدْ قَالَ اللَّه سُبْحَانَه ، ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إِلَى اللَّه والرَّسُولِ ﴾ فَرَدُّه إِلَى اللَّه أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِه ، ورَدُّه إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِه ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّه ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِه ، وإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وأَوْلَاهُمْ بِهَا** "[6] ومن وصيته عليه السلام لابن عباس لمابعثه للاحتجاج على الخوارج: " **لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوه ، تَقُولُ ويَقُولُونَ . . . ولَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً**"[7]

١- الديباج الوضي: 4/ 1707.
٢- سورة النساء آية 80.
٣- ينظر من هذا الفصل : ص 416 – 418 .
٤- نهج البلاغة: ص713.
٥- نهج البلاغة: ص437.
٦- نهج البلاغة: ص238 –239.
٧- نهج البلاغة: ص646.

إذن في الشواهد أعلاه بينه على حجية قول النبي صلى الله عليه وآله وفعله برؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولو كان ما جمع في نهج البلاغة شاملا لكل كلامه عليه السلام لأتحفتنا شواهد أخرى في هذا المجال.

-واقع السنة بعد النبي صلى الله عليه وآله في ضوء نهج البلاغة :

من خلال استقراء كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المتضمنة مفهوم وموضوع السنة النبوية نلمح انه أشار إليها بعبارات تدلل على واقع مؤلم عاشته سنة النبي بعد رحيله صلى الله عليه وآله وحتى تسلم الإمام عليه السلام مقاليد الخلافة ، مما يتوجب علينا الوقوف عند تلك الالماحات ، التي يمكننا من خلالها رصد المعضلات التي تعرضت لها السنة النبوية التي منها:

أولا: تفشي **ظاهرة الوضع** في الحديث النبوي بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليحذر منه ، ويوضح إن لهذه الظاهرة جذورها التي تمتد إلى عهده صلى الله عليه وآله إذ يقول: " **ولَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – عَلَى عَهْدِه، حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ**"[1]. وأما بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كان المجال أوسع لانتشار الوضع في الحديث ثم كذب عليه من بعده، حتى قال عليه السلام لمن سأله عن اختلاف الحديث الذي بات يشهد تناقضا وتضاربا وكله ينسب الى النبي صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام : " **إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وبَاطِلًا ، وصِدْقاً وكَذِباً، ونَاسِخاً ومَنْسُوخاً، وعَامّاً وخَاصّاً، ومُحْكَماً ومُتَشَابِهاً، وحِفْظاً ووَهْماً**"[2]، وعدّ من أصناف الرواة عن النبي صلى الله عليه وآله " **وإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ، رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ ولَايَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – مُتَعَمِّداً** " [3]، هذا الصنف هو صاحب اليد الطولى في الوضع والتزوير الذي لحق بأحاديث النبي الشريفة وبيّن عليه السلام موقف المجتمع منه ، وما يقف وراء تقبل حديثه رغم كونه موضوعا ومكذوبا على النبي صلى الله عليه وآله، إذ يقول عليه السلام : " **فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه ، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه ، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – رَآه وسَمِعَ مِنْه ولَقِفَ عَنْه فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه، وقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّه عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، ووَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِه لَكَ**"[4].

١- نهج البلاغة : ص441.
٢- نهج البلاغة : ص440 – 441.
٣- نهج البلاغة: ص441.
٤- نهج البلاغة: ص441.

ثم أشار عليه السلام إلى حركة هذه الفئة المنافقة وخطرها على المجتمع: " **ثمَّ بَقُوا بَعْدَه، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ والْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمَالَ، وجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ** "[1]. أي أن أئمة الضلالة بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلطوهم على الناس ، ويحتمل العكس أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا ولاة على الناس وصنعوا ما شاءوا وابتدعوا ما أرادوا " ، وقد استبعده المجلسي[2]. ولعل وجه استبعاده أن ظاهر كلامه عليه السلام يفيد كون إمامة أئمة الضلالة متقدمة على وضع الإخبار حيث تقربوا بها إليهم، فلا تكون حينئذ ولايتهم وإمامتهم مستندة إلى وضعها ومسببة لها ، ولكن يمكن رفع البعد بان يكون المراد إن إثبات حكومتهم وولايتهم واستحكامها كان بسبب مفتريات المنافقين وان لم يكن أصل الولاية بسببها "[3]، ثم قال عليه السلام : " **فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا**[4]" أي معهم وبإعانتهم ، والضمير الأول راجع إلى أئمة الضلالة ، والثاني إلى المنافقين المفترين، ويحتمل العكس أيضا، وأشار إلى علة تقربهم إلى الولاة بمفترياتهم بقوله : " **وإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا**[5]" ، لكون هواهم فيها ، فهم عبيد لها، ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زالوا إليها وحيثما أقبلت اقبلوا عليها (إلا من عصم الله) تعالى منها ومن أهلها، وهم الذين امنوا وعملوا الصالحات، و قليل ما هم [6] . ثم أشار عليه السلام في موضع آخر إلى إن الأمر سوف يزداد سوءا من بعده عليه السلام ، إذ يقول : " **وإِنَّه سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ ، لَيْسَ فِيه شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ ، ولَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، ولَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّه ورَسُولِه** "[7]. وسيمر بنا كيف سعى الإمام عليه السلام لبيان سبيل النجاة من هكذا فتن ومخاطر.

ثانيا: أشار عليه السلام في أكثر من مورد إلى **ظاهرة " البدع "** في الدين وتفشيها في المجتمع آنذاك ، كما تدلنا النصوص التي سنتناولها في هذا البحث تباعا ، ولكن في البدء لا بد من بيان مفهوم البدعة ، فالبدع في اللغة : الاختراع والانشاء لا عن سابق [8]، اسم من الابتداع سواء كانت محمودة أم مذمومة،

١- نهج البلاغة : ص 441.
٢- ينظر: البحار: 2/ 232.
٣- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 14/ 29.
٤- نهج البلاغة: ص441.
٥- نهج البلاغة : ص441.
٦- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة : 14 / 29.
٧- نهج البلاغة : ص267.
٨- الرازي: مختار الصحاح: ص31 . ابن منظور: لسان العرب: 8/ 6. الفيروز آبادي: القاموس المحيط: 4/3.

ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة [1]، والبدعة في الدين : إيراد قول أو فعل لم يستن قائله أو فاعله فيه بصاحب الشريعة[2] ، وهي كل محدث جديد على غير مثال سابق[3] ، وتطلق شرعا في في مقابل السنة ، ولذلك هي في عرف الشرع مذمومة [4]، وروى إن أمير المؤمنين عليه السلام سُئل عن السنة والبدعة فقال: " السنة ما سن رسول الله صلى الله عليه وآله، والبدعة ما أحدث من بعده " [5]. ويبدو إن مفهوم السنة والبدعة صارا متقابلين ، فان البدعة والإحداث في الدين مما لم يكن فيه ، يوجب ترك السنة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام " **ومَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ** "[6].

عصفت بالأمة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله الفتن المظلمة ومن ابرزها ظهور البدع ، وتجرؤ بعضهم على مخالفة الشريعة الحقة ، وهو ما أشار له امير المؤمنين عليه السلام بقوله : " **إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّه ، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّه** "[7]. وهذا ما اكده رسول الله صلى الله عليه وآله : " كيف أنتم إذاألبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتخذ منها سنة فإذا غير منها شيء ، قيل: قد غيرت السنة ، وقد أتى الناس منكرا "[8].

و إن الله قد نهى عن البدعة في الدين مبينا إن التشريع الإلهي أمر يختص بالله تعالى وهو توقيفي فلا يجوز الاجتهاد في مقابله ، وقد دل القرآن على ذلك[9]. وهو ما تمثله النبي صلى الله عليه وآله في نهيه عن ذلك في

١- ابن الأثير: النهاية :1/ 106 – 107 ، أبو سعدي: القاموس الفقهي: ص 32.

٢- الجوهري: الصحاح :3/ 1184. الطريحي: مجمع البحرين:164/1. العسكري: المصطلحات الاسلامية: ص224.

٣- الزبيدي: تاج العروس: 5 / 271.

٤- أبو سعدي: القاموس الفقهي: ص32.

٥- الصدوق: معاني الأخبار: ص 155. الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 265، وينظر ما يشابهها: الحراني: تحف العقول: ص211. المتقي الهندي: كنز العمال:1/ 378. المحمودي: نهج السعادة: 1/ 358.

٦- نهج البلاغة: ص265.

٧- نهج البلاغة: ص87.

٨- المازندراني: شرح اصول الكافي: 11/ 393.

٩. كقوله: " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" سورة المائدة الآية 44، وقوله: " وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" سورة المائدة الآية 45، وقوله: " وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ" سورة المائدة الآية49، وقوله: " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ" سورة النحل الآية 116، وقوله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ " سورة الأنفال الآية 20.

في جملة من الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : " ما أمرتكم به فخذوه ، وما نهيتكم عنه فانتهوا " [1]. وقوله: صلى الله عليه وآله وسلم: " ستة لعنتهم وكل نبي مجاب... " وذكر منهم " وتارك السنة [2] "، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : " إن خير الحديث الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة " [3] . وقوله : " إياكم إياكم والبدع فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار [4] " ، وقوله: " تفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة أضرها على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام و يحرمون الحلال [5]" ، وقوله: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم[6]"، وعن الإمام الصادق عليه السلام : " قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيها الناس حلالي حلالي حلال إلى يوم القيامة، وحرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب، وبينتهما لكم في سيرتي وسنتي، وبينهما شبهات من الشيطان، وبدع من بعدي، من تركها صلح له من أمر دينه ، وصلحت له مروته وعرضه ..."[7].

وقد جاء كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام متناغما مع ما أمر به الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، مبينا مخاطر إتباع البدع ، ناهيا عنها ، داعيا إلى وجوب التمسك بالسنة المحمدية الهادية إلى الحق ، فقد قال عليه السلام : " **إِنَّ اللَّه بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْه إِلَّا هَالِكٌ ، وإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ** " [8] . وقال أيضا " **فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وأَعْلَامَ الْبِدَعِ ، والْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْه حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وبُنِيَتْ عَلَيْه أَرْكَانُ الطَّاعَةِ** [9] " ، وقد حذر أمير المؤمنين عليه السلام من تعطيل السنة والاتجاه نحو نحو البدع فان في ذلك هلاك الأمة ، وهذا الأمر يتوجه إلى الحكام في البداية لان بيدهم زمام الأمور ومنهم يخاف ويرهب [10]، قال الإمام عليه السلام : " **وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّه لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ**

١- ابن ماجه: سنن : 1/ 3 . القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 7/ 138 . المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 175.

٢- الطبراني: المعجم الأوسط: 2/ 186. الهيثمي: مجمع الزوائد: 7/ 205.

٣- أبو يعلى: مسند أبو يعلى:4/ 85 . ابن قدامة: المغني: 2/ 155 . النووي: المجموع: 4/ 516.

٤- ابن بابويه: فقه الرضا(عليه السلام): ص383 . المفيد: المسائل الصاغانية: ص86 . الشهيد الأول: الذكرى: ص 255.

٥- أبو داود: سؤالات الآجري: 2/ 278 . الحاكم: المستدرك: 3/ 547 . ابن حزم: المحلى: 1/ 62 . النوري: مستدرك الوسائل: 17 / 257.

٦- الدارمي: السنن:1/ 69 . أبو خيثمة النسائي: كتاب العلم: ص16 . الهيثمي: مجمع الزوائد: 1/ 181.

٧- الكراكجي: كنز الفوائد: ص164.

٨- نهج البلاغة: ص 324.

٩- نهج البلاغة: ص277.

١٠- الميلاني: سيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في نهج البلاغة: ص30.

والدِّمَاءِ والْمَغَانِمِ والأَحْكَامِ وإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ... الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ [1] "، وفي نص آخر يشير إلى أهمية دور الحاكم في الحفاظ على السنة ، وان ذلك يتبع صلاحه أو فساده، فيجعل عليه السلام المقيم للسنة من أفضل عباد الله ، والمميت لها من شر الناس، يقول عليه السلام : " **فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّه عِنْدَ اللَّه إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدِيَ وهَدَى ، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً ، وإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّه إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وضُلَّ بِه ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً**[2] ". وقد شخص عليه السلام أهم دلالات البدع التي يمكن إفرادها بنقاط :

1 – مخالفتها لكتاب الله إذ يقول عليه السلام:" يخالف فيها كتاب الله[3] " ومخالفته أما بان لا يكون فيه ما يدل عليها ، وأما إن تخالفه بان تكون مناقضة لحكمه[4].

2 – وقد وصف عليه السلام حال المحدث في الدين بالمجهول: " وأمات بدعة مجهولة "[5] أي ما ابتدع من من الأمور المضادة للسنن هو مما يجهل أمره ولا يعرف له طريق[6].

3 – وفي نص آخر يشير عليه السلام إلى إن البدع " ظاهرة " جلي أمرها " لها أعلام " [7] قد أوضحها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وارشد إليها من اجل اجتنابها كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: " ويهديكم سنن الذين من قبلكم[8] " يعني من الأنبياء " ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما " [9] مخالفا للحق مخالفة ظاهرة لا لبس فيها[10].

وهناك نصوص عديدة يحذر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها من خطر البدع وأثرها السلبي على الدين والمجتمع. كقوله عليه السلام : " **إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّه رَجُلَانِ ، رَجُلٌ وَكَلَه اللَّه إِلَى نَفْسِه ، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ ودُعَاءِ ضَلَالَةٍ ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِه ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ**

١- نهج البلاغة: ص 247.
٢- نهج البلاغة: ص 309.
٣- نهج البلاغة: ص87.
٤- الحسيني: الديباج الوضي: 1/ 456.
٥- نهج البلاغة: ص309.
٦- الحسيني: الديباج الوضي: 1352/3.
٧- نهج البلاغة: ص309.
٨- سورة النساء الآية 26.
٩- سورة النساء الآية 27 .
١٠- الحسيني: الديباج الوضي: 3/ 1352.

مَنْ كَانَ قَبْلَه ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِه فِي حَيَاتِه وبَعْدَ وَفَاتِه ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِه رَهْنٌ بِخَطِيئَتِه "[1]، ويقول عليه السلام أيضا: " **إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّه فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ ويُعَاقِبُ ولَهَا يَرْضَى ويَسْخَطُ ، أَنَّه لَا يَنْفَعُ عَبْداً ، وإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَه وأَخْلَصَ فِعْلَه ، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّه ، بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِه الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا ، أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّه فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْه مِنْ عِبَادَتِه ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَه بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَه غَيْرُه ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِه** [2] " وقال أيضا: " **اسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِه ، وعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِه وعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِه ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ولَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، ولَا تُخَالِفُوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... واعْلَمُوا عِبَادَ اللَّه أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ ، مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ويُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ ، وأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً ، مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، ... وإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ومُبْتَدِعٌ بِدْعَةً ، لَيْسَ مَعَه مِنَ اللَّه سُبْحَانَه بُرْهَانُ سُنَّةٍ ولَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ** "[3].

ويمكن بلورة رؤية الامام أمير المؤمنين عليه السلام في تيارين متضادين مثّلا في تعاملهما مع السنة النبوية المجتمع انذاك . وهذان التياران هما :

التيار الأول : (متبع الشرعة) ملتزم باستقاء الأحكام من القرآن والسنة، منتهجين منهج الطاعة والامتثال لمطلق الأوامر الصادرة عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله دون أدنى اعتراض. وقد دأبوا على إحياء السنة ، وهم الذين كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يتأوه على فقدانهم بقوله : " **أَوِّه عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوه ، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوه ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ** "[4]، وهم الذين وصفهم بقوله: " **طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِه ... ووَسِعَتْه السُّنَّةُ ، ولَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ** "[5].

وقد كان امير المؤمنين عليه السلام اصدق مظهر لهذا التيار واوضحه ، فهو الذي كان رائدا في مجال إحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله والعمل بها، بعد أن تعهد الالتزام بهذا المنهج، وكان يفتخر ويقول: " **ولَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله – ، أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه**

١- نهج البلاغة: ص 43.
٢- نهج البلاغة: ص 281 – 282.
٣- نهج البلاغة: ص337 – 339.
٤- نهج البلاغة: ص 354.
٥- نهج البلاغة: ص678.

سَاعَةً قَطُّ [1] "، وفي قول آخر: "واني والله لم أخالف رسول الله ﷺ قط ولم اعصه في أمر قط [2] "، وقال عليه السلام :" **أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ** [3] ".

التيار الثاني : (مبتدع بدعة) وهو التيار الذاهب إلى مشروعية الرأي وصحة الاجتهاد مقابل النص ، وهم وان كانوا معتقدين برسالة النبي محمد ﷺ إلا أنهم لم يعطوه تلك القدسية والمكانة التي منحها الله إياه ، فكانوا يتعاملون معه ﷺ على انه بشر يخطئ ويصيب ، ولذا لم يتعبدوا بالأحكام الصادرة عنه ، بل من حقهم الاجتهاد[4] في استحداث ما يرونه مناسبا ، حسب ما تقتضيه المصلحة – مصلحة الدولة – وبرأيهم ان نصوص الكتاب مادام أنها جاءت لرعاية مصلحة العباد ، فلذا من حقهم تعطيل أو استبدال أي نص قرآني أو حديثي عندما يضر بالمصلحة ، عندئذ يفتون بما يرونه بديلا عن النص والحكم الصادر عن الله ورسوله ﷺ[5]. وقد أدى ذلك إلى ظهور البدع ، وشكل ظاهرة واضحة يمكن إحصاء دلالاتها وآثارها على المجتمع " **وإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ** " [6]، وقد جاءت إشارات الإمام ﷺ واضحة لنماذج من هذا التيار وما أحدثوه في المجتمع: " **فَيَا عَجَباً ومَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ ، عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا ، لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ ولَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ ... مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، وتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ [المبهمات] عَلَى آرَائِهِمْ ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِه ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ وأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ** "[7] .ويقول عليه السلام في وصف نموذج منهم " **وآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً ولَيْسَ بِه ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ ... يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وفِيهَا وَقَعَ ، ويَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وبَيْنَهَا اضْطَجَعَ ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ والْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ** "[8] . وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام في مقطع آخر من كلامه الشريف ما آل إليه أمر الأمة في تلك

١- نهج البلاغة: ص 421 -422.

٢- المفيد: الأمالي: ص 235 ، الاختصاص: ص159 . المجلسي: البحار: 32/ 595.

٣- نهج البلاغة: ص 32، قال صبحي الصالح: جواد المضلة: الجواد جمع جادة وهي الطريق، والمضلة . بفتح الضاد وكسرها . الارض يضل سالكها. نهج البلاغة: ص32 هـ11.

٤- لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر : عبد الحسين شرف الدين : الاجتهاد مقابل النص (الصفحات جميعها).

٥- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية ، ثلاثون عاما بعد الرسول ﷺ: ص34 – 55.

٦- نهج البلاغة: ص 309.

٧- نهج البلاغة: ص143 – 144.

٨- نهج البلاغة : ص140 – 141.

الفترة من تاريخها : " **وظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ ، وتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى ، وعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ** "[1].

وهنا لا بد من تلمس واقع الحال الذي عاشته سنة النبي ﷺ إبان تلك المدة من تاريخها، وكيف تعاملت الأمة معها بعد رحيله ﷺ! وهو ما يتطلب العودة إلى مصادر التاريخ ، واستجلاء الشواهد التي نطقت بها الروايات في هذا المجال، إذ ليس بخاف على المتصفح لمطاوي كتب التراث الإسلامي إن الطعن في السنة النبوية قد بدأت بوادره والنبي ﷺ ما يزال حيا بين أظهرهم ، وإن الواقع ينبئ عن تجرأ بعض الصحابة على تخطئة النبي ﷺ أو الاعتراض على قراراته وأقواله وأفعاله والتشكيك بها ، وقد أوضح القرآن ذلك وعالج الكثير من أمثال هذه الحالات اللا مسؤولة ، منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾[4] ، إلى غيرها من الآيات التي لوحت أو صرحت بما لا يقبل الشك من وجود هكذا أناس جهلوا جهلوا وتجاهلوا مكانة النبي ﷺ .

ولم تقتصر الدلالات على القرآن بل صرحت أحاديث النبي ﷺ بوجود هذا الاتجاه وانتقدته ، لان التعدي لم يقتصر على الرسول ﷺ بل تعداه إلى كتاب الله ، فلذلك نجده يقول ﷺ لبعضهم : " ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض ؟ بهذا هلك من كان قبلكم "[5] ، وفي نص آخر " أيتلاعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم " [6] ، وما فتئ ﷺ يحذر أصحابه من التهافت في التعامل مع النصوص القرآنية

١- نهج البلاغة: ص452. ذكر صبحي الصالح في هامش 5 من هذه الصفحة: محاج السنن: جمع محجة، وهي جادة الطريق واوسطها.

٢- سورة الحجرات الآيتان 1 – 2 .

٣- سورة الأحزاب آية 57 .

٤- سورة المجادلة الآية 8 .

٥- ابن كثير: تفسير: 1/ 542 . المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 193 .

٦- ابن حزم: المحلى: 10/ 167 . النووي: المجموع : 17 / 85 . الماردِيني: الجوهر النقي: 7/ 333.

والنبوية ، إذ الإيمان بالله ورسوله يقتضي التسليم والانقياد لما يقوله الله ويأمر به الرسول ﷺ ، فعدم التسليم بقدسية النبي ﷺ وأقواله وأفعاله يتقاطع مع الإيمان المطلق بالله ورسوله ﷺ[1].

ومن الشواهد المحسوسة على ما ذكرناه ما فعله بعضهم من مخالفة لأقوال النبي وافعاله ﷺ وهو بين أظهرهم كفعل خالد في بني جذيمة ، فقد تبرأ النبي ﷺ من فعله [2]، وقتل أسامة بن زيد لمرداس بن نهيك [3] – مع بداهة حرمة دم المسلم – رغم نطقه بالشهادتين [4]، ومن ذلك قول رجل من الأنصار في قسمة كان قسمها النبي ﷺ " والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله " ، فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب[5]. والانكى من ذلك إن بعض رواد هذا الاتجاه آذوا النبي ﷺ في عرضه وأزواجه حتى قال طلحة وعثمان : " أينكح محمد نساءنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات ؟ لو مات لقد اجلنا على نسائه بالسهام فانزل الله " ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا [6] " [7].

واللافت للنظر إن رواد البدع في المدة اللاحقة – التي نحن بصدد البحث فيها – وهم الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد النبي ﷺ لم يكونوا بمنأى عن هذه الظاهرة إذ نجد لهم نصيبا من الاعتراض على رسول الله ﷺ ومخالفة أوامره و لا سيما عمر الذي خالف النبي ﷺ في مفردات كثيرة منها : إنكاره

١- الشهرستاني: وضوء النبي ﷺ: 2/ 16.

٢- ابن حنبل: المسند: 2/ 151. البخاري: الصحيح: 4/ 67. السرخسي: المبسوط: 20 / 143. ابن خلدون: تاريخ : 2/1/ 321 . ابن حجر: فتح الباري: 13/ 159، وللتفاصيل ينظر : شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 460 – 462.

٣- مرداس بن نهيك: أو مرداس بن عمرو الفدكي، اختلف في امره، ولكنه الوحيد الذي اسلم من قومه، وكان صاحب غنم كثير، ورغم اعلانه اسلامه لكن اسامة قتله بدعوى انه قال الشهادة متعوذا من القتل، مما اغضب النبي ﷺ ونزلت آيات قرآنية تنتقد ذلك التصرف. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: 1039/4. ابن شبه النمري: تاريخ المدينة: 450/2، الطبري: تاريخ 408/2، جامع البيان: 5/ 304. القمي: تفسير القمي: 148/1. الواحدي: أسباب نزول الآيات: ص116. ابن الاثير: أسد الغابة: 77/3، 376/4 . ابن كثير: البداية والنهاية: 252/4. ابن حجر: الإصابة: 59/6، فتح الباري:8/ 194، 12/ 171. السيوطي: الدر المنثور:2/ 200.

٤- الطبري: جامع البيان: 5/ 304 . الواحدي: أسباب النزول: ص116. ابن الأثير: أسد الغابة: 4/ 346. ابن حجر: فتح الباري: 8/ 164. السيوطي: الديباج : 1/ 113 . المتقي الهندي: كنز العمال: 1/ 310.

٥- البخاري: الصحيح: 4/ 130 . ابن حزم: المحلى: 11/ 219 . ابن قدامه: المغني: 10 / 59 . الشوكاني: نيل الأوطار: 8/ 125 .

٦- سورة الأحزاب الآية 53.

٧- ابن طاووس: الطرائف: ص493. السيوطي: الدر المنثور: 5/ 214 – 215 .

اخذ الفداء من أسارى بدر [١] ، واعتراضه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته على المنافق [٢] ، واستيائه من قسمة قسمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٣]، ومواجهته صلى الله عليه وآله وسلم بلسان حاد في صلح الحديبية [٤]، ومطالبته النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستفيد من مكتوبات اليهود في الشريعة [٥]، وغيرها حتى بلغ به الحال التجرؤ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر ساعاته واتهامه بالهجر . ومن ثم منعه صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة كتابه وإطلاقهم البدعة التي فرقت بين القرآن والسنة " حسبنا كتاب الله " [٦]. وما أن رحل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بان الانقسام بأوضح حالاته في أمته وافتتنوا فيما بين بين " متبع شرعة " و " مبتدع بدعة " فدخلت سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرحلة التعطيل والتضييع ، كما هو واضح في بيانات أمير المؤمنين عليه السلام وفي خطبه الشريفة ، وذلك إن تسلط أصحاب التيار الثاني – الاجتهاد والرأي – على السلطة فسح لهم المجال لابتداع ما شاءوا من أحكام وان خالفت نص الكتاب والسنة الشريفة .

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك المرحلة التي أعقبت رحيله صلى الله عليه وآله وسلم وما حدث فيها وكيف تنبأ صلى الله عليه وآله وسلم بذلك إذ يقول : " وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجالٌ رجالا ، إلا إن الحق لو خلص لم يكن اختلاف ، ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجللان معا ، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى . إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كيف انتم إذا ألبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غيرّ منها شيء قيل : قد غيرت السنة ، وقد أتى الناس منكرا ، ثم تشتد البلية ، وتسبى الذرية ، وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب ، وكما تدق الرحى بثقالها ، ويتفقهون لغير الله ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بإعمال الآخرة " [٧]. ثم نجده عليه السلام يصرح بما احدث قبله من قبل الخلفاء " قد عملت الولاة قبلي

١- لمزيد من التفاصيل والمصادر ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 319 – 323 .

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر : شرف الدين : النص والاجتهاد: ص 186 – 189 . الشهرستاني: وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:19/2.

٣- ابن حنبل: المسند: 20/1.

٤- لمزيد من التفاصيل والتحليل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص 163 – 186 .

٥- الصنعاني: المصنف: 313/10.

٦- ابن حنبل: المسند: 325/1. البخاري: الصحيح: 5/ 138. مسلم: الصحيح: 5/ 76 ، ولمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص148 – 163.

٧- ابن أبي شيبة: المصنف: 8/ 599 . الكليني: الكافي: 8/ 59 . المازندراني: شرح أصول الكافي: 11/ 393 .

أعمالا خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه ، ناقضين لعهده ، مغيرين لسنته "[1]، إن شواهد كلامه واضحة فقد ابتدأ الخليفة أبو بكر عهده باتخاذه موقفا سلبيا من سنة النبي ﷺ إذ نجده يخالف أوامر الله ورسوله ﷺ بسلب حقوق أهل البيت السياسية والاقتصادية [2] التي أقرتها السماء على لسان النبي ﷺ ، وهذا ما هو إلا اجتهاد منه في قبال النص الإلهي ، وقد استخدم هو وحكومته شتى الوسائل لتحقيق مرامهم ، ومن ذلك افتعال الأحاديث مما يدعم اجتهادهم كحديث " إنا معاشر الأنبياء لا نورث "[3].

لقد شهد عهد أبي بكر تعطيلا للسنة النبوية من وجه آخر تمثل بمنع الرجوع إلى سنة النبي ﷺ ومنع حديثه بقوله " لا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه "[4] . فقد عمل ببدعة " حسبنا كتاب الله " ، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ قائلا: " يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي ، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا من حرام حرمناه . ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله "[5] . وتوالت القيود والإجراءات القاسية بحق سنة النبي ﷺ رواية وتدوينا ، إذ تعرضت للمنع والإحراق بل ومعاقبة من يرويها أو يدونها من الصحابة ، كالذي فعله الخليفة عمر إذ عاقب بالضرب والحبس جماعة ممن رووا الحديث عن النبي ﷺ[6].

ومهما كان المدى الذي تم فيه المنع – يتسع أو يضيق – ليقتصر على أفراد معينين ، فقد تعرضت سنة النبي ﷺ للتعطيل ، وأحدثت بدع كثيرة لم يكن لها حجة ولا برهان واضح في الدين ، إنما هي محض اجتهاد اجتهده بعض الخلفاء ، منها بدعة عمر في صلاة التراويح التي اعترف بنفسه بأنها بدعة بقوله " نعم البدعة هذه "[7]. وقد علق علماء اللغة في شرحها : " سماها بدعة لان رسول الله لم يسن لهم

١- الكليني: الكافي: 8 / 59 . البحراني: الحدائق الناظرة: 8 / 168 – 169 .

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص 679 – 1017.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: شرف الدين : النص والاجتهاد: ص 55 . 66 . العواد: السيدة فاطمة عليها السلام : ص 860 – 900.

٤- الذهبي: تذكرة الحفاظ: 1/ 2- 3 .

٥- الدارمي: السنن: 1/ 144 . ابن ماجه : سنن: 1/ 6 .

٦- لمزيد من التفاصيل: ينظر: عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص17 – 34. الشهرستاني: منع تدوين الحديث النبوي: ص191 – 299. البلداوي: فضائل أهل البيت: ص31 . 43، الحلو: تاريخ الحديث النبوي: ص126 . 236.

٧- البخاري: صحيح: 252/2 . البيهقي: السنن الكبرى : 2/ 493. ابن حجر: فتح الباري: 4/ 219، لمزيد من التفاصيل انظر: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص250 –255

لهم ، ولا كانت في زمن الصديق ، و لا أول الليل ، ولا هذا العدد "[1] . ويأتي منه اعتراف آخر بتعطيله حكم الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة النساء ومتعة الحج "[2].

وفي نص الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام المشار إليها أعلاه ، روي انه عليه السلام قد أوجز بيان تلك البدع التي أحدثها الخلفاء قبله بقوله : بعد أن أشار إلى أنهم قد غيروا سنة رسول الله "... مغيرين لسنته ، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها والى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتفرق عني جندي... أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام ، فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام ، ورددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان ، وأمضيت قطائع اقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ، ورددت قضايا من الجور قضي بها ، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن ، واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام ، وسبيت ذراري بني تغلب ، ورددت ما قسم من ارض خيبر ، ومحوت دواوين العطايا ، وأعطيت كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعطي بالسوية ولم اجعلها دولة بين الأغنياء وألغيت المساحة ، وسويت بين المناكح ، وأنفذت خمس رسول الله كما انزل الله عز وجل وفرضه ، ورددت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما كان عليه ، وسددت ما فتح فيه من الأبواب ، وفتحت ما سد منه ، وحرمت المسح على الخفين ، وحددت على النبيذ ، وأمرت بإحلال المتعتين ، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأخرجت من ادخل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه ، وأدخلت من اخرج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادخله ، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة ، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها ، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم ، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، إذا لتفرقوا عني "[3].

١- ابن الأثير: النهاية:1/ 107 . ابن منظور: لسان العرب: 8/ 6 . الزبيدي: تاج العروس: 5/ 271 .

٢- ابن حنبل: مسند: 3/ 325، لمزيد من التفاصيل: شرف الدين: النص والاجتهاد: ص194-217.

٣- الكليني: الكافي: 8/ 59- 63 . وأشار لبعضها: الزمخشري: الفائق في غريب الحديث: 1/ 367 . ابن الأثير: النهاية: 1/ 210 .

ولقد ألف الناس هذه البدع وظنوا بأنها هي من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك كله بسبب منهج الخلفاء وسياستهم في التعامل مع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، تلك السياسة التي سلبت السنة شرعيتها و قداستها ومنحت بالمقابل لما استنه الخلفاء مقاما تشريعيا لا يضاهى بظهور ما عرف " بسنة أو سيرة الشيخين " ، إذ جعلوا منها قسما ثالث لكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل إن الواقع يكشف عن ما هو أدهى ، إذ إن الناس أعطوا لسنة الشيخين من التقديس والإجلال ما لم يعطوه لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ودلائل ذلك واضحة كما حدث مع أمير المؤمنين عليه السلام في عهد عثمان الذي لم يكن يقصر في الصلاة في السفر ، فصادف أن اعتل في منى فدعوا أمير المؤمنين عليه السلام للصلاة بهم ، فقال: "إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " فقال أكثرهم : لا، إلا صلاة أمير المؤمنين – يعنون عثمان "[1]. وقصة أمير المؤمنين عليه السلام مع صلاة التراويح من هذا القبيل ، فحين أمرهم بالعود إلى ما كان أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : " وا سنة عمراه "[2]. فهم يعلمون جيدا أنها " سنة عمر " وان الذي يدعوهم إليه الإمام إنما هو " سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم " ؟! فهكذا غيرت سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطرأ عليها هذا النحو من التبديل ، فكان تداركها لإحياء السنة النبوية الثابتة هو من أهم ما وضعه أمير المؤمنين عليه السلام نصب عينيه لما تولى الحكم : " **وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ... وتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ** "[3].

ولكن ما موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من هذه المشكلات التي واجهت السنة النبوية وما هو دوره في معالجتها وإحياء سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا ما سنقف عليه في المبحث التالي بشيء من التفصيل .

١- ابن حزم: المحلى: 4/ 270. الماردينى: الجوهر النقي: 3/ 144 – 145.

٢- الجواهري: جواهر الكلام: 13/ 141.

٣- نهج البلاغة: ص247 .

المبحث الثالث

دور الامام أمير المؤمنين عليه السلام في احياء السنة النبوية

أولا: – مؤهلاته العلمية عليه السلام ثانيا : منهجه عليه السلام في احياء السنة النبوية

اولا : مؤهلاته العلمية عليه السلام

- **علمه بالسنة النبوية:**

كان علمه عليه السلام بالسنة النبوية علما شموليا تفصيليا ، مستوعبا لأفرادها ، عارفا بحدودها ومواقعها ، وليس هذا محض ادعاء ، بل حقيقة ثابتة لم يكن يخفيها ، فلطالما أفصح عنها في خطب بليغة يلقيها على الملأ العظيم ، وفيهم كثير من الصحابة الذين عاشوا معه عليه السلام ومع الرسول صلى الله عليه وآله ، وعرفوه وعرفوا غيره من الصحابة ، فمن ذلك قوله في كلام يصنف فيه رواة الحديث إلى أربع طبقات ، ثم يقول في مقارنة بينه وبين غيره من الصحابة ، " **وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – مَنْ كَانَ يَسْأَلُه ويَسْتَفْهِمُه ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ والطَّارِئُ ، فَيَسْأَلَه عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا ، وكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُه عَنْه وحَفِظْتُه** "[1].

وفوق هذا كانت هناك عناية ربانية خاصة ترعاه إذ شملته رعاية السماء في كثير من جوانب العظمة والارتقاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك ، وان أعلمك و ان تعي ، وحق على الله تعالى أن تعي ، قال: فنزل قوله تعالى ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [2] ﴾[3]، وفي رواية: حين نزلت

١- نهج البلاغة:ص 443 .

٢- سورة الحاقة آية 12 .

٣- الواحدي: اسباب النزول: ص294. ابن طلحة : مطالب السؤول: ص121.

هذه الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي ، قال علي عليه السلام : " فما نسيت شيئا من بعد وما كان لي أن أنسى" [1].

هذا ما أهله لأن يصرح بعظمة علمه قائلا: " **بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ ، اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ** " [2]، إذ بهذا النص الجلي وصف أمير المؤمنين عليه السلام غزارة علمه ، وما تنطوي عليه شخصيته العلمية من شمول وعمق بجوانب متعددة ، لذا نجده يتحدى كل من يدعي العلم من غير أهل البيت عليهم السلام قائلا: " **أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّه ووَضَعَهُمْ ، وأَعْطَانَا وحَرَمَهُمْ وأَدْخَلَنَا وأَخْرَجَهُمْ** "[3].

ولما كان عليه السلام على هذا القدر من العلم أصبح هو الوحيد الذي لم يحتج إلى أحد في علمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد صرح بذلك عليه السلام حينما خاطب طلحة والزبير، مشيرا إلى أنه في غنى عن رأيهما على الصعيد العلمي وغيره ، وذلك حينما عتبا عليه فقالا : ما نراه يستشيرنا في أمر، ولا يفاوضنا في رأي ، ويقطع الأمر دوننا ويستبد بالحكم عنا [4]، فقال عليه السلام : " **فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّه ومَا وَضَعَ لَنَا ، وأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِه فَاتَّبَعْتُه ، ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – فَاقْتَدَيْتُه ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا ولَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، ولَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُه فَأَسْتَشِيرَكُمَا وإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، ولَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ولَا عَنْ غَيْرِكُمَا** "[5].

وإذا كان عليه السلام قد أشار الى علمه إجمالا في النصوص المتقدمة في وصفه لسعة علمه ، فانه في نصوص أخرى قد تكلم بلون من التفصيل عما يشتمل عليه من العلوم في الميادين المختلفة ومن تلك الميادين علمه بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ " يبرهن للناس على علمه التفصيلي الدقيق بالسنة ، كما هو في الكتاب ، في خطاب يأخذ بمجاميع القلوب ، ما سمع الناس نظيرا له من صحابي غيره قط ، فيقول: " **وخَلَّفَ فِيكُمْ [النبي] مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ ، كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَه وحَرَامَه ، وفَرَائِضَه وفَضَائِلَه ونَاسِخَه ومَنْسُوخَه ، ورُخَصَه وعَزَائِمَه**

١- الزيلعي: تخريج الاحاديث والاثار: 4/ 84. المازندراني: شرح أصول الكافي: 7/ 88 ، وينظر: ابن المغازلي: المناقب: ص250 . المتقي الهندي: كنز العمال: 13/ 177.

٢- نهج البلاغة: ص34.

٣- نهج البلاغة: ص263.

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة : ص11/ 10.

٥- نهج البلاغة: ص437.

وخَاصَّه وعَامَّه ، وعِبَرَه وأَمْثَالَه ومُرْسَلَه ومَحْدُودَه ، ومُحْكَمَه ومُتَشَابِهَه مُفَسِّراً مُجْمَلَه ومُبَيِّناً غَوَامِضَه ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِه ومُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِه ، وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُه ، ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُه ، وواجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُه ، ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُه ، وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِه وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِه ، ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِه مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْه نِيرَانَه ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَه غُفْرَانَه ، وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاه مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاه "[1]، هذه أبواب من السنن فتحت على علوم جمة توفر عليها، مع بصيرة لا يخشى عليها لبس ولا توهم "[2].

وفي عهده عليه السلام إلى مالك الاشتر يقول : " **واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، ولَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّه ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ ، ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ومِنْهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ والرِّفْقِ ، ومِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ ، ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، ومِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ ، وكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّه لَه سَهْمَه ، ووَضَعَ عَلَى حَدِّه فَرِيضَةً فِي كِتَابِه أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّه – صلى الله عليه وآله – عَهْداً مِنْه عِنْدَنَا مَحْفُوظاً** "[3].

فهنا أشار عليه السلام إلى جميع أصناف المجتمع وما لهم وما عليهم وذكر إن الله تعالى بين أحكام الجميع في الكتاب والسنة وهما محفوظان عنده عليه السلام [4]، وقال عليه السلام أيضا: " **فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْه مِنْ صِفَتِه فَائْتَمَّ بِه ، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِه ومَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَه ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُه ، ولَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وآله – وأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُه ، فَكِلْ عِلْمَه إِلَى اللَّه سُبْحَانَه ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّه عَلَيْكَ** "[5].

- **اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:**

إن اختصاصه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم جعله الأولى بسنته والأحق بها من بعده ، وقد مر بنا في الفصل الاول دلالات ومعالم هذا الاختصاص الفريد .

١- نهج البلاغة: ص21 – 22.

٢- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص58

٣- نهج البلاغة: ص596.

٤- الميلاني : سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم :في نهج البلاغة: ص 31-32.

٥- نهج البلاغة: ص 149 – 150.

وقد اشار عليه السلام الى معلم من معالم ملازمته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرصه صلى الله عليه وآله وسلم على اعداده عليه السلام انه قد خصه بعلم الكتاب والسنة الشريفة ، إذ يقول: " فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله إن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئا علمه الله من حلال وحرام ، ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ، ولا كتاب منزل على احد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفا واحدا ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا " [1].

وبالقدر الذي كان فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصا على إعداد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ونشأته علميا في كنف النبوة المقدسة كان الإمام عليه السلام نفسه شديد الحرص على التزام شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخذ العلم عنه ، إذ جاءت كلماته صريحة في بيان هذه الملازمة وهذا الحرص منه [2]، وفي نص آخر يقول: " ما دخل نوم عيني ، ولا غمض رأسي على عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى علمت ما نزل به جبرئيل من حلال ، أو حرام ، أو سنة أو كتاب ، أو أمر أو نهي ، وفيمن نزل "[3].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن هذا الاختصاص بالإمام عليه السلام إنما هو توجيه من السماء : " يا علي ! إن الله أمرني أن أدنينك ولا أقصيك ، وان أعلمك ، وان تعي ، حق على الله أن تعي " ، فنزلت آية ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[4].

فمن ذا – بعد هذه الخصوصية – أحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته سوى أمير المؤمنين عليه السلام لذا قال عليه السلام :" إن حُكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنحن أحق الناس وأولاهم بها " [5] ، وقد أشار عليه السلام إن مرجعية علومه ومصدرها هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : " **أَيُّهَا النَّاسُ ، لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي ، ولَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، ولَا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَه مِنِّي ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِه عَنِ**

١- الكليني : أصول الكافي: 1 / 64 ، ينظر: المازندراني: شرح أصول الكافي: 2 / 306. المير جهاني: مصباح البلاغة: ص1 / 327 – 328 . البروجردي: جامع أحاديث الشيعة: ص 1 / 16 ، وتجد ما يشابهه عند: الصدوق: كمال الدين : 284 – 285.

٢- وذلك اشارة لقوله عليه السلام : " **ولَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُه اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّه ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِه عَلَماً ، ويَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِه** ... " ، نهج البلاغة: ص406.

٣- الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل: 43/1.

٤- الواحدي: اسباب النزول: ص294. ابن طلحة : مطالب السؤول: ص121.

٥- نهج البلاغة: ص 238– 239.

النَّبِيِّ الأُمِّيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم –، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ "[1]، ولشدة التصاقه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحمله علومه ومعارفه ، كان عليه السلام يفرغ عن لسانه ، ولا يتردد في تأكيد ذلك بكل اطمئنان فيقول : " **واللَّه مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً ، إِلَّا وهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوه** "[2].

إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المصدر الذي استقى منه أمير المؤمنين عليه السلام الى جانب القرآن الكريم ، ولكن كيف كان يتلقى الإمام عليه السلام ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ إن نصوص النهج تفصح عن وجود عدة طرق :

أولا: أشار الإمام عليه السلام الى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخصه ببعض الأحاديث ، فيقول عليه السلام : " **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه...**"[3]

ثانيا: الوصية أو العهد ، في قوله عليه السلام : " **عَهْداً مِنْه عِنْدَنَا مَحْفُوظاً** "[4]

ثالثا: سؤاله عليه السلام : فقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من مورد انه كان يتوجه للنبي فيسأله [5]، وهذا مصداق لقوله عليه السلام: " وكنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجابني " [6]، وقد مر بنا إشارة الإمام عليه السلام إن إن أصحاب النبي ما كانوا يسألونه كما كان يفعل هو عليه السلام .

رابعا: السماع : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوجه خطابه لسائر المسلمين ، أو من حضر عنده في المسجد أو غيره ، وكان عليه السلام بحكم مرافقته له صلى الله عليه وآله وسلم ، والتزام شخصه صلى الله عليه وآله وسلم احد السامعين له [7]، ولكنه بالتأكيد كان أحفظهم لكلامه صلى الله عليه وآله وسلم وافهمهم له ، وقد انتقد عليه السلام أصنافا من الرواة الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنهم لم يفهموا ويعوا حديثه

خامسا: مشاهدة أفعاله صلى الله عليه وآله وسلم : لما كانت السنة النبوية المشرفة لا تقتصر على أقوال النبي بل تشمل أفعاله صلى الله عليه وآله وسلم وبحكم مرافقته له صلى الله عليه وآله وسلم في حله وترحاله ، لذلك كان عليه السلام يشاهد أفعاله صلى الله عليه وآله وسلم التي تعد سنة واجبة الإتباع[8].

١- نهج البلاغة: ص186 – 187.
٢- نهج البلاغة: ص145 .
٣- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص 525.
٤- نهج البلاغة: ص 596.
٥- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص 610 .
٦- الكليني: الكافي 64/1. النعماني: الغيبة: ص82. المازندراني: شرح أصول الكافي:2/ 306.
٧- نهج البلاغة: ص309 ، 581، 583، 609.
٨- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص431، 503.

سادسا: أخرى: كان أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى بعض أقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله دون الإشارة إلى الكيفية التي استقى من خلالها ، فيقول مثلا : " **كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول** " [1] أو " **قَالَ رَسُولُ اللَّه** " [2] أو " **وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّه** " [3] أو " **على لسان النبي الأمي** "[4]، أو ": **فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول... يقول...** " [5]

سابعا: الاستشهاد بكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون الإشارة لذلك [6] وفي ذلك دلالة على امتزاج الإمام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لم يقتصر دور أمير المؤمنين عليه السلام على رواية الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل نجده عاملا بها ، و شارحا لها ، مبينا صحيحها من زيفها .

ثانيا : منهجه عليه السلام في احياء السنة النبوية

إن المنهج هو الذي سيحدد عنده موقع السنة ، وطريقته في التعامل معها رواية وتدوينا ، لقد كانت السنة عنده في المكان الذي وضعها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، حاكمة غير محكوم عليها ، لا تنسخها (مصلحة) ، فالمصلحة كل المصلحة في تحكيمها وإتباعها ، ولقد ضحى بالخلافة مرة حفاظا على السنة أن تنتهك أو يساء الفهم في حقيقة مكانتها [7]. وهو الذي عارض عثمان في مخالفته لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصر على إحيائها ، إذ روي أنه اجتمع أمير المؤمنين والخليفة عثمان في عسفان [8] ، فكان عثمان

١- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص503.
٢- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص338.
٣- ينظر مثلا: نهج البلاغة: ص430.
٤- ينظر مثلا: نهج البلاغة ص 281، 662.
٥- ينظر مثلا : نهج البلاغة: ص339.
٦- نهج البلاغة: ص754 ، 756- 757.
٧- عبد الحميد: تاريخ السنة: ص59.
٨- عسفان: بضم أوله ، وسكون ثانية ، سميت لتعسف السيل فيها ، وهي ما بين المدينة ومكة ، تبعد عن مكة مرحلتين. ياقوت الحموي: معجم البلدان: 4/121- 122.

ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال له علي: ما تريد إلى أمر فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنهي الناس عنه ؟ فقال له عثمان دعنا عنك ، قال: إني لا استطيع أن ادعك ، فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعا "[1]

فهنا أمير المؤمنين عليه السلام لم يداهن أو يحابي على الحق وان خالف بذلك الحاكم في وقته ، وفي رواية ثانية : عن مروان بن الحكم ، انه شهد عثمان وعليا بين مكة والمدينة ، وعثمان ينهى عن المتعة ، وان يجمع بينهما ، فلما رأى ذلك علي أهل بهما: لبيك بحجة وعمرة ، فقال عثمان : تراني أنهى الناس وأنت تفعله ؟ فقال : ما كنت لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقول أحد [2] . وروي انه قيل له : ألا تخلف رجلا رجلا يصلي الناس في العيدين ؟ فقال: لا أخالف السنة [3] ، وفي رواية : انه قال: أكره أن استن سنة لم لم يستنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[4].

فالإمام عليه السلام يثبت عمليا انه لا يجوز مخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل الواجب التقيد بها مهما كان . لذا نجده رفض أن يبايعوا له بالخلافة على عقد يقرن بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سننا أخرى ، إذ عرض عليه عبد الرحمن بن عوف أن يبايع له على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر ، فرفض أن يقرن إلى كتاب الله وسنة رسوله شيئا آخر [5] ، فضحى بالخلافة حفظا لمكانة السنة في درس بليغ لم تقف الأمة على جوهره حتى اليوم [6] .

وفي حادثة أخرى نجده أيضا يرفض أن يعزز جيشه بكتيبة جاءت تبايع له على خلاف السنة يوم خرج عليه المارقون ، إذ قالوا: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ! فرفض أن يقرن بكتاب الله وسنة رسوله شرطا ولو أدى رفضه إلى تمرد هؤلاء والتحاقهم بالمارقين [7]. فلو قبل الإمام عليه السلام بهذا الشرط ، فان ذلك يعني التخلي عن مدرسة التعبد المحض ، والانخراط في سلك الاجتهاد بالرأي

١- البخاري: الصحيح: 2/ 153 . البيهقي: السنن الكبرى: 22/5 . ابن عبد البر: الاستذكار: 66/4. ابن الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين: 1/ 182. ابن تيمية: مجموعة الفتاوي: 26/ 82. الذهبي: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: 2/ 15. الزيلعي: نصب الراية: 3/ 199 . العيني: عمدة القاري: 203/9. السيوطي: الدر المنثور: 1/ 216.

٢- أبو داود: المسند: ص16 . الدارمي: السنن: 70/2. البيهقي: السنن الكبرى: 22/5.

٣- البرقي: المحاسن: 222/1. الطوسي: الخلاف: 1/ 667. الطبرسي: المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف: 234/1.

٤- البحراني: الحدائق الناظرة: 209/10. المجلسي: البحار:87 / 374. الجواهري: جواهر الكلام: 335/11.

٥- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 1/ 188 . ابن ميثم البحراني: اختيار مصباح السالكين: ص95.

٦- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 59.

٧- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 59- 60 .

وذلك ما لا يقره الامام علي بن أبي طالب عليه السلام تبعا لرسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن المجيد ...لأنه يضفي الشرعية على تلك الفكرة المستحدثة [1].

ورفض عليه السلام أن يشتري استقرار الحكم أيام خلافته بمداهنة أهل البدع والانحراف الذين انتهكوا السنن وعطلوا الحدود في درس عبقري يظنه القشريون حتى اليوم إخفاقا سياسيا [2]، ورفض أن يعامل أعداءه ولو مرة بخلاف السنة ، وهم يمكرون وينكثون ويغدرون [3] ، فالمنهج الذي تعامل به عليه السلام مع السنة النبوية المشرفة هو الذي حفظ لهما مكانتها وأعاد لها روحها وقدسيتها ، إذ دخلت السنة في عهده مرحلة جديدة مغايرة لما عهدته بعد النبي صلى الله عليه وآله، إذ انه على وفق هذا المنهج قد كانت له مواقف وسياسة أخرى غير التي مارسها من سبقه ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية ومن تلاهم .

- آليات حفظ السنة

ويمكن إجمال أعماله في سبيل إحياء السنة النبوية صلى الله عليه وآله بالأمور التالية :

أ -تدوين السنة **ب- رواية الحديث**

أ – تدوين السنة :

من المعلوم إن أمير المؤمنين عليه السلام كان كاتب الوحي ، وكاتب للحديث بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ومما اشتهر عنه في هذا المجال " صحيفة علي" التي كان يحملها في قائم سيفه ، وبلغ من شهرتها : " لا يكاد يخلو منها واحد من كتب الحديث والسنن ، نقلوا منها نصوصا متفرقة بعضها أشبه بعناوين لما تحويه ، وبعضها فيه تفصيل [4]، وقد جمع ابن حجر العسقلاني كثيرا مما نقل عن تلك الصحيفة ، وقال: الجمع بين هذه الأحاديث إن الصحيفة كانت واحدة ، وكان جميع ذلك مكتوبا فيها ، ونقل كل واحد من

١- الشهرستاني : وضوء النبي صلى الله عليه وآله: 22/2.

٢- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 59.

٣- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص 60.

٤- الشافعي: اختلاف الحديث: ص 565، الأم: 40/6، 187/7، 340، المسند: ص190، ابن حنبل: المسند: 79/1. البخاري: الصحيح: 1/ 36، 30/4، الدارمي: السنن: 2/ 190، الترمذي: السنن: 2/ 433. ابن حزم: المحلى : 10/ 354. النووي: شرح صحيح مسلم: 130/18، المجموع: 18/ 356، العيني: عمدة القاري: 15/ 301، ولمزيد من الدراسة عنها ينظر: محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية: ص 94 –96 . العاملي: كتاب علي عليه السلام: ص51 – 77.

الرواة عنه ما حفظه [١] . ولم تكن الصحيفة هي الوحيدة التي جمع فيها أمير المؤمنين أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل تشير الروايات إلى ما عرف بـ " كتاب علي" [٢] الذي أصبح علما يتكرر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام كتاب كبير يتوارثونه . وكان هذا الكتاب عند الإمام الحسن بن علي يرجع إليه [٣] ، وكان الإمام الباقر عليه السلام قد اخرج هذا الكتاب أمام طائفة من أهل العلم ، وقال لهم : " انه بخط علي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " [٤]، وعرض هذا الكتاب أيضا الإمامان الصادق و الهادي عليهما السلام غير مرة يقول : " انه بخط علي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتوارثه صاغرا عن كابر " [٥].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو إلى تدوين السنة الشريفة ، فقد خطب في الناس مرة ، فقال: " قيدوا العلم ، قيدوا العلم " أي أكتبوه [٦] . وكانت الكتابة عند أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه مشهورة حدث بها كثيرون [٧] .

ب- رواية الحديث:

إن لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (السنة القولية) خصوصية لدى أمير المؤمنين عليه السلام إذ كما مر بنا انه يقرر حجية قوله صلى الله عليه وآله وسلم وعصمته ووجوب التسليم المطلق لكل ما يقوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ روى انه خطب في الناس مرة ، فقال: " خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اللهم ارحم خلفائي – ثلاث مرات – قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ فقال: الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس" [٨]. وكان يوصي أصحابه قائلا: " تزاوروا وتدارسوا الحديث ، ولا

١- فتح الباري: 183/1 .

٢- الشافعي: الأم:161/2. البرقي: المحاسن: 1/ 107. الكليني: الكافي: 340/4. ابن حزم: المحلى 6/ 37، 103/7 . العاملي: كتاب علي: ص21- 49.

٣- ابن حنبل: العلل: 346/1 .

٤- النجاشي : رجال: ص360 .

٥- المسعودي: مروج الذهب: 4/ 86 . المجلسي: البحار: 50/ 208.

٦- ابن حمزة الطوسي: الثاقب: ص278 . ابن ميثم: شرح مئة كلمة: ص261.

٧- عبد الحميد: تاريخ السنة النبوية: ص50.

٨-الرامهرمزي: المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: ص 163. الزيلعي: نصب الراية: 1/ 471. المتقي الهندي: كنز العمال : 10/ 221.

ولا تتركوه يدُرس " [1]. وقد قسم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قسمين " **وقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله وسلم – الْكَلَامُ ، لَه وَجْهَانِ فَكَلَامٌ خَاصٌّ وكَلَامٌ عَامٌّ** " [2]. وقد بين عليه السلام الحاجة لهذا التوضيح منه عليه السلام ببيان واثر ذلك على سامعي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وناقليه إذ يقول: " **فَيَسْمَعُه مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّه سُبْحَانَه بِه ، ولَا مَا عَنَى رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله وسلم – فَيَحْمِلُه السَّامِعُ ويُوَجِّهُه عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاه ، ومَا قُصِدَ بِه ومَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِه** "[3].

في هذا النص إشارة تنبيهية الى وجوب الدقة والتحري عن معنى ما قصده النبي صلى الله عليه وآله بهذا الكلام أو ذاك وسبب إطلاقه ، فالإمام عليه السلام يضع الأسس الصحيحة الواجب على المحدث أو الناقل عن النبي صلى الله عليه وآله الالتزام بها، ولعل آلية ذلك هو التوجه للسؤال إلى النبي صلى الله عليه وآله نفسه إن كان الناقل أو السامع لحديثه إنما سمعه مباشرة منه ، وقد أشار عليه السلام إلى انه ما كان كل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حريصين على سؤاله . بينما كان هو عليه السلام حريصا على ذلك، ومن حرصه على ذلك " **وكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُه عَنْه وحَفِظْتُه** "[4]، وفي نص آخر يحمل توجيها منه عليه السلام يوضح لنا أهمية العناية بدراية الحديث ومعرفة فقهه إذ يقول عليه السلام:" **اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوه عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ** "[5]، وأشار عليه السلام في موضع آخر إلى سمة من سمات العترة الطاهرة الذي يتقدمهم امير المؤمنين عليه السلام في تعاملهم مع الشارع والتشريع بقوله : " **عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ ورِعَايَةٍ ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ ورِوَايَةٍ ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ** "[6].

ومن الشواهد على ذلك حين سُئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: " غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود" ، فقال عليه السلام : " **إِنَّمَا قَالَ – صلى الله عليه وآله وسلم – ذَلِكَ والدِّينُ قُلٌّ – فَأَمَّا الآنَ وقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُه وضَرَبَ بِجِرَانِه – فَامْرُؤٌ ومَا اخْتَارَ** "[7] ، مما يدلل على لزوم فهم النص مع ملاحظة ملابساته الزمانية والمكانية والمكانية [8]. فإن لم يكن الناقل للحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ممن سمعه منه مباشرة ، أي نقل إليه بالواسطة ،

١-المتقي الهندي: كنز العمال : 10/ 304.
٢- نهج البلاغة: ص443.
٣- نهج البلاغة: ص443.
٤- نهج البلاغة: ص443 .
٥- نهج البلاغة: ص671.
٦- نهج البلاغة: 490.
٧- نهج البلاغة: ص653.
٨- الميلاني: سيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: ص35.

، وجب عليه الرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام وفق السمة التي أشار إليها الإمام أعلاه ، والشاهد الذي قدمناه ، إذ أنهم عليهم السلام أهل العلم الذين عندهم " **أَبْوَابُ الْحُكْمِ وضِيَاءُ الأَمْرِ** " [1] و " **فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا** "[2].

وفي أثناء فتحه لباب الرواية والتدوين كان يكثر عليه السلام التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقرع أسماعهم بين الحين والآخر بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ** "[3]، وقد اهتم عليه السلام كثيرا بتوثيق الأحاديث وحمايتها من آفة الدس والوضع ، وكان من أهم خطواته في هذا المجال مما مر ذكره آنفا من وضع عدد من الضوابط المشار إليها ، وأيضا قام بطرد القصاصين من المسجد [4] الذين لهم اليد الطولى في دخول الإسرائيليات وانتشارها في كتب التراث الإسلامي من ذلك ذلك العهد والى الآن . وبين أيدينا نص مهم يشخص فيه أمير المؤمنين عليه السلام الواقع الذي كان عليه الحديث النبوي آنذاك ، إذ سئل عليه السلام عن أحاديث البدع واختلاف الناس في روايتهم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فأجاب عليه السلام :" إن في أيدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..." ، ثم صنف رواة الحديث وحالهم فيه، واثر ذلك على ما صدر عنهم من أحاديث: فقال عليه السلام " **وإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ** "[5].

<u>الصنف الأول: المنافقون:</u> " **رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ ، لَا يَتَأَثَّمُ ولَا يَتَحَرَّجُ ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله وسلم – مُتَعَمِّداً ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّه مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْه ، ولَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَه ، ولَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – ، رَآه وسَمِعَ مِنْه ولَقِفَ عَنْه فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِه ، وقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّه عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، ووَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِه لَكَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَه ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ ، والدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ والْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ**

١-نهج البلاغة: ص230.

٢- نهج البلاغة: ص283.

٣- نهج البلاغة: ص441.

٤- المتقي الهندي: كنز العمال: 281/10 – 282.

٥- نهج البلاغة: ص440 –441.

الأَعْمَالَ وجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ والدُّنْيَا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّه فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ ، "[1].وقد تناولنا هذا الصنف فيما سبق فلا حاجة للإعادة هنا.

الصنف الثاني: الخاطئون: " **ورَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْه عَلَى وَجْهِه ، فَوَهِمَ فِيه ولَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْه ، ويَرْوِيه ويَعْمَلُ بِه ، ويَقُولُ أَنَا سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّه وَهِمَ فِيه لَمْ يَقْبَلُوه مِنْه ، ولَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّه كَذَلِكَ لَرَفَضَه !**"[2].

وذلك أن يسمع من الرسول ﷺ كلاما فيتصور منه معنى غير ما يريده الرسول ، ثم لا يحفظ اللفظ بعينه ، فيورده بعبارته الدالة على ما تصوره من المعنى ، فلا يكون قد حفظه وتصوره على وجهه المقصود للرسول ﷺ ، فوهم فيه ، ولم يتعمد كذبا لوهمه ، فهو في يديه يرويه ويعمل به على وفق ما تصور منه ويسنده إلى الرسول ﷺ ، وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هي عدم علمهم بوهمه ، وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به " [3] . ومما ذكر انه يشترط في راوي الحديث من جملة ما يشترط أن يكون من الذين يحسنون ضبط ما يسمعونه ويؤدونه على وجهه ، ولا ثقة بقول من لا يحسن الضبط وان لم يكن فاسقا [4] .

الصنف الثالث: أهل الشبهة: " **ورَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – شَيْئاً ، يَأْمُرُ بِه ثُمَّ إِنَّه نَهَى عَنْه وهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَه يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِه وهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ولَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّه مَنْسُوخٌ لَرَفَضَه ، ولَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوه مِنْه أَنَّه مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوه ،**"[5].

كان رسول الله ﷺ يبلغ بعض الإحكام ، فيسمعه من كان حاضرا ، وقد يكون الحاضر السامع صادقا واعيا لما سمع ، ولكن الرسول قد ينهى عما كان قد أمر به من قبل ، لان المصلحة التي أوجبت العمل قد انتهت وذهبت بذهاب وقتها ، فيسمع النهي من حضر غير الذي سمع الأمر، فينقل عن النبي النهي من سمعه ، فينقل الأمر من سمعه أيضا ، والإحاطة بجميع أحاديث الرسول ﷺ أمر عسير [6].

١- نهج البلاغة: ص441 -442.
٢- نهج البلاغة: ص442.
٣- ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: 4/ 31- 32.
٤- مغنية : في ظلال نهج البلاغة : 3 / 244 .
٥- نهج البلاغة: ص442.
٦- مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ص 3 / 244

وإن كتب الحديث والفقه مشحونة بذلك، كالذين أباحوا لحوم الحمر الأهلية لخبر رووه في ذلك ولم يرووا الخبر الناسخ [1].

الصنف الرابع: الصادقون الحافظون: " **وآخَرُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّه ولَا عَلَى رَسُولِه ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّه وتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – ، ولَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِه ، فَجَاءَ بِه عَلَى مَا سَمِعَه ، لَمْ يَزِدْ فِيه ولَمْ يَنْقُصْ مِنْه ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِه ، وحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْه ، وعَرَفَ الْخَاصَّ والْعَامَّ والْمُحْكَمَ والْمُتَشَابِه ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَه** "[2]. وهو صنف العلماء الراسخون في العلم[3].

فهو الراوي العالم القدير الذي له عناية بأمر الدين واهتمام بمدارك الشرع المبين [4] كما هو راو ثقة خبير، يميز بين موارد الحقيقة والمجاز، وبين الحديث الواضح الذي لا يجوز تأويله بحال ، والمشكل الذي يمكن تأويله بما يتفق مع العقل ومقاصد الشريعة ، ويعرف العموميات والمطلقات ، وما يعارض المعنى الظاهر من المخصصات والمطلقات ، ويجمع بينها بما يقتضيه الفن والصناعة ، وأيضا يعرف زمن الناسخ وزمن المنسوخ ، ولا يخلط بين المتقدم والمتأخر، ويصنع كل شيء في موضعه[5].

إن هذه النكتة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام جامعة لأكثر أحكام الأخبار التي يذكرها الأصوليون ، ويطنبون في تفصيلها قد جمعها باختصر لفظ واقله [6] . ولا يجوز الأخذ والعمل برواية الأول والثاني إطلاقا ، وأما الثالث ، فيؤخذ بروايته نظريا إذا كان صادقا ضابطا ، ولا يجوز الأخذ بها عمليا إلا بعد التتبع والبحث عما يعارض الرواية من الأدلة والقرائن ، فان لم نجد المعارض عملنا بها كما هي ، وإلا قارنا بينها وبين المعارض ، وعملنا بما تستدعيه الأصول والقواعد ، والرابع كالثالث ، و لا اثر للعلم وكثرته في صحة الحديث وقوته [7].

١- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة : ص 11 / 39

٢- نهج البلاغة: ص442 -443

٣- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ص 11 / 39

٤- حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ص 4 / 31 .

٥- مغنية : في ضلال نهج البلاغة: ص 3 / 244- 245 .

٦- الحسيني: الديباج: ص 4 / 1712 – 1713.

٧- مغنية: في ظلال نهج البلاغة: ص 3 / 245.

يعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصدق مثال على الأنموذج الرابع من رواة الحديث ، وقد مر بنا مؤهلاته العلمية التي ميزته عن سائر الناس ، وألمح عليه السلام إلى الفارق بينه وبين غيره من الصحابة في تعامله مع الحديث النبوي ، لذا كان الأولى به صلى الله عليه وآله وسلم وبسنته الشريفة و رواة حديثه ، فكان عليه السلام لشدة امتزاجه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفرغ من لسانه صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما يرويه " **فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم – ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ ولَا جَهِلَ السَّامِعُ** " [1] ، وفي قول آخر: " **واللَّه مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً ، إِلَّا وهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوه** " [2].

والغريب إننا نجد في بعض النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام انه اتهم بالكذب ، ولكن كيف يتهم أمير المؤمنين عليه السلام بذلك ؟!! ولعل سبب ذلك يرجع إلى الحقد والحسد الذي ابتلي به عليه السلام من قبل بعض الصحابة، وهم ممن لا يتورع عن الكذب ، فاتهموه جزافا بهكذا تهمة وأشاعوها بين الناس فمن ألفوا إتباعهم لهم جهلا أو تجاهلا.

في الواقع إن المدة التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (11 – 35 هـ) التي أسدل فيها الستار على قداسة السنة النبوية ، فوضعت الأحاديث التي رفعت من مقام من لا مقام له ، ومنحتهم ما ليس لهم كذبا وزورا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي المقابل تم الحجر على رواية الكثير من الأحاديث ولا سيما المتعلقة منها بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ضمن سياسة الخلفاء قبله ، لدفعه عن حقه في الخلافة ، وما أن جاء عهد الإمام عليه السلام وتولى الحكم ، كما أسلفنا انه قد فتح باب الرواية والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأطلق الأحاديث التي لم يعرفها المجتمع ، إذ لم يسمع بها من قبل ، فتفاجئوا بها لذا اتهموه بالكذب !

ولقد نفى أمير المؤمنين عليه السلام هذه التهمة عنه في أكثر من مورد ، إذ كيف يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول من صدقه؟ إذ جاء في خطابه لأهل العراق: " **ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّه تَعَالَى ، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّه فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه ، أَمْ عَلَى نَبِيِّه فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه** "[3].وقال في مورد آخر: " **أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله وسلم – ، واللَّه لأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَه ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْه** "[4]، وفي وصف مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " **ومَا وَجَدَ**

١- نهج البلاغة: ص187.
٢- نهج البلاغة: ص145.
٣- نهج البلاغة: ص105.
٤- نهج البلاغة: ص77 .

لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً [1] فِي فِعْلٍ "[2]، وما فتئ عليه السلام يؤكد على مصداقيته ، وهو يروي أخبار الملاحم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم " **واللَّه مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً [3] وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ** "[4]. وقال: " **فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِه عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ – صلى الله عليه وآله وسلم – مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ ،** "[5]. وقال عليه السلام " **والَّذِي بَعَثَه بِالْحَقِّ واصْطَفَاه عَلَى الْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً ، وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّه وبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ ، ومَنْجَى مَنْ يَنْجُو ومَآلِ هَذَا الأَمْرِ ، ومَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَه فِي أُذُنَيَّ ، وأَفْضَى بِه إِلَيَّ** "[6].

إن تأكيده على تصديقه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو إشارة لكونه هو " الصديق الأكبر " تلك الكلمة التي قالها على منبر البصرة " أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب "[7].

ومن هنا كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الوارث الحقيقي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا اتسم ببعض خصوصياته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم : إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم : " **إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ...** "[8]

وقد ورد في نهج البلاغة عدة مرويات حديثية أسندها أمير المؤمنين عليه السلام للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، استشهد بها تأييدا لكلامه عليه السلام وهي على نوعين :

١- الخطل :الكلام الفاسد الكثير المضطرب. ابن الاثير: النهاية: 2 / 50 .ابن منظور : لسان العرب : 11 / 209 .

٢- نهج البلاغة: ص 406.

٣- الوشمة: الكلمة. ابن الاثير : النهاية :189/5 .

٤- نهج البلاغة: ص41.

٥- نهج البلاغة: ص187.

٦- نهج البلاغة: ص333 .

٧- أبو جعفر الاسكافي: نقض العثمانية: ص 290. البخاري: التاريخ الكبير: 4/ 23. ابن قتيبة: المعارف: ص 169. البلاذري: أنساب الأشراف: 2/ 146. ابن ابي عاصم: الآحاد والمثاني: 1/ 151. المفيد: الإرشاد: 31/1، الفصول المختارة: ص 261، ابن كرامة: تنبيه الغافلين: ص 83، 148. ابن عساكر: تاريخ دمشق: 42/ 32- 33. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13/ 228. ابن جبر: نهج الإيمان: ص 515. محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص 56 ، 58. الشامي: الدر النظيم: ص 282. الخطيب التبريزي : الإكمال: ص127. المزي: تهذيب الكمال: 12/ 18، 35/ 308. الذهبي: سير أعلام النبلاء: 4/ 508، الكاشف: 2/ 517، ميزان الاعتدال: 2/ 212. ابن كثير: البداية والنهاية: 7/ 370. ابن حجر: تهذيب التهذيب: 4/ 179 ، 12/ 401. الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص 153 . المتقي الهندي: كنز العمال : 13/ 164 . البحراني: غاية المرام: 5/ 171 . ابن الدمشقي: جواهر المطالب : 1/ 38. القندوزي: ينابيع المودة: 2/ 144، 146 . البري: الجوهرة في نسب الإمام علي وآله عليه السلام: ص8-9 .

٨- نهج البلاغة: ص406.

أولا : الأحاديث ثانيا: المغيبات والملاحم

أولا : الأحاديث :

هناك جملة من الاحاديث رواها أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في موضوعات مختلفة ، وقد وردت في المصادر الاخرى برواية الامام عليه السلام وغيره من الصحابة عنه صلى الله عليه وآله وسلم كما يتبين من توثيقها :

- فعن زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام في وصف زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم : " **ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِه فَتَكُونُ فِيه التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ ، يَا فُلَانَةُ لِإِحْدَى أَزْوَاجِه غَيِّبِيه عَنِّي ، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْه ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا** "[1].
- وعن أهل البيت ومكانتهم قال عليه السلام : " **أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ - صلى الله عليه وآله - إِنَّه يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا ولَيْسَ بِمَيِّتٍ - ويَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا ولَيْسَ بِبَالٍ** "[2].
- وعن الصلاة ذكر حديثين ، وهما قوله عليه السلام : " **وإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّراً ولَا مُضَيِّعاً ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِه الْعِلَّةُ ولَه الْحَاجَةُ ، وقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ ، كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ: صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ ، وكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**" [3].

١- نهج البلاغة: ص299. وينظر :ابن حمدون : التذكرة الحمدونية : 1 / 86 – 87 .

٢- نهج البلاغة: ص 141 – 142. ورد في المصادر بلفظ مقارب ينظر: الصفار : بصائر الدرجات : ص 295 . الراوندي : الخرائج : 2 /818 . الآملي : تفسير المحيط الاعظم : 1 / 439 . القندوزي : ينابيع المودة : 1 / 84 ، 3/ 432 .

٣- نهج البلاغة: ص610. وينظر:الحراني : تحف العقول : ص 144 . ابن حمدون : التذكرة الحمدونية : 1 / 325 . النويري : نهاية الارب : 6 / 29 . المجلسي : البحار : 33 / 609، 74 / 260 ، 85 / 92 . الريشهري : ميزان الحكمة : 2 / 1649 .

- وقال عليه السلام في فضل الصلاة : " ... **وشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّه- صلى الله عليه وآله - بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْه مِنَ الدَّرَنِ** "[1].
- وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ** "[2].
- وقال عليه السلام قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : " **إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً ولَا مُشْرِكاً ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُه اللَّه بِإِيمَانِه ، وأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُه اللَّه بِشِرْكِه ، ولَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ ، عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ ويَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ** "[3]
- وعن إصلاح ذات البين قال عليه السلام في وصيته لولديه عليه السلام : " **فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ ، صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ** "[4].
- وعن حرمة المثلة قال عليه السلام : " **فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ ، إِيَّاكُمْ والْمُثْلَةَ ولَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ** "[5].
- وعن حقوق الضعفاء ، قال عليه السلام : " **فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ ، لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّه مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ** "[6].

١- نهج البلاغة: ص430. وينظر: المجلسي : البحار : 449/33 ، 79 / 225 . البروجردي : جامع احاديث الشيعة : 2 / 52 . الريشهري : ميزان الحكمة : 2 / 1629 .

٢- نهج البلاغة: ص441. وينظر : الصنعاني : المصنف : 261/11 . ابن حنبل : المسند : 1 / 78 ، 130 ، 3 /44 . الدارمي : السنن : 1 / 76 – 77 ، 146 . البخاري : الصحيح : 2 / 81 . مسلم : الصحيح : 1 / 8 . الصدوق : من لايحضره الفقيه : 4 / 364 . الحاكم : المستدرك : 1 / 77 ، 3 / 262 ، 280 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 1 / 142 – 144.

٣- نهج البلاغة: ص525. وينظر : الثقفي : الغارات : 1 / 248 . الطبراني : المعجم الاوسط : 7/ 128 ، المعجم الصغير : 2 / 93 . الهيثمي : مجمع الزوائد : 1 / 187 . الشهيد الثاني : منية المريد : 136 –137 . المجلسي : البحار : 2 /110.

٤- نهج البلاغة: ص581 – 582. وينظر : الصدوق : ثواب الاعمال : ص 148 . الطوسي : الامالي : ص 522 . ابن ابي جمهور الاحسائي : عوالي اللئالي : 1 / 266 .

٥- نهج البلاغة: ص 583. ينظر : الطبري : تاريخ : 4 / 114 . ابن الفتال : روضة الواعظين : ص 137 . الزمخشري : ربيع الابرار : 2 / 94 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 60 . المحب الطبري : الرياض النضرة : 3 / 238

٦- نهج البلاغة: ص 609. ينظر :ابن ابي شيبة : المصنف : 5 / 247 . الكليني : الكافي : 5 / 56 . الطبراني : المعجم الاوسط : 5 / 235 . الحاكم : المستدرك : 3 / 256 . السيوطي : الجامع الكبير : 2 / 299 .

- وقال عليه السلام عن الحاكم الجائر: " **وإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه – صلى الله عليه وآله – يَقُولُ ، يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ ، ولَيْسَ مَعَه نَصِيرٌ ولَا عَاذِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى – ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا** "[1].
- وعن العمل قال عليه السلام : " **وقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ – صلى الله عليه وآله – إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْعَبْدَ ويُبْغِضُ عَمَلَه ، ويُحِبُّ الْعَمَلَ ويُبْغِضُ بَدَنَه** "[2] .
- وقال عليه السلام : " **فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه – صلى الله عليه وآله – كَانَ يَقُولُ ، إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، وإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ** "[3] .
- وقال عليه السلام : " **لَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله – لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُه ، ولَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُه حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُه** "[4].
- وقال عليه السلام : " **فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه – صلى الله عليه وآله – كَانَ يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ ودَعِ الشَّرَّ ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ** "[5].
- وقال عليه السلام : " **لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ [6]الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا ، عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي ، ولَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا [7] عَلَى الْمُنَافِقِ ، عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ، وذَلِكَ أَنَّه قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى**

١- نهج البلاغة: ص 309. ينظر: الطبري : تاريخ : 3 / 376 .الزمخشري: ربيع الابرار : 5 / 173 . ابن الاثير : الكامل : 3 / 151 . الريشهري : ميزان الحكمة : 1 / 125 .

٢- نهج البلاغة: ص 283. ينظر : الطوسي : الامالي : ص 411 . ابن شهراشوب : المناقب : 3 / 320 . العلامة الحلي : اجوبة المسائل المهنائية : ص 50 .

٣- نهج البلاغة: ص334. وينظر : ابن ابي شيبة : المصنف : 8 / 159 . الطبراني : المعجم الكبير : 9 / 104 . ابن عبد البر : التمهيد : 19 /116 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 32 / 13 . ابن عربي : الفتوحات المكية : 4 / 385 .

٤- نهج البلاغة: ص338. ينظر : ابن حنبل : المسند : 3 / 198 . الطبراني : المعجم الكبير : 10 / 227 . البيهقي : شعب الايمان : 1 / 41 . المتقي الهندي : كنز العمال : 3 / 62 ، 9/ 56 . المجلسي : البحار : 68 / 287 .

٥- نهج البلاغة: ص 339. وينظر : الديلمي : اعلام الدين في صفات المؤمنين : ص 107 . ابن ابي جمهور الاحسائي : عوالي اللئالي : 1 /279 . المجلسي : البحار : 72 / 321 .

٦- الخيشوم اصل الانف . ابن سيده : المخصص : ج1ق1 (السفر الاول) : ص 131 .

٧- جمع جمة ، وهي موضع مجتمع الماء المترشح من الواح السفينة، ويقصد الامام عليه السلام: لو كفات عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها . الجوهري : الصحاح : 5/ 1890 .

لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ – صلى الله عليه وآله – أَنَّه قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ "[1].

– ولما سُئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله : " **غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ ، فَقَالَ عليه السلام إِنَّمَا قَالَ – صلى الله عليه وآله – ذَلِكَ والدِّينُ قُلٌّ ، فَأَمَّا الآنَ وقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُه وضَرَبَ بِجِرَانِه ، فَامْرُؤٌ ومَا اخْتَارَ "[2].**

– قال عليه السلام : " **إِنَّه لَمَّا أَنْزَلَ اللَّه سُبْحَانَه قَوْلَه : ﴿ ألم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ *[3] ، عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا ، ورَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله – بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّه تَعَالَى بِهَا ، فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه ، أَولَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ ، حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ، فَقَالَ لِي إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، ولَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى والشُّكْرِ ، وقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، ويَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، ويَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَه ويَأْمَنُونَ سَطْوَتَه ، ويَسْتَحِلُّونَ حَرَامَه بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، والأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ، والسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ والرِّبَا بِالْبَيْعِ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ، أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ "[4]**

١– نهج البلاغة: ص662 . وبنظر الثقفي : الغارات : 43/1 . القاضي المغربي : شرح الاخبار : 3 / 575 . الطوسي : الامالي : ص 206 . ابن المغازلي : المناقب : ص 164 . الزمخشري : ربيع الابرار : 401/1 . ابن عساكر : تاريخ دمشق : 42 /277 . الاربلي : كشف الغمة : 2 / 21 .

٢– نهج البلاغة: ص 653 . وينظر : ابن حنبل : المسند : 1/ 165 . الترمذي : السنن : 3 / 144 . الصدوق : الخصال : ص 498 . البيهقي : شعب الايمان : 212/5 . الشوكاني : نيل الاوطار : 1 / 145 .

٣– سورة العنكبوت الآية 1 – 2

٤– نهج البلاغة: ص289. وينظر : الديلمي : اعلام الدين : ص 104 . المتقي الهندي : كنز العمال : 16 /194 . المجلسي : البحار : 22 / 241 .

- قال عليه السلام : " **ولَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْه - صلى الله عليه وآله - فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا هَذِه الرَّنَّةُ ، فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِه ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ولَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ ، وإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ** "[1].
- قال عليه السلام : " **ولَقَدْ كُنْتُ مَعَه - صلى الله عليه وآله - لَمَّا أَتَاه الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَه يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً ، لَمْ يَدَّعِه آبَاؤُكَ ولَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، ونَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْه وأَرَيْتَنَاه ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ ورَسُولٌ** ..." [2]. وجاءت بعض الأحاديث على لسان أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الشريف الرضي يومئ إلى إن هناك من ينسبه للنبي صلى الله عليه وآله أو الى أمير المؤمنين عليه السلام من أمثال :
- " **العين وكاء السّهِ** " [3] ، يقول الشريف الرضي : وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله [4] ، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام [5].
- " **القناعة مال لا ينفد** " قال الرضي : " روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله "[6]
- وتبع الإمام جنازة فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلام : " **كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ ونَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ ووَاعِظَةٍ ورُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وجَائِحَةٍ** "[7].

١- نهج البلاغة: ص 406. وينظر : ابن طاووس : الطرائف : ص 415 . البياضي : الصراط المستقيم : 65/2 . المجلسي : البحار : 14 / 476 ، 37 / 270 .

٢- نهج البلاغة: ص407. وينظر: ابن طاووس : الطرائف : ص 415 . القندوزي : ينابيع المودة : 210/1 .

٣- قال الشريف الرضي: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه يشبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. نهج البلاغة: ص754.

٤- ينظر: الشريف الرضي: المجازات النبوية: ص277.

٥- نهج البلاغة: ص754. وينظر : ابن ماجة : السنن : 1/ 161 . الطبراني : المعجم الكبير : 19 / 373 . الطوسي : الخلاف : 1 / 109 . ابن عبد البر : التمهيد : 18 /248 . ابن قدامة : المغني : 1 / 165 . المتقي الهندي: كنز العمال : 9 / 342 .

٦- نهج البلاغة: ص 663، 756 - 757. وينظر: الشريف الرضي: خصائص الائمة: ص 125. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله: الطبراني: المعجم الاوسط: 84/7. الصوري: الفوائد المنتقاة: ص 110. الطبرسي: مشكاة الأنوار: ص 223. الهيثمي: مجمع الزوائد :256/10. النوري: وسائل الشيعة: 226/15.

٧- نهج البلاغة: ص678. قال الشريف الرضي وهناك من ينسب هذا القول للنبي صلى الله عليه وآله. خصائص الائمة: ص99.

- وقال عليه السلام :" **طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِه وطَابَ كَسْبُه ، وصَلَحَتْ سَرِيرَتُه وحَسُنَتْ خَلِيقَتُه ، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِه وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِه ، وعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّه ووَسِعَتْه السُّنَّةُ ولَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ قال الرضي أقول ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله - وكذلك الذي قبله** "[1].
- قال عليه السلام : " **اخْبُرْ تَقْلِه قال الرضي ، ومن الناس من يروي هذا للرسول - صلى الله عليه وآله - ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي قال المأمون ، لولا أن عليا عليه السلام قال اخبر تقله ، لقلت أقله تخبر** [2].

ثانيا : المغيبات والملاحم[3] :

الغيب لغة: ما غاب عنك[4]. والغيبيات هي الحوادث التي تقع في المستقبل. اما علم الغيب فهو العلم الذي يلم به انسان تنقشع من امام عينيه حجب القرون ، وتنطوي المسافات فيقرأ المستقبل البعيد او الحاضر المحجوب كما يقرأ في كتاب مفتوح ، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها [5]. وقد جاء في كلام الامام عليه السلام اشارات مستقبلية تنبأ بها ؛ اذ ان كلامه عليه السلام . " داخل في باب المعجزات المحمدية لاشتمالها على الاخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية " [6]. فقد كان عليه السلام يخبر عن امتلاكه المعرفة بحوادث ومستقبل الايام اذ يقول: " **فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِه ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ، فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَةِ ، ولَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً ، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا ، وقَائِدِهَا وسَائِقِهَا ومُنَاخِ رِكَابِهَا ، ومَحَطِّ رِحَالِهَا ، ومَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، ومَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً ، ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ، ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِه الْأُمُورِ ، وحَوَازِبُ الْخُطُوبِ ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ**

١- نهج البلاغة: ص678. خصائص الائمة: ص99. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 18/ 311.

٢- نهج البلاغة: ص 749. وينظر: الطبراني : مسند الشاميين : 2/ 358 . الذهبي : ميزان الاعتدال : 4 / 497 . المتقي الهندي : كنز العمال : 9 / 30 ، 35 .

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: غزوان عبد الكاظم المرزوك: الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تاريخية :(الصفحات جميعها).

٤- الجوهري: الصحاح 1/ 196 . ابن الأثير: النهاية: 3/ 399 . ابن منظور: لسان العرب:654/1 .

٥- شمس الدين : دراسات في نهج البلاغة: ص12 .

٦- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 4/1 - 5 .

السَّائِلِينَ ، وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ "[1]. ولم يُعرف احد قال: " سلوني قبل ان تفقدوني " لا من الصحابة ولا غيرهم سوى الامام علي عليه السلام حتى ان احد الوعاظ قال ذلك على المنبر فتعرض للسخرية والاستهزاء [2]. وقد اكد عليه السلام " **فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ** " [3] فيه اشارة الى ما اختص به من العلم بمستقبل الامور لا سيما الملاحم والدول ، وقد صدق هذا القول عنه ما تواتر من الاخبار الغيبية لا مره ولا مائه مرة ، حتى زال الشك والارتياب في انه اخبار عن علم وليس اتفاقا[4].

تضمنت خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إشارات إلى بعض الحوادث التي سوف تقع مستقبلا ، ومن الجدير بالذكر إن الإمام عليه السلام ذكر كل ذلك على طريقة الواثق ما يقول وكأنه ينظر إلى المستقبل بعين الحاضر المشاهد، وسبب ذلك يرجع إلى ثقة الإمام عليه السلام بالمصدر الذي يستقي منه ذلك العلم الذي لا يعتريه باطل ولا يشوبه شك " [5]. وقد أعرب مرارا وتكرارا انه استقى هذا العلم بحوادث المستقبل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي خصه بها، وقد أخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الوحي الإلهي، ولعل الإمام عليه السلام كان يتوقع من بعضهم أن يستنكر عليه مثل هذه الأخبار، وكبر في نفسه أن يرى عليا يتحدث عن الآتي المجهول كحديثه عن الماضي المنصرم، أو الحاضر المشاهد مما جعله يبادر للتصريح عن مصدر علمه هذه الأمور[6].

إذ قال في إحدى خطبه التي خصها للملاحم:

" **أَيُّهَا النَّاسُ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَه مِنِّي ، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِه عَنِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ – صلى الله عليه وآله – ، مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ** "[7]. ولما اخبر عن التتار وفتنتهم ، بادر احدهم بعد أن انتابه العجب والانبهار قائلا : **لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ ، فَضَحِكَ – عليه السلام – وقَالَ لِلرَّجُلِ وكَانَ كَلْبِيّاً ، يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ ، وإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ ،**

١- نهج البلاغة ص173 .

٢- ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 13/ 163.164، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 13/ 107.109، الذهبي: تذكرة الحفاظ: 2/ 755 ، الدميري: حياة الحيوان: 2/ 368.

٣- نهج البلاغة ص375 .376 .

٤- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: 13/ 106.

٥- درويش:علي كما وصف نفسه: ص 55- 56.

٦- درويش : علي كما وصف نفسه ص 69.

٧- نهج البلاغة ص187.

ومَا عَدَّدَه اللَّه سُبْحَانَه بِقَوْلِه ، ﴿ إِنَّ الله عِنْدَه عِلْمُ السَّاعَةِ * ويُنَزِّلُ الْغَيْثَ ويَعْلَمُ ما فِي الأَرْحامِ * وما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً * وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [1]، فَيَعْلَمُ اللَّه سُبْحَانَه مَا فِي الأَرْحَامِ ، مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، ومَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً ، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً ، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُه أَحَدٌ إِلَّا اللَّه ، ومَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ ، عَلَّمَه اللَّه نَبِيَّه – صلى الله عليه وآله – فَعَلَّمَنِيه ، ودَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَه صَدْرِي ، وتَضْطَمَّ عَلَيْه جَوَانِحِي "[2].

وقد صرح الإمام عليه السلام من تحرجه في كثير من الأوقات في أن يتحدث عن المغيبات خوفا من أن يفاجئ الكثير ممن لا يستوعب مثل هذه الخاصية لديه عليه السلام إذ قال: " **واللَّه لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ ، بِمَخْرَجِه ومَوْلِجِه وجَمِيعِ شَأْنِه لَفَعَلْتُ ، ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّه – صلى الله عليه وآله – أَلَا وإِنِّي مُفْضِيه إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْه ، والَّذِي بَعَثَه بِالْحَقِّ واصْطَفَاه عَلَى الْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً ، وقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّه وبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ ، ومَنْجَى مَنْ يَنْجُو ومَآلِ هَذَا الأَمْرِ ... "**[3].

اذن هذه النصوص صريحة بان علمه عليه السلام بالمغيبات مأخوذ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن هل يمكن التصور انه صلى الله عليه وآله وسلم افضى للامام عليه السلام بتفاصيل كل الحوادث ، فالظرف الزماني الذي جمع النبي بالامام لا يسع ذلك فالامام عليه السلام يقول: " **فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِه ، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ ، فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السَّاعَةِ ، ولَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلُّ مِائَةً** ..." [4] ويقول: " **فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ** ..." [5] ويقول: " **واللَّه لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ ، بِمَخْرَجِه ومَوْلِجِه وجَمِيعِ شَأْنِه لَفَعَلْتُ** ..." [6] فهذا علم واسع لا يسعه الظرف الزماني الذي قضاه الامام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الامام يصرح بان علمه مستقى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف التوفيق في ذلك؟

١- سورة لقمان آية 34.
٢- نهج البلاغة ص244.
٣- نهج البلاغة : ص333 .
٤- نهج البلاغة : ص173 .
٥- نهج البلاغة : ص375 .376 .
٦- نهج البلاغة : ص333 .

الظاهر انه صلى الله عليه وآله وسلم افضى للامام عليه السلام بكليات الامور، ثم كان نشاط القوة الخفية المودعة للامام فتكشف له ما محجوب من احشاء الزمان وثنايا المكان، لان الامام عليه السلام كان على درجة من الصفاء العقلي والطهارة الروحية والنقاء الوجداني وهذه القوى انشط في النفوذ الى المغيب المحجوب ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان اوضح للامام عليه السلام الكليات هداه للسبل التي تؤدي به الى ارفع درجات الحالة الروحية التي تتيح لقواه الخفية ان تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما اجمله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [1] . ومن امثلة ذلك :

تنبؤه عليه السلام لاحداث خلافته ؛ من الانذار بالحروب التي وقعت في عصره ، واختلاف الكلمة ، وظهور الفتنة [2] . وايضا ما تنبأ به الى قيام الدولة الاموية وابرز حكامها وولاتها ، فقد تنبأ بوصول معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان الى الحكم [3]، ومن الولاة اشار الى الحجاج بن يوسف الثقفي [4] ، وايضا تنبأ لبعض الاحداث في زمن بني امية كمقتل الامام الحسين عليه السلام [5] .

وقد حفل كلامه عليه السلام الوارد في نهج البلاغة بالاشارات الى مستقبل الخوارج من عصره الى العصر العباسي [6] .

وفي اكثر من نص نجد الامام عليه السلام يشير الى زوال دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية مقامها [7] . ومن تنبؤاته ما اختص بالبصرة ؛ اذ اشار عليه السلام الى بعض ما سيجري فيها من ظهور حركة الزنج [8] ، ، وما تتركه من آثار على تلك المدينة ، فضلا عن آثار الفتن التي تعصف باهلها ، حتى نبؤاته بغرقها

١- شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة : ص138. 141 .

٢- نهج البلاغة : ص 172 ، 185 ، 506 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 33 – 34 ، 93 – 94 ، 15 / 83 .

٣- نهج البلاغة : ص 93 – 94 ، 109 ، 187 – 188 ، 257 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 54 – 55 ، 63 ، 6 / 147 – 148 ، 7 / 99 ، 9 / 47 ، 89 .

٤- نهج البلاغة : ص 227 . وينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 277 – 281 .

٥- نهج البلاغة : ص 194 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 117 ، 120 .

٦- نهج البلاغة : ص 94 – 95 ، 693 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 4 / 132 ، 5 / 3 – 4 ، 74 – 76 ، 6 / 130 ، 7 / 408 .

٧- نهج البلاغة : ص 195 ، 697 ، 754 . وينظر : ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7/ 98 ، 101 ، 117 ، 120 – 121 ، 19 / 29 ، 20 / 182 – 183 .

٨- لمزيد من التفاصيل عن حركة الزنج : ينظر : الطبري : تاريخ : 9 / 410 – 661 .

فلا يرى منها الا مسجدها [1] . كما اشار عليه السلام في جوانب من خطبه الشريفة الى ظهور الامام المهدي (عج) في آخر الزمان [2]

وفي غير التدوين والرواية نجد إن النصوص في نهج البلاغة تنبؤنا عن إحياء امير المؤمنين عليه السلام للسنة النبوية في جانبها العملي ، ومن ذلك: روي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة ، فقال قوم : لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر ، وما تصنع الكعبة بالحلي ، فهم عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : " **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وآله – ، والأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ، والْفَيْءُ فَقَسَّمَه عَلَى مُسْتَحِقِّيه ، والْخُمُسُ فَوَضَعَه اللَّه حَيْثُ وَضَعَه ، والصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّه حَيْثُ جَعَلَهَا ، وكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ، فَتَرَكَه اللَّه عَلَى حَالِه ، ولَمْ يَتْرُكْه نِسْيَاناً ولَمْ يَخْفَ عَلَيْه مَكَاناً ، فَأَقِرَّه حَيْثُ أَقَرَّه اللَّه ورَسُولُه ، فَقَالَ لَه عُمَرُ لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا ، وتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِه** "[3].

وهناك شاهد آخر لما أفضت إليه وتسلم مقاليد الأمور وعمل بنظام رسول الله في التسوية بالعطاء ، جاءه طلحة والزبير يعتبان فقال عليه السلام : " **وأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيه بِرَأْيِي ، ولَا وَلِيتُه هَوًى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِه رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله – قَدْ فُرِغَ مِنْه ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّه مِنْ قَسْمِه ، وأَمْضَى فِيه حُكْمَه ، فَلَيْسَ لَكُمَا واللَّه عِنْدِي ولَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى** "[4]

وفي نص آخر يوجب على من يوصيه من عماله بما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله بقوله : " **فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه – صلى الله عليه وآله – مَنَعَ مِنْه** "[5]، وفيما يخص الصدقات نجده يقول لمن ولاه عليها: " **لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّه وسُنَّةِ نَبِيِّه – صلى الله عليه وآله –** "[6]، وكان مما احتج به على الخوارج سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الموقف من مرتكب الكبيرة ، إذ كان مخالفا لما أحدثه

١- نهج البلاغة : ص 39 ، 189 ، 242- 244 . وينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 7 / 104 ، 8 / 218 .

٢- نهج البلاغة : ص 185 ، 256 ، 272- 273 ، 320 ، 352 – 353 ، 371 ، 697 . وينظر ابن ابي الحديد : شرح نهج البلاغة : 6/ 135 ، 7 / 84 ، 9 / 126 ، 10 / 195 ، 19 / 29 ، 104.

٣- نهج البلاغة: ص 713.

٤- نهج البلاغة : ص 437 .

٥- نهج البلاغة: ص 606.

٦- نهج البلاغة : ص 521 .

بعده الخوارج في ذات المسالة ، فذكرهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتشريعه : " **وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّه – صلى الله عليه وآله – رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْه ثُمَّ وَرَّثَه أَهْلَه ، وقَتَلَ الْقَاتِلَ ووَرَّثَ مِيرَاثَه أَهْلَه ، وقَطَعَ السَّارِقَ وجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ ونَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّه – صلى الله عليه وآله – بِذُنُوبِهِمْ ، وأَقَامَ حَقَّ اللَّه فِيهِمْ ، ولَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلَامِ ، ولَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِه** "[1]

١- نهج البلاغة: ص 241.

الخـــاتمـــة

الخاتمة

افضت بنا فصول هذه الرحلة البحثية – في رحاب النبي الاعظم ﷺ في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام – الى خاتمة يمكن ايجاز فيها اهم ما توصل اليه البحث من نتائج:

اولا: لقد تعددت الرؤى التي قدمت لنا شخصية النبي الاعظم ﷺ وسيرته العطرة بأطر مختلفة تبعا لمنابع كل رؤية وبما تحمله من فهم وإدراك لأبعاد الشخصية المحمدية العظيمة ، فمنهم من كان يؤطره بإطار بشري محض ، فلا يوجد تدخل للسماء في صنعه ، لذا تصدر منه الهفوات والزلات كغيره من بني البشر .

ومنهم من قدم لنا هذه الشخصية وفق اطار مجزأ في رؤيته لشخص النبي ﷺ الى جزأين **الاول** يحمل طابع التقديس فيكون النبي ﷺ مسددا من قبل السماء في مهام التبليغ فقط ، وفي جزئه **الثاني** مجرد بشر خطاء . الى غيرها من الرؤى التي تعتمد في اساسياتها على مقاييس تتبع اهواء وإدراك اصحابها لأبعاد شخصية النبي ﷺ .

وأمام تعدد وتباين هذه الرؤى وتلك تحار العقول بحجزة من تأخذ لتصل الى الحقيقة ؟! فليس لنا إلا اللجوء الى أمير المؤمنين عليه السلام والإنصات الى قوله ، والعمل بأوامره وهو القائل : " **فاستمعوا من ربانيكم ، واحضروه قلوبكم ، واستيقضوا ان هتف بكم** " [1].

وهنا تبرز اهمية هذه الدراسة التي هي محاولة لتقديم رؤية جديدة عن النبي ﷺ وسيرته العطرة ، مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولأجل الوقوف على اهم ما يميز هذه الرؤية عمن سواها يمكن القول :

أ –إن الامام أمير المؤمنين عليه السلام شخصية غنية عن التعريف ، فهو بكل ما يملكه من مؤهلات وبما يختص به من علم وسمات ، وبما انطوت عليه ذاته من مكنونات عظيمة ، يمثل لنا منبعا صافيا تنساب منه الحقائق على درجة عالية من الوثوق بها والاطمئنان اليها دون سواها ؛ لانه عليه السلام

١– نهج البلاغة : ص 202 – 203 .

صنيعة الله وربيب حبيبه المصطفى ﷺ الذي صاغه ليكون مثيله وثانيه على الحقيقة . فمن ذا يكون الاولى منه عليه السلام بتقديم رؤية ناضجة وواضحة غير مشوشة ولا مشوبة بالتناقضات عن شخصية النبي الاعظم ﷺ وهو الذي ما فارقه لحظة، وكان اشد الناس قربا منه، والتصاقا به، بتلك القرابة القريبة والمنزلة الخصيصة.

ب -إن الامام امير المؤمنين عليه السلام هو عِدل القرآن ؛ المعصوم من كل زلل ، وهو عليه السلام كما الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ فمن الطبيعي ان تكون رؤيته متوافقة مع الرؤية القرانية ، وبهذا تتحقق مقولة النبي ﷺ : (يا علي ما عرفني إلا الله وأنت). وهذا هو ابرز ما يميز رؤية الامام عليه السلام عمن سواها .

ج- إن الامام امير المؤمنين عليه السلام الاقرب الى النبي ﷺ والأكثر اطلاعا على مجريات سيرته وتفاصيل احداثها ، وبهذا يكون شاهدا حيا نقل لنا تلك الجزئيات الهامة عن النبي ﷺ بأمانة وثقة عالية.

د- امتازت رؤية الامام عليه السلام بأنها رؤية ذات طابع تقديسي لا يضاهيه احد في طرحها بهكذا قدسية ، وان نظرة فاحصة في تلك الكلمات النيرة التي قالها وهو يتحدث عن النبي ﷺ تكشف لنا عن ذلك بوضوح ، فهو الوحيد المطلع على حقيقة النبي ﷺ ولذا نال منه ما يستحقه من اجلال وتقديس .

ثانيا : مع ان كتاب نهج البلاغة يمكن تصنيفه ضمن المؤلفات الادبية إلا انه يحوي في مطاويه على علوم وكنوز معرفية عديدة ، ومنها المادة التاريخية ، وما هذه الدراسة إلا دليل واضح على تنوع المادة الموجودة في نهج البلاغة ، بل ان اغلب نصوصه الشريفة كما الآيات القرآنية يمكن ان تتعدد وجوه استخداماتها ، فلا ينفذ عطائها المعرفي ولا يقف عند جانب واحد .

ثالثا : يمكن ايجاز اهم ما توصلت اليه رحلة البحث عبر فصوله الخمسة ، وفق ما قدمه الامام عليه السلام من رؤية عن شخصية النبي ﷺ وما يتصل بحياته الشريفة من احداث :

1 -كشف لنا الفصل الاول عن علاقة فريدة من نوعها تربط ما بين النبي ﷺ والامام عليه السلام فهو الذي تعاهد تربيته وإعداده وتهيئته لأمر جسيم ألا وهو اكمال الدور النبوي بعد غياب شخصه ﷺ

المتمثل بتنصيبه إماما للأمة وخليفة للنبي ﷺ من بعده فضلا عما توحيه تلك العلاقة بجعل الامام الاولى بمعرفة النبي ﷺ عمن سواه، .

2 –اورد لنا نهج البلاغة في نصوصه القيمة مادة تاريخية مركزة عن البيئة التي عاش في كنفها النبي ﷺ ومن جوانبها المتعددة (الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية) وما انطوت عليه من معلومات هامة عن تلك الفترة من تاريخ العرب في الجاهلية وما حصل من تغير بعد الاسلام ، واثر الوجود المبارك للنبي ﷺ وما جاء به من معالجات لذلك الواقع المتردي اذ انتقل بالمجتمع من الثرى الى الثريا.

3 –اتضح لنا ان المكون المجتمعي الذي احاط بالنبي ﷺ لم يكن على مستوى واحد من الفضل والسبق في الاسلام والموقف من النبي ﷺ ، ولا كان على درجة واحدة من الوعي والإدراك والفهم لشخصية النبي العظيم ورسالته الغراء ، مما تولد عن ذلك انعكاسات سلبية فيما بعد على حياة الامة باجيالها المتلاحقة وأفرزت لنا تلك الرؤى المتباينة عن شخص النبي ﷺ وشريعته .

في الوقت نفسه برز لنا دور الامام عليه السلام وأهل بيته المتميز في نصرة النبي ﷺ ، والمغاير والمنفرد في فهمه وإدراكه ومعرفته بشخص النبي ﷺ كونه نبيا مفترض الطاعة .

4 –وفي ما يخص تغاير رؤيته عن باقي الرؤى يمكن ايجاز ابرز دلائلها :

أ –اشار الامام عليه السلام ان ارتباط النبي ﷺ بالسماء انما كان في وقت مبكر من حياته ﷺ اذ وكل الله به ملكا من لدن ان كان فطيما . وهذا يخالف ما الفته مرويات التاريخ التي تؤخر هذا اللقاء بالملك الى ما بعد سن الاربعين ، وما ترتب على ذلك اللقاء المتأخر من تفاجئ وفزع وتردد وخوف لدى النبي ﷺ .

ب –اشار عليه السلام الى طهارة اباء وامهات النبي ﷺ من كل دنس وشرك واتصال هذه السلالة الطاهرة بالشجرة الابراهيمية المباركة .

ج– ان النبي ﷺ قد دأب على التحنث والتعبد في غار حراء قبل ان يكلف بمهام الرسالة وان الامام كان لوحده برفقته شاهدا على نزول الوحي عليه .

د –اتضح ان لمفهوم " الهجرة " ابعاد اخرى في رؤية امير المؤمنين عليه السلام تتجاوز المعنى اللغوي والاصطلاحي الذي قد يتحدد بهجرة البدن من مكان الى اخر ، اذ عدها ظاهرة ذات علاقة بالرسالة الالهية ومنوطة بمعرفة الحجة في الارض ووجوب طاعته ، سواء كان نبيا او اماما .

وبذا افقد الكثيرين ممن تكسب بهذه الفضيلة مكاسب دنيوية اوجدت الطبقية في المجتمع الاسلامي .

هـ– ان لأمير المؤمنين عليه السلام رؤية خاصة تميزه عن غيره في تعامله مع السنة النبوية ، وقد دلتنا نصوص النهج على شواهد ذلك ، وهي في الوقت ذاته قد أرخت لنا بدقة عن تلك المرحلة التي مرت بها السنة في تاريخها بعد رحيل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكيف تعاملت الامة معها ، حتى تولى امير المؤمنين عليه السلام الخلافة نهاية سنة 35 هـ ، فما كان منه الا العناية الفائقة بإنعاش السنة النبوية والعمل بجدية على اعادة احيائها .

و– تبين لنا من خلال الفصل الخامس ريادة الامام عليه السلام في اثبات حجية السنة النبوية وعدها مصدرا ثانيا للتشريع ، وبهذا ثبت خطأ رؤية بعضهم حول ارجاع هذا الدور الى عصر الشافعي وان الامام عليه السلام قد سبقه بذلك .

وختاما يمكن القول أن نهج البلاغة يعد وثيقة تاريخية لا غنى عنها في دراسة أحداث الصدر الأول للإسلام ، كونها صادرة عن شخص عاصر الأحداث وسبر غورها وأدرك كنهها، لذا فإن دراسة الفترة التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وآله حتى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام من خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام الوارد في نهج البلاغة سيقدم لنا هذه الفترة برؤية أخرى لما تعارف عليه في الأوساط الأكاديمية. وهذا ما سنعمل على دراسته بإذن الله في دراسة لاحقة.

فهرس

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

❁ **القـرآن الكريـم**

المصادر الاولية :

❁ ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله 658 هـ / 1261 م .

1 -الحلة السيراء ، تح : حسين مؤنس ، القاهرة ، 1963 .

❁ الآلوسي : ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي كان حيا في 1270هـ.

2 – روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني ، تعليق : محمد احمد الامد وعمر عبدالسلام السلامي ، ط 1، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،1420 هـ – 1999م.

❁ الآمدي : عبد الواحد التميمي القرن الخامس الهجري .

3 – غرر الحكم ودرر الكلم ، تح: السيد مهدي الرجائي ، ط3، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، 2008م.

❁ الآملي: السيد حيدر بن علي 720 –782 هـ .

4 – المحيط الأعظم والبحر الخضم في تفسير تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، حققه وقدم له معلق عليه: السيد محسن الموسوي التبريزي ، ط4 ، قم، 1428هـ.

❁ ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين علي بن محمد ت630هـ .

5 – أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تح : الشيخ خليل مأمون شيحة ، ط 2 ، دار المعرفة ، بيروت ،1422هـ ، 2001 م .

6 – الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت ، 1965.

7 – اللباب في تهذيب الأنساب ، ب. محق ، القاهرة ، 1386هـ.

❁ ابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد 544–606هـ .

8 – النهاية في غريب الحديث والأثر، تح : طاهر الزواوي – محمود الصناجي ، ط4 ، قم ، 1364 ش .

❁ ابن إدريس الحلي : أبو جعفر محمد بن منصور ت 598 هـ .

9 – السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ط 2 ، 1410 هـ .

❁ الادريسي : الشريف ابو عبد الله محمد الحمودي الحسني ت560 هـ.

10 – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط 1، عالم الكتب ، بيروت ، 1989.

❁ الاربلي: أبو الحسن علي بن عيسى ت 693هـ .

11 – كشف الغمة في معرفة الائمة ، ط2 ، دار الأضواء ، بيروت ، 1985م .

❁ الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد ت 250 هـ

12 – أخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تح : رشدي الصالح ملحس ، ط3 ، بيروت ،1983 م.

❁ ابن إسحاق : محمد ت 151هـ .

13 –السير والمغازي ، تح : سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، ب . مكا ، 1978م .

❁ الاسكافي : محمد بن همام ت336هـ .

14 – التمحيص ، مدرسة الإمام المهدي ، قم ، ب.ت.

❁ الاشتري : ابو الحسين ورام بن ابي فراس المالكي ت605 هـ .

15 – تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروف بـ (مجموعة ورام) ، ط2، دار الكتب الاسلامية ، طهران، 1368 .

❁ الاشيب البغدادي: أبو علي الحسن بن موسى ت209 هـ .

16 – جزء اشيب، دار علوم الحديث، ط1، دبي، الإمارات العربية المتحدة ، 1990.

❁ الاصبهاني : موفق الدين أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي. 457 – 535هـ .

17 – دلائل النبوة ، حققه وعلق عليه : أبو عبد الرحمن مساعد بن سليمان ، دار العاصمة ، ب.ت.

❁ الأنصاري: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا ت 936 هـ .

18 – فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1998.

❁ الإيجي: عضد الدين بن عبد الرحمن بن أحمد ت756 هـ .

19 – المواقف ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، ط1، دار الجيل ، بيروت ، 1997.

❁ ابن بابويه : أبو الحسن علي بن موسى ت 329 هـ .

20 – الإمامة والتبصرة من الحيرة ، الناشر :مدرسة الإمام المهدي (عج) ، قم ، ب.ت .

21 – فقه الرضا عليه السلام ، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ، ط 1، مشهد، 1410 هـ.

❁ ابن بابويه: منتجب الدين علي بن عبيد الله الرازي ، القرن السادس الهجري .

22 – الأربعون حديثا (في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)، ط1، مدرسة الإمام المهدي (عج)، قم، 1408هـ.

❁ الباجي : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ت 474 هـ .

23 – التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، تح: احمد البزاز، ب.ط، ب. مط ، ب.ت.

❁ البحراني: السيد هاشم التوبلي الموسوي ت 1107 هـ .

24 – البرهان في تفسير القرآن ، تح: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم، ب.ت.

25 – حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار ، تح : غلام رضا البحراني ، ط 1 ، بهمن ، الناشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، إيران ، 1411هـ .

26 – غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، تح : علي عاشور ، قم ، 1421 .

❁ البحراني: يوسف بن أحمد البحراني ت 1186 هـ.

27 – الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة ، تح: محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1363 ش.

28 –الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية ، تحقيق ونشر: شركة دار المصطفى لإحياء التراث، ط 1، بيروت، 2002.

❁ البخاري: أبو عبد الله إسماعيل بن محمد ت 256هـ.

29 –الأدب المفرد ، تح : محمد فؤاد ، ط3 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ب.مكا ، 1989م .

30 –التاريخ الصغير ، تح : محمود إبراهيم ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1406هـ .

31 –التاريخ الكبير، المكتب الإسلامية، ديار بكر، ب.ت.

32 –خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.

33 –الصحيح، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ.

❁ البرقي : احمد بن محمد بن خالد ت 274 هـ .

34 –المحاسن ، تح : السيد جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية ، ب .ت .

❁ أبو البركات : سيدي احمد الدردير ت 1201 هـ .

35 –الشرح الكبير، طبع إحياء الكتب العربية، الحلبي وشركائه ، بيروت، ب.ت .

❁ ابن برﻳال : أبو بكر عبد الباقي بن محمد الحجاري ن 502 هـ /1108 م.

36 –تاريخ ابن برﻳال، دراسة وتحقيق: بهمن صالح محمد، ط 1، بغداد ، 2011.

❁ ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري ت 578 هـ / 1128 م .

37 – الصلة ، تح : إبراهيم الابياري ، ط2 ، بيروت ، 1989 .

❁ ابن البطريق : شمس الدين يحيى بن الحسن 533–600 هـ .

38 –خصائص الوحي المبين ، تح: مالك المحمودي ، ط1، دار القرآن الكريم ، قم ،1417هـ.

39 –عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار ، تح : جماعة المدرسين ، ط 1 ، مط : جماعة المدرسين ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1407 .

❁ البغدادي: عبد القادر بن عمر ت 1093 هـ.

40 –خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، القاهرة ، 1967 .

❁ البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت429 هـ.

41 –الفرق بين الفرق، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005.

❁ البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء ت510 هـ/1117 م .

42 –تفسير البغوي المسمى(معالم التنزيل في تفسير القرآن)، تح: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

❁ البكري: أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز ت 487هـ .

43 –معجم ما استعجم ، تح : مصطفى السقا ، ط3 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1983م .

❁ البلاذري : احمد بن يحيى بن جابر ت279هـ .

44 –انساب الأشراف ، الإمام علي (عليه السلام)ح2، تح وتعليق: محمد باقر المحمودي، ط2، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية 1419هـ.

45 –أنساب الأشراف، تح : سهيل زكار – رياض زر كلي ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1996م .

❁ البلخي : ابو زيد احمد بن سهل ت322هـ .

46 –البدء والتاريخ ، وضع حواشيه : خليل عمران المنصور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997

❁ البلخي : أبو القاسم الكعبي ت 319 هـ .

47 –باب ذكر المعتزلة ، تح : فؤاد سيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1974 .

❁ البلوي: أبو الحجاج يوسف بن محمد ت604هـ/ 1207م.

48 –ألف باء، ب.محق، المطبعة الوهبية، مصر، 1287م.

❁ البهوتي: الشيخ منصور بن يونس الحنبلي ت 1051 هـ.

49 –كشاف القناع عن متن الاقناع، حققه: أبو عبد الله محمد حسن الشافعي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

❁ البياضي : زين الدين العاملي ت 877هـ.

50 –الصراط المستقيم : تح : محمد البهبودي ، ط1 ، المكتبة المرتضوية ، 1384هـ.

❁ البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر ت682هـ.

51 –تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل، ب.محق، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

❁ البيهقي : احمد بن الحسين بن علي (384– 485 هـ).

52 –السنن الكبرى، دار الفكر ، بيروت ، ب. ت.

53 –شعب الإيمان، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

54 –معرفة السنن والآثار، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

❁ البيهقي: ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد ت565هـ.

55 –معارج نهج البلاغة، حققه وقدم له: محمد تقي دانش، ط1، قم، 1409هـ.

❁ التبريزي: ولي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 741 هـ.

56 –الإكمال في أسماء الرجال، تعليق: أبو أسد بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت، قم، ب.ت.

❁ الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (209 . 279 هـ) .

57 –سنن الترمذي: تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب.ط، دار الفكر، بيروت، 1403 هـ .

58 –الشمائل المحمدية ، تح: أسامة الرحال، ط1، دار الفيحاء، دمشق، 2001.

❁التستري: نور الله ت 1019هـ

59 –الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة ، عني بتصحيحه : جلال الدين المحدث، جابخانة نهضت ، طهران ، 1367هـ.

❁ التفرشي: السيد مصطفى ق 11هـ.

60 –نقد الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط1 ، قم ، 1418هـ .

❁ ابن تيمية: تقي الدين أحمد الحراني ت728 هـ.

61 –مجموعة الفتاوي ، طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، ب ، مكا ، ب.ت.

❁ الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي ت 875 هـ.

62 –تفسير الثعالبي المسمى(الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تح: علي محمد عوض و عادل أحمد، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ.

❁ الثعالبي: أبو منصور ت 430 هـ.

63 –فقه اللغة وسر العربية ، تح: فائز محمد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996.

❁ الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ت427 هـ/1035 م.

64 –تفسير الثعلبي المسمى(الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002.

❁ الثقفي: أبو هلال إبراهيم بن محمد ت 283 هـ .

65 –الغارات، تح: السيد جلال الدين المحدث ، مط بهمن ، ب .ت .

❁ الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد ت 161هـ/ 777م.

66 –تفسير الثوري، صححه ورتبه وعلق عليه: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

❁ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ت 255هـ

67 –البيان والتبيين ، تح : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1985 .

68 –الحيوان ، شرح وتحقيق : د. يحيى الشامي ، ب ط ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،2003 م .

69 –العثمانية ، تح وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل ، بيروت ، 1374هـ.

70 –فضل هاشم على عبد شمس ضمن رسائل الجاحظ ، تح : حسن السندوبي، ط 1، القاهرة ، 1933م.

❁ ابن الجارود : أبو محمد عبد الله النيسابوري ت 307هـ .

71 – المنتقى من السنن المسندة ، تح : عبد الله عمر البارودي ، ط 1 ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، 1988 .

❁ ابن جبر: زين الدين علي بن يوسف (القرن السابع الهجري)

72 –نهج الإيمان ، تح : السيد أحمد الحسيني ، ط 1 ، مشهد ، 1418 هـ .

❁ الجرجاني : أبو الحسن علي بن محمد بن علي (740–816هـ/1340–1413م) .

73 – التعريفات ، ب.محق، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت، 2003 م.

74 –شرح المواقف، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1907م.

❁ الجزائري: السيد نعمة الله الموسوي ت 1112 هـ.

75 –نور البراهين في اخبار السادة الطاهرين، تح: السيد الرجائي، ط 1، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1417 هـ.

❁ ابن الجعد: أبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (134–230هـ) .

76 –مسند ابن الجعد، مراجعة عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ، ب.ت .

❁ أبو جعفر الاسكافي: محمد بن عبد الله المعتزلي ت 240 هـ .
77 –المعيار والموازنة ، تح : محمد باقر المحمودي ، ط 1 ، ب .مكا ، 1981 .
78 –نقض العثمانية (نصوص من الكتاب ملحقة بكتاب العثمانية للجاحظ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت . ب.ت.
❁ ابن ابي جمهور الاحسائي ت نحو 880هـ .
79 –عوالي اللئالي، تح : المرعشي . العراقي ، ط1، قم ، 1983.
❁ الجواليقي: أبو منصور موهوب بن أحمد ت539 هـ.
80 – شرح أدب الكاتب، تقديم : مصطفى صادق الرفاعي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350 هـ.
❁ الجواهري: محمد حسن النجفي ت 1266 هـ .
81 –جواهر الكلام ، تح : الشيخ عباس القوجاني ، دار الكتب الإسلامية ، ب .ت .
❁ ابن الجوزي : أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (510 .597 هـ) .
82 – دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، حققه وقدم له: حسن السقاف، ط 3، دار الإمام النووي، عمان . الأردن، 1992م.
83 –زاد المسير في علم التفسير، حققه: محمد بن عبد الرحمن عبدالله، ط1، دار الفكر، بيروت، 1987.
84 –كشف المشكل من حديث الصحيحين، ط1، دار الوطن، الرياض، 1997.
❁ الجوهري: أبو بكر احمد بن عبد العزيز البصري ت 323هـ.
85 –السقيفة وفدك، تح : محمد هادي الاميني ،ط2 ،شركة الكتبي ،بيروت 1993م.
❁ الجوهري: إسماعيل بن حماد ت (393هـ / 1003م) .
86 –الصحاح، تح : احمد عبد الغفور ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987م .
❁ ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ت327 هـ.
87 –تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت، 2003.
❁ الحاكم الحسكاني: الحافظ عبيد الله بن أحمد الحنفي النيسابوري (القرن الخامس الهجري).
88 –شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: محمد باقر المحمودي، ط 1، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، 1990.
❁ الحاكم النيسابوري: محمد بن محمد ت405هـ.
89 –المستدرك، تح: يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، 1406هـ.
90 –معرفة علوم الحديث ، ط4 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1400.
❁ ابن حبان: محمد البستي التميمي ت 354هـ .
91 –كتاب الثقات ، ط1 ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1393 هـ .
92 –صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط 2 ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، 1993 .
93 –مشاهير علماء الأمصار، تح: مرزوق علي، ط1، دار الوفاء، ب.مكا، 1991م.

❁ ابن حبيب : محمد البغدادي ت ما بعد 279 هـ .
94 -المنمق ، تح : خورشيد احمد فاروق ؛ ط1 ، حيدر آباد الدكن . الهند ، 1384 هـ/1964 م.
❁ ابن حجر العسقلاني: احمد بن علي ت 852هـ
95 -الإصابة في تمييز الصحابة، تصحيح: إبراهيم الفيومي، دار الفكر، بيروت، 1328 هـ.
96 -تهذيب التهذيب ، تح : صدقي جميل العطار ، ط1 ، دار الفكر ، 1995 .
97 -العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1997.
98 -فتح الباري، ط 2، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
99 -القول المسدد في الذب عن المسند للإمام احمد ، ط1 ، القاهرة ، 1401.
100 -لسان الميزان ، ب.محق ، ط1 ، حيدر آباد الدكن-الهند ، 1330-1331هـ.
❁ ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني 586-656هـ .
101 -شرح نهج البلاغة، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1، دار الجيل، بيروت، 1987 .
❁ الحر العاملي: محمد بن الحسن 1033 - 1104 هـ .
102 -الفصول المهمة في أصول الأئمة، تح: محمد القائيني، ط 1، مؤسسة معارف الإمام الرضا عليه السلام، قم، 1418هـ.
103 -هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، 1312هـ.
104 -وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط2 ، مؤسسة آل البيت، قم ، 1414هـ .
❁ الحربي: إبراهيم بن اسحق ت 285هـ.
105 -غريب الحديث ،تح سليمان إبراهيم ، ط1 ، جدة ، 1402.
❁ ابن حزم: أبو محمد بن احمد ت456.
106 -الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط1، دار صادر، بيروت، 1317 هـ.
107 -المحلى ، تح : احمد محمد شاكر ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت .
❁ الحسني: ابو الحسين يحيى بن حمزة بن علي ت 749 هـ .
108 -الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة) ،تح :خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ،ط1 ،مؤسسة الامام زيد بن علي الثقافية ،صنعاء ،2003 م .
❁ ابن الحسين: الحسن بن يحيى القاسمي ت298 هـ.
109 -التحفة العسجدية في ما دار من الاختلاف بين العدلية والجبرية، أبو أيمن للطباعة، صنعاء، 1343هـ.
❁ الحسيني : السيد شرف الدين علي ت نحو 965هـ .
110 -تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، قم ، 1407هـ .
❁ الحلبي : علي بن بهاء الدين الشافعي 975-1044هـ / 1567-1635م .
111 -السيرة الحلبية ،تصحيح : عبد الله الخليلي ، ط2 ، بيروت ، 2006 .
❁ الحلواني: الحسين بن محمد بن الحسن (القرن الخامس الهجري).
112 -نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط1، قم، 1408هـ.

❁ العلامة الحلي : أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (648 – 726هـ).
113 -أجوبة المسائل المهنائية، ب. محق، مطبعة الخيام، قم، 1401هـ.
114 -الباب الحادي عشر، انتشارات تمدن اسلامي، قم، 1382.
115 -خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تح: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط2، 1422 هـ.
116 -الرسالة السعدية، تح: عبد الحسين محمد علي، ط1، قم، 1410 هـ.
❁ ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي المعرو بأبي المعالي ت562هـ.
117 -التذكرة الحمدونية، تح: إحسان عباس و بكر عباس، ط 1، دار صادر، بيروت، 1996م.
❁ أبو حمزة الثمالي: ثابت بن دينار. ت 148هـ.
118 -تفسير أبو حمزة : جمع : عبد الرزاق محمد ، ط1 ، قم ، 1420 .
❁ ابن حمزة الطوسي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي ت560 هـ.
119 -الثاقب في المناقب، تح: نبيل رضا علوان، ط2، مؤسسة أنصاريان، قم، 1412 هـ.
❁ الحميدي : أبو بكر عبد الله بن الزبير ت 219هـ.
120 -مسند الحميدي : تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، ط1 ، بيروت ، 1988 .
❁ الحميري : محمد بن عبد المنعم ت 727هـ .
121 -الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، 1975 .
❁ الحميري : أبو العباس عبد الله بن جعفر (ق 3هـ) .
122 -قرب الإسناد ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1 ، مط : مهر ، قم ، 1413هـ .
❁ ابن حنبل : أبو عبد الله احمد بن محمد (164-241هـ) .
123 -المسند، ب.محق، دار صادر، بيروت، ب.ت .
124 -العلل ، تح : وصي الله بن محمود عباس ، ط 1 ، بيروت ، 1408 هـ .
❁ الحويزي : عبد علي بن جمعة العروسي ت 1112هـ.
125 -نور الثقلين ، تح : هاشم المحلاتي ، ط1 ، قم ، 1412 هـ.
❁ ابن حيان: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي الحياني ت 754 هـ.
126 -تفسير ابن حيان المسمى (البحر المحيط)، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، ط 1، دارالكتب العلمية، بيروت، 2001.
❁ الخزاز: أبو القاسم علي بن محمد بن علي القمي ت (ق 4هـ) .
127 -كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر ، تح : عبد اللطيف الحسيني ، ب.ط ، مط : الخيام ، الناشر : بيدار ، قم ، 1401هـ .
❁ الخزرجي : صفي الدين احمد بن عبد الله الأنصاري اليمني ت بعد 923هـ .
128 -خلاصة تهذيب تذهيب الكمال ، قدم له : عبد الفتاح أبو غده ، ط 4 ، بيروت ، 1411 هـ .
❁ ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي ت311 .
129 -صحيح ابن خزيمة ، تح : د. محمد الاعظمي ، ط2 ،المكتب الإسلامي ، 1412هـ.

❁ الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي ت463هـ
130 -تاريخ بغداد ، ب. محق، مط السعادة ، القاهرة ، 1931 .
131 -الكفاية في علم الرواية ، تح وتعليق: أحمد عمر هاشم ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1985.
❁ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد. ت806هـ.
132 -التاريخ، دار الفكر، بيروت، 2000م.
❁ ابن خلكان : أبو العباس احمد بن محمد (608 -681 هـ) .
133 -وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، دار الفكر ، بيروت ،1994 .
❁ الخوارزمي: أبو المؤيد موفق الدين بن أحمد البكري(القرن السادس الهجري).
134 -المناقب، قدم له: محمد رضا الخرسان، النجف، 1385هـ.
❁ الخياط : أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد (ت حدود 300هـ).
135 -الانتصار ، تصحيح : نيبرج ، بيروت ، 1957.
❁ ابن خياط : خليفة ت 240 هـ .
136 -تاريخ خليفة ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1993 .
137 -طبقات خليفة ، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1993 .
❁ أبو خيثمة : زهير بن حرب النسائي ت234 هـ.
138 -كتاب العلم، تح: محمد ناصر الألباني، ط2، المكتب الأسلمي، بيروت، 1983.
❁ الدارقطني : أبو الحسن علي بن عمر ت 385 هـ.
139 -سنن الدار قطني، تح: مجدي بن منصور، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م .
140 -علل الدارقطني، تح: محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، ط1 ، دار طيبة ، الرياض ، 1985م.
❁ الدارمي : أبو محمد عبد الله بن بهرام (ت255 هـ) .
141 -السنن، ب.محق ، ب.ط ، الناشر : مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ب.ت .
❁ ابن داود :تقي الدين (ألف كتابه سنة 707هـ).
142 -رجال ابن داود ، المطبعة الحيدرية ، النجف .1392هـ .
❁ أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني ت 275 هـ
143 -سنن أبي داود ، تح : سعيد محمد اللحام ، ط 1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1990 .
144 -سؤالات أبي عبيد الآجري لأبي داود تح : عبد العظيم عبد العليم البستوي ، ط 1 ، دار الاستقامة ، مؤسسة الريان ، 1997 ،
❁ الدروقي: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم البغدادي ت 246هـ.
145 -مسند سعد بن أبي وقاص، حققه وخرج أحاديثه : عامر حسن صبري ، ط1، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، 1987.
❁ ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (223 _ 321هـ).
146 -الاشتقاق، تح وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1958.

❁ ابن الدمشقي : محمد بن احمد الباعوني الشافعي ت 871هـ.
147 -جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام، ط1، تح: محمد باقر المحمودي ، قم ، 1415هـ.
❁ الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى ت 806 هـ .
148 -حياة الحيوان الكبرى، ب . محق ، المكتبة التجارية ، مصر، 1956 .
❁ ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن عبيد 208 -281هـ .
149 -التواضع والخمول، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م.
150 -كتاب الهواتف، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1993م.
151 -الورع ، تحقيق وتعليق: أبو عبد الله محمد بن حمد، ط1، الدار السلفية ، الكويت ، 1988م.
❁ الديار بكري : حسين بن محمد بن الحسن ت 966 هـ /1559م .
152 -تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، دار صادر ، بيروت ، ب.ت.
❁ الديلمي: الحسن بن أبي الحسن (القرن الثامن الهجري).
153 -أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم،ب.ت.
❁ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد 748 هـ / 1347م .
154 -تاريخ الإسلام ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987.
155 -تذكرة الحفاظ ، ب.محق ، ب.ط ، الناشر : مكتبة الحرم المكي ، ب.مكا ، ب.ت .
156 -تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تح: مصطفى أبو الغيط، دار الوطن، الرياض، 2000.
157 -سير أعلام النبلاء ، تح : محب الدين العمروي ، ط1 ، بيروت ، 1997 .
158 -الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، ط1، دار القبلة ، جدة ، 1413 هـ.
159 -المغني في الضعفاء ، تح: أبو الزهراء حازم القاضي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م.
160 -ميزان الاعتدال ، تح :علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1382هـ.
❁ الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ت بعد 660هـ / 1268م .
161 -مختار الصحاح : تح : احمد شمس الدين ، ط1 ، بيروت ، 1994 .
❁ الرافعي : أبو القاسم عبد الكريم بن محمد ت 623 هـ .
162 -فتح العزيز ، ب . محق ، دار الفكر ، ب . ت .
❁ الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ت360 هـ 970 م .
163 -المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تح: محمد عجاج الخطيب ، ط3، دار الفكر، بيروت، 1404 هـ.
❁ ابن راهويه : إسحاق بن إبراهيم ت 238 هـ .
164 -مسند ابن راهويه ، تح : عبد الغفور عبد الحق ، ط 1 ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، 1991 .
❁ الراوندي: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين ت 573هـ .

165 -الخرائج والجرائح، تح: مدرسة الإمام المهدي (عج) ، ط1 ، قم ، 1407هـ .
166 -قصص الانبياء، تح: الميرزا غلام رضا عرفانيان ، ط1، قم، 1418 هـ.
167 -منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، تح : السيد عبد اللطيف الكوهكمري ،ب ط ،مط الخيام ،قم ،1406 هـ

❁ ابن رشد : ابو الوليد محمد بن احمد ت 595هـ.
168 -بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تح : خالد العطار ، دار الفكر ، بيروت ، 1995 .

❁ الزبيدي : محمد مرتضى ت 1205هـ.
169 -تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت.

❁ الزرندي : جمال الدين محمد بن يوسف الحنفي ت 757هـ .
170 -معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول ، تح : محمد كاظم المحمودي ، ط 1 ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، 1425هـ .
171 -نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين ، مكتبة أمير المؤمنين العامة ، ط1 ، 1958هـ ...

❁ الزمخشري : محمود بن عمر ت 538هـ.
172 -أساس البلاغة، ب.محق، ب.ط، دار ومطابع الشعب، القاهرة، 1960.
173 -ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تح : سليم النعيمي ، مط العاني ، بغداد ، 1982 .
174 -الفائق في غريب الحديث، ط1، بيروت، 1417هـ.
175 -الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ب. ت.

❁ ابن أبي الزمنين: ت399هـ.
176 -تفسير ابن أبي الزمنين، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، ط 1، الفاروق الحديثة، القاهرة، 2002م.

❁ الزيلعي: العلامة جمال الدين ت 762 هـ .
177 -تخريج الأحاديث والآثار، تح: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط 1، دار ابن خزيمة، الرياض، 1414هـ.
178 -نصب الراية (تخريج أحاديث الهداية)، اعتنى بهما: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة، 1995.

❁ زين العابدين: الإمام علي بن الحسين عليه السلام ت 95 هـ.
179 -الصحيفة السجادية، تح: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي الاصفهاني، ط 1، 1411 هـ ، قم، مؤسسة الإمام المهدي.

❁ السبكي: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي ت756هـ.
180 -فتاوي السبكي، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.

❁ السرخسي: شمس الدين ت483 هـ.

181 -المبسوط، تح: جمع من الأفاضل، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ.

❁ ابن سعد: محمد ت230هـ .

182 -الطبقات الكبرى ، تح : إحسان عباس ، بيروت ، 1978م .

❁ أبو السعود: محمد بن محمد العمادي ت951 هـ.

183 -تفسير أبو السعود المسمى(إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب.ت.

❁ ابن سلام: أبو القاسم عبيد الهروي ت 224 هـ .

184 -غريب الحديث : تح : محمد عبد المعين خان ، ط1 ، بيروت ، 1396هـ / 1964 .

❁ ابن سلامة: أبو عبد الله محمد القضاعي ت454 هـ.

185 -دستور معالم الحكم ، مكتبة المفيد ، قم ، ب.ت.

186 -مسند الشهاب، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985

❁ ابن سليمان الحلي: الشيخ حسن (ق 9هـ) .

187 -المحتضر ، ب.محق ، ط1 ، مط : الحيدرية ، النجف ، 1951م .

188 -مختصر بصائر الدرجات ، ط1 ، النجف ، 1950 .

❁ السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد ت383 هـ.

189 -تفسير السمرقندي، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

❁ السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ت 562هـ .

190 -ادب الاملاء والاستملاء، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، ط 1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1989.

191 -الأنساب ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط1 ، دار الجنان ، بيروت ، 1408هـ.

❁ السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد ت 489 هـ.

192 -تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، ط1، دار الوطن، الرياض، 1997.

❁ السهيلي :الامام المحدث ابو القاسم عبد الرحمن ت 581 هـ .

193 -الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ت 213 هـ ، تعليق : الشيخ عمر عبد السلام السلامي ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،2000 م.

❁ سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت180هـ.

194 -كتاب سيبويه ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، ب.ت.

❁ ابن سيد الناس: محمد بن عبد الله بن يحيى 671-734هـ .

195 -عيون الأثر، مؤسسة عز الدين ، ب.ط ، بيروت ، 1986 .

❁ ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ت458 هـ.

196 -المخصص ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء الت راث العربي ، بيروت ، ب.ت.

❁ السيوطي: ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ .

197 -الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق: سعيد المندوب ، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م.
198 -تاريخ الخلفاء ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، منشورات الشريف الرضي . ب .ت .
199 -التعظيم والمنة في ان ابوي رسول الله في الجنة ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
200 -تنزيه الأنبياء عن تشبيه الاغبياء ،منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي ،ط 1 ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،1989 م .
201 -تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ، ضبط وتصحيح محمد الخالدي ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 .
202 -الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط1، دار الفكر، بيروت، 1401 هـ.
203 -الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ب . محق ، بغداد ، 1377 هـ .
204 -الدرج المنيفة في الاباء الشريفة ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
205 -الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصله وعلق عليه: أبو إسحاق الجويني الأثري، ط 1، دار ابن عفان، 1996.
206 -الرسائل العشر ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1989 م .
207 -السبل الجلية في الاباء العلية، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
208 -كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب المعروف بالخصائص الكبرى، دار الكتاب العربي، 1320 هـ.
209 -لباب النقول : ضبطه وصححه : احمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب.ت.
210 -لب اللباب من تحرير الأنساب، دار صادر. بيروت، ب. ت.
211 -المحاضرات والمحاورات، تح: يحيى الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
212 -مسالك الحنفا في والدي المصطفى، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
213 -المقامة السندسية في النسبة المصطفوية ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .
214 -نشر العلمين المنيفين في اخبار الابوين الشريفين ، منشور ضمن الرسائل العشر للسيوطي، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1989 .

❁ ابن شاذان: سيد الدين شاذان بن جبرئيل القمي ت 660 هـ.

215 -الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تح: علي الشكرجي، ط1، مركز الأمير، قم، 1423هـ.
216 -الفضائل ، مطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1962.

❁ الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (150-204هـ).

217 -اختلاف الحديث، (على قرص المعجم الفقهي بلا معلومات).
218 -كتاب الأم، ط2، دار الفكر، بيروت، 1983.
219 -الرسالة ، تح : محمد أحمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ب .ت.
220 -مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب. ت .
❁ الشامي: أبو حاتم جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي ت 664 هـ.
221 -الدر النظيم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ب .ت .
❁ ابن شبه : أبو زيد عمر بن شبه البصري ت 262 هـ .
222 -تاريخ المدينة ، تح : فهيم محمد شلتوت ، دار الفكر ، قم ، 1410 هـ .
❁ الشربيني : شمس الدين محمد بن أحمد ت 960 هـ .
223 -مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، 1958.
❁ الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين (359-406هـ) .
224 -تلخيص البيان في مجازات القرآن، ط 1، حققه وقدم له وصنع فهارسه: محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م.
225 -حقائق التأويل : شرح محمد رضا ، دار المهاجر ، بيروت ، 1355 هـ.
226 -خصائص الأئمة، تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ، 1406 هـ .
227 -المجازات النبوية.، تح : طه محمد الزيني ،القاهرة ، مؤسسة الحلبي ،1967 .
228 -نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ط 6، دار الاسوة، طهران، 1429 هـ.
❁ الشريف المرتضي: أبو القاسم علي بن الحسين علم الهدى 355-436هـ .
229 -الامالي ، تح : احمد الشنقيطي ، ط1 ، قم ، 1907.
230 -الانتصار: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1415هـ.
231 -رسائل المرتضى ، تح : مهدي رجائي ، ب.ط ، مط : سيد الشهداء ، الناشر : دار القرآن ، ب.مكا ، 1405هـ .
❁ ابن شعبة الحراني أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ق 4 هـ) .
232 -تحف العقولعن آل الرسول ﷺ، تح : علي اكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1404 هـ .
❁ الشعراني: سيدي عبد الوهاب بن احمد بن علي الشافعي ت973 هـ.
233 -لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1393 هـ.
❁ ابن شهر آشوب : أبو عبد الله محمد بن علي ت 588هـ .
234 -معالم العلماء ، قم ، ب . ت .
235 -متشابه القرآن ومختلفه، جابخانة شركت سهامي طبع كتاب، 1328 هـ.
236 -مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1376هـ .
❁ الشهرستاني: ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ت548 هـ.

237 -الملل والنحل، اشرف على تعديل هذا الكتاب وقدم له: صدقي جميل العطار، ط 2، دار الفكر، بيروت، 2002.

❁ الشهرزوزي: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ت643 هـ.

238 -مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ط 1، علق عليه أبو عبد الرحمن صلاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995.

❁ الشهيد الأول: محمد بن مكي ت 786 هـ.

239 -الذكرى ، طبعة حجرية ، كتبت بالخط الكرماني سنة 1272 هـ .

❁ الشهيد الثاني : زين الدين بن علي الجبعي العاملي (911- 966 هـ) .

240 -رسائل الشهيد الثاني، ط1، مركز انتشارات، قم، 1421هـ.

241 -مسالك الإفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، ط1، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، 1413 هـ .

242 -منية المريد : تح : رضا المختاري ، ط1 ، مكتب الاعلام الاسلامي ، 1409هـ.

❁ الشوكاني : محمد بن علي بن محمد الصنعاني ت 1250 هـ .

243 -فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، مط عالم الكتب ، ب . ت .

244 -نيل الأوطار ، دار الجليل ، بيروت ، 1973 .

❁ ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد ت 235 هـ .

245 -المصنف، تح : سعيد محمد اللحام ، ط1 ، دار الفكر ، 1409 هـ .

❁ الصالحي : محمد بن يوسف الشامي ت942هـ .

246 -سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : عادل احمد ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1414هـ .

❁ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت 381هـ .

247 -الامالي ، تح : قسم الدراسات الإسلامية ، ط1 ، قم ، 1417هـ .

248 -التوحيد ، تح : هاشم الحسيني ، ط1 ، جماعة المدرسين ، ط1 ، 1387 هـ .

249 -ثواب الأعمال ، ط2 ، منشورات الرضي ، قم ، 1368 .

250 -الخصال ، تح : علي اكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، 1403هـ .

251 -علل الشرائع ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1966 .

252 -عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ط1 ، مط شريعت ،المكتبة الحيدرية، قم، 1425هـ.

253 -كمال الدين وتمام النعمة، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1405 هـ.

254 -معاني الأخبار ، صححه : علي اكبر الغفاري ، ب.ط ، قم ، 1361 .

255 -المقنع ، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، 1415 هـ.

256 -من لا يحضره الفقيه، تح: علي اكبر غفاري، ط2، جماعة المدرسين، قم، 1404 هـ .

❁ الصفدي : خليل الدين أيبك ت 764 .

257 -الوافي بالوفيات : تح احمد الارناؤوط . تركي مصطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، 2000 .

❁ الصفار : محمد بن الحسن ت 290هـ .

258 -بصائر الدرجات ، تح : ميرزا محسن ، مؤسسة الاعلمي ، طهران ، 1404هـ .

❁ أبو الصلاح الحلبي: تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد الله (374 .447 هـ).

259 -الكافي في الفقه ، تح : رضا أستادي ، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام ، أصفهان ، 1403 هـ .

❁ ابن أبي الصلت: أمية ت 5 هـ/ 626 م.

260 -ديوان أمية بن أبي الصلت، دراسة وتحقيق: بهجة الحديثي، ط2، بغداد،1991.

❁ الصنعاني : أبو بكر عبد الرزاق بن همام 211هـ / 827م .

261 -تفسير القرآن ، تح : مصطفى مسلم محمد ، ط1، مط : مكتبة الرشد ، الرياض ، 1410هـ /1989م .

262 -المصنف ، تح : حبيب الله الاعظمي ، الناشر : المجلس العلمي ، ب . ت .

❁ الصوري: محمد بن علي ت441 هـ.

263 -الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان عن الشيوخ الكوفيين، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ.

❁ الضبي : أحمد بن عيسى ت 599 هـ ، 1202 م .

264 -بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، تح : إبراهيم الابياري ، ط2 ، بيروت، 1989 م

❁ الضبي : سيف بن عمر ت200 هـ

265 -الفتنة ووقعة الجمل ،جمع وتحقيق :احمد راتب ،ط1 ،دار النفائس ،بيروت ،1391 هـ.

❁ أبو طالب بن عبد المطلب ت 3 ق هـ.

266 -ديوان شيخ الأباطح أبي طالب، جمع: أبي هفان عبد الله بن أحمد المهزمي ت 257 هـ، تحقيق وإستدراك: محمد باقر المحمودي، ط 1، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ب.ت.

❁ أبو طالب المكي: محمد بن علي الحارثي ت 386 هـ.

267 -قوت القلوب في معاملة المحبوب ، تح : سعيد نسيب مكارم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1995م .

❁ ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد ت664 .

268 -التحصين : تح : الأنصاري ، قم ، 1413.

269 -سعد السعود، منشورات الرضي، طبعة أمير، قم، 1363 هـ.

270 -الطرائف في معرفة مذهب الطوائف، ب.محق، ط2، مطبعة الخيام، قم، 1399 هـ.

271 -اليقين في إمرة أمير المؤمنين ، ط1 ، تح : الأنصاري ، قم ، 1413.

❁ الطبراني : أبو القاسم سليمان بن احمد (260-360هـ) .

272 -الاحاديث الطوال، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

273 -الأوائل : تح : محمد شكور ، ط1 ، بيروت ، 1403.

274 -كتاب الدعاء ، تح : مصطفى عبد القادر، ط1 ، بيروت ، 1413هـ .

275 -مسند الشاميين ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، بيروت ، 1996م .

276 -المعجم الأوسط ، تح : إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ب.ت .
277 -المعجم الصغير ، ب.محق ، ب.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب.ت .
278 -المعجم الكبير ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، دار إحياء التراث العربي ، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ب.ت .

❁ الطبرسي: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل ت548 هـ.
279 -المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف (منتخب الخلاف للطوسي)، حققه وقابله: جمع من الاساتذة، مجمع البحوث الإسلامية، قم، 1410 هـ.
280 -مكارم الاخلاق، ب.محق، ط6، منشورات الشريف الرضي، 1972 .

❁ الطبرسي : أبو الفضل علي (المتوفي اوائل القرن السابع الهجري) .
281 -مشكاة الانوار، تح: مهدي هوشمند، ط1، دار الحديث، 1418 هـ.

❁ الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب ت548 هـ.
282 -الاحتجاج ، تعليق: محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف، 1966 .

❁ الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن ت548 هـ.
283 -إعلام الورى بأعلام الهدى ، ط1 ، مؤسسة آل البيت ، قم ، 1417هـ .
284 -جوامع الجامع، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1، 1418هـ.
285 -تفسير الطبرسي المسمى (مجمع البيان في تفسير القرآن)، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء، قدم له: السيد محسن الأمين العاملي، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1995.

❁ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت 310هـ .
286 -تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب . ت.
287 -جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ب ، محق ، ط3 ، ب ، مكا ، 1968 .

❁ الطبري : عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم ت بعد 553هـ .
288 -بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ، تح : جواد القيومي ، ط 2 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1422هـ .

❁ الطبري الصغير : أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ق 5هـ) .
289 -دلائل الإمامة ، تح : قسم الدراسات الإسلامية ، ط1 ، قم ، 1413هـ .
290 -المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تح : احمد المحمودي ، ط1 ، مط : سلمان الفارسي ، الناشر : مؤسسة الثقافة الإسلامية ، قم ، ب.ت .

❁ الطريحي: فخر الدين ت 1085 هـ.
291 -مجمع البحرين ، تح : احمد الحسيني ، ط2 ، قم ، 1408 هـ .

❁ ابن طلحة الشافعي: كمال الدين محمد (582. 652 هـ).
292 -مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تح: ماجد بن أحمد العطية، ب.مكا، ب.ت.

❁ الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (385 . 460هـ) .

293 -اختيار معرفة الرجال ، تح : مير داماد ، محمد باقر الحسيني ، السيد مهدي الرجائي ، قم ، 1404هـ .
294 -الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ط2، دار الاضواء، بيروت، 1986.
295 -الامالي ، ب .محق ، دار الثقافة للنشر ، قم ، 1414هـ.
296 -تهذيب الأحكام، تح: السيد حسن الخرسان وآخرين ، ط4 ، دار الكتب الإسلامية ، 1390هـ .
297 -رجال الطوسي ، تح : جواد القيومي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1415هـ .
298 -الفهرست ، تح : الشيخ جواد القيومي ، مؤسسة نشر الفقاهة ، ط2 ، 1422هـ .
299 -التبيان في تفسير القرآن، تح: أحمد قصير حبيب العاملي، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1409 هـ.
300 -الخلاف، تح: سيد علي الخراساني وآخرين،ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ، 1407هـ.
301 -الرسائل العشر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ب.ت.
302 -المبسوط في فقه الإمامية، تح: محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية، طهران، 1378هـ.

❁ الطيالسي : أبو داود سليمان بن داود ت 204 هـ .

303 -مسند الطيالسي ، دار الحديث ، بيروت ، ب .ت .

❁ ابن أبي عاصم: أبو بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني ت 287 هـ.

304 -الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل الجوابرة، ط 1، دار الدراية، السعودية، 1991م.
305 -الاوائل، تح: محمود محمد، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991م.
306 -كتاب السنة، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1993.

❁ العاملي: السيد أحمد بن زين العابدين العلوي (ت نحو 1060 هـ).

307 -مناهج الأخيار في شرح الاستبصار، تقديم: السيد شهاب الدين المرعشي، قم، 1399هـ.

❁ ابن عبد البر : أبو عمرو يوسف القرطبي ت 463هـ .

308 -الاستذكار ، تح : سالم محمد عطا و محمد علي معوض ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 .
309 -الاستيعاب في أسماء الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
310 -الانباه على قبائل الرواة ، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.
311 -التمهيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف، المغرب، 1387 هـ.
312 -الدرر في اختصار المغازي والسير، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
313 -جامع بيان العلم وفضله، ب.محق، بيروت، دار الكتب العلمية، 1398 هـ.

❁ ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله. ت 257 هـ/ 871 م.

314 -فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد الحجيري، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996.

❁ العجلوني : اسماعيل بن محمد ت 1162هـ.

315 -كشف الخفاء ومزيل الالباس، ط2، بيروت، 1988.

❁ ابن عربي: محمد بن علي بن محمد ت638هـ.

316 -تفسير ابن عربي، ضبطه وصححه وقدم له: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

❁ ابن العربي: القاضي أبو بكر المالكي ت543 هـ.

317 -العواصم من القواصم، حققه وعلق عليه : محب الدين الخطيب، ط2، الدار السعودية، جدة، 1387هـ.

❁ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (499-571هـ).

318 -الاربعين البلدانية، تح: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت، ب.ت.

319 -تاريخ مدينة دمشق ، تح : علي شيري ، ب.ط ، دار الفكر ، بيروت ، 1995م .

❁ آل عصفور: الشيخ حسين البحراني ت1216هـ.

320 -الأنوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع، تح: محسن آل عصفور، مطبعة أمير، قم، ب.ت.

❁ ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب ت542 هـ/ 1148 م.

321 -المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.

❁ ابن عقدة: أبو العباس أحمد بن محمد ين سعيد ت332 هـ.

322 -الولاية، جمع نصوصه، عبد الرزاق حرز الدين، ب.مكا، ب.ت.

323 -فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق حرز الدين، ب.مكا، 1421هـ.

❁ العياشي : أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي ت320 .

324 -التفسير ، تح : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ب.ط ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، ب.ت .

❁ العيني: بدر الدين ت 855 هـ .

325 – عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، ب. ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب. ت .

❁ الغازي: داود بن سليمان ت203 هـ.

326 –مسند الرضا عليه السلام ، حققه: محمد جواد الحسيني الجلالي، ط 1، مكتب الإعلام الاسلامي، قم، 1418هـ.

❁ الغرناطي: محمد بن أحمد بن جزي ت 741 هـ.

327 -التسهيل لعلوم التنزيل، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ب.ت.

❁ الغزالي : ابو حامد محمد بن محمد505 هـ

328 -المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال ، تح : د.جميل صليبا ، د.كامل عياد ، ط 7 ، دار الاندلس ، بيروت ، 1967 م .

❁ ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت395 هـ.

329 -معجم مقايس اللغة ، تح وضبط : عبد السلام محمد هارون ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ، 1404 هـ.

❁ الفاضل الهندي: بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (1062 _ 1137هـ).

330 -كشف اللثام عن قواعد الأحكام، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، قم، 1416هـ.

❁ ابن الفتال النيسابوري : أبو جعفر محمد بن الحسن ت508 هـ.
331 -روضة الواعظين ، ط2 ، مط : أمير ، قم ، 1375هـ .
❁ أبو الفتوح: حسين بن علي الخزاعي النيسابوري (أوائل القرن السادس الهجري).
332 -روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، تح: محمد جعفر و محمد مهدي، مشهد، 1371ش.
❁ الفخر الرازي: فخر الدين ت606 هـ.
333 -تفسير الفخر الرازي المعروف بـ (مفاتح الغيب)، ط3، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
❁ أبو الفداء: الملك المؤيد عماد الدين ت732 هـ.
334 -المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
❁ فرات بن إبراهيم الكوفي : أبو القاسم ت 352هـ .
335 -تفسير فرات الكوفي ، تح : محمد الكاظم ، ط 1 ، مط : التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، إيران ، 1990م .
❁ الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد (100 . 175 هـ).
336 -العين، تح : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ط 2 ، 1409 هـ .
❁ أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين ت356هـ.
337 -الاغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994م.
338 -مقاتل الطالبيين ، تقديم واشراف: كاظم المظفر ، ط 2 ،منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ،1965 م.
❁ الفرزدق: همام بن غالب ت 114 هـ / 733 م .
339 – ديوان الفرزدق، تح: كرم البستاني، بيروت، 1966 .
❁ ابن الفقيه الهمذاني : أبو بكر محمد بن إبراهيم ت 289 هـ / 901 م .
340 -مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، 1322 م.
❁ ابن فهد الحلي: جمال الدين أحمد بن محمد (757 -841هـ).
341 -التحصين في صفات العارفين من العزلة والخمول بالأسانيد المتلقاة من آل الرسول ﷺ ، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ط2، قم، 1406هـ.
❁ الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ت 817 هـ .
342 -القاموس المحيط ، جمع وشرح : نصر الهوريني ، ب . مكا ، ب ت .
❁ الفيض الكاشاني: محمد محسن (1007– 1091هـ).
343 -الأصفى في تفسير الأصفى، تح: محمد درايتي و محمد نعمتي، ط 1، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قم، 1418هـ.
344 -المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، صححه وعلق عليه: علي أكبر غفاري، ط2، قم، ب.ت.
345 -مفاتيح الشرائع، تح: مهدي رجائي ، مجمع الذخائر الإسلامية ، قم، 1401هـ.
346 -الوافي، مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، ط1، إصفهان، 1406هـ.

❁ الفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ت 770هـ.
347- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ب.محق، دار الفكر، ب.ت.
❁ القاضي: عبد الجبار عماد الدين أبي الحسن بن احمد (ت 415هـ) .
347 -فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تح : فؤاد سيد، تونس، 1974.
❁ القاضي عياض: أبو الفضل اليحصبي ت 544 هـ.
348 -الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، 1988 .
❁ القاضي النعمان : أبو حنيفة محمد بن منصور بن احمد المغربي ت 363هـ .
349 -دعائم الإسلام ، تح : آصف بن علي ، ب.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1963م .
350 -شرح الأخبار في فضائل الائمة الأطهار ، تح : محمد الحسيني الجلالي ، ب.ط ، مط : مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ب.ت .
❁ ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ت276هـ.
351 -الإمامة والسياسة (منسوب) ، تح: علي شيري، ط 1 ، مط : أمير ، الناشر : الشريف الرضي ، قم ، 1413هـ .
352 -تأويل مختلف الحديث، ب.محق، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
353 -غريب الحديث ، تح : عبد الله الجبوري ، ط1 ، بيروت ، 1988م .
354 -المعارف، تح : ثروت عكاشة ، القاهرة ،1981 .
❁ ابن قدامه: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن احمد ت 620هـ.
355 -المغني، ب.محق، دار الكتاب العربي، ب. ت.
❁ ابن قدامة : عبد الرحمن 682هـ .
356 -الشرح الكبير ، ب.محق ، ب.ط ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ب.ت .
❁ القرطبي : أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (671هـ/1273م)
357 -الجامع لأحكام القرآن، ط2، القاهرة ، دار الكتب المصرية، 1960.
❁ القلقشندي: احمد بن عبد الله ت821هـ /1418م.
358 -صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
359 -مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تح : شوقي أبو خليل ،ط2 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، 1997 .
❁ القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم ت329 هـ.
360 -تفسير القمي، صححه وعلق عليه وقدم له: السيد طيب الجزائري، ط 3، مؤسسة دار الكتاب، قم، 1404 هـ.
❁ القمي: أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن المعروف بابن شاذان.(القرن الرابع والخامس الهجريين).
361 -مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ط1، مدرسة الإمام المهدي، قم، 1407 هـ.

❁ القندوزي: سليمان بن إبراهيم الحنفي ت 1294هـ.
362 -ينابيع المودة لذوي القربى ، تح: سيد علي جمال أشرف الحسيني ، ط1، دار الأسوة، 1416هـ.
❁ الكاشاني : ابو بكر بن مسعود الحنفي ت 587هـ.
363 -بدائع الصنائع : ط1 ، باكستان ، 1989 .
❁ ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر ت774هـ .
364 -البداية والنهاية، اعتنى به، حنان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، ب.ت .
365 -تفسير ابن كثير ، ب.ط ، مط : دار المعرفة ، بيروت ، 1412هـ .
366 -السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1971.
❁ الكحلاني: محمد بن إسماعيل الصنعاني ت 1182 هـ.
367 -سبل السلام(شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للحافظ ابن حجر)، راجعه وعلق عليه: محمد عبد العزيز الخولي، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1960.
❁ الكراكجي : أبو الفتح محمد بن علي ت 449 هـ
368 -كنز الفوائد ، ط2 ، مطبعة الغدير ، مكتبة مصطفوي ، قم ، 1369 هـ .
❁ ابن كرامة : المحسن سعيد ت494 هـ
369 -تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تح: تحسين آل شبيب الموسوي ، ط 1 ، مركز الغدير ، 2000 م
❁ الكرباسي: محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني ت1175 هـ.
370 -إكليل المنهج في تحقيق المطلب، الطبعة الأولى، تحقيق السيد جعفر الحسيني الأشكوري، دار الحديث، قم، 1425 هـ.
❁ الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى ت634هـ.
371 -الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفا، تح: محمد عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
❁ ابن الكلبي :ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب ،ت 204 هـ .
372 -الاصنام ، تح الاستاذ احمد زكي باشا ، ط3 ، دار الكتب المصرية بالقاهرة ،1995 م.
❁ الكليني : أبي جعفر محمد بن يعقوب ت 329 هـ .
373 -الكافي ، تح علي اكبر غفاري ،ط3 ، دار الكتب الإسلامية ، 1388 هـ .
❁ الكنجي الشافعي : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد ت 658هـ .
374 -كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ،تحمحمدالاميني ، ط2، النجف ،1970.
❁ الكوفي : محمد بن سليمان القاضي ، (حياً 300هـ) .
375 -مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح : محمد باقر المحمودي ، ط 1 ، الناشر : مجمع أحياء الثقافة الإسلامية ، قم ، 1412هـ .
❁ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني ت 275 هـ .
376 -سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ب .ت .

❁ الماحوزي: سليمان بن عبد الله البحراني ت 1121 هـ.
377 -كتاب الأربعين حديثا في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تح: السيد مهدي الرجائي، ط 1، قم، 1417هـ.
❁ الماردیني: العلامة علاء الدين بن علي بن عثمان الحنفي ابن التركماني ت 745 هـ .
378 -الجوهر النقي ، دار الفكر، عن طبعة 1316 هـ .
❁ المازندراني : موسى محمد صالح ت 1081هـ.
379 -شرح أصول الكافي، ضبط وتصحيح: علي عاشور، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000.
❁ ابن ما كولا: علي بن هبة الله ت 475 هـ.
380 -الإكمال، ب.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ت.
❁ مالك بن انس (93 _ 179 هـ).
381 -المدونة الكبرى ، مط السعادة ، مصر ، ب .ت .
382 -الموطأ، تح : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت ، 1997.
❁ الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد البصري ت450هـ.
383 -الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تح : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ب . ت.
384 -إعلام النبوة ، تح : سعيد محمد اللحام، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1989.
❁ المباركفوري : أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت 1353 هـ.
385 -تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، ط 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1410 هـ .
❁ المتقي الهندي: علاء الدين بن علي ت 975 هـ/1567 م.
386 -كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ط2 ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1950 .1967 .
❁ مجاهد بن جبر المكي المخزومي ت 104هـ.
387 -تفسير مجاهد، قدم له وحققه وعلق حواشيه: عبد الرحمن الطاهر، مجمع البحوث الإسلامية، باكستان، ب.ت.
❁ المجلسي الأول: محمد تقي (1003 _ 1070هـ).
388 -روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، علق عليه: حسين الكرماني وعلي الاشتهاردي، قم، 1393 هـ.
❁ المجلسي : محمد باقر ت1111هـ .
389 -بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983.
390 -مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط2، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1404 هـ.
391 -ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، تح: السيد مهدي الرجائي، مطبعة الخيام، قم، 1406هـ.
❁ مجهول المؤلف
392 -تفسير الامام الحسن العسكري، تح ونشر: مدرسة الإمام المهدي، ط1، قم، 1409 هـ.
❁ المحاملي : حسين بن اسماعيل ت 330 هـ

393 -امالي المحاملي (رواية ابن يحيى البيع)، تح :ابراهيم القيسي ، ط 1 ، المكتبة الاسلامية ،دار ابن القيم ،الاردن ، 1412 هـ .

❁ المحب الطبري: احمد بن عبد الله ت 694هـ.

394 -ذخائر العقبى، مكتبة القدسي، القاهرة، 1356 هـ.

395 -الرياض النضرة، تح: سليمان حسن عبد الوهاب، ط2، مصر، 1953م.

❁ المحقق الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن ت 676 هـ.

396 -شرائع الإسلام ، تح : صادق الشيرازي ، ط 2 ، قم ، 1409 هـ .

❁ المحلي: جلال الدين ت864 هـ، السيوطي : جلال الدين ت911 هـ.

397 -تفسير الجلالين، قدم له وراجعه: مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ب.ت،

❁ ابن مخلد القرطبي: ابو عبد الرحمن بقي ت 276 هـ.

398 -ماروي في الحوض والكوثر، ط 1، تح: عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1413 هـ.

❁ المدني: السيد علي خان الشيرازي (1052 – 1120هـ).

399 -رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه، تح: محسن الموسوي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1415هـ.

❁ ابن المرتضى: احمد بن يحيى (ت840هـ).

400 -شرح الأزهار ، غمضان ، صنعاء ، 1400 هـ .

401 -طبقات المعتزلة، عنيت بتحقيقه: سوسنه ديفلد فلزر، ط2، دار المنتظر، بيروت،1988.

❁ ابن مردويه : أبو بكر احمد بن موسى الاصفهاني ت 410هـ.

402 -مناقب علي بن أبي طالب، جمع: عبد الرزاق حرز الدين، ط2، دار الحديث، قم، 1424 هـ.

❁ المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد الاصفهاني ت421هـ.

403 -الأزمنة والامكنة، ضبطه : خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

❁ المزي: أبو الحجاج يوسف ت 742 هـ.

404 -تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تح : د. بشار عواد ، ط4 ، مؤسسة الرسالة ، 1406 هـ .

❁ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ت 346هـ.

405 -اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، ب.ط ، ب.مط ، قم ، 1996 م .

406 -التنبيه والإشراف ، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي ، دار الصاوي ، القاهرة ، ب . ت .

407 -مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ ، عني به : محمد النعسان و عبد المجيد طعمة ، ط1، دار المعرفة ، 2005.

❁ مسلم بن الحجاج النيسابوري ت 261 هـ .

408 –صحيح مسلم ، ب. محق ، دار الفكر، بيروت، ب. ت.

❁ المشهدي : الميرزا محمد القمي ت 1125هـ .

409 -تفسير كنز الدقائق ، تح : آقا مجتبى العراقي ، ط1 ، قم ، 1407هـ .
❁ أبو المعالي: محمد بن إسحاق صدر الدين القونوي(607-673هـ).
410 -الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص، ط1، مطبعة فارابي، انتشارات مولى، 1413هـ.
❁ ابن معد: أبو علي شمس الدين فخار بن معد الموسوي ت630هـ.
411 -الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب، تح: السيد محمد بحر العلوم، ط1، قم، 1410هـ.
❁ ابن معين: يحيى ت 233 هـ.
412 -تاريخ ابن معين برواية الدوري ، تح : عبد الله احمد حسن ، دار القلم ، ب .ت.
❁ ابن المغازلي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الشافعي ت 483 هـ.
413 -مناقب علي بن أبي طالب، ط1، إنتشارات سبط النبي ﷺ ، ب.مكا، 1426 هـ.
❁ المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (336 . 413هـ) .
414 -الاختصاص ، تح : علي اكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، ب . ت .
415 -الإرشاد، تح : حسين الاعلمي ، ط5، بيروت، 2001م .
416 -أقسام المولى في اللسان، تح: مهدي نجف، ط2، دار المفيد، بيروت، 1993.
417 -الامالي ، تح : الحسين استاد ولي ، قم ، ب.ت.
418 -أوائل المقالات ، ب . محق ، طهران ، 1371 هـ .
419 -الفصول المختارة ، تح : السيد مير علي شريعتي . دار المفيد ، بيروت ، ط2، 1414هـ/ 1993 .
420 -المسائل السرورية ، مط مهر، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ،ب.مكا ، ب.ت.
421 -المسائل الصاغانية، تح: محمد القاضي، ط1، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، 1413 هـ.
422 -المسائل العكبريه : ط2 ، بيروت ، 1993 .
423 -المقنعة، ب.محق ، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد ، قم ، 1413 هـ.
❁ مقاتل بن سليمان ت150 هـ.
424 -تفسير مقاتل بن سليمان، تح: أحمد فريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003 .
❁ المقداد السيوري ت826 هـ.
425 -النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، تح: مشتاق الزيدي، ط1، النجف الأشرف، 2010.
❁ المقريزي : تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت845هـ/1442م).
426 -إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق وتعليق : محمد عبد الحميد ، منشورات محمد علي بيضون ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1999 .
427 -الخطط المقريزية ، ب.محق ، بولاق ، 1294هـ ، أعادت طبعه بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1970.
428 -النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، شركة الكتبي، بيروت، ب.ت.
❁ الملطي: أبو الحسين محمد بن احمد الشافعي (ت377هـ/987م).
429 -التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تح : محمد زاهد الكوثري، بيروت ، 1968.

❁ المناوي : محمد عبد الرؤوف ت 1031هـ .
430 -الفتح السماوي، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض، ب.ت.
431 -فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، تح : احمد عبد السلام ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1415 هـ .
❁ المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت656هـ.
432 -الترغيب والترهيب، ضبط أحاديثه: مصطفى محمد، دار الفكر، بيروت، 1988م.
❁ ابن منصور: سعيد الخراساني المكي ت 227هـ.
433 -سنن سعيد بن منصور، حققه: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.
❁ ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م.
434 -لسان العرب ، ط1 ، دار أحياء التراث العربي ، أدب الحوزة ، ب .ت.
❁ المنقري: نصر بن مزاحم ت212 هـ.
435 -وقعة صفين، تح: محمد عبد السلام هارون، ط2، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1382 هـ.
❁ ابن المنير الاسكندرني: ناصر الدين أحمد بن محمد المالكي ت 683 هـ.
436 -الانصاف فيما تضمنه الكشاف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1966 .
❁ ابن ميثم :كمال الدين بن علي البحراني ت679 هـ .
437 -اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام وهو(شرح نهج البلاغة الوسيط)، تح وتقديم وتعليق: محمد هادي الأميني، ط1، مجمع البحوث الإسلامية، 1408 هـ.
438 -شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام ، عني بطبعه ونشره وتصحيحه والتعليق عليه: مير جلال الدين الحسيني الإرموي المحدث، منشورات جماعة المدرسين، قم، 1390 هـ.
439 -شرح نهج البلاغة ،ط1 ،مط :وفا ،قم ،1427 هـ .
440 -النجاة في القيامة في تحقيق أمر الإمامة، ط1، مجمع الفكر الإسلامي، قم، 1417 هـ
❁ الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد .ت588 هـ .
441 -مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مط السعادة، مصر، 1959 .
❁ ابن نباته: جمال الدين محمد بن محمد (ت 768هـ).
442 -سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ط 4، مصر، 1321 هـ.
❁ ابن النجار البغدادي: محب الدين أبي عبد الله محمد ت 643 هـ.
443 -ذيل تاريخ بغداد ، تح : مصطفى عبد القادر ،ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 .
❁ النجاشي: أبو العباس احمد بن علي ت450هـ.
444 -رجال النجاشي: تح: السيد موسى الزنجاني، ط5 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1416هـ .
❁ النحاس : أبو جعفر ت338 هـ.
445 -معاني القرآن : تح محمد علي الصابوني ، ط1 ، جامعة أم القرى ، 1988.
❁ النسائي: أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب (215 – 303 هـ) .

446 -خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد هادي الاميني، النجف، 1969 .
447 -السنن الكبرى ، تح : عبد الغفار سليمان . سيد كسروي حسن ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1411 هـ / 1991 .
448 -فضائل الصحابة: دار الكتب العلمية ، بيروت . ب .ت .
❁ النسفي: ابو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ت 537 هـ.
449 -تفسير النسفي المسمى(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ب.محق، ب.مكا، ب.ت.
❁ النعماني : محمد بن إبراهيم ت 380هـ .
450 -الغيبة: تح : علي اكبر غفاري ، طهران ، ب.ت.
❁ أبو نعيم : احمد بن عبد الله الاصبهاني ت 430هـ .
451 -ذكر أخبار اصبهان ، ب.محق ، بريل ، لندن ، 1931 .
452 -مسند أبو حنيفة: تح نظر محمد الفاريابي ، ط1 ، الرياض ، 1415 هـ.
❁ النوري : الميرزا حسين ت 1320هـ .
453 -مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط 1 ، بيروت ، 1987 .
454 -وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تح: مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، 1414هـ.
❁ النووي: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي (631_676 هـ).
455 -الأذكار النووية، دار الفكر، بيروت، 1994م.
456 -روضة الطالبين :تح عادل احمد . علي محمد ، بيروت ، ب.ت.
457 -رياض الصالحين ، دار الفكر المعاصر، ط2، بيروت، 1991م.
458 -شرح صحيح مسلم، ب.محق، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.
459 -المجموع ، من شرح المهذب ، دار الفكر ، ب.ت .
❁ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت733هـ.
460 -نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، ب.ت.
❁ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك الحميري ت 218 هـ.
461 -السيرة النبوية، تح: محمد محيي الدين، الناشر: مكتبة محمد علي، مصر، 1963 .
❁ أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل ت395هـ.
462 -الأوائل ، وضع حواشيه : عبد الرزاق غالب ، ط 1 ، منشورات بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 .
463 -جمهرة الأمثال ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم – عبد المجيد قطامش ، ط 1 ، المؤسسة العربية ، 1964م .
464 -الفروق اللغوية، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1412هـ.
❁ الهمداني: لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب ت334هـ

465 -صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، ط1 ، مكتبة الارشاد ،صنعاء ،1990 م

❁ الهيتمي: احمد بن حجر ت 974 هـ

466 -الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة، تح: عبد الوهاب الحسني، القاهرة، 1375هـ.

❁ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ) .

467 -بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، حققه وعلق عليه مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع ، القاهرة، ب.ت.

468 -مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، 1352-1353هـ.

469 -موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تح: محمد عبد الرزاق حمزة، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ب.ت.

❁ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ت 478 هـ

470 -أسباب النزول، دار الباز، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1986.

❁ الواسطي الليثي: كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الواسطي (ق 6 هـ).

471 -عيون الحكم والمواعظ ، تح : حسين الحسني ، ط 1 ، دار الحديث ، قم ، 1376.

❁ الواقدي: محمد بن عمر بن واقد ت 207 هـ.

472 -المغازي ، تحقيق: مارسدن جونس ، عالم الكتب، بيروت، 2006.

❁ وكيع: محمد بن خلف بن حيان ت 306هـ.

473 -اخبار القضاة، تعليق :مصطفى المراغي ، ب.محق، عالم الكتب، بيروت، ب.ت.

❁ اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد ت768 هـ.

474 -مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

❁ ياقوت الحموي: أبو عبد الله الرومي ت626 هـ .

475 -معجم الأدباء، ط الأخيرة، مكتبة عيسى الحلبي، مصر، 1963.

476 -معجم البلدان ، تح : وستنفلد ، لا يبزج ، 1868 .

❁ اليعقوبي :احمد بن أبي يعقوب (كان حيا في 292هـ).

477 -التاريخ ، علق عليه : خليل المنصور، ط1، مط مهر، دار الاعتصام ، 1425هـ.

❁ أبو يعلى: احمد بن علي التميمي الموصلي 210 . 307 هـ.

478 -مسند أبو يعلى، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت . دمشق، ب . ت.

المراجع الثانوية

❁ الآلوسي: محمود شكري البغدادي (1342 هـ/ 1924 م).

479 -بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجة الأثري، ط3 ، مصر، 1342 هـ .

❁ إبداح: د .اقبال بن عبد الرحمن

480 -الوحي القرآني بين المفسرين والمستشرقين – دراسة تحليلية مقارنة – ، ط1 ،دار دجلة ،المملكة الاردنية ،2011م .

❁ الأسدي : عبد الرزاق فرج الله

481 -الإمام علي عليه السلام بين طهر الميلاد ومجد الاستشهاد ،تح : قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة ،ط2 ،مط دار الضياء ، النجف الاشرف ،2009م .

❁ إسماعيل: حيدر.

❁ آباء النبي محمد صلى الله عليه وآله من آدم إلى عبد الله (سيرة مختصرة ورد شبهات)، ط 1، دار ومكتبة البصائر، بيروت، 2012.

❁ الاصفهاني: أبو عبد الله محمد تقي الموسوي ت1348هـ.

482 –مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم(عليه السلام)، ط1، تح: السيد علي عاشور، مؤسسة الاعلمي – بيروت، 1421هـ/2001م.

483 -وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام، ترجمة السيد أبو أحمد الكاظمي، نشر: مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط1، قم، 1407هـ.

❁ الألباني: محمد ناصر الدين.

484 -إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م.

❁الاميني : عبد الحسين بن احمد النجفي ت 1390هـ / 1970م .

485 -الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ط1 ، 1995م .

❁ باقر : طه ، وآخرين .

486 -تاريخ ايران القديم ، ب.ط ، ب.مط ، بغداد ، 1980 م .

❁ بالنثيا: آنخل جنثالث الاميني : عبد الحسين بن احمد النجفي ت 1390هـ / 1970م .

487 -تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية: حسين مؤنس، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008.

❁ بحر العلوم: السيد محمد مهدي (1155 _ 1212 هـ/ 1742 _ 1798م).

488 -الفوائد الرجالية، حققه وعلق عليه: محمد صادق لحر العلوم _ حسين بحر العلوم، ط 1، مكتبة الصادق، طهران، 1363 هـ.

❁البدري :السيد سامي

489 -السيرة النبوية تدوين مختصر مع تحقيقات واثارات جديدة ، تح : حسين البدري ، احسان المظفر ،ط 3 ، مط :ياسين ، نشر : طور سينين ، ب . مكا ، 2005 م.

❁ بدوي: عبد الرحمن.

490 -مذاهب الإسلاميين ، ط 3، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1983م.

❁ بركات : د.محمد خليفة

491 -علم النفس التعليمي ، ط4 ، دار القلم ، الكويت ، 1994 م .

❁ البروجردي : حسين الطباطبائي ت 1383 هـ . (المشرف على الجمع).
492 -جامع أحاديث الشيعة ، المطبعة العلمية ، قم ، 1407 هـ.
❁ البري: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني.
493 -الجوهرة في نسب الإمام علي عليه السلام وآله ، تح : محمد التونجي ، ط 1 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1402 هـ .
❁ البغدادي: إسماعيل باشا ت 1339 هـ.
494 -إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب . ت.
495 -هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1955.
❁ البغدادي :خالد.
496 -تصحيح القراءة في نهج البلاغة ردا على " قراءة في نهج البلاغة " للدليمي ،ط 1 ،مط :ستارة ،قم ،1427 هـ.
❁ البكري: عبد الرحمن احمد.
497 -من حياة الخليفة عمر بن الخطاب،تحقيق وتعليق مرتضى الرضوي ،ط 2 ،الارشاد، بيروت–لندن 1998م.
❁ البلداوي: الشيخ وسام برهان.
498 -فضائل اهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين (دراسة لاثبات وقوع التحريف والتناقض في مصادر الحديث وقواعده عند العامة واثر ذلك في فضائل اهل البيت عليهم السلام)،ط1،العتبة الحسينية المقدسة،منشورات الاعلمي،بيروت،2012 م.
❁ التستري: محمد تقي.
499 -بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ، ط1 ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ،2011 م
500 -قاموس الرجال ، الطبعة الأولى ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، قم، 1419 هـ.
❁ التميمي: هادي عبد النبي محمد.
501 -الدور اليهودي في الدولة الاسلامية حتى نهاية عصر الرسول صلى الله عليه وآله ، النجف، 2006.
❁ جابر : د.حميد سراج.
502 -الانغلاق الفكري عند مدعي التجديد وصورة الاستقراء النصي الاجتزائي في التعامل مع شخصية الرسول صلى الله عليه وآله ، ط 1 ، دار الفيحاء ، بيروت ، 2013 م .
503 –الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول صلى الله عليه وآله ، ط1 ، مط : تموز ، دمشق ،2012 م .
504 -الفكر الأختباري في نهج البلاغة ، ط1 ، دار ومكتبة البصائر ، بيروت ،2012 م .
❁ ابو جادو : صالح محمد
505 -علم النفس التربوي ، ط8 ، دار المسيرة ، عمان ،2011م .
❁ الجبوري: صفاء كامل.
506 -موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 2007م.

❁ جرداق: جورج.
507 -الإمام علي عليه السلام ، صوت العدالة الإنسانية، ط 1، دار المهدي، بيروت، 2004م.
❁ الجميلي : رشيد
508 -تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الاسلامية، ط2 ، مط الرصافي ، بغداد ، 1976 م.
❁ الجواهري: حسن.
509 -بحوث في الفقه المعاصر، الطبعة الأولى ، دار الذخائر ، بيروت ، 1419 هـ.
❁ حب الله: حيدر.
510 -حجية السنة في الفكر الاسلامي قراءة وتقويم ، مؤسسة الانتشار العربي ، ط1، بيروت ، 2011م.
❁ ابو حبيب: سعدي.
511 -القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988.
❁ حبيب الله الخوئي: الميرزا الهاشمي ت 1324 هـ.
512 -منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح: علي عاشور، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2008 م .
❁ الحسني : هاشم معروف .
513 -سيرة الائمة الاثني عشر: ط5، مطبعة شريعت، انتشارات المكتبة الحيدرية، 1427هـ
❁ حسون: فارس
514 -الحج في نهج البلاغة ضمن سلسلة في رحاب نهج البلاغة ،ب ط ،الناشر :العتبة العلوية المقدسة ،النجف ،2011م
❁ الحكيم: محمد باقر ت2003 م.
515 -دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ط2، دار الحكمة، النجف الاشرف، 1424هـ.
516 -الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) ،اعداد: حسين المياحي :ط 1 ،مؤسسة شهيد المحراب ،النجف ،1424 هـ .
❁ الحكيم: محمد تقي
517 -الاصول العامة للفقه المقارن، ط2، مؤسسة أهل البيت، النجف، 1979.
518 -السنة في الشريعة الإسلامية ، بلا معلومات (قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام).
519 -سنة أهل البيت عليهم السلام ، الطبعة الآولى، قم ، 1426 هـ.
❁ الحلو: السيد محمد علي.
520 -تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة ، دار الكتاب الإسلامي، ط 1، مطبعة ستار، 2005م.
❁ حمزة: محمد.
521 -الحديث النبوي ومكانته في الفكر الاسلامي ،ط 1 ،المؤسسة العربية للتحديث الفكري ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ، 2005 م .

❁ الحيدري: السيد كمال
522 -عصمة الأنبياء في القران ،بقلم محمود الجياشي ،ط3 ،مط ستارة ،2005 م.
❁ خان: د.محمد عبد المعيد.
523 -لأساطير العربية قبل الاسلام ،ب ط ،مط لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ،1937 م .
❁ الخراساني: حسين الوحيد.
524 -مناسك الحج، ب.مكا، بز.ت. (قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام).
❁ الخراساني: محمد تقي النقوي القايني.
525 -مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، طهران، ب. ت .
❁ الخرسان: محمد مهدي.
526 -المحسن السبط، مولود أم سقط؟ مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، 1427هـ.
❁ خريسات : محمد عبد القادر
527 -العصبية القبلية في صدر الاسلام ، ط1 ، مؤسسة حمادة ودار اليازوري ،الاردن ،2011م.
❁ الخطيب : السيد عبد الزهراء الحسيني .
528 -مصادر نهج البلاغة واسانيده ، ط 3 ، مط : دار الاضواء ، بيروت ، 1985 م .
❁ الخليلي: جواد جعفر
529 -السقيفة أم الفتن، ط1، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ب.ت.
❁ ابو خليل : شوقي .
530 -الحضارة العربية الاسلامية ، دار الفكر ، دمشق ، 1996 م .
❁ الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي ت 1413هـ / 1992م .
531 -البيان في تفسير القرآن، بيروت، 1989.
532 -معجم رجال الحديث، تح: لجنة التحقيق، ط5، ب.مكا، 1992م.
❁ خوئي : د .عباس زرياب
533 -دراسة تحليلية في السيرة النبوية ، عصر ما قبل الهجرة ، ترجمة علي الغدير سيد هادي ، ط 1 ، مط : الغدير ، بيروت ، 1997 م.
❁ دروزة: محمد عزة (1305-1404هـ/ 1887-1984م).
534 -التفسير الحديث، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.
❁ درويش: السيد طاهر عيسى.
535 -علي كما وصف نفسه، ط1، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، 2004.
❁ دغيم: د.سميح
536 -أديان ومعتقدات العرب قبل الاسلام ،ط1 ،دار الفكر اللبناني ،بيروت ،1995 م.
❁ ذويب: حمادي.

537 -السنة بين الاصول والتاريخ ، ط1، المؤسسة العربية للتحديث الفكري ، المركز الثقافي العربي ، بيروت،2005م.

538 -الرافعي: مصطفى صادق ت1937 م .

539 -إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ب ط ،دار الارقم ،بيروت ، ب ت .

❁ الراوي: عبد الستار عز الدين.

540 -ثورة العقل (دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد)، دار الرشيد، بغداد، 1989

❁الرحو :جنان سعيد

541 -اساسيات في علم النفس ،ط1 ،الدار العربية للعلوم ، بيروت ،2005 م .

❁ الرصافي : معروف .

542 -كتاب الشخصية المحمدية ، ط 5 ، منشورات الجمل ، المانيا ، 2011 م .

❁ الرضوي: محمد الرضي.

543 -من أقطاب الكذابين أحمد بن تيمية الحراني، بلا مكا، ب.ت.

❁ الريشهري: محمد.

544 -القيادة في الإسلام، تعريب: علي الأسدي، ط1، دار الحديث، 1417هـ.

545 -ميزان الحكمة، دار الحديث، ط1، قم، 1416هـ.

❁ أبو رية : محمود .

546 -أضواء على السنة المحمدية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2، قم، 2007.

❁ الزركلي : خير الدين .

547 -الأعلام، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت، 1980.

❁ الزرندي: السيد أبو الفضل مير محمدي.

548 -بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1420هـ.

❁ زهادت : عبد المجيد

549 -التربية والتعليم في نهج البلاغة، ترجمة: حسن النمر ، ط1 ، دار الهدى ، بيروت ، 2005 م.

❁ أبو زيد : نصر حامد.

550 -الإمام الشافعي وتأسيس الايديولوجية الوسطية ، ط1 ، الدار البيضاء ، المغرب ،2007 م .

❁ زيني دحلان :احمد ت 1304 هـ

551 -السيرة النبوية ، الطبعة الجديدة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ب.ت .

❁ الساعدي :نعمة هادي.

552 -علي القرآن الناطق ، ط1 ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ،2006 م .

❁ سالم : السيد عبد العزيز

553 -تاريخ الدولة العربية ، ب.ط ، بيروت ، ب.ت .

❁ سبحاني: جعفر.

554 -الأمثال في القرآن ، ط1 ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، قم، 1420هـ.
555 -الحديث النبوي بين الدراية والرواية، ط1، قم، 1419هـ.
556 -السيرة المحمدية دراسة تحليلية للسيرة المحمدية على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح ، اعداد واقتباس : يوسف جعفر سعادة ، تعريب :جعفر الهادي ، ط1 ،مط : اعتماد ، قم ،1420 هـ .
557 -عصمة الانبياء في القرآن الكريم، ط2، قم، 1420هـ.
558 -العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، نقله إلى العربية: جعفر الهادي، ط 1، قم، 1998م.
559 -محاضرات في الالهيات ، تلخيص : علي الكلبايكاني ، ط 7 ، مط : مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، قم ،1425 هـ .
560 -موسوعة طبقات الفقهاء ، ط1، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، 1418هـ.

❁ السعداوي: عبد الكريم حسين.

561 -غريب نهج البلاغة، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، 2011م.
562 -السند : آية الله السيد محمد
563 -الصحابة بين العدالة والعصمة ، اعداد : مصطفى الاسكندري ، ط1 ، مؤسسة الرافد ،قم ، 2005 م.

❁ السويج :السيد محمد مهدي محمد.

564 -في النبوة والانبياء الستة العرب ،كتاب فيما فيه معلومات وبحوث قل ان يتطرق اليها...مهمة للغاية ، ط1 ، مؤسسة البلاغ ، لبنان ،2000 م .

❁ السيستاني: السيد علي الحسيني.

565 -الفقه للمغتربين ، ترتيب وتنظيم : عبد الهادي محمد تقي الحكيم ، لندن ، 1418هـ / 1998م.
566 -مناسك الحج، ط1، مطبعة شهيد، قم،1413هـ.
567 -منهاج الصالحين، قم، ط 1، 1416 هـ.

❁ شرف الدين: السيد عبد الحسين الموسوي (1873 . 1958).

568 -النص والاجتهاد، دار الأسوة، ط3، قم، 1382ش.

❁ الشرهاني :حسين علي

569 -اضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول مع السيدة خديجة ،ط 1 ،مط: تموز ، دمشق ،2013 م .
570 -حياة السيدة خديجة من المهد الى اللحد ، ط1 ، مكتبة الهلال ،بيروت ،2005 م .

❁ شكشك : انس .

571 -علم النفس العام ، ط 1 ، دار النهج ، حلب ، 2008 م .

❁ شمس الدين: محمد المهدي.

572 -حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام،ط4 ،المؤسسة الدولية ،بيروت ،1997 م .
573 -دراسات في نهج البلاغة، المؤسسة الدولية ، بيروت، 2001م .

❁ الشهرستاني: علي.
574 -وضوء النبي ﷺ ، ط1، بيروت، 1994 .
575 -منع تدوين الحديث ، ط1 ، دار الغدير ، قم ، 2005 هـ.
❁ الشنقيطي:
576 -أضواء البيان، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م.
❁ الشيرازي: السيد محمد الحسيني (1422هـ).
577 -تقريب القرآن إلى الأذهان، ط1، دار العلوم، بيروت، 2003.
578 -توضيح نهج البلاغة، دار تراث الشيعة، طهران، ب.ت.
❁ الصائغ: مجيد.
579 -علي عليه السلام بين أمه وأبيه، بيروت، 2001م.
❁ الصالح: صبحي (الشارح)
580 -نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، ط 6، دار الاسوة ، طهران، 1429هـ.
❁ صبحي: أحمد محمود.
581 -في علم الكلام، ط 5، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
❁ الصدر: محمد باقر ت1980م.
582 -الرسول . المرسل . الرسالة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2003.
❁ الصدر: محمد صادق ت1999م.
583 -ما وراء الفقه ، ب ط ،دار ومكتبة البصائر ، بيروت ، 2011م .
❁ الصدر: مهدي الصدر
584 -أخلاق أهل البيت عليهم السلام ، ط4 ، مط ستار ، 2008 م .
❁ الصفار : الشيخ سالم .
585 -سيرة الرسول ﷺ في القيادة والمناهج الانسانية دراسة تحليلة ، ط1 ، دار الثقلين ، بيروت ، 1999م .
❁ ضيف : شوقي ت 2005 م .
586 -تاريخ الادب العربي ، ط28 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2008م .
❁ الطائي : نجاح
587 - نساء النبي وبناته ، ط2، دار الهدى ، لندن ، 2002
❁ الطباطبائي: السيد محمد حسين ت 1402هـ
588 -الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ب.ت.
❁ الطحان : مصطفى محمد .
589 -التربية ودورها في تشكيل السلوك ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 2006 م .
❁ الطهراني : آغا بزرك.

590 -الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط3 ، دار الأضواء ، بيروت ، 1983م.

❁ العاملي: ياسين عيسى.

591 -الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العلمية، ط1، دار البلاغة ، بيروت ،1993م.

❁العاملي: جعفر مرتضى

592 -- بنات النبي أم ربائبه ، ط2 ، المركز الإسلامي للدراسات ، بيروت ، 2002م .

593 -تخطيط المدن في الاسلام ، ط1 ، المركز الاسلامي للدراسات ، بيروت ،2009 م .

594 -الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ ، ط6 ، المركز الاسلامي للدراسات ، بيروت ،2010 م.

595 -منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية ، ط1 ، المركز الاسلامي للدراسات ،بيروت ،1996م .

❁ العاملي: حسن مكي.

596 -بداية المعرفة، ط 2، ذوي القربى، قم، 1427هـ.

❁ العاملي: حسين جمعة.

597 -شروح نهج البلاغة، ط1، مطبعة الفكر، بيروت، 1983م.

❁ العاملي: الشيخ قاسم محمد مصري.

598 -رسالة في التعرب بعد الهجرة ، ط1، دار الغدير، قم، 2003م.

❁ عاقل: د. نبيه.

599 -تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، ط3 ، دار الفكر،1983م.

❁ العاملي: مصطفى قصير.

600 -كتاب علي عليه السلام والتدوين المبكر للسنة النبوية الشريفة، ط 2، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، قم، 1996.

❁ عبد الحميد: صائب.

601 -تاريخ السنة النبوية (ثلاثون عاما بعد الرسول ﷺ) ، ط1، مط : فروردين ، ب مكا ، 1997م .

❁ عبد الرازق: مصطفى.

602 -تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ط3 ، القاهرة ، 1944 م.

❁ عبد الكريم : خليل

603 -إلا .. أمير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، 2006 م .

❁ عبد المنعم: محمود عبد الرحمن.

604 -معجم المصطلحات والالفاظ الفقهية ، دار الفضيلة ، القاهرة ، 1999م.

❁ عبده : محمد (شارح).

605 -شرح نهج البلاغة للشريف الرضي، دار المعرفة ، بيروت ، ب.ت .

❁ العسكري: مرتضى.

606 -المصطلحات الاسلامية، المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام ، ط1، بيروت، 2010 .

607 -معالم المدرستين ، ط1 ، مط : ليلى، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، 2003م .

❁ العسكري: نجم الدين. ت1390هـ/1970م.
608 -حديث الثقلين ، ط4، مطبعة الآداب ، النجف ، ب.ت.
❁ العقاد: عباس محمود
609 -ابو الشهداء الحسين بن علي ،ب ط ، مط :نهضة مصر ،مصر ،ب ت
❁ علي: جواد.
610 -المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، آونددانش، 2006م.
❁ علي: طارق محمد.
611 -عقائدنا، ب. ط، ب. مكا، 1418هـ.
❁ العواد: انتصار عدنان.
612 -السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة تاريخية، مؤسسة البديل، بيروت، 2009 .
❁ الغروي: محمد.
613 -الامثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ط3، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1415هـ.
❁ غفاري: علي اكبر (محقق وملخص).
614 -دراسات في علم الدراية تلخيص مقباس الهداية للمامقاني ت 1351هـ ، ط 1 ، جامعة الإمام الصادق 1369 ش.
❁ فتح الله: أحمد.
615 -معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط1، مطابع المدوخل، الدمام، 1995م.
❁ الفحام :عباس علي حسين
616 -الاثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون ،ط 1 ،العتبة العلوية المقدسة ، مكتبة الروضة الحيدرية ،منشورات الفجر ،بيروت ،2010 م.
617 -بلاغة النهج في نهج البلاغة ،ط1 ،مؤسسة دار الصادق الثقافية ودار الرضوان ، الاردن ،2014م .
❁ فرحان : عدنان (ابو أنس)
618 -دروس من السيرة النبوية ، ط 1 ، مط : شريعت ، ايران ، 1386 هـ.
❁ فلسفي : محمد تقي
619 -الطفل بين الوراثة والتربية ، تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني ، ط 2 ، مط دار سبط النبي صلى الله عليه وآله ، 2005 م.
❁ الفياض: محمد إسحاق.
620 -مناسك الحج ، ط1، مطبعة أمير، قم، 1418هـ.
❁ القاسم: أسعد وحيد.
621 -أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، ط1، مركز الغدير، بيروت، 1997م.
❁ القزويني: لطيف.
622 -رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ ، بلا معلومات

❁ قلعة جي: محمد رواس.و قنيبي: محمد صادق.
623 -معجم لغة الفقهاء، ط2، دار النفائس، بيروت، 1998م.
❁ القمي: عباس ت1359هـ.
624 -الكنى والالقاب، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر، طهران، ب.ت.
❁ الكتاني: السيد محمد عبد الحي الادريسي الحسني الفاسي.
625 -التراتيب الادارية(نظام الحكومة النبوية)، ط2، اعتناء وتحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت ، 1996م.
❁ كحالة: عمر رضا.
626 -معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
627 -معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، م1957.
❁ الكربلائي : جواد بن عباس .
628 -الانوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة ، مراجعة محسن الاسدي ، ط 1 ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، 2007 م .
❁ كرستنسن : آرثر .
629 -ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، ب.ط ، ب.مط ، بيروت ، 1982م
❁ الكوراني: علي .
630 -السيرة النبوية برواية اهل البيت عليهم السلام ،الطبعة الجديدة ،دار المرتضى ،بيروت ،2009 م
631 -المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي (عج)، ط3، 1430هـ/ 2010م.
❁ آل لطيف : محمد بن ابراهيم على الله .
632 -مآثر آل البيت وبني هاشم ، ط1 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ،2011 م
❁ مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام).
633 -موسوعة طبقات الفقهاء، ط1، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة اعتماد، قم، 1418هـ.
❁ محمد السيد: محمد صالح.
634 -أبو جعفر الاسكافي وآراؤه الكلامية والفلسفية ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، 1988 م.
❁ المحمداوي: علي صالح رسن.
635 -الاسلام قبل البعثة المحمدية رؤية قرآنية، ط 1 ، مط: دار ومكتبة البصائر بيروت 2013 م .
636 -أبو طالب بن عبد المطلب ، ط1، مؤسسة البصرة للكتاب الثقافي، دار ومكتبة البصائر، بيروت ، 1433هـ.
637 -عقيل بن أبي طالب بين الحقيقة والشبهة، ط1، مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، 1432هـ
❁ محمديان : محمد
638 -حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه ، ط 1 ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، 1417 هـ.ق
❁ محمود: د.محمود عرفة.

639 -العرب قبل الإسلام ، احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم ، ط 1 ،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ،مصر ،1995 م .

❁ المحمودي : محمد باقر .

640 -نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ط1، دار التعارف، بيروت، 1396.

❁ المرعشي : ت 1411هـ.

641 -شرح احقاق الحق ، تح وتعليق السيد شهاب الدين المرعشي ، تصحيح : ابراهيم الميانجي ، ب ط ، ب مط ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي ، قم ، ب.ت .

❁ مركز المعجم الفقهي.

642 -المصطلحات، (قرص مكتبة أهل البيت عليهم السلام)، بلا معلومات.

❁ المسعودي: محمد فاضل.

643 -الأسرار الفاطمية، ط3 ،مؤسسة الانوار الفاطمية ، قم ،2002م .

❁ مصباح: محمد تقي

644 -النبوة في القرآن ،نقله الى العربية :محمد الخاقاني ،ط1 ، مط :افق ،قم ،1426 هـ .

❁ المصطفوي : الشيخ حسن .

645 -التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ط 1 ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد ، طهران 1417 هـ .

❁ المظفر :محمد رضا.

646 -السقيفة: تقديم : د. محمود المظفر ، ط4 ، قم ، 2004 .

647 -المنطق، مطبعة حسام، بغداد، د . ت.

❁ المغربي: احمد بن محمد الحسني ت 1380هـ.

648 -فتح الملك العلي بصحة حديث مدينة العلم علي : تح محمد هادي الاميني ، أصفهان ،ب.ت.

❁ مغنية: محمد جواد

649 -التفسير الكاشف، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.

650 -في ظلال نهج البلاغة،محاولة لفهم جديد،ط2،مط: ستار،قم،1428 هـ.

❁ مكتبة الروضة الحيدرية

651 -القرآن في نهج البلاغة (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) ،الناشر العتبة العلوية المقدسة ،النجف ،2011م .

652 -الموعظة في نهج البلاغة (سلسلة في رحاب نهج البلاغة) ،الناشر العتبة العلوية المقدسة ،النجف ،2012 م .

❁ الملاح: هاشم يحيى.

653 -الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب ، الموصل، 1994م.

❁ المنصوري : اياد

654 -المنهج العلمي في تقييم افعال الصحابة ، ب.ط ، مؤسسة احياء الكتب الاسلامية ، قم ، ب.ت .

❁ المهريزي : مهدي

655 -دروس في نصوص الحديث ونهج البلاغة ، ترجمة انور الرصافي ، ط 4 ، مط : زلال كوثر ، قم ، 1432 هـ

❁ المير جهاني: حسن الطباطبائي.

656 -مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة (مستدرك نهج البلاغة)، طهران، 1388 هـ

❁ الميلاني: السيد علي الحسيني.

657 -آية التطهير ، ط 1 ، نشر مركز الابحاث العقائدية ، قم ، 1421 هـ .

658 -ابن تيمية وامامة علي عليه السلام، ط1، مركز الأبحاث العقائدية، 1421هـ.

659 -حديث سد الابواب، ط4، مطبعة وفا، قم، 1430هـ.

660 -حديث المنزلة ، مركز الابحاث العقائدية ، قم ، 1421هـ.

❁ الميلاني : السيد هاشم

661 -سيرة الرسول الأعظم من نهج البلاغة ، نشر العتبة العلوية المقدسة ، النجف الاشرف ، 2012 م.

❁ ناجي : د. عبد الجبار .

662 -نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجا، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت ، 2011 م .

❁ ناصر مكارم الشيرازي.

663 -الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،ط2 ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،2005 م.

664 -نفحات الولاية (شرح نهج البلاغة شرح عصري جامع لنهج البلاغة)،بمساعدة مجموعة من الفضلاء،اعداد:عبد الرحيم الحمراني،ط2،دار جواد الائمة عليهم السلام،بيروت،2009 م.

❁ النجفي: هادي.

665 -موسوعة أحاديث أهل البيت، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.

❁ النصر الله : د. جواد .

666 -أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة، مطبعة الغدير، البصرة، 2003.

667 -الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة البصرة، دار الفيحاء، بيروت، 2013.

668 -شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد رؤية اعتزالية عن الإمام علي (عليه السلام) ، ط 1 ، ذوي القربى ، قم ، 2004 م .

669 -فضائل الإمام علي تنسب لغيره ،الحلقة الأولى (الولادة في الكعبة)، مركز الأبحاث العقائدية، النجف، 2009.

❁ النفيس: أحمد راسم.

670 -النبوة في نهج البلاغة، دار المحجة البيضاء، ط1، بيروت، 2010.

❁ النمازي: علي الشاهرودي ت 1405 هـ .

671 -مستدرك سفينة البحار، تح: وتصحيح: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1418 هـ.

❁ النقوي: السيد حامد ت1306 هـ.

672 -خلاصة عبقات الأنوار، مطبعة خيام، مؤسسة البعثة، طهران، 1405هـ.

❁ الوائلي : عبد الرحمن.

673 -جدلية العلاقة بين العقل والتجربة الاجتماعية،ط1 ،دار الهادي ،بيروت ،2003م

❁ آل ياسين :محمد حسن

674 -في رحاب الرسول ﷺ ، بيروت ،1996 م .

❁ يعقوب: أحمد حسين.

675 -الخطط السياسية لتوحيد الامة الاسلامية ، ط2 ، دار الفجر ، لندن ،1415 هـ .

676 -نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الاسلام، ط 4 ، مط : بهمن ، قم ، 2003 م .

❁ اليوسفي: محمد هادي الغروي.

677 -موسوعة التاريخ الإسلامي، ط1، مجمع الفكر الإسلامي، قم ، 1417هـ.

الدوريات

❁ جابر : د.حميد سراج .

678 -فلسفة النبوة وابعاد حياة الانبياء الاجتماعية في نهج البلاغة ، منشور ضمن ابحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة ، ج 2 ، مركز دراسات الكوفة ، ط1، النجف الاشرف ، 2011 م ، ص 303 – 325 .

❁ حمود : د. احمد عبد المجيد .

679 -سيرة النبي المصطفى ﷺ للامام علي المرتضى عليه السلام من خلال نهج البلاغة ، مجلة رسالتنا ، العدد الرابع السنة الاولى ، بغداد 2004 ، ص 132 – 154 .

❁ الصافي : د.حسين

680 -آباء النبي ﷺ في الكتاب والسنة ، مجلة صدى القرآن ، العدد الثاني ، السنة الاولى ، 2012 م ، ص105-124 .

❁ الشريف يوسف

681 -الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج 29 ، بغداد ، 1978 م ، (الصفحات جميعها) .

❁ كاظم: د. شاكر مجيد، النصر الله: د. جواد.

682 -الحياة العقائدية والاجتماعية عند العرب قبل الإسلام في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ، مجلة أبحاث البصرة (الإنسانيات) ، المجلد 30 العدد الثاني ، 2006 . ص1– 61 .

❁ الكريطي :حاكم حبيب

683 -اهل البيت عليهم السلام في نهج البلاغة – قراءة تأويلية – ، منشور ضمن ابحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة ، ج 5 ، مركز دراسات الكوفة ، ط1 ، النجف الاشرف ،2011 م ، ص7-24 .

❁ المحراث : كاظم حمد

684 -تجليات الزهد في نهج البلاغة ، العدد 75-76 ، ب ط .

❁ نصار : موسى

685 -الطغاة وسنن التاريخ في ضوء القران ، مشاهد الصراع ، مجلة المصباح ، العدد الثامن ، 2013م ، ص231 - 255 .

❁ النصرالله: جواد كاظم.

686 -الإمام علي (عليه السلام) في فكر الجاحظ ، مجلة دراسات البصرة ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، 2007م.

687 -الجاهلية فترة زمنية أم حالة نفسية ، مجلة أبحاث البصرة ، المجلد 31 ، العدد الاول (أ)، 2006م . ص5 . 43 .

688 -السيرة النبوية بين الرؤية القرآنية والرواية التاريخية ، بحث مشارك في مؤتمر بيت الحكمة ، بالتعاون مع جامعة ذي قار ،2013 م .

689 -مرويات الجوهري عن يوم السقيفة، مجلة دراسات البصرة، العدد الأول، السنة الثانية، 2007م .

690 -نشأة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ديار بني سعد ، مجلة دراسات تأريخية ،العدد 9 ،2010 م .

691 -هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية، مجلة رسالة الرافدين، العدد الخامس، 2008.

<u>الرسائل الجامعية</u>

❁ جثير : علي غانم

692 -بيئة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القران الكريم _دراسة تحليلية مقارنة _ اطروحة دكتوراة غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة البصرة ،2006م .

❁ الحجاج: محسن فهد.

693 -جعفر بن ابي طالب عليه السلام ، اطروحة دكتوراهغير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة البصرة ،200م

دولة التبابعة في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة البصرة ،1990 م

❁ الحلفي : صبيح نوري

694 -نساء البيت الاموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الاموي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الاداب ، البصرة ، 2006 .

❁ الدليمي : مؤيد عبيد ياسين

695 -ملامح المجتمع المدني في عصر النبوة ، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ،2006 م .

❁ الزبيدي : بثينة عادل عمران .
696 -الثأر في العصر الاموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للبنات ، 2013 م .
❁ الساعدي: إيمان حسن مجيسر.
697 -والدا النبي محمد ﷺ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 2009.
❁ الصفراني : رياض رحيم حسين
698 -هاشم بن عبد مناف ، دراسة في سيرته الشخصية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية ،2010 م .
❁ عبد الرحمن: هاشم يونس.
699 -الحياة الفكرية في الجزيرة العربية قبل الاسلام وعصر الرسالة ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، الموصل، 1992م.
❁ العبيدي : شذى عبد الصاحب عبد الحسين
700 -مجتمع المدينة من خلال القرآن الكريم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ديالى ،كلية التربية ، 2005 م .
❁ عجيمي : احمد فاضل .
701 -كتاب شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مصدرا لتاريخ العرب قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ذي قار ، كلية الاداب ، 2013 م .
❁ الغزي : مازن خضير عباس
702 -الرد على الرسول ﷺ دراسة تأريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية للبنات ،2013 م .
❁ غياض : عباس عبد الحسين .
703 -السياق واثره في دلالة النص القرآني عند مفسري الامامية في العصر الحديث ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ، 2013م .
❁ الفارس : محمد خضير جاسم
704 -عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية عن السيرة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 2010 م .
❁ القريشي : علي كريم عباس
705 -آل عبد المطلب وأثرهم في الحياة العامة حتى نهاية العصر الراشدي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية التربية ،2007 م .
❁ المالكي : سعدي عبد الرحيم مانع
706 -حمزة بن عبد المطلب ، دراسة في سيرته الشخصية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية التربية ،2009م.

❁ المرزوك : غزوان عبد الكاظم مهدي
707 -الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل ، كلية التربية ، 2013.

❁ معمري : حسن .
708 -مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزية العربية خلال القرنين 5 و 6 للميلاد ، مذكرة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2006 م.

❁ الميالي : ناجح جابر جخيور .
709 -صورة النبي الاكرم ﷺ في نهج البلاغة دراسة في ضوء منهج الاسلوبية التطبيقية ، اطروحة دكتوراة غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ، 2013 م .

المحاضرات

❁ النصرالله : د . جواد كاظم.
710 – محاضرات في سيرة المعصومين ألقيت على طلبة العلوم الدينية في جامعة السيد الصدر عام 1425 هـ / 2004 م.